السومريون

تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم

تأليف
صموئيل نوح كريمر

ترجمة
الدكتور فيصل الوائلي

السومريون

السومريون

تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم

تأليف

صموئيل نوح كريمر

ترجمة

الدكتور فيصل الوائلي

بجامعة الكويت

الناشر

وكالة المطبوعات

شارع فهد السالم - الكويت

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى)

محتويات الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

تشير الدلائل العديدة التى تم الكشف عنها فى بقاع مختلفة من العالم إلى أن الإنسان ظل دهوراً طويلة يعيش على الالتقاط والصيد ، ويتخذ من الكهوف ملاجىء يأوى إليها إتقاء للبرد أو الحر وإحتماء من الوحوش المفترسة . وكانت الحجارة مادته الرئيسية فى صنع أدواته المحدودة الساذجة ، كما استخدم على ما يرجح مواد أخرى كالأخشاب والجلود ؛ إلاّ أن مواد كهذه تفنى مع الزمن بتأثير عوامل الطبيعة المختلفة فلم يعثر على بقايا منها . وتعارف أكثر الباحثين على تسمية هذا الطور من أطوار حياة الإنسان بـ « العصر الحجر القديم » لأن استعمال الحجر كان السمة البارزة فيه ؛ وكانت صناعة الحجر بدائية ساذجة بالقياس إلى صناعة ما يعرف بـ « العصر الحجرى الحديث» ، وأطلق آخرون على ذلك الطور القديم إسم « عصر جمع القوت » لأن الإنسان عاش معتمداً على كرم الطبيعة وما تمده به من غذاء نباتى وحيوانى قبل تعلمه أساليب الزراعة وطرق التدجين وتحوله إلى ما يسمى بـ « عصر إنتاج القوت » . ويفضل فريق آخر من الباحثين تسمية ذلك الطور بـ « عصر التوحش » ؛ وذلك لأن هذه التسمية أكثر شمولا وتوحى بمعنى البدائية فى أوجه الحياة المختلفة .

ومع أن قصة الإنسان ووجوده على وجه الأرض ما زالت غامضة ومازالت الآراء حولها متباينة ؛ وقد تكون أحياناً متناقضة ، وخاصة فيما يتصل منها بتحديد تأريخ ظهور الإنسان على الأرض ؛ وفيما يتعلق بعلاقة الإنسان العاقل « الحديث » بالأجناس « البشرية » القديمة ، أى فيما إذا كان الإنسان العاقل « الحديث » يمثل بداية البشر ، وأن ما تسمى بالأجناس البشرية القديمة ما هى إلا «طلائع بشرية» أقرب إلى القردة العليا منها إلى البشر أو إن الإنسان العاقل الحديث ما هو إلا آخر

حلقة فى سلسلة التطور البشرى الطويلة ، نقول مع غموض كل هذه الجوانب وتباين الآراء حولها ، فإن هناك حقائق تـكاد تكون ثابتة . من هذه الحقائق أن الاجناس القديمة ، أو لنقل الطلائع البشرية ، قد تركت آثاراً فى أماكن مختلفة من العالم تكشف عن قدرات عقلية لاتدانيها قدرات أى فصيلة من فصائل الحيوانات العليا وأنها تشترك مع الإنسان العاقل « الحديث » بانتصاب القامة ، وأن وجودها على الأرض يعود ، وفقاً لاحدث الآراء ، إلى ما قبل مليونى عام ، وكانت مناطق شرق إفريقيا (تنزانيا وكينيا) مهد تلك المخلوقات . أما بالنسبة للانسان العاقل «الحديث» فإن ظهوره بدأ ، وفقاً لأحداث النظريات أيضاً ، قبل حوالى خمسين ألف سنة فقط ، وبذلك يـكون الإنسان أحدث المخلوقات وأصغرها سناً .

ومن الحقائق الأخرى الثابتة أن الإنسان ، مهما كان عمره ، قد عاش ٩٥٪ من حياته على جمع القوت واستخدام الحجارة بأبسط أشكالها ، وبعبارة أخرى ، قضى ٩٥٪ من حياته متوحشاً بـكل ما تعنيه هذه الكلمة وما توحى به من أفكار اجتماعية واقتصادية وفكرية وفنية وتقنية . وإذا انتقلنا إلى العراق الذى يتحدث كتابنا هذا عن شعب من شعوبه القديمة ، فإن البقايا الآثارية التى اكتشفت فى غضون الثلاثين سنة الماضية تكشف بصورة لاتدع مجالا للشك عن وجود جنس واحد على الأقل من الأجناس البشرية القديمة ، أو الطلائع البشرية ، فى المناطق الجبلية الواقعة فى الجهات الشرقية والشمالية الشرقية من العراق قبل ما يقرب من مائة ألف سنة [١] وربما كانت بيئة هذه المنطقة عاملا مهماً فى ظهور ذلك الجنس القديم ، فهى بيئة تتوافر فيها كل مستلزمات الحياة البدائية فى عصر التوحش من من كهوف وحجارة وأشجار مثمرة وأعشاب وحبوب برية وحيوانات وفيرة ومياه غزيرة . وبقى ذلك الجنس يجوب فى هذه المنطقة تاركاً آثاره تتراكم فى طبقات متعاقبة فى الـكهوف التى كان يأوى إليها إلى أن ظهر الإنسان العاقل

---

(١) أنظر: Ralf S. Solecki, Prehistory in Shanidar Valley Northern Iraq, in Science. January 18, 1963, Vol. 139, No. 1551, Pages179-193

« الحديث » قبل حوالى ١٢٠٠٠ سنة . وليس هناك ما يؤكد فيما إذا كان ظهور الأنسان « الحديث » سببا فى اختفاء الجنس القديم الذى كان عاجزاً عن مجابهة الإنسان « العاقل » نظراً لتفوقه العقلى . أو أن عوامل طبيعية أخرى عملت على إفنائه وانقراضه .

وظلت الحياة فى المناطق الجبلية العراقية خلال عصر التوحش الطويل على ما هى عليه دون أن يطرأ عليها تغيير يذكر وكأنها كانت تنتظر قوة دافعة جديدة لتخرجها من حدود ذلك العصر والإنطلاق بها فى طريق التطور . وما كاد الإنسان يتعلم أساليب الزراعة ويهتدى إلى طرق تدجين الحيوانات حتى قفز أولى قفزاته الواسعة على طريق التطور وخرج من عصر جمع القوت ليدخل عصر إنتاج القوت ، وبدأ التغيير يعم مظاهر الحياة الأساسية كلها . ففى الحياة الإقتصادية تحرر الإنسان من عبودية الأعتماد على كرم الطبيعة ، وهو كرم لايعتمد عليه دائماً ، ومن الناحية الإجتماعية خرج الإنسان من ظلام الكهوف ليستقر فى بيوت صغيرة بسيطة بناها من الطين ، وظهرت المجتمعات القروية الزراعية الصغيرة وما يستتبع ذلك من تطورات اجتماعية وبروز الأسرة كوحدة أساسية فى المجتمع ، وفى مجال الصناعة تطورت صناعة الأدوات الحجرية وتنوعت ، حتى إن العلماء أطلقوا على هذا العصر اسم « العصر الحجرى الحديث » تمييزاً له عن « العصر الحجرى القديم » . ثم اهتدى الإنسان إلى صناعة الفخار التى كان لها دور بارز جداً فى دفع عجلة التطور نحو التقدم . ثم أدت كل هذه التطورات الإقتصادية والإجتماعية إلى تطورات فنية وروحية . ويسمى بعض الباحثين عصر الزراعة والاستقرار «العصر البربرى» تمييزاً له عن «عصر التوحش» .

إذن ، كانت « الثورة » الزراعية عاملا حاسماً فى تطوير حياة الإنسان ، وكانت حداً فاصلا بين نمطين مختلفين من الحياة . على أنه لابد من الإشارة هنا إلى أن هذه « الثورة » لم تشمل العالم المأهول فى ذلك الوقت بأكمله ، واقتصرت آثارها فى بادىء الأمر على مناطق محدودة فى الشرق الأدنى القديم ، وكانت المناطق الشرقية والشمالية

الشرقية من العراق من أولى المناطق التي شهدت تلك الثورة وما أدت إليه من تحول الإنسان من حياة جمع القوت إلى حياة إنتاج القوت ، أو لنقل من عصر التوحش إلى عصر البربرية ، وما نتج عن ذلك من استقرار وظهور المجتمعات القروية الزراعية .

وعلى الرغم مما كان للزراعة من أثر عميق فى تطور مظاهر الحياة ، فإن الإنسان لم يصل إلى ما يسمى بمرحلة المدنية ، ولم تتم مؤسساته الاجتماعية كما لم تظهر مؤسساته السياسية ، ولم ينطلق الفكر فى آفاق المعرفة الخلاقة إلا بعد أن حدثت (ثورة) أخرى قد تكون نتيجة من نتائج (الثورة) الزراعية الأولى ، إلا أنها كانت على أية حال ضرورية جداً لدفع عجلة التطور . يقول الأستاذ جاكبسون ، وهو من العلماء البارزين فى حقل الدراسات القديمة : « لقد مرت آلاف السنين على دخول الإنسان وادى الرافدين لأول مرة ، وتوالت عليه الثقافات التى كانت متشابهة من حيث الأساس ، ليست فيها واحدة تباين أية ثقافة فى أى مكان آخر من العالم عندئذ . وكانت الزراعة فى أثناء تلك الآلاف من السنين هى عماد الحياة ، وكانت الأدوات تصنع من الحجر ونادراً من النحاس . ويبدو أن القرى المؤلفة من عائلات كبيرة كانت هى النمط فى الإستيطان . والتباين البارز الوحيد الذى نشاهده بين ثقافة وأخرى فى هذه الفترة (التى استمرت أكثر من خمسة آلاف سنة) هو فى كيفية صنع الفخار وزخرفته بالنقوش وهو ليس بالتباين الشديد الأهمية » . ولكن ما كاد الإنسان يخترع الكتابة ويستخدمها فى تدوين أفكاره وإحساساته وأساطيره وأخباره وخبراته حتى تغيرت الصورة . فكأنما حضارة وادى الرافدين قد تبلورت بين عشية وضحاها . وإذا بالشكل الأساسى أو الهيكل الذى ستعيش البلاد فى ضمنه وتحت سيطرته ، والذى سيثير فيها أعمق أسئلتها ، ويقيم نفسه كما يقيم الكون لكل العصور اللاحقة ، ينبثق فجأة تام النمو فى سماته الرئيسية[1] » .

---

(١) أنظر : ما قبل الفلسفة ، تأليف هـ. فرانكفورت ، و هـ . أ. فرانكفورت ، وجون واسن ، وثور كايلد جاكبسون . وترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، (١٩٦٠) ، ص ١٤٩ .

إذن ، كانت الكتابة (ثورة) ثانية بعد الزراعة فى حياة الإنسان ، وعاملا حاسماً نقل الإنسان من حياة البربرية إلى حياة التمدن ، ومن حياة القرى الصغيرة والمجتمعات الضيقة إلى حياة المدن الواسعة والمجتمعات الكبيرة ، واعتبرت الكتابة حداً فاصلا بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية ، وكانت القوة الدافعة العميقة التى أطلقت الإنسان فى طريق النمو والإزدهار الذى شمل مؤسساته الاجتماعية والدينية والسياسية وحياته الفنية والتقنية .

وإذا كانت الزراعة قد ظهرت فى بقاع مختلفة من الشرق الأدنى القديم فى أوقات متقاربة حتى أصبح من العسير تحديد موطنها الأول ومعرفة روادها الأوائل الذين كان لهم فضل البدء بها ، فإن الأمر مختلف تماماً بالنسبة إلى [الثورة] الثانية ، لأنه ثبت بشكل لا يترك مجـالا للشك بأن الكتابة اخترعت واستخدمت لأول مرة فى تاريخ الإنسان فى القسم الجنوبى من العراق [أى فى بلاد سومر] ؛ وكان ذلك فى الثلث الأخير من الألف الرابع ق. م. ومن هذه البقعة انتشرت إلى بقية أنحاء الشرق القديم ، أو كانت عاملا فى الإيحاء على الأقل إلى الشعوب الأخرى لتطوير كتابات خاصة بها . هذا هو رأى جمهرة العلماء والباحثين بالنسبة لموطن الكتابة الأولى . ولما كانت أقدم الألواح الطينية [الكتب القديمة] مدونة باللغة السومرية ، فقد أجمع العلماء أيضاً على أن الشعب السومرى ، صاحب هذه اللغة ، كان مخترع أول نظام للكتابة معروف حتى الآن .

إن هذه المقدمة الموجزة تقودنا إلى أهمية كتاب «السومريون» الذى بين أيدينا ، لأنه كتاب كرس لدراسة تاريخ الشعب السومرى الحضارى والسياسى ، ذلك الشعب العبقرى الذى كان له الفضل الأول فى نقل الإنسـان من عصور البربرية إلى عصور التمدن ، بكل ماتوحى به عبارة « تمدن » من معان إنسانية سامية . ولم تكن الكتابة إنجاز هذا الشعب الوحيد ، وإن كانت هى أهم إنجازاته ، كما لم تكن دليلنا الوحيد على عبقرية السومريين . لقد وضع هذا الشعب أسس كل مظهر من مظاهر الحياة

المتطورة . فهو الذى شرع أولى القوانين حماية لحقوق الفرد ومنعاً للتجاوز عليها ؛ وهو الذى أسس أول مدرسة لأنه أدرك أهمية التربية والتعليم . وكان أول من اهتم بالطب وأول من وضع دستوراً للأدوية خالياً من الشعوذة وأعمال السحر . وكان أول من فكر بالكون فى محاولة للكشف عن خفايا الطبيعة وأسرارها ، وكان أول شعب مارس الديمقراطية المستندة إلى مجلسين : مجلس من العامة وآخر للشيوخ ؛ وهى ، وإن كانت ديمقراطية « بدائية » ، إلا أنها لا تخلو من دلالات هامة بالنسبة للعلاقة بين الحاكم والمحكوم قبل أكثر من خمسة آلاف عام. ونكتفى بهذا القدر من الإنجازات الرائعة ، ونقترح لمن أراد المزيد من ذلك الرجوع إلى كتاب « من ألواح سومر » للعلامة كريمر وترجمة الأستاذ طه باقر .

ومما يكشف عن مدى عبقرية الشعب السومرى وحدة ذكائه أن البيئة التى اتخذ منها موطناً له وأتم على تربتها كل هذه الإنجازات الرائعة وجعل منها مهداً لأولى المدنيات الراقية ، كانت ، خلافاً لما يراه أغلب الناس ، بيئة قاسية لا تيسر للإنسان وسائل الرقى والإزدهار دون عناء وجهد كبيرين . يقول المؤلف عن هذه البيئة : كان مناخها حاراً وجافاً للغاية ، وتربتها إذا ما أهملت قاحلة تعصف بها الرياح وغير منتجة ... خالية من المعادن والأحجار ... ولا توجد فيها أشجار يستحصل منها على الخشب الجيد النافع للبناء » ؛ لقد كانت « يد الله عليها » ، أرضاً لا أمل فيها ، حكم عليها فى الظاهر بالفقر والإقفار » .

لقد كانت عبقرية السومريين ، إذن ، ودأبهم على العمل ، وقواهم الخلاقة المبدعة ، هى العوامل الحاسمة التى جعلت من جنوب العراق مهداً لأولى المدنيات القديمة وينبوعاً من ينابيع العلم والمعرفة فى العالم القديم .

ولعل مما يثير الدهشة والإستغراب أن شعباً بهذه القدرة على الخلق والإبداع اختفى من مسرح التاريخ فجأة حتى إنه ما كاد يطل منتصف الألف الثانى ق . م . حتى بدأت ذكرياته تمحى من ذاكرة الإنسان واختفت معالم حضارته المادية تحت أكوام من

التراب وأسدل الستار على تاريخه . وإذا صح الرأى القائل بأن عبارة « شنعار » التى وردت فى التوراة ما هى إلا تحريف لإسم « سومر » ؛ فإن هذه تكون آخر إشارة مدونة معروفة لبلاد سومر .

ولم يكن إكتشاف السومريين أمراً مقصوداً لذاته ؛ إذ لم يخطر ببال أحد طلائع الباحثين فى الحقول الآثارية واللغوية أن شعباً بهذا الإسم قد عاش فى يوم من الأيام . وإذا كان البابليون والآشوريون والمصريون والإيرانيون ، وغيرهم من شعوب العالم القديم قد ورد ذكرهم فى مصدر أو آخر من المصادر الكلاسيكية أو فى الكتب المقدسة ، فإن السومريين لم يذكروا على الإطلاق . ولكن ما كاد العلماء يكتشفون الكتابة المسمارية ويفكون رموزها ويقرأون النصوص المدونة باللغة الأكدية السامية حتى لاحظوا وجود نصوص غامضة اللغة ، ولاحظوا أيضاً أن بعض النصوص كانت مدونه باللغة الأكدية السامية ، وبتلك اللغة الغريبة الأخرى مما دفعهم إلى الإقتناع تدريجياً بوجود لغتين استخدمتا فى آن واحد : لغة سامية شبيهة باللغات السامية المعروفة فى الوقت الحاضر ، ولغة أخرى لا علاقة لها باللغات السامية . ولحسن الحظ كان الكتاب البابليون القدامى يفسرون بعض الكلمات السومرية بكلمات أكدية ، وكانت بعض النصوص السومرية تترجم إلى اللغة الأكدية وهذا ساعد الباحثين على اكتشاف اللغة السومرية ومعرفة خصائصها وبذلك أصبح الطريق ممهداً للكشف عن أروع صفحة من صفحات التاريخ الإنسانى القديم .

ولم يكن الكشف عن السومريين وتاريخهم عملا هيناً كما قد توحى به هذه المقدمة الموجزة وإنما كان عملا استغرق ما يقرب من نصف قرن من الجهد المضنى المتواصل الذى كان فى بعض الأحيان مثبطاً العزائم ومخيباً للآمال ، كان عملا أسهم فيه عدد كبير من الباحثين من أقطار مختلفة من العالم . وإذا كان الفضل فى حل رموز الكتابة المسمارية يعود إلى الرواد الأوائل أمثال رلنصن وجروتفند وهنكس

فإن الفضل فى دراسة قواعد اللغة السومرية وترجمة النصوص المدونة بتلك اللغة والكشف عن تاريخ السومريين يعود إلى أمثال پوبل وثيورو ـ وإدنجى وفلكنشتاين وجاكبسون وإلى مؤلف هذا الكتاب الأستاذ كريمر الذى كان له فضل كبير ، ليس فقط فى دراسة اللغة السومرية وتاريخ السومريين وإنما فى وضع النتائج التى وصل إليها العلماء بين يدى عامة القراء ممن لا يرتبطون بهذه الدراسات بأكثر من وجود الرغبة للأطلاع على قصة هذا الشعب . إن الأستاذ كريمر ينفرد بين أقرانه جميعاً بإيمانه بضرورة الخروج بالمعرفة من نطاق حلقات المتخصصين القلائل ونشرها بين الجماهير عامة بلغة سهلة وأسلوب مبسط واضح . يقول الأستاذ طه باقر فى مقدمته لكتاب « من ألواح سومر » : « الإغراق فى التخصص وترفع المغرقين فى التخصص من الأمور التى عابها غير واحد على الحضارة الغربية الحاضرة ، وأخذوه على أهل الإختصاص فيها ، متهمين إياهم بانهم يسلكون فى اخفاء نتاج بحوثهم ما كان عليه القدماء من أهل المعرفة فى حرصهم على معرفتهم والضن بها على الجماهير بحيث كانت الأسرار المقدسة . ولكن مؤلفنا من المختصين القلائل الذين حادوا عن هذا الإتجاه . فإنه إلى جانب بحوثه المركزة والعالية فى مستوى إختصاصها ، نشر على الملأ كتبا مبسطة عرف بها أخطر وأهم موضوع فى تاريخ سير الحضارة البشرية وتطور الإنسان العقلى[1] » .

والأستاذ كريمر ليس جديداً على القارىء العربى المتتبع للدراسات القديمة ، فقد ترجم من مؤلفاته إلى اللغة العربية حتى الآن كتابان : « من الواح سومر » الذى قام بترجمته الأستاذ طه باقر و « الأساطير السومرية » الذى قام بترجمة الأستاذ يوسف داود عبد القادر (بغداد ـ ١٩٧١) . ويسعدنى أن أضع كتابه الثالث بين يدى القراء العرب الذى تهيأ لى فرصة القيام بترجمته اثناء عملى أستاذا فى جامعة الكويت ، وأود أن أشير هنا إلى أننى قد حاولت جهدى ، وأنا أترجم هذا الكتاب ، الذى يعتبر أفضل ما كتب عن السومريين وحضارتهم حتى الآن ، أن أتخذ موقفاً وسطاً بين الحرفية وبين الأخذ بالمعنى دون الالتزام الحرفى . ذلك لأننى كنت معنياً بنقل

ما قصد إليه المؤلف بدقة ودون تشويه مع بذل مافى الوسع من عدم الإبتعاد عن روح اللغة العربية او الإضرار بالاسلوب العربى . وأملى أن يجد القارىء الكريم فى هذا الكتاب ، الذى يلقى الضوء على أروع قصة من قصص تطور الإنسان ومسيرته الطويلة فى طريق التقدم والإزدهار والإرتقاء ، من الفائدة والمتعة الفكرية مايبرر الجهد الذى بذل فى ترجمته . والله ولى التوفيق .

فيصل الوائلى
أستاذ تاريخ الشرق الأدنى القديم
فى جامعة الكويت
(مدير الآثار فى العراق — سابقاً)

الكويت فى ١ / ١١ / ١٩٧٣

توطئة المؤلف

لقد شهد عام ١٩٥٦ نشر كتابى « من ألواح سومر » الذى نقح وأعيد طبعه وترجم إلى لغات عديدة تحت عنوان « التاريخ يبدأ فى سومر »[1] . ويتألف الكتاب من عشرين مقالة يجمع بينها موضوع واحد ، وهو : إنها جميعاً تتحدث عن « أوائل » ما هو مدون فى تاريخ الإنسان وحضارته . إلا أن ذلك الكتاب لم يعالج تاريخ السومريين ولم يبحث فى طبيعة مؤسساتهم الإجتماعية والاقتصادية ، كما لم يعط القارىء أية فكرة عن الطريقة والأسلوب اللذين تم بهما الكشف عن لغتهم و « بعثها » مرة أخرى إلى الحياة ، ففكرت فى هذا الكتاب والفته بصورة خاصة لملء تلك الفراغات .

إن الفصل الأول من الكتاب ذو طبيعة تقديمية ، فهو يقدم بايجاز صورة للجهود التى قادت إلى فك رموز الخط المسمارى ، مع إشارة خاصة إلى السومريين ولغتهم ، وقدمت هذه الصورة بأسلوب يمكن القارىء المثقف المهتم بهذه الدراسات على ما نأمل ، من متابعة القراءة بتفهم وتبصرة .

ويتناول الفصل الثانى تاريخ بلاد سومر من عصور ما قبل التاريخ فى الألف الخامس ق . م . إلى أوائل الألف الثانى ق . م . عندما أختفى السومريون كذاتية سياسية . وبقدر ما أعلم ، يقدم هذا الفصل أكمل معالجة مفصلة ظهرت حتى الآن لموضوع التاريخ السياسى السومرى . وبسبب طبيعة المصادر غير الكاملة وغير الواضحة وبعدها أحياناً عن الدقة مما يدفعنا إلى عدم الثقة بما ورد فيها ، فإن عدداً

---

(١) لقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية الأستاذ طه باقر تحت عنوان « من ألواح سومر » فى سنة ١٩٥٧ . ولا يسع المترجم إلا أن ينوه بالفائدة الكبيرة التى أفادها من هذا الكتاب وخاصة فى مقارنة ترجمات النصوص القديمة التى ظهرت فى الكتابين ، ومن ملاحظات الأستاذ طه باقر القيمة . (المترجم)

غير قليل من الأقوال التي وردت فى هذا الفصل استندت إلى الأفتراض والحدس ، وربما سيثبت فى يوم ما على أنها غير صحيحة فى جزء منها أو حتى كلها .

ولتمكين القارىء من تكوين أحكامه الخاصة وقراراته فى أكثر الحالات غموضاً وإثارة للشك ، فإن أنواعاً مختلفة من المادة الأساسية الأولية المتيسرة للباحث قد لخصت وقيمت فى بداية الفصل ، وأشير إلى نواقصها وما فيها من مشاكل ومزالق .

أما الفصل الثالث فإنه يعالج المظاهر الإجتماعية والإقتصادية والقانونية والتقنية لحياة المدينة السومرية . وهذا الفصل على ما هو عليه من الإختصار بسبب ندرة المصادر المتصلة بهذه المواضيع وغموضها ، فإنه ما كان بالإمكان أن يكتب على الإطلاق لولا إسهام « دياكنوف » و « فلكنشتاين » و « سيفيل » العلماء الثلاثة الذين عملوا كثيراً فى سبيل توضيح مظهر أو آخر من مظاهر هذا الحقل من حقول البحث .

ويعالج الفصلان الرابع والخامس الديانة والأدب عند السومريين ، وهما حقلا الحضارة السومرية اللذان كرست لهما كل حياتى العلمية . وعلى حين أنهما يحتويان على كثير مما يوجد فى مؤلفاتى القديمة ، فإن هذين الفصلين يقدمان استعراضا أكمل وأكثر شمولاً للمادة المتيسرة مما كان بالإمكان فعله حتى الآن ، هذا من دون أن نذكر الإضافات والتصحيحات العديدة التى قدمت ترجمات النصوص التى استشهد بها .

وأما الفصلان السادس والسابع المتعلقان بالتربية السومرية وخصائص السومريين ، فهما أحب فصول الكتاب إلىّ ، إذا كان من الممكن السماح لأى مؤلف أن يفضل مواضيع على أخرى . فهنا يوجد مظهران من مظاهر الحضارة السومرية لم يعرف عنهما شىء تقريباً إلى عهد قريب جداً . بيد أنه أصبح من الممكن الآن ، كما يظهر الفصلان أن يوضحا ويبحث فيهما بتفصيل كبير . ففى الفصل الخاص بالتربية ، مثلا ، سيجد القارىء أربع مقالات سومرية تتصل بجوانب من الحياة المدرسية كانت جميعها تقريباً غير معروفة قبل حوالى خمسة عشر عاماً . وفى الفصل السابع

محاولة لاتباع أسلوب جديد نسبيا فى الدراسات الشرقية ، إذ فيه محاولة لتشخيص وتحليل وتقييم الدوافع والحوافز الداخلية التى ساعدت على خلق المدينة السومرية وتدميرها فيما بعد .

ويلخص الفصل الثامن ما يمكن تسميته بـ « تراث » سومر إلى العالم وحضارته . لقد بدأ الفصل باستعراض الأخذ والعطاء بين السومريين وشعوب الشرق الأدنى القديم الأخرى ، ثم يقدم ملخصاً لبعض من أكثر المظاهر الحديثة وضوحاً التى قد تعود إلى جذور سومرية . وينتهى الفصل بتلخيص عدد من أفكار السومريين الدينية والخلقية والأدبية التى لها فيما يبدو نظائر فى التوارة — الكتاب الذى لعب دوراً كبيراً جداً فى الحضارة الغربية — وهذه النظائر تشير إلى وجود صلة أقوى مما كان يظن سابقاً بين العبرانيين القدامى والسومريين .

وأخيراً توجد الملاحق التى أعدت بصورة خاصة لأولئك القراء الذين يفضلون الرجوع إلى المصادر الأصلية كلما كان ذلك ممكناً . وهى تضم ترجمات لعدد من أهم الوثائق التى أستفيد منها فى الفصل الخاص بالتاريخ ، بالإضافة إلى مواضيع عديدة متفرقة تعتبر ذات أهمية خاصة بالنسبة لكتاب خاص ببلاد سومر وبالشعب السومرى .

وأهدى هذا الكتاب إلى جامعة « بنسلفانيا » وإلى متحف الجامعة . وقد يبدو هذا فى الواقع أمراً غير مألوف ، ولكن الحقيقة هى أنه لولا هاتان المؤسستان ما كان بالإمكان كتابة هذا الكتاب مطلقاً . فإدارة الجامعة وهيئة التدريس فيها لم تشجعا أبحاثى تشجيعاً كاملا فحسب ، على الرغم من أبتعادها عن مواضيع عالمنا الحديث المألوفة واقتصار فهمها على فئة محدودة من المختصين ، بل أمدنى متحف الجامعة ومجموعته البابلية بمادة أساسية أصلية غزيرة أستندت إليها فى كتابة هذا الكتاب . إن أهداء هذا الكتاب إلى هاتين المؤسستين ماهو إلا تعبير عن أمتنانى القلبى العميق إلى جميع الأشخاص المتصلين بهما الذين ساعدونى بطريقة أو أخرى وأنتفعت منهم فى أبحاثى عن السومريين خلال العديد من السنين .

وأود أيضاً أن أعبر عن شكرى إلى دائرة الآثار فى الجمهورية التركية وإلى مدير

متحف الآثار فى أسطنبول لتمكينى من الإنتفاع من الألواح الأدبية السومرية فى متحف الشرق القديم فى أسطنبول . وإننى ممتن بصورة خاصة إلى أمينتى مجموعة الألواح فى هذا المتحف ، معزز جيك وهاتيس كيزيليايا لتعاونهما الذى كان بلا حدود وعن طيبة خاطر ، ذلك التعاون الذى كان مثمراً جداً فى البحث السومرى . كما إننى مدين جداً إلى مديرية الآثار فى الجمهورية العراقية لتعاونها الكريم فى مناسبات عديدة . وإننى ممتن بصورة خاصة لجامعة فردريش شيلر فى « يينا » فى ألمانيا الشرقية، التي مكنتنى من دراسة الألواح الأدبية السومرية الموجودة فى مجموعة هلبرشت بالتعاون مع أمينها المساعد اينزبير نهارت . وأود أن أقدم شكرى إلى سيريل جى . جاد . الذى كان من العاملين فى متحف لندن سابقاً ، وأستاذ شرف فى معهد الدراسات الشرقية (قبل وفاته) لتكرمه بوضعه تحت تصرفى نسخة من الوثائق الأدبية السومرية التى أكتشفت فى مدينة « أور » ، تلك النسخ التى كرس لها الكثير من وقته وجهده . وأخيراً لابدَّ من تقديم شكرى إلى أكاديمية العلوم فى روسيا ومتحف بوشكين (فى موسكو) لتمكينى من دراسة ونشر لوح دونت عليه مرثيتان من المراثى السومرية .

وأقدم إلى المجلس الأمريكى للجمعيات العلمية عميق شكرى لمنحه أياى أول منحة دراسية مكنتنى من الرحيل إلى العراق فى سنة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ ، وإلى مؤسسة جون سيمون جوجنهيام التذكارية وإلى الجمعية الفلسفية الأمريكية . وهنا لابد من التأكيد ، كما فعلت فى كتاباتى الأخرى ، على مدى ما أنا مدين به لهما ، فقد كان « أصدقاء عند الحاجة » خلال فترة حرجة من فترات حياتى العلمية . وهذه فرصة مناسبة لذكر ما أدين به لويليم فوكسويل أولبرايت الذى كان شديد التحمس لأبحاثى — وهى ما زالت فى مراحلها الأولى — فى اجتماعات الجمعية الفلسفية الأمريكية ، رغم إننى لم التق به أبداً . وكانت مؤسسة بولنجى فى السنوات الأخيرة كريمة جداً بعدد من المنح التى مكنتنى من الحصول على حد أدنى من المساعدة العلمية والإستعانة ببعض الكتبة . وكانت مؤسسة بارث ذات فائدة أيضاً فى هذا المجال إلى جانب منحة مكنتنى من العمل بعض الوقت فى مجموعة هلبرشت التابعة لجامعة .

التعريف بالمؤلف

* ولد الأستاذ كريمر فى روسيا سنة ١٨٩٧ وهاجر إلى الولايات المتحدة وعمره ١٩ عاماً ، واتجه لدراسة اللغة السومرية فى جامعة بنسلفانيا . وفى سنة ١٩٣٠ أسهم فى أعمال التنقيب فى العراق مع البعثة التى أوفدتها الجامعة المذكورة . وبعد أن عمل مدة قصيرة فى معهد الدراسات الشرقية فى جامعة شيكاغو ، عاد إلى جامعة بنسلفانيا ليكون أميناً لقسم الألواح السومرية والبابلية إلى جانب قيامه بأعمال التدريس . يعتبر الأستاذ كريمر من مشاهير العلماء فى الدراسات السومرية ، كما يمتاز بخصب الإنتاج والدقة فى البحث . وصدرت له مؤلفات عديدة ومقالات لا حصر لها تناولت تاريخ الفكر الإنسانى القديم ، وكان السومريون فى كل ذلك محور أبحاثه . أحيل على التقاعد بعد أن بلغ الثالثة والستين ولكنه مازال يواصل دراساتة العلمية فى موضوع السومريين الذى عشقه وكرس له جل حياته .

* عرفه القراء العرب من طريق « من ألواح سومر » — ترجمة طه باقر — ١٩٥٧ — بغداد .

* وكتاب « الأساطير السومرية » — ترجمة يوسف داود عبد القادر — ١٩٧١ — بغداد .



الفصل الأول

علم الآثار وفك رموز الكتابة

سومر ، البلاد التي أصبحت تعرف في العصور الكلاسيكية ببلاد بابل ، تتكون من النصف الأسفل من بلاد ما بين النهرين ، الذي يطابق العراق الحديث من بغداد إلى الخليج العربي تقريباً . وتبلغ مساحة بلاد سومر حوالي عشرة آلاف ميل مربع ، أي أكبر بقليل من ولاية مسچوست الأمريكية. أما مناخها فحار وجاف للغاية وتربتها ، إذا ما أهملت ، قاحلة تعصف بها الرياح ، وغير منتجة . وأرضها مستوية ، وهي من صنع الأنهار ، ولذلك لا يوجد فيها أي نوع من أنواع المعادن ، وتفتقر إلى الحجر افتقاراً تاماً وباستثناء كميات القصب الهائلة التي تنبت في مناطق الأهوار ، لا توجد فيها أشجار منتجة للخشب الصالح لأغراض البناء . هنا إذن منطقة كانت « يد الله عليها » ، أرض لا أمل فيها ، حكم عليها في الظاهر بالفقر والأقفار . ولكن الناس الذين استوطنوها ، وهم السومريون ، كما أصبحوا يعرفون خلال الألف الثالث قبل الميلاد ، وهبوا فكراً خلاقاً إلى درجة غير أعتيادية ، وروحاً مغامرة ذات عزيمة ثابتة وعلى الرغم من العقبات الطبيعية ، حولوا بلاد سومر إلى جنة عدن حقيقية وطوروا على ما يرجح أول مدنية راقية في تاريخ الإنسان .

لقد كانت لسكان بلاد سومر نزعة فذة نحو الاختراع التقني ، حتى إن أقدم المستوطنين توصلوا إلى فكرة الإرواء الإصطناعي الذي مكنهم من جمع وتوجيه مياه نهري دجلة والفرات المليئة بالطمي واستعمالها لسقي وإخصاب حقولهم وبساتينهم . وللتعويض عن النقص في المعادن والأحجار تعلموا إحراق طين النهر ، الذي كانت كمياته لا تنضب في الواقع ، وتحويله إلى مناجل وقدور وأوان وجرار . واستعاضوا عن الخشب الصالح للبناء الذي يندر وجوده بالقصب الذي تمتلىء به الأهوار ، إذ كانوا بعد قطعه وتجفيفه يربطونه في حزم ويحيكون منه حصراً ، ويقيمون من تلك الحصر وحزم القصب أكواخ السكن وزرائب الأبقار بعد طليها بطبقة من الطين . ثم اخترع

السومريون بعد ذلك قالب الآجر[1] لهندمة طين النهر الوفير وشيه (ليتحول إلى آجر صلب) ، وبهذا لم تعد لديهم مشكلة بالنسبة للمواد البنائية . وابتدع السومريون آلات ومهارات وأساليب مفيدة ، كدولاب الفخار وعجلة العربة والمحراث والسفينة الشراعية والقوس والعقد والقبة ، وصب النحاس والبرونز والبرشمة والطلاء بالنحاس والالحام ونحت الحجر والنقش بالحفر والترصيع ، وأوجدوا نظاماً للكتابة على ألواح الطين ، ذلك النظام الذى استعير واستخدم فى جميع أنحاء الشرق الأدنى مدة ألفى عام تقريباً . وتأتى معلوماتنا عن تاريخ غرب آسيا القديم جميعها تقريبا من آلاف الوثائق الطينية المدونة بالخط المسمارى الذى طوره السومريون وعثر عليه المنقبون فى غضون المائة والخمس والعشرين سنة الماضية .

ولم تكن روعة السومريين مقتصرة على تقدمهم المادى ودهائهم التقنى فحسب ، وانما تتجلى أيضا فى أفكارهم ومثلهم وقيمهم . فقد كانوا واضحى النظر متزنى العقل ، وكانوا ينظرون إلى الحياة نظرة واقعية ، ونادراً ما كانوا يخلطون بين الحقيقة والخيال ، وبين الرغبة وما يمكن انجازه ، وبين اللغز والغموض . وطور حكماء السومريين خلال تتابع القرون دينا وعقيدة «أعطيا» إلى حد ما « للآلهة ما كان للآلهة » ، وأدركوا ، كما بينا من قبل ، حدود البشر الفانى كأمر لابد منه ، خاصة عجزه أمام الموت والغضب الإلهى . ومن الناحية المادية كانوا يضعون قيمة كبيرة على الثروة والممتلكات والغلات الزراعية الوفيرة وعنابر الحبوب المليئة ، وعلى الحظائر والمرابط المليئة بالماشية وعلى الصيد الناجح فى البر والصيد الموفق فى البحر . وكانوا من الناحية الروحية والنفسية يؤكدون بشـــدة على الطموح والنجاح ، والشهرة ، والمكانة العالية ، والشرف والتقدير . وكان السومرى يحس إحساسا عميقا بحقوقه الشخصية ويكره أى تجاوز عليها سواء أكان المتجاوز ملكا أو رئيسا ، أو مواطنا من نفس منزلته . فلا عجب

(١) لقد كشفت التنقيبات فى تل الصوان القريب من مدينة سامراء عن جدران مشيدة بالآجر الطينى (اللبن) المهندم مما يشير إلى استعمال قالب الآجر فى عهد سامراء وهو عهد أقدم من العهود السومرية .

(المترجم)

إذن، أن يكون السومريون أول من سنّ القوانين والشرائع ليعرف كل فرد حقوقه وواجباته بوضوح لتجنب عدم الفهم وسوء التفسير والتصرف الاعتباطى . وفى الوقت الذى وضع فيه السومريون قيمة عالية للفرد وانجازاته ، كان هناك عامل بارز يعزز روح التعاون بين الأفراد وبين المجتمعات على السواء ، وهو اعتماد بلاد سومر السكانى على الرى من أجل تحقيق الرخاء فيها — بل فى الواقع من أجل وجودها ذاته . إن الرى عملية معقدة تتطلب جهدا وتنظيما ، فالقنوات يجب أن تحفر ويحافظ عليها بالرعاية المستمرة ، والمياه يجب أن توزع بالتساوى بين كل من يعنيهم الأمر . ولتحقيق هذا كان لابد من وجود سلطة أقوى من المالك الفرد أو حتى أقوى من المجتمع الواحد . وكان هذا سبباً قوياً فى نمو المؤسسات الحكومية وقيام الدولة السومرية . ولما كانت بلا سومر تنتج ، إذا ما سقيت تربتها الخصبة ، كميات فائضة من الحبوب ، ولكنها تفتقر فى الواقع إلى المعادن ولا تمتلك الا قليلا من الحجر والخشب ، فقد كانت الدولة مضطرة للحصول على المواد الضرورية لنمو اقتصادها إما عن طريق الإتجار أو بالقوة العسكرية . وعلى هذا فإن هناك سبباً وجيها للاعتقاد بأنه حوالى الألف الثالث ق . م . تغلغلت الحضارة والمدنية السومريتان ، إلى حد ما على الأقل ، إلى مناطق تمتد من ناحية الشرق إلى البحر المتوسط ، ومن ناحية الجنوب إلى الحبشة ومن ناحية الشمال إلى بحر قزوين .

حقاً إن ذلك كله حصل قبل خمسة آلاف سنة ، ولعله يبدو ضعيف الصلة بدراسة الإنسان الحديث وبالحضارة الحديثة . ولكن الحقيقة هى أن بلاد سومر شهدت بداية أكثر من مظهر واحد مهم من مظاهر مدنية العصر الحاضر . إن الرجل الحديث، سواء أكان فيلسوفاً أم معلماً ، مؤرخاً أم شاعراً ، محامياً أم مصلحاً ، رجل دولة أم سياسياً مهندساً أم نحاتاً ، سيجد على الأغلب نموذجاً سابقاً منه ونظيراً له فى بلاد سومر القديمة . ونعترف بأنه لم يعد بالإمكان الوصول إلى الأصل السومرى لكل ما هو حديث لأن طرق الانتشار الحضارى متعددة الجوانب وصعبة ومعقدة ، ولمستها السحرية رقيقة وسريعة الزوال . مع ذلك فهى مازالت واضحة فى قانون من قوانين

موسى ، أو فى حكمة من حكم سليمان ، أو فى بكاء أيوب ، أو فى مرثية من مراثى القدس ، أو فى القصة الحزينة للرجل — الإله وهو على فراش الموت ، أو فى نظريات « هيسيود » فى نشأة الكون[1] ، أو فى أسطورة هندوسية ، أو فى خرافة من خرافات ايسوب[2] ، أو فى نظرية من نظريات « أقليدس » ، أو فى علامة من علامات أبراج السماء ، أو فى معيار « المنا »[3] ، أو فى درجة الزاوية ، أو فى كتابة عدد من الأعداد . إن تاريخ هذه المدنية التى خلقت فى بلاد سومر القديمة وتركيبها الاجتماعى ، وأفكارها الدينية وعاداتها التقليدية ، وإنتاجها الأدبى ، وبواعث قيمها وعاداتها هى التى ستوصف باختصار فى الصفحات التالية ، على أننا سنبدأ باستعراض مختصر يتناول « البعث » الآثارى للسومريين وفك رموز كتابتهم وقراءة لغتهم .

إن مما يثير الدهشة بصورة خاصة هو أنه قبل أقل من قرن واحد لم تكن الحضارة السومرية مجهولة فحسب ، بل إن وجود شعب سومرى ولغة سومرية بالذات لم يكن يخطر ببال أحد . إن الباحثين والمنقبين الذين بدأوا التنقيب قبل مائة سنة تقريباً فى بلاد ما بين النهرين لم يبحثوا عن السومريين وإنما كانوا يبحثون عن الآشوريين ، لأن هؤلاء هم الشعب الذى كان يعرف عنه الباحثون معلومات جديرة بالاعتبار ، وإن كانت بعيدة عن الدقة ، أستمدت جميعها من المصادر الإغريقية والعبرانية . أما بالنسبة للسومريين فلم يكن هناك أثر من البلاد أو شعبها ولغتها يمكن تمييزه فى الآداب التوراتية والكلاسيكية وما بعد الكلاسيكية المتيسرة كلها (أو على الأقل كان يعتقد هكذا . انظر الفصل الثامن عن احتمال ذكر بلاد سومر فى التوارة فى صيغة

---

(١) كان « هيسيود » شاعراً من أقدم الشعراء الاغريق المعروفين ، وغالباً ما يقارنه الباحثون مع «هوميروس» . وزعا عاش « هيسيود » حوالى سنة ٧٠٠ ق . م . وله آراء فى نشأة الكون ظهرت فى كتابه « ثيوغونيا » ، الذى يعنى الإلهيات أو تاريخ الآلهة وأصلها ويبدو أن عدداً من آرائه ترجع إلى أصول سومرية وأكدية . (المترجم)

(٢) اشتهر « ايسوب » (Aesop) كراوية للقصص الخرافية التى يقصد بها توضيح أمر من الأمور الأخلاقية . عاش عبداً فى جزيرة «ساموس» فى بداية القرن السادس ق . م . (المترجم)

(٣) « المنا » وزن قديم يعادل زهاء نصف كيلو غرام . (المترجم)

تختلف اختلافا بسيطا) . إن اسم « سومر » نفسه قد محى من فكر الإنسان وذاكرته مدة تزيد على ألفي عام . ولم يكن اكتشاف السومريين ولغتهم أمراً قصد لذاته على الإطلاق ، وإنما حصل بصورة غير متوقعة ، وقد أدت تلك المعلومات التي لم تكن متصلة بالهدف المقصود من البحث إلى الاختلافات التي كانت مسؤولة إلى حد كبير عن البطء الواضح والتقدم المضطرب في الأبحاث السومرية .

إن معرفة اللغة السومرية حدثت في الواقع من خلال قراءة اللغة الأكدية السامية ، التي كانت تعرف في الأيام الأولى بالآشورية أو البابلية والتي كانت كاللغة السومرية ، قد دونت بالخط المسماري . أما بالنسبة للغة الأكدية فقد عثر على مفتاح قراءتها في اللغة الفارسية القديمة ، وهي لغة هندية — أوروبية تكلم بها الفرس والميديون الذين حكموا إيران خلال القسم الأعظم من الألف الأول ق . م . ، ذلك لأن بعض ملوك السلالة الفارسية الأخمينية ، التي يرجع اسمها إلى « أخاميناس » مؤسس السلالة الذي عاش حوالى سنة ٧٠٠ ق . م ، وجدوا من السياسة الحكيمة أن تدون نصوصهم المسمارية بثلاث لغات ، وهي : الفارسية ، وهي لغتهم الخاصة ، والعيلامية ، وهي لغة تتصف بخاصية الالصاق[1] ، كان يتكلم بها سكان إيران الذين قهرهم وأخضعهم الفرس ، والأكدية وهي اللغة السامية التي تكلم بها البابليون والآشوريون . إن هذه المجموعة من النصوص المسمارية ذات اللغات الثلاث ، التي كانت تقابل حجر رشيد المصري تقريباً ، لم تأت من العراق وإنما جاءت من إيران على الرغم من أن العراق كان موطن الكتابة المسمارية . وهذا الأمر يقودنا إلى قصة التحريات والتنقيبات التي قادت إلى فك رموز الكتابة المسمارية واكتشاف مدنيات بلاد ما بين النهرين . إننا سنقدم هذا الموضوع باختصار لأنه تردد كثيراً وبالتفصيل

---

(١) تتميز بعض اللغات بخاصة تعرف بالالصاق (Agglutination) ، وهي عبارة عن القدرة على تكوين ألفاظ ذات معان جديدة بلصق كلمتين أو أكثر مع بعضها البعض : مثلا تصاغ كلمة (لوجال) السومرية التي تعني (ملك) من كلمة (لو) (أي رجل) وكلمة (جال) (أي عظيم) . ومن اللغات التي تتصف بهذه الميزة اللغة السومرية ، ومن اللغات الحديثة التركية والمجرية والفنلدية . (المترجم)

خلال العقود الماضية ، (انظر قائمة المصادر للوقوف على الأعمال الخاصة بهذا الموضوع) وذلك لتمكين القارئ من إلقاء نظرة عاجلة على الأقل على الصورة ككل ، وللقيام فى نفس الوقت بانحناءة مليئة بالتبجيل والشكر لأولئك الرواد والمنقبين الذين توفوا قبل زمن طويل ، وللعلماء الباحثين الذين بدون علم أو تعمد ساعدوا كل بطريقته الخاصة ، على جعل تأليف كتاب عن السومريين أمرا ممكنا .

إن بعث الشعوب الآشورية والبابلية والسومرية ، التى دفنت زمنا طويلا تحت تلال مدنهم المقفرة إنجاز بليغ وعظيم من إنجازات القرن التاسع عشر فى البحوث والعلوم الإنسانية . لقد كانت هناك بلا شك تقارير متفرقة عن خرائب بلاد ما بين النهرين القديمة فى العصور الماضية ، ففى وقت مبكر من القرن الثانى عشر فى الواقع زار حاخام من « تيودلا » من مملكة « نفارا » إسمه « بنيامين بن يونس » يهود مدينة الموصل واستطاع أن يعرف تعريفاً صحيحاً الخرائب الواقعة بالقرب من تلك المدينة وبين بأنها تمثل خرائب مدينة « نينوى » على الرغم من أن تقريره لم ينشر حتى القرن السادس عشر . ومن الجهة الأخرى لم تعرف مدينة بابل إلا فى سنة ١٦٩٦ عندما زار « بتروديلافالى » (Pitro Della Valle) ، من مدينة روما ، التلال الواقعة بجوار مدينة الحلة الحديثة . إن هذا الرجل الحاد النظر لم يقدم وصفاً جدياً بالإعتبار لخرائب بابل فحسب ، بل حمل معه أيضاً إلى أوروبا آجرات عليها نقوش كتابية كان قد عثر عليها هناك وعلى التل الذى يعرف من قبل السكان فى الوقت الحاضر باسم تل المقير ، أى « تل المقير » الذى يغطى مدينة « أور » القديمة ، وعلى ذلك كانت هذه الكتابة أول مثل من الكتابات المسمارية وصل إلى أوربا .

ورحل إلى بلاد مابين النهرين خلال بقية القرن السابع عشر وأغلب القرن الثامن عشر عدد كبير من الرحالة ، كان لكل منهم رأيه المختلف حول تعريف المواقع الآثارية والخرائب المختلفة ، ولكنهم كانوا جميعاً يحاولون تنسيق ما يرونه فى إطار المعلومات المستمدة من المصادر التوراتية . وتمت فيما بين سنة ١٧٦١ رحلة من أهم تلك الرحلات وهى رحلة « كارستن نيبهور » (Carsten Niebuhr) عالم الرياضيات

الدنماركى الذى كان أول من قدم لمعاصريه فكرة ثابتة عن خرائب مدينة « نينوى » بمساعدة المخططات والرسوم الهندسية إلى جانب ما قام به فى مدينة « پرسيپوليس » من استنساخ للنصوص قاد أخيراً إلى فك رموز الكتابة المسمارية . وبعد بضعة سنـــوات باع عالم النبات الفرنسى « أى . ميشو (A. Michaux) إلى دار الوثائق الوطنية فى باريس حجراً من أحجار الحدود[1] وجد بالقرب من مدينة « طيفسون » الواقعة على مسافة ثلاثين كيلو متراً إلى الجنوب من بغداد ، وثبت فيما بعد على أنه يحمل أول نص حقيقى ثمين وصل إلى أوربا . وظهرت بعض الترجمات المضحكة لهذا النص البسيط الذى يحتوى فى الواقع على اللغة المألوفة على من يتلاعب بعلامة الحدود هذه ، وجاءت إحدى هذه الترجمات ، على سبيل المثال ، وبالشكل التالى: « إن جيش السماء سيروينا بالخل وذلك ليجود علينا بالأدوية لتحقيق علاجنا » .

وكان حوالى ذلك الوقت نفسه « آبى بوشام (Abbé Beauchamp) النائب الأسقفى فى بغداد ومراسل أكاديمية العلوم ، يبدى ملاحظات تتسم بالحذر والدقة عما كان يراه حوله ، وعلى الأخص خرائب مدينة بابل ، وقام فى الواقع بأول تنقيبات آثارية معروفة فى بلاد ما بين النهرين ، مستخدما فى ذلك بضعة عمال محليين تحت إشراف رئيس بنائين ، وذلك عند منحوتة تعرف بصورة عامة فى الوقت الحاضر باسم « أسد بابل » الذى ما زال بالإمكان مشاهدته من قبل السائح الحديث . وكان أول من وصف أجزاء من بوابة « عشتار » ، التى يمكن مشاهدة نموذج جميل منها فى الوقت الحاضر فى قسم الشرق الأدنى من متحف برلين (الشرقية) . ومما ذكره أيضا أنه حصل على أسطوانات صلدة عليها كتابات دقيقة أحس بأنها كانت شبيهة بالكتابات التى جاءت من مدينة « پرسيپوليس » ، وترجمت مذكرات رحلاته التى نشرت فى سنة ١٧٩٠ فى الحال تقريباً إلى اللغتين الإنكليزية والألمانية وأثارت ضجة كبيرة فى عالم البحث .

---

(١) عبارة عن أحجار هرمية الشكل توضع على حدود المقاطعات الزراعية ويدون عليها اسم المالك وحدود المقاطعة واسم مالكها . انتشر استعمال أحجار الحدود فى العراق وخاصة فى العهد الكاشى وكان اسمها القديم « كودورو » (المترجم)

إن إحدى نتائج الشرارة التي أوقدها « آبي بوشام » كانت قيام شركة الهند الشرقية فى لندن بتخويل وكلائها فى بغداد بإجراء بعض التنقيبات والاستطلاعات الآثارية. ففى سنة ١٨١١ نجد « كلاوديوس جيمس ريچ » (Claudius fames Rich) الممثل المقيم لشركة الهند الشرقية فى بغداد ، يقوم بفحص خرائب بابل ورسم الخرائط لها ، بل حتى بالتنقيب مدة قصيرة فى بعض أجزائها . وتحول « ريچ » بعد حوالى تسع سنوات شمالا نحو مدينة الموصل حيث قام بتفتيش تلال مدينة « نينوى » ورسم المخططات لهـا . كما جمع عدة ألواح طينية وآجرات وأحجار حدود وأسطوانات ذات نقوش كتابية من بينها اسطوانات الملك « نبوخذ نصر »[١] والملك «سنحاريب»[٢] الشهيرة التى استنسخها بعناية سكرتيره « كارل بيلينو » (Karl Bellino) وأرسلت النسخ إلى المتخصص بالنقوش الكتابية « جروتفند » (Grotefend) للعمل على فك رموزها . وكونت مجموعة « ريچ » نواة مجموعة الآثار العراقية الكبيرة الموجودة فى المتحف البريطانى فى الوقت الحاضر .

توفى « ريچ » فى سنة ١٨٢١ عن عمر يبلغ أربعة وثلاثين عاما ، ولكن مذاكراته عن خرائب بابل والمعلومات الطوبوغرافية والكتابية عاشت من بعده، ومن الجائز القول بأنها حددت ولادة علم الآشوريات والدراسات المسمارية المتصلة به . وأعقب « ريچ » « روبرت كيربورتر » (Robert Ker Porter) الذى وضع رسوما فنية لعدد من خرائب بلاد ما بين النهرين ، كما رسم مخططاً لمنطقة الخرائب فى بابل بأكملها وفى سنة ١٨٢٨ نقب « روبرت مينان » (Robert Mignan) مدة قصيرة فى نفس المكان الذى حفر فيه « ريچ » سنة ١٨١١ ، واستخدم إلى حد ثلاثين عاملا وكشف

---

(١) أعظم ملوك الامبراطورية الكلدانية ، تولى الحكم سنة ٦٠٥ ق . م . واشتهر بانتصاراته العسكرية فى فلسطين وتهجير اليهود إلى بلاد بابل، واشتهر أيضاً بأعماله العمرانية وخاصة فى مدينة بابل ، ومن أعماله الجنائن المعلقة التى كانت تعتبر إحدى عجائب الدنيا السبع وهى ضريح الملك « موصول » فى « هليكرناس » وأهرامات مصر ومنارة الإسكندرية وتمثال رودس الكبير والجنائن المعلقة فى بابل وتمثال « زيوس » وهيكل أرتميس فى أفسس . (المترجم)

(٢) من ملوك الإمبراطورية الآشورية الحديثة تولى الحكم بعد وفاة أبيه « سرجون » سنة ٧٠٥ ق . م . (المترجم) ،

عن بقعة تبلغ مساحتها ١٢ قدما مربعاً وعمقها ٢٠ قدما ، وكان أول من عثر على طريق التنقيب على اسطوانة ذات نقوش كتابية . وأخيراً زار فى الثلاثينات من القرن التاسع عشر انجليزيان — وهما « جه . بيلى فريسر » (J. Baillie Freser) و « وليم أف . إينسورث (William F. Ainsworth) عدداً من المواقع الآثارية فى جنوب العراق ، ولكن لم تكن لديهما أية فكرة بأن هذه المنطقة كانت جزءاً من بلاد سومر القديمة .

ونتقل الآن إلى الحفائر الواسعة المنتظمة تقريبا فى العراق التى بدأها فى سنة ١٨٤٢ « پول أميل بوتا » (Paul Emil Botta) ، القنصل الفرنسى فى مدينة الموصل ، واستمرت بصورة متقطعة إلى يومنا هذا . لقد كانت أقدم هذه الحفائر تجرى فى شمال العراق فى المنطقة المعروفة بصورة عامة باسم بلاد « آشور » وكانت آلاف النصوص التى استخرجت من تحت التراب هناك مدونة باللغة الأكدية ، ولكن هذه اللغة لم تكن معروفة فى الوقت الذى استخرجت فيه تلك النصوص للمرة الأولى وكل ما كان بالإمكان قوله آنذاك هو أن الخط كان شبيهاً بخط « الصنف » الثالث من النصوص الثلاثية اللغة التى عثر عليها فى إيران ، وعلى الأخص فى مدينة « پرسيپوليس » والمناطق المحيطة بها . ففى « پرسيپوليس » كانت خرائب قصر رائع مع عدد كبير من الأعمدة الطويلة الجميلة لا تزال قائمة فى أماكنها ، كما انتشرت النصب المنحوتة المتنوعة فى كل مكان . وكانت المدينة محاطة بقبور مزينة بروعة نحتت فى الصخور . وكان عدد كبير من آثار « پرسيپوليس » مغطى بخط لوحظ حوالى نهاية القرن الثامن عشر بأنه مشابه لخط النصوص التى وجدت على الآجر الذى عثر عليه فى مدينة بابل . أضف إلى ذلك أن إحدى كتابات النصوص الثلاثية اللغة فكت رموزها حوالى منتصف القرن التاسع عشر ، فأمدت هذه الكتابة الباحثين بمجموعة من أسماء الأعلام التى كان بالإمكان الاستفادة منها فى فك رموز الكتابة الثالثة ، الأمر الذى جعل من الممكن قراءة ألواح الطين « الآشورية » التى استخرجت من تحت الأنقاض فى العراق . وعلى ذلك يجب أن تكون لدينا فكرة عن فك رموز الصنف الأول من كتابات نصوص « پرسيپوليس »

الثلاثية اللغة وعن طبيعة المعلومات التي أمدتنا بها إذا ما أردنا تتبع عملية فك رموز الكتابات المدونة باللغة الأكدية .

لقد أصبحت خرائب مدينة «پرسيپوليس» معروفة لدى العالم الأوروبي في القرن السادس عشر عندما نشرت في البندقية سنة ١٥٤٣ مذكرات رحلة سفير البندقية في بلاد فارس « جيوسوفات برباروس »(Geosofat Barbaros) . وذكرت الكتابة الموجودة على النصب الآثارية لأول مرة من قبل « انطونيو دى جويكا » (Autonio de Goueca) ، أول سفير لأسبانيا والبرتغال في بلاد فارس ، في كتابه الذي نشر في لشبونة في سنة ١٧١١ ، ووصفها بأنها تختلف عن كتابات الفرس والعرب والأرمن واليهود . وكان خليفته « دون جاريشا سيلفا فيجورا » (Don Garcia Silva Figueroa) أول من عرف آثار « پرسيپوليس » في كتاب نشر في مدينة « أنترب » في سنة ١٦٢٠ ، مستفيداً في ذلك من وصف «ديودوروس» الصقلي[1] « ، بأنها قصر الملك الأخميني « داريوس » . وذكر أيضاً الكتابة على الآثار قائلا بأنها لا تشبه الكلدانيه أو العبرانيه أو العربيه أو الإغريقيه ، ووصف علامتها بأنها طويلة ومثلثه على شكل هرم ، وإن العلامات لا تختلف عن بعضها البعض في مواضعها في الكلمات المختلفه .

وأفاد « بترو ديلافالى » في رسالة مؤرخة في الواحد والعشرين من شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنه ١٦٢١ بأنه قد قام بفحص خرائب مدينه «پرسيپوليس» بل قام باستنساخ خمس من العلامات التي وردت في الكتابات — ولو أن الأستنساخ لم يكن صحيحاً — ورأى بأن النصوص كانت تقرأ من الشمال إلى اليمين. وفي سنه ١٦٧٣ نشر الفنان الفرنسي الشاب « أندريه دوليه ديسلند » (Audre Daulier Deslandes)

---

(١) عاش «ديودوروس» أيام قيصر أوغسطين وألف كتابا في تاريخ العالم ابتداء من عهد قيصر إلى الحروب الغالية (سنة ٥٤ ق.م.) . ويتألف الكتاب من أربعين مجلداً . وكان المجلد الأول منها عن مصر والمجلد الثاني عن بلاد ما بين النهرين والهند وسكثيا وبلاد العرب ، والمجلد الثالث عن شمال إفريقيا . والمجلدات ٤ — ٦ عن اليونان وأوربا . (المترجم)

أول نقش محفور من نقوش قصر « پرسيپوليس » ، ولكنه لم يستنسخ إلا ثلاث علامات من النصوص ووضعها فى نقشه المشار إليه بشكل يوحى بأن الكتابة لم تكن سوى زخرفة ، وهى نظرية سادت بشكل واسع خلال القرن الثامن عشر .
وفى سنة ١٦٧٧ نشر السير « توماس هربرت » ، (Thomas Herbert) ، وهو انكليزى كان فى خدمة السفير البريطانى فى بلاد فارس قبل خمسين سنة تقريباً من ذلك التاريخ ، نسخة سيئة فى الواقع لما كان يبدو بأنه قطعة مؤلفة من ثلاثة أسطر ظهر فيما بعد أنها مجموعة أسطر من نصوص تختلف عن بعضها اختلافاً تاماً . إلا أن وصفه للخط لم يكن بلا فائدة تاريخية ، فقد قال: «إن العلامات ذات هيئة غريبة وغير اعتيادية ، فهى لا تشبه الحروف ولا تشبه العلامات الهيروغليفية ، نعم ، إننا حتى فى هذه المرحلة من محاولة قراءة رموزها لم نستطع التوصل إلى أى حكم قاطع فيما إذا كانت كلمات أو علامات ، ولو أننى أميل على الأكثر إلى الرأى الأول ، وأنها كلمات أو مقاطع مفهومة ، كما فى الكتابات المختصرة أو المختزلة التى نمارسها عادة» .

وفى سنة ١٦٩٣ نشرت نسخة من نص وجد فى مدينة « پرسيپوليس » مكون من سطرين يضمان عشرين علامة قام باستنساخها «صمويل فلاور» (Samuel Flour) أحد وكلاء شركة الهند الشرقية : وقد أعتبر هذا نصاً أصيلا على الرغم من أنه كان فى الواقع مؤلفاً من ثلاث وعشرين علامة أنتخبت من نصوص متعددة ، وهو خطأ أدى إلى إرباك غير قليل وإلى خيبة أمل بالنسبة لأولئك الذين كانوا يحاولون فك رموز الكتابة . وفى سنة ١٧٠٠ أعطى الخط لأول مرة اسماً لازمة منذ ذلك الحين ، وذلك من قبل « توماس هايد » (Thomas Hyde) الذى ألف كتاباً فى تاريخ ديانة الفرس القدامى أعاد فيه كتابة نص « فلاور » ووصف العلامات بأنها « مسمارية » الشكل ، ومن المحزن جداً أنه لم يعتقد بأنه كان يقصد بالعلامات أن تنقل كلاماً ذا معنى وإنما لتستخدم على الأكثر كزخارف وزينات .

ولم ينشر أول نص كامل من نصوص « پرسيپوليس » إلا فى سنة ١٧١١ . وكان الناشر « جين شاردان » (Jean Chardine) ، وهو انكليزى بالتجنس قام بزيارة

« پرسيپوليس » ثلاث مرات خلال سنوات شبابه ، وبعد ثلاث سنين نشر « كارنيل لبزوم » « Carneille Leborum » نسخة دقيقة جداً لثلاثة نصوص مدونة بثلاث لغات . ولكن « كارستن نيبهور » الدانماركى كان هو الذى مهد الطريق لفك رموز النصوص الفارسية . ففى سنة ١٧٧٨ نشر نسخاً دقيقة ومضبوطة لثلاثة نصوص ثلاثية اللغة التى عثر عليها فى « پرسيپوليس » . وقد أظهر بأنها كانت تبدأ من الشمال إلى اليمين ، وأن كل نص من النصوص الثلاثة كان يحتوى على ثلاثة نماذج مختلفة من الكتابات صنفها إلى (صنف ١) و (صنف ٢) و (صنف ٣) . وأظهر أخيراً أن (صنف ١) يمثل طريقة هجائية من طرق الكتابة وذلك لأنه كان يضم اثنتين وأربعين علامة فقط وفقاً لجداوله . ولسوء الحظ ، إنه كان يرى بأن الأصناف الثلاثة من الخط لم تمثل ثلاث لغات مختلفة ، وإنما كانت تستعمل فى كتابة نفس اللغة فى ثلاثة أشكال مختلفة . وفى سنة ١٧٩٨ لاحظ دانماركى آخر ، وهو « فردريش مونتر » (Friedrich Munter) بأن (صنف ١) من أصناف (نيبهور) كان كتابة هجائية بينما كان (صنف ٢) و صنف ٣) يحتويان بالتتابع على كتابة مقطعية وصورية (ايديوغرافية)[1] ولاحظ أيضاً بأن كل صنف يمثل لغة مختلفة كما كان يمثل شكلا من أشكال الكتابة .

وهكذا تيسر الآن الأساس لفك رموز الكتابة : فقد أصبحت فى متناول الباحثين نسخ دقيقة لعدد من النصوص يضم كل منها ثلاثة أصناف من الخط المسمارى تمثل ثلاث لغات مختلفة ، أضف إلى ذلك أنه لوحظ بشكل صحيح بأن الصنف الأول من الأصناف الثلاثة كان هجائياً فى طبيعته . بيد أن فك رموز الكتابة نفسه استغرق ما يقرب من نصف قرن . وكان من المحتمل أن يكون أمراً مستحيلا تماماً لولا ما قدمه عالمان من خدمات رائعة ، وإن لم تكن متعمدة ، إلى تلك العملية وذلك بنشر دراسات برهنت على أنها كانت عوناً أساسياً إلى الذين كانوا يعملون فى ميدان فك رموز الكتابة ، على الرغم من أنها لم

---

(١) الكتابة الـ « ايديوغرافية » هى التى تمثل فيها كل علامة كلمة تامة المعنى . وتسمى أحياناً بالكتابة الصورية . (المترجم)

تكون متصلة بالنصوص المسمارية التي وجدت في « پرسيپوليس » لقد كان أحد العالمين « أي . أج . انجواتيل — دپرون » (A.H. Anguetil-Dupeerron) الذي قضى وقتاً طويلا في الهند يجمع مخطوطات « الأفستا » كتاب الزرادشتية المقدس . وكان يتعلم قراءة وتفسير الفارسية القديمة ، اللغة التي كتب بها ذلك الكتاب . وظهرت مؤلفاته التي تتصل بالموضـــوع في سنة ١٧٦٨ وسنة ١٧٧١ وقدمت لأولئك الذين كانوا يحاولون فك رموز كتابة نصوص « پرسيپوليس » « المسمارية » فكرة عن الفارسية القديمة برهنت على أنها ذات فائدة كبيرة في فك رموز كتابة الصنف الأول من النصوص الثلاثية اللغة ، الذي أفترض بأنه فارسي قديم وذلك لموقعه البارز بين النصوص الأخرى . وكان العالم الثاني « أي سيلفستري ساكي » (A. I, Silvestre de Sacy) الذي نشر في سنة ١٧٠٣ ترجمته للنصوص الفهلوية التي عثر عليها في المناطق المحيطة بمدينة « پرسيپوليس » والتي وإن كان تأريخها يعود إلى فترة متأخرة عن فترة نصوص « پرسيپوليس » المسمارية ؛ كشف عن نموذج ثابت تقريباً . يمكن أن يفترض بأنه كان يشكل أيضاً أساساً لكتابات النصب الآثارية التي تعود إلى تأريخ أقدم من ذلك . لقد كان هذا النموذج على الصورة التالية : (فلان) ؛ الملك العظيم ؛ ملك الملوك ، ملك ... ، ابن (فلان) ، الملك العظيم ، ملك الملوك[1].

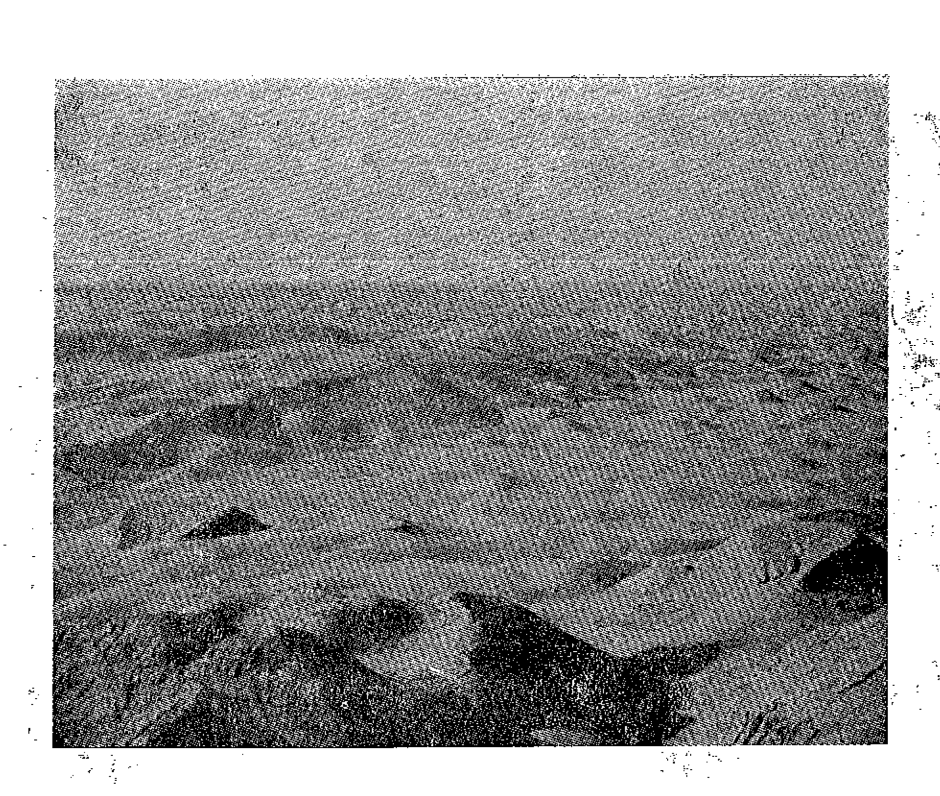
وبعودتنا الآن إلى العملية الحقيقية في فك رموز كتابة نصوص « پرسيپوليس » نجـــد أن أول محاولة جدية فيها هي التي قام بها « أولوف جيرهارد تشسن » (Oulf Gerhard Tychsen) الذي عرف بصورة صحيحة خلال دراسته للصنف الأول من النصوص أربع علامات ثم لاحظ أن إحدى العلامات تكرر ظهورها عدة مرات فعرف بأنها كانت تستخدم لفصل الكلمات عن بعضها البعض — مما جعل بالأمكان تحديد بداية ونهاية كل كلمة — كما لاحظ عدة ملاحظات أخرى دقيقة ، ولكنه افترض خطأ بأن تأريخ النصوص يعود إلى عهد السلالة الپائية وهو تأريخ

(١) أي أن النص يتبع أسلوباً واحداً فهو يبدأ باسم الملك صاحب النص ثم تلي الاسم القابه الملكية ويأتي بعد ذلك أبيه مع أبوه الملكية .

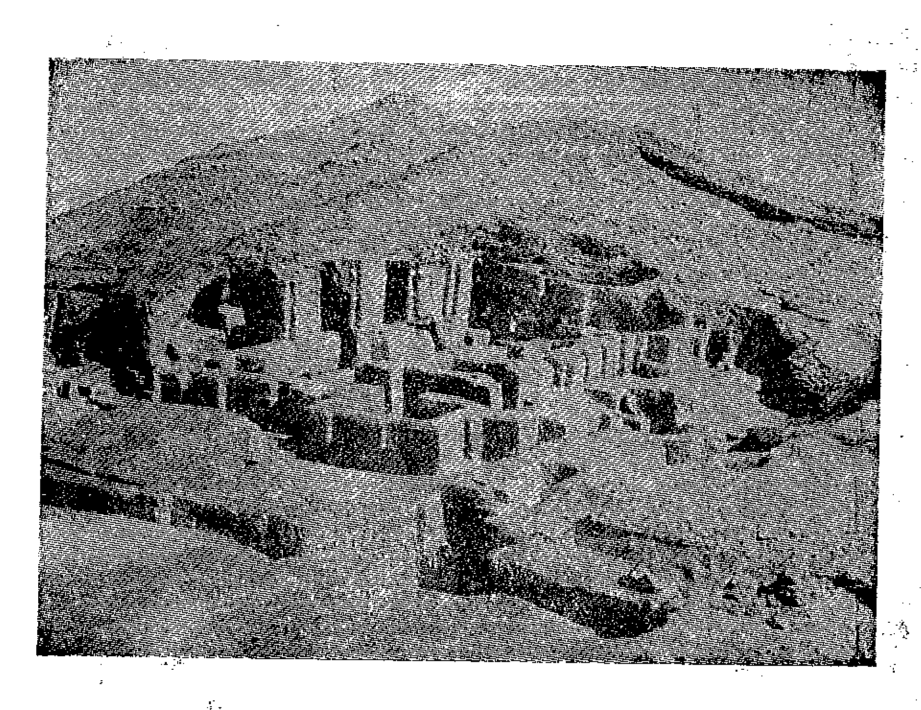
متأخر عن زمنها الحقيقى بأكثر من خمسمائة عام ، وكانت ترجماته مجرد تسكهنات وكلها غير صحيحة .

لقد نشر « تشسن » نتائج أبحاثه فى سنة ١٧٩٨ ، وفى نفس السنة قدم « فريدريش مونتر » من كوبنهاجن مقالين إلى الجمعية الملكية الدانمركية للعلوم برهن فيهما على أن وثائق « پرسيپوليس » تعود إلى السلالة الأخمينية ، وهى حقيقة كانت ذات أهمية أساسية فى عملية فك رموز كتابات النصوص إلا أن « مونتر » نفسه لم يحقق تقدماً أكثر فى جهوده الرامية إلى فك رموز الكتابة . وكان « جورج فردريش جروتفند» (George Friedrich Grotefend) ، مدرس اللغة الأغريقية فى مدرسة « جوتنجن » هو الذى نجح حيث فشل الآخرون واشتهر بأنه هو الذى نجح فى فك رموز كتابة النصوص المسمارية الفارسية وهى الصنف الأول من أصناف « نيبهور » . لقد بدأ « جروتفند » بدراسة تلك العلامات التى تكرر استعمالها أكثر من غيرها وافترض بأنها كانت حروف علة . ثم استرشد بالنموذج النصى المتبع فى الفهلوية الذى أشار إليه « دى ساسى » وعن طريقه وجد المواضع التى يبدو بأنها كانت على ما يرجح المواضع التى يظهر فيها إسم الملك الذى أقام النصب الآثارى واسم أبيه وكذلك الكلمات من أمثال (ملك) و (ابن) ، ومن ثم بدأ يستخدم أسماء ملوك السلالة الأخمينية المعروفة منتقياً منها بالدرجة الأولى ما يناسب طولها مع المواضع الملائمة فى النص ، واستخدم التعابير ذات الصلة بالموضوع التى ظهرت فى أبحاث « انجواتيل — دوبيرون » فى اللغة الفارسية القديمة ليتوصل إلى قراءات بعض الكلمات الأخرى فى النصوص ، وبهذا توصل إلى تعريف صحيح لعشر علامات وثلاثة أسماء إعلام وإلى ترجمة فيها أخطاء عديدة ولكنها مع ذلك قدمت فكرة جيدة عن محتويات النصوص .

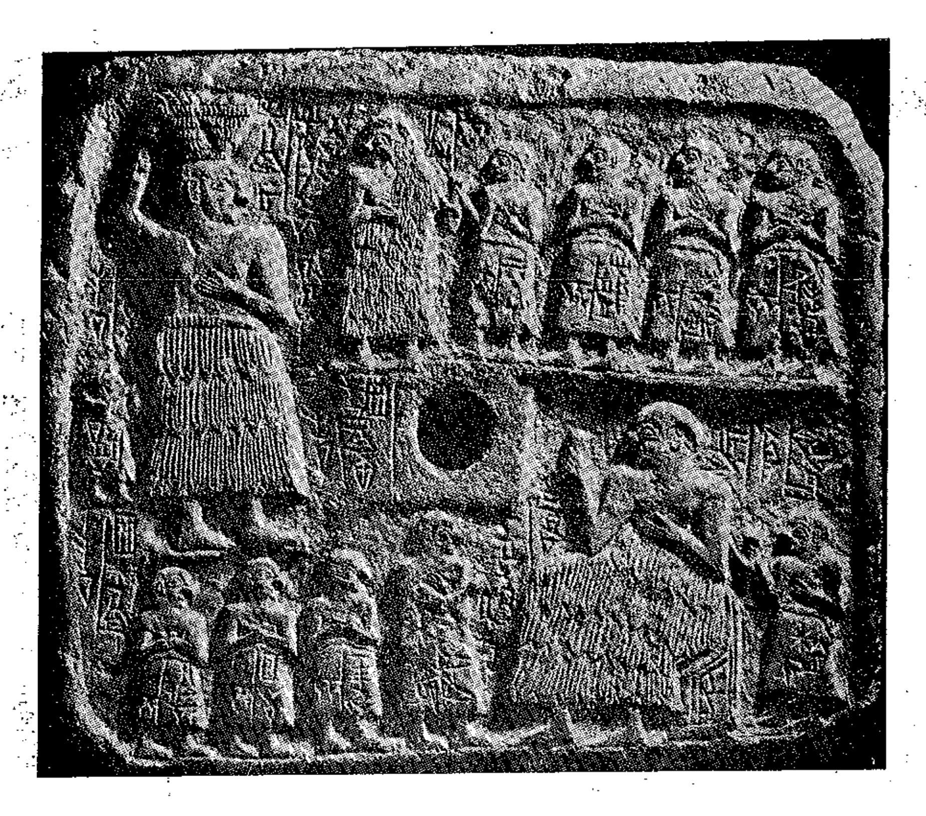
← لقد ظهر ملخص لمحاولة «جروتفند» فى فك رموز الكتابة فى سنة ١٨٠٢ وبعد ثلاث سنوات من هذا التاريخ نشر تقرير أكثر شمولا . وقد استحسن جهوده ووافق عليها كل من « تيشسن » و « مونتر » وعلى الأخص « ريج » الذى ظل



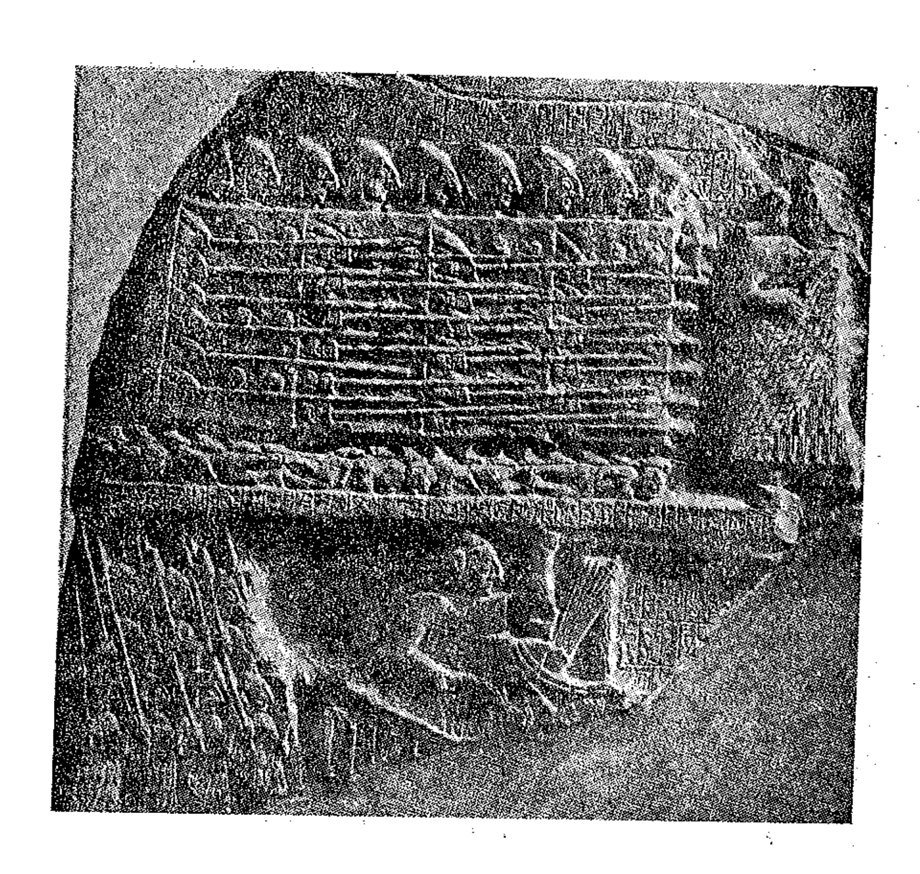
البيئة التى تحيط بمدينة « نفَّر » كما هى عليه فى الوقت الحاضر — كثبان من الرمال وأرض قفراء — (من صور بعثة معهد الدراسات الشرقية والمدارس الأمريكية للبحث الشرقى المشتركة فى « نفر ») .



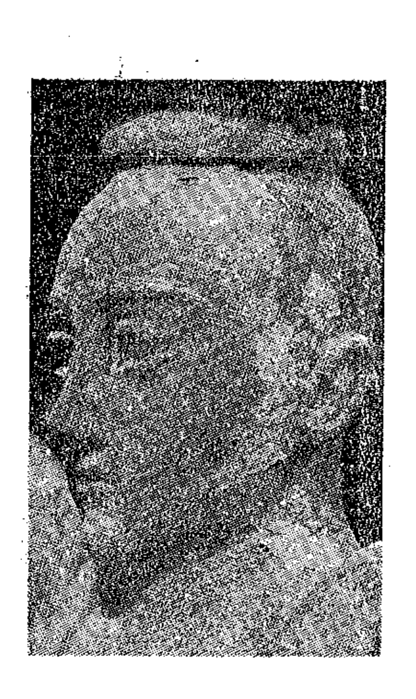
زقورة « أريدو » ، مدينة الإله « أنـكى » . ومن الممـكن رؤية بقايا المعبد عند قاعدة الزقورة . (من صور المتحف العراقى) .



« أور — نانشه » ، ملك « لجش » مع أولاده ورجال الحاشية (قطعة من حجر الـكلس) . يشاهد الملك فى القسم الأعلى حاملا على رأسه سلة مليئة بمادة لبناء معبد ، ويشاهد فى القسم الأسفل الملك وهو يحتفل بالإنتهاء من البناء . (الصورة من متحف اللوفر) .



مسلة النسور ، (من حجر الكلس) ، يشاهد فيها الملك « أيا ناتم » وهو يقود جنود « لجش » إلى المعركة . وتسجل الكتابة الظاهرة فوق رؤوس الجنود أخبار انتصاره على جيش مدينة « أوما » . (الصورة من متحف اللوفر) .



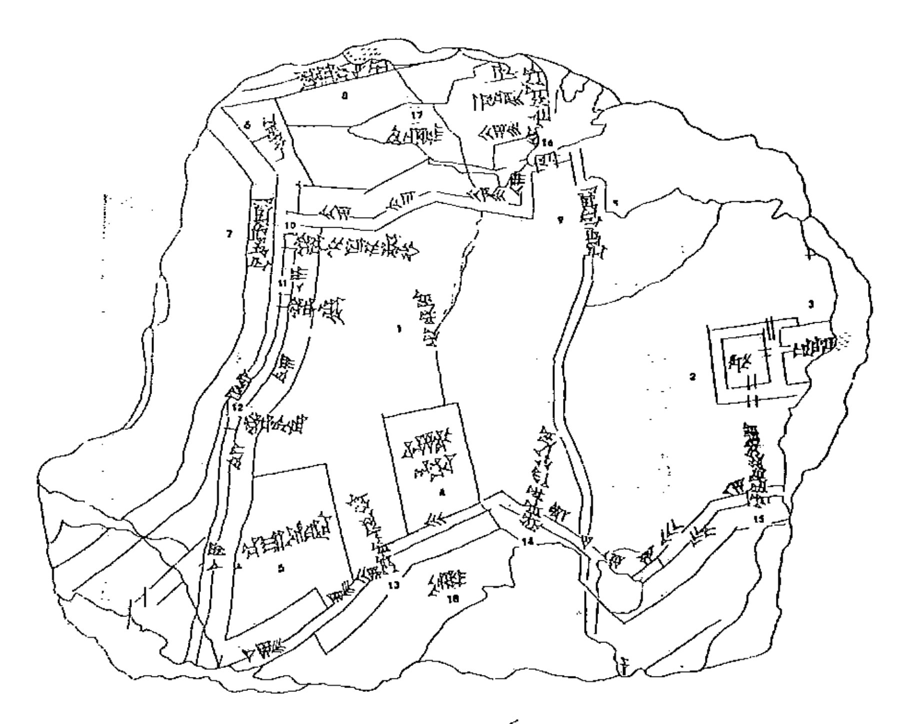
رأس الملك « أور — نامو » وقد
كبر من تمثال نحاسى صغير كان من بين
محتويات صندوق وجد في أساس معبد
« إينانا » في مدينة « نفّر » (من صور
المدارس الأمريكية للبحوث الشرقية) .



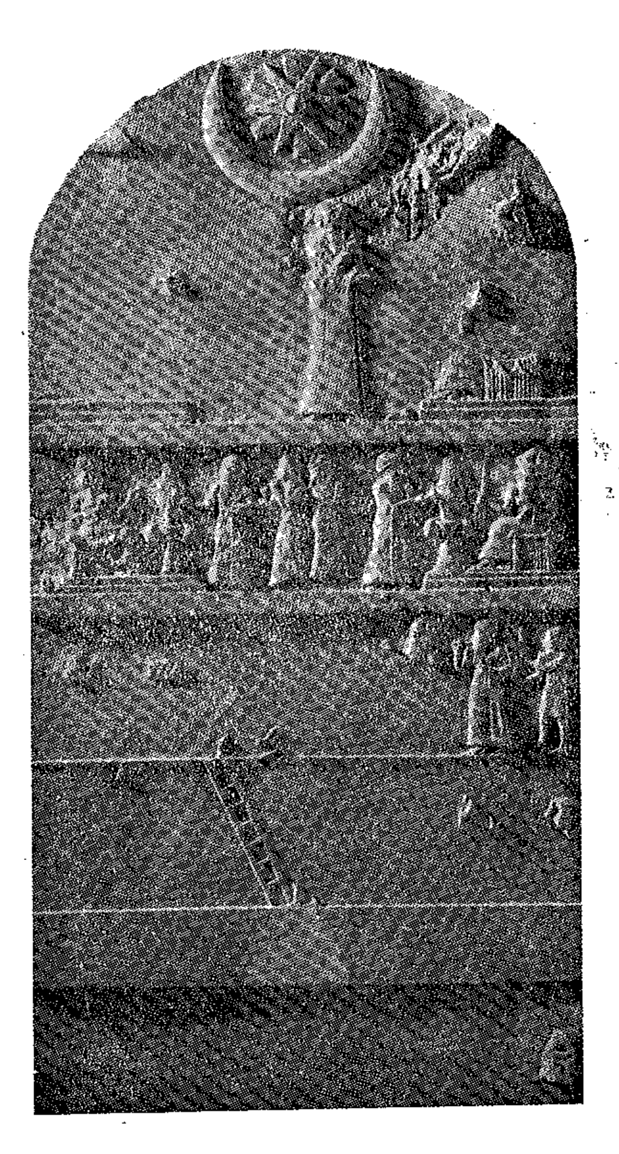
« جوديا » أمير « لجش » (من حجر الديورايت) . (من صور متحف الجامعة في بنسلفانيا) .



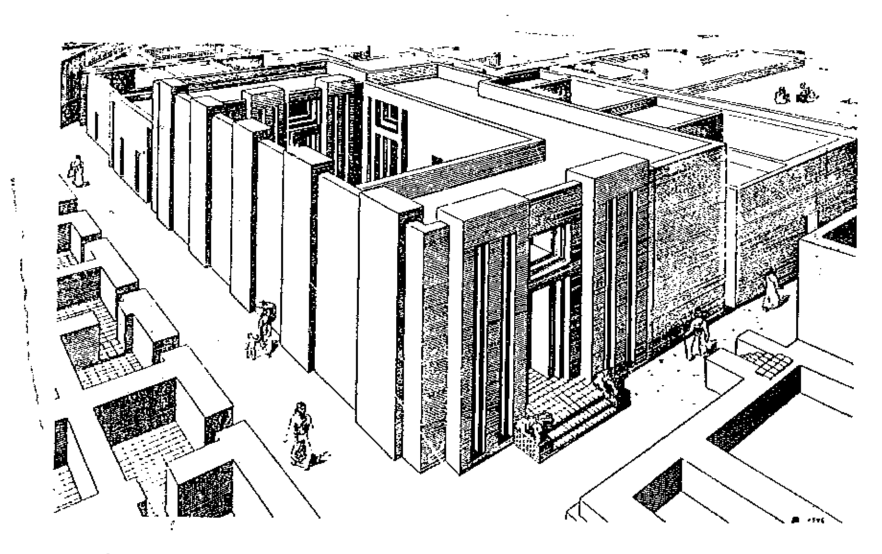
خريطة مدينة « نفّـر » رسمت على لوح طيني يعود تأريخه إلى سنة ١٥٠٠ ق ٠ م ٠ تقريباً ٠ وتبين الـكتابة عليها أسماء أبنية مختلفة وأنهار وبوابات باللغتين السومرية والأكدية ٠ (من صور مجموعة هلبرشت فى جامعة فردريش شيلر فى يينار فى المانيا الشرقية) ٠



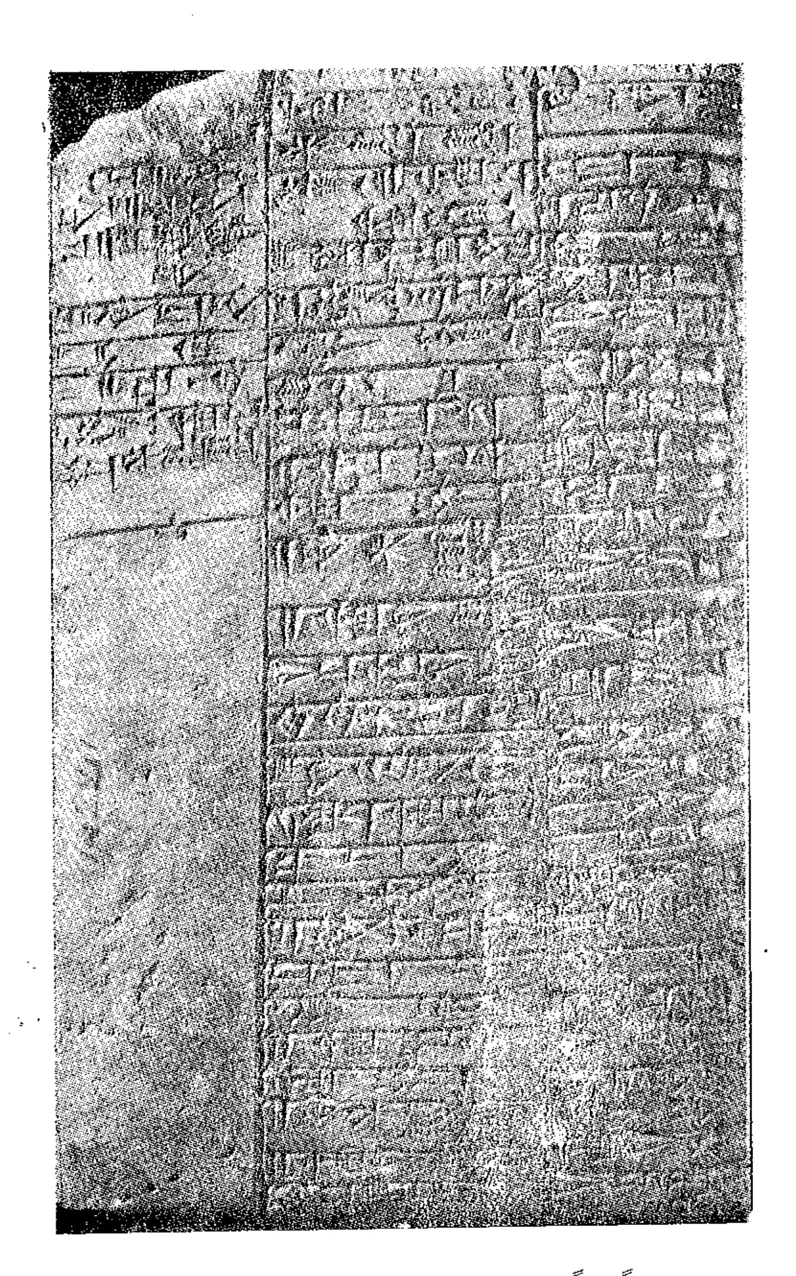
رسم يدوى لخريطة مدينة « نّفر » . (١) إسم المدينة فى وسط الصورة . (٢) « إيكور » أشهر معابد بلاد سومر ، (٣) « كى — أور » ، معبد يجاور معبد « إيكور » ، (٤) « آنيجينا » ، (٥) « متنزه » مدينة « نفر » الرئيسى المسمى « كيرى — شاورو » ، ويقع فى الزاوية المكونة بين جدران « نفّر » الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية . (٦) جملة أبنية ذات طبيعة غير واضحة ؛ « إيشماخ » « الزار الرفيع » يقع عند حافة المدينة . (٧) قناة « نونبيرو » ، تحد المدينة من الناحية الغربية . (٨) « إيد شاورو » » القناة المركزية » وتجرى فى وسط المدينة . (٩) تشاهد ثلاث بوابات (رقم ١٠ ، ١١ ، ١٢) فى الجدار الجنوبى الغربى ، ثلاث بوابات (رقم ١٣ ، ١٤ ، ١٥) فى الجدار الجنوبى الشرقى . وبوابة واحدة (رقم ١٦) فى الجدار الشمالى الغربى . (١٧) خندق بموازاة الجدار الشمالى الغربى . (١٨) خندق آخر بموازاة الجدار الجنوبى الشرقى . (الصورة من مجموعة هلبرشت وقام برسمها « اينز بيرنهارت ») .



مسلة « أور — نامو » (من حجر الـكلس) . تشاهد عملية بناء المعبد فى الحقلين الأول والثانى ابتداء من أسفل المسلة . (من صور متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .



تبين هذه الصورة شكل المعبد فى تل حرمل (سنة ١٩٠٠ ق . م . تقريباً) وقد استنتجها السيد محمد علي مصطفى ، الموظف فى المتحف العراقى ، من بقايا المعبد التى اكتشفت فى ذلك الموقع . يتكون المعبد من مدخل ، وباحة ، وغرفة مقدسة ، وغرفة أخرى ، تربط بينها أبواب على محور واحد بحيث أصبح بالإمكان رؤية المشكاة ، التى ربما كان يوضع عليها تمثال الإله ، من الشارع عند فتح الأبواب جميعها . هذا وقد وجد تمثالان من الفخار لأسدين بالحجم الطبيعى على جانبي المدخل لحراسة المعبد . (من صور المتحف العراقى) .



لوح طيني يحمل نصاً طبياً (من حوالى سنة ١٩٠٠ ق . م .) . لقد دونت على هذا اللوح خمس عشرة وصفة طبية . (من صور متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .

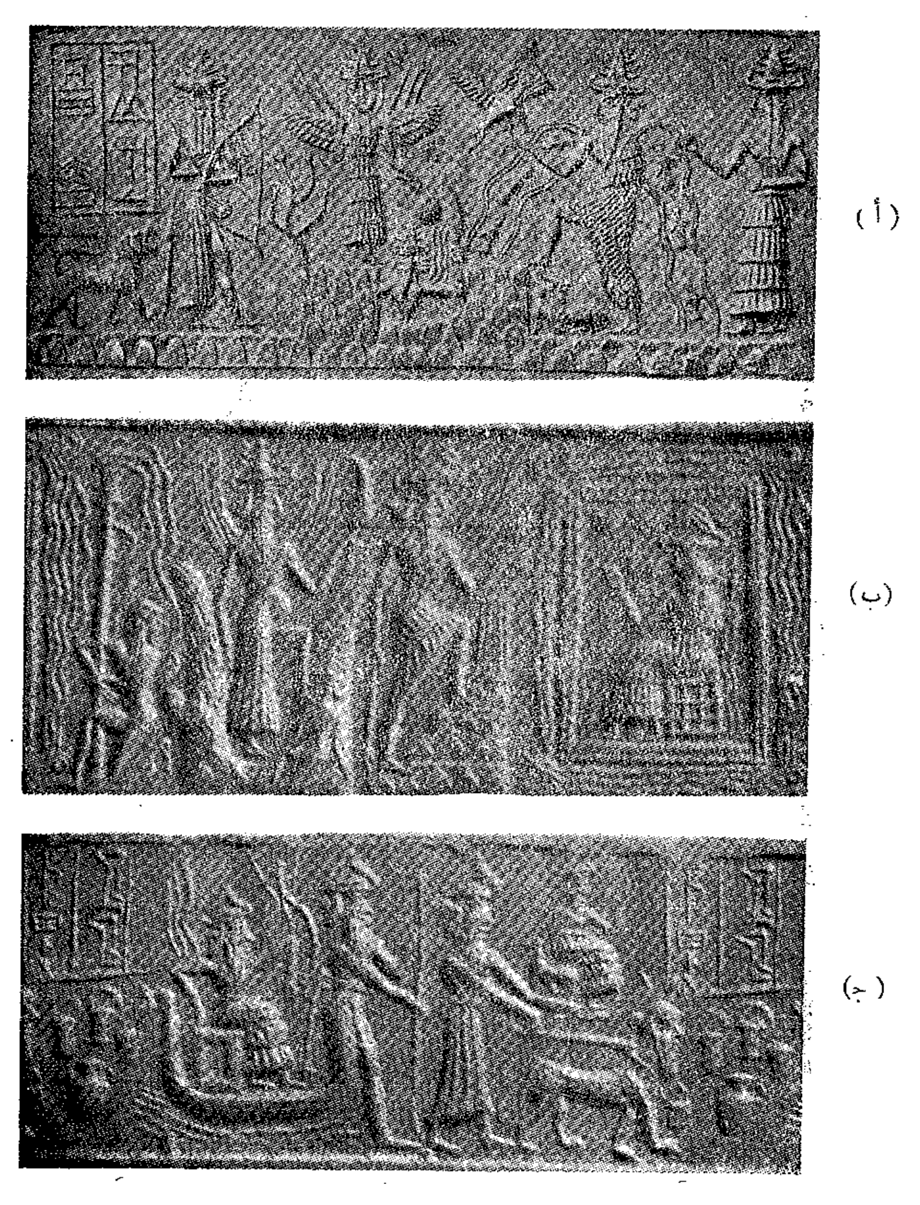


تمثال رجل ملتحٍ وجــد فى موقع خفاجة (من حوالى سنة ٢٦٠٠ ق٠م٠) ٠
(من صور متحف الجامعة فى بنسلفانيا) ٠



تمثال رجل ملتحٍ وجد في موقـــع خفاجة (من حوالى سنة ٢٦٠٠ ق٠م٠) .
(من صور متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .

مناظر ميثولوجية متنوعة نقشت على أختام أسطوانية : (أ) يشاهد الإله ــ الشمس « أوتو » يخرج من الجبل فى وسط الصورة وتنطلق من كتفيه الأشعة وبيده منشار . وإلى اليمين من «أوتو» يشاهد الإله « أنكى » إله الماء والحكمة وبرفقته وزيره ذو الوجهين « إيسمود » ، والى يسار « أوتو » إلهة النبات وإلى جانبها صياد . (حوالى سنة ٢٢٠٠ ق. م.) (من المتحف البريطانى) . (ب) الإله ـــ الماء فى بيته البحرى « آبزو » . (من حوالى ٢٢٠٠ ق. م.).

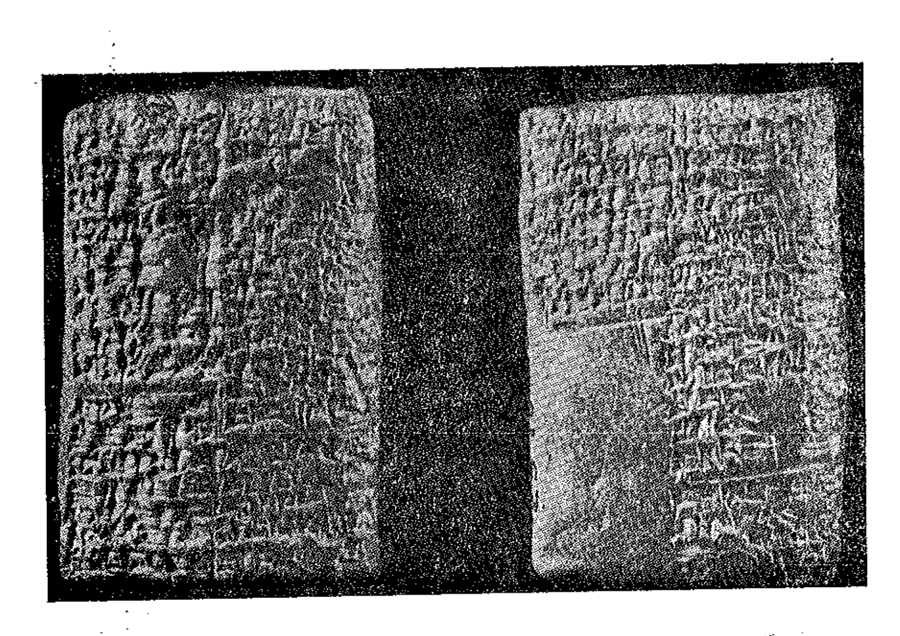


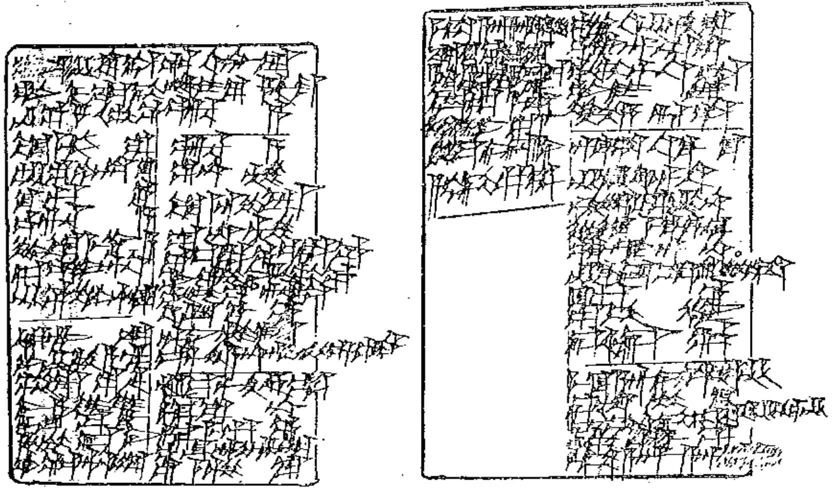
(أ)

(ب)

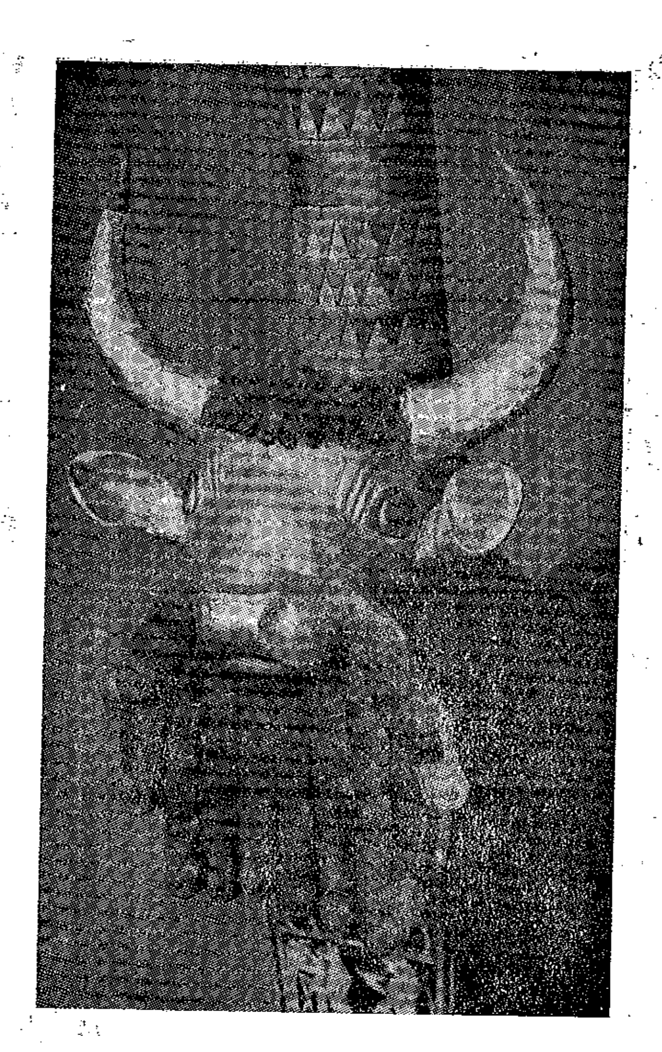
(ج)

وفى أقصى اليمين يشاهد « أنكى » متربعاً على عرشه فى بيته البحرى . وإلى اليسار نشاهد « أوتو » الإله ـــ الشمس مع أشعته ومنشاره . أما الإله الواقف فى الوسط فمجهول الهوية . (من المتحف البريطانى) . (ج) مشهد رحلة إلهية (حوالى ٢٢٠٠ ق.م.) احد الآلهة يمسك مجراثاً على قارب تنتهى مؤخرته على شكل حية وتنتهى مقدمته فى جسم إله يدفع القارب (من المتحف العراقى) .





فهرس أدبي . لوح طيني ونسخة يدوية منه لفهرس يعطى عناوين اثنين وستين تأليفاً أدبياً . (من متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .



رأس ثور من حجر اللازورد والذهب ؛ وهو جزء من قيثارة وجدت فى المقبرة الملكية فى مدينة « أور » (من حوالى سنة ٢٥٠٠ ق ٠ م ٠) (من صور متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .

يرسل إليه نسخا من الكتابات المسمارية التى كان يحصل عليها فى خرائب بابل و « نينوى » ولكن «جروتفند» بالغ فى إنجازاته مدعياً بأنه قرأ عدداً من العلامات أكبر مما كان قد قرأه فى الواقع ، وقدم قراءات وترجمات لا مبرر لها كانت تبعث السخرية بين بعض زملائه . غير أنه كان على كل حال على الطريق الصحيح فى تعريفه للعلامات ، كما كان يؤيد بشكل مباشر أو غير مباشر خلال العقود العديدة التالية بجهود عدد من العلماء الذين استمروا فى الإضافة والحذف والتعديل ، وإذا أردنا أن نقتصر على ذكر الشخصيات المهمة فقط فأننا نذكر « أى . جى . سينت مارتن »(A. J. Saint Martain) و« راسموس راسك » (Rasmus Raske) و « يوجين بورنوف » (Eugene Burnof) وصديقه الحميم وشريكه فى العمل « كرستن لاسين » (Christen Lassen) غير أن كتابات « برسيبوليس » كانت بكل بساطة قصيرة جداً ولم تعط مفردات كثيرة وذات معانى وافية بما فيه الكفاية للتثبت والفحص من أجل فتح نافذة على اللغة الفارسية القديمة وللتوصل إلى حل قاطع بالنسبة لفك رموز جميع العلامات . وهذا يقودنا إلى الشخصية البارزة فى الدراسات المسمارية الأولى وهو الانكليزى المتوقد الذهن ، الذى كان يدرك الأمور بالبديهة كما كان دؤبا فى عمله ، و « هنرى رولنصن » (Henry Rowlinson) ، كما يقودنا ذلك أيضا إلى حقيقة جديرة بالملاحظة وهى أن مجموعة من النصوص فكت رموز كتابتها بصورة مستقلة من قبل رجلين استخدما موازين متماثلة تقريبا .

لقد أصبح « رولنصن » مهتما بالنصوص المسمارية المنتشرة فى كل بلاد فارس حينما كان فى خدمة الجيش البريطانى هناك . وبدأ اهتمامه باستنساخ بعض الكتابات ذات اللغات الثلاث ، وخاصة كتابة جبل الوند بالقرب من مدينة همدان ، وكتابة حجر بهستون على مسافة حوالى عشرين ميلا من مدينة كرمانشاه . وتتألف الكتابة الأولى من نصين قصيرين يحتوى كل منهما على ثلاث لغات بدأ باستنساخها فى سنة ١٨٣٥ ، وبدون معرفة أى شىء عن عمل « جروتفند» و « دى ساكى » و « سينت ـ مارتن » و « راسك » و « بورنوف » و « لاسين » ، نجح فى قراءة النصين باتباعه

نفس الطريقة التي اتبعها « جروتفيند » وأتباعه . ولكنه أدرك بأن من الضروري لتعريف جميع العلامات في هذه النصوص وقراءتها بشكل مناسب أن يكون تحت يده عدد كبير من أسماء الأعلام . ووجد هذه الأسماء في كتابة حجر « بهستون » التي حفرت على بقعة أعدت لهذا الغرض بشكل خاص تبلغ مساحتها ألفين ومائتين قدماً مربعاً ، مليء جزء منها بنقش محفور ، وتتألف هذه الكتابة من نص بثلاث لغات يصل عدد أسطره إلى المئات . وكان هذا الأثر ، لسوء الحظ ، يقع على صخرة يصل ارتفاعها إلى أكثر من ثلثمائة قدم فوق سطح الأرض . ولم تكن هناك وسائل لتسلقها ، فكان على « رولنصن » لذلك أن يقيم « سقالة » ليصعد عليها إلى حيث كان النص . وكان عليه أن يتدلى أحياناً بحبل معلق أمام الصخرة كي يحصل بقدر الإمكان على نسخة كاملة من النص .

وبدأ « رولنصن » في سنة ١٨٣٥ باستنساخ الحقول الفارسية من كتابات « بهتسون » ذات اللغات الثلاث التي كان عددها خمسة وتحتوي على ٤١٤ سطراً من الكتابة . واستمر في استنساخ النص في فترات متقطعة على مر السنين حتى أتم في سنة ١٨٣٧ استنساخ حوالي مائتي سطر أو نصف النص تقريباً . وتمكن بمساعدة الكتاب الكلاسيكيين وجغرافي القرون الوسطى من قراءة عدد من المئات العديدة من أسماء المواقع التي وردت في النص . وحوالي سنة ١٨٣٩ اطلع على أعمال زملائه في أوربا ، وبمساعدة المعلومات الجديدة التي كانوا يمدنه بها نجح في ترجمة أول مائتي سطر من الكتابة الفاريسية القديمه من نص «بهستون» ذات اللغات الثلاث . وكان يطمح إلى استنساخ كل جزء من الكتابة الموجودة على صخرة « بهستون » ولكن واجباته العسكرية قطعت جهوده ولم يتمكن من استئاف عمله الذي أحبه الا في سنة ١٨٤٤ . ففي تلك السنة عاد إلى «بهستون» وأنهى استنساخ كل الكتابة الفارسية القديمة المكونة من ٤١٤ سطراً . واستنسخ كذلك جميع الـ ٢٦٣ سطراً من الكتابة الثانية ، أو الترجمة العيلامية ، كما أصبحت تعرف في الوقت الحاضر . وفي سنة ١٨٤٨ أرسل مخطوطاته المؤلفة من نسخ وقراءات وترجمة وتعليق

وملاحظات من بغداد إلى الجمعية الملكية الآسيوية ، وهكذا وضع فك رموز الفارسية القديمة على أساس يمكن الاعتماد علية اعتماداً تاماً ، وهذه هى حقيقة تأيدت مرة أخرى حينما نشر اللغوى الأيرلندى الألمعى «ادواردهينكس» (Edward Hincks) فى تلك السنة نفسها بحثاً كان قد ألقاه قبل سنتين توقع فيه عدداً لا بأس به من الملاحظات المهمة التى قدمها « رولنصن » بصورة مستقلة . ومن هذا الوقت فصاعداً لم يعد بالإمكان القيام بأكثر من تغييرات وإضافات وتصحيحات بسيطة، يستحسن أن نذكر منها بصورة خاصة تلك التى قام بها « يوليس أوپرت » (Jules Oppert) تلميذ « لاسين » فى سنة ١٨٥١ . ان « رولنصن » و « هنكس » و « أوپرت » — « ثالوث » المسماريات « المقدس » — لم يضعوا الفارسية القديمة على أساس ثابت فحسب ، وإنما دفعوا باللغة الأكدية والسومرية على الطريق نحو الحل ، وفتحوا بذلك صفحات «الكتب» الطينية المغبرة المدفونة فى كافة أنحاء الشرق الادنى القديم .

وهكذا نعود الآن إلى التنقيبات الأثارية المنتظمة والواسعة فى بلادما بين النهرين وإلى فك رموز اللغتين الأكدية والسومرية الذى قادت إليه . ففى سنة ١٨٤٢ عين « أميل بوتا » قنصلا لفرنسا فى مدينة الموصل . وبدأ حال وصوله بالتنقيبات فى قوينجق والنبى يونس ، وهما تلان يغطيان خرائب مدينة « نينوى » وقد برهنت هذه التنقيبات على عقمها فحول « بوتا » اهتمامه إلى « خورصباد[1] » الواقعة على بعد مسافة قصيرة إلى الشمال من تل قوينجق حيث أصاب هناك « الثروة » ، إذا تكلمنا من الناحية الآثارية ، لأن خرائب « خورصباد » كانت تغطى قصر الملك العظيم « سرجون » الثانى الذى حكم بلاد « آشور » فى الربع الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد — ولو أن هذا الأمر لم يكن معروفاً للمنقبين فى ذلك الوقت —

(١) « خورصباد » هو اسم حديث للموقع الذى يمثل « دورشروكين » وهى مدينة شيدها الملك الآشورى « سرجون » فى أواخر سنوات حكمه الذى بدأ سنة ٧٢١ ق . م . ويعتقد أن الاسم الحديث تحريف للاسم الفارسى « خسروا أباد » الذى يعنى « مدينة خسرو » . (المترجم)

ويحتوي القصر على أفدنة من النحت الآشوري والأفاريز والنقوش المحفورة التي كان كثير منها مغطى بالكتابة المسمارية · وبعد ثلاث سنوات فقط بدأ « أوستن هنرى ليارد (Austen Henry Layard) الانكليزى الحفر في مدينة « نمرود » أولا ومن ثم في « نينوى » وفى « نمرود » مرة أخرى · وعثر في « نينوى » بالأضافة إلى القصور الملكية المغطاة بالنقوش المحفورة ، على مكتبة الملك الآشوري « آشور-بانيبال» ابن حفيد « سرجون » الثانى التى تتألف من آلاف الألواح وكسر الألواح الطينية التي دونت عليها مؤلفات القدامى اللغوية والدينية والأدبية · وهكذا حوالى منتصف القرن التاسع عشر كانت في أوربا مئات من النصوص المسمارية التي جاءت على العموم من المواقع الآشورية وكأنها كانت تنادى لفك رموز كتاباتها ، ولكنها وضعت أمام الباحثين صعوبات وعقبات كانت تبدو فى ذلك الوقت غير قابلة للتذليل · ومع ذلك،وبالدرجة الأولى كنتيجة لعبقرية «هنكس» و «رولنصن» و «أوپرت» ودأبهم لم يمض أكثر من عقد واحد أو حوالى ذلك ليصبح فك رموز الكتابة حقيقة ناجزة ·

حقاً لقد أصبح بعد ذلك لكل متخصص في فك رموز الكتابة ميزة على من سبقه من العاملين فى هذا الحقل · فقبل أن يبدأ « بوتا » و « ليارد » تنقيباتهما بوقت طويل وصل إلى أوروبا عدد محدود من النصوص المتنوعة ، وخاصة بالنسبة لتلك التى جاءت من الخرائب البابلية ، وقد وصفت الكتابة فيها بأنها شبيهة بالصنف الثالث من أصناف « نيبهور » فى نصوص « برسيبوليس » ذات اللغات الثلاث ، ولكن هذا الصنف الثالث ، الذى كان من الممكن الافتراض بشكل معقول بأنه ترجمة للصنف الأول هو الذي وقف لسوء الحظ أمام جميع الجهود التي بذلت لفك رموز كتابته · لقد كانت نصوص « برسيبوليس » أولا مختصرة جداً بحيث لم تمكن من الحصول على نظرة نفاذة في اللغة · يضاف إلى ذلك أنه حتى التحليل السطحي للنصوص البابلية الكثيرة أظهر بأنها تتكون من مئات من العلامات بينما كان الصنف الأول من النص ذى اللغات الثلاث فى « برسيبلوس » يضم اثنتين وأربعين

علامة فقط ، مما جعل من المستحيل تحديد الأسماء أو الكلمات التي ربما كان ينتظر أن تكون متطابقة فيها . وأخيراً بدا أن نفس العلامات في النصوص البابلية ذاتها كانت تظهر تنوعاً كبيراً في الشكل والهيئة ، فلا عجب إذن أن تبرهن المحاولات الأولى لحل رموز الكتابة البابلية على عقمها .

وفي سنة ١٨٤٧ تم انجاز أول إسهام رائع وكان صاحبه « إدوارد هنكس » وهو أمر لم يكن غير متوقع . فقد نجح « هنكس » بمساعدة نسخة من ترجمة النص الفارسي القديم الطويل نسبياً في كتابة « بهستون » والذي يضم عدداً ضخماً من أسماء الأعلام في التوصل إلى قراءة صحيحة لعدد من العلامات التي تمثل أصوات العلة والمقاطع والعلامات التي كانت تمثل كلمات كامله (Ideograms) بالإضافة إلى قراءة أول كلمة بابلية لم تكن اسم علم ، وهو الضمير (آ — نا — كو) أي « أنا » الذي يطابق تقريباً نظيره العبري ، على أن اكتشافه الرئيسي ، الاكتشاف الذي دل على أنه كان حاسماً في فك رموز الكتابة ، لم يتحقق حتى سنة ١٨٥٠ ، وكان يستند إلى حد ما إلى بصيرة « بوتا » الذي لم يكتف بالتنقيب وحده ، ونشر في سنة ١٨٤٨ بحثاً مفصلا للغاية في العلامات المسمارية . إن « بوتا » لم يحاول أن يقرأ كلمة واحدة على الرغم من نجاحه في التوصل إلى معنى عدد من العلامات التي تمثل كلمات كاملة ؛ أما إسهامه الأكثر ثمراً فكان يتصل باكتشافه التنوع في الكتابة ، فبعد دراسة دقيقة وتسجيل مفصل للكتابات أظهر وجود عدد لا بأس به من الكلمات التي كانت تكتب بطرق مختلفة على الرغم من تطابقها قراءة ومعنى ، ان هذه الدراسة الدقيقة للكتابات المتنوعة هي التي مهدت الطريق لظهور بحث « هنكس » في سنة ١٨٥٠ ، البحث الذي تمكن فيه بضربة واحدة من توضيح الحقيقة التي تبدو غير قابلة للتصديق وهي أن الخط البابلي كان يضم مئات العلامات ، كما أعطى السبب في وجود تنوع كبير إلى هذه الدرجة . قال « هنكس » أن الخط البـــابلي — الآشوري (أو كما يسمى الآن الأكدي) لم يكن هجائياً وانما مقطعياً أيديوغرافيا في وقت واحد . أي أن العلامات قد تمثل مقاطع (من حرف صحيح وحرف علة ، أو حرف عله وحرف صحيح ،

أو حرف صحيح ، وحرف علة وحرف صحيح) كانت تجمع مع بعضها بطرق مختلفة لصياغة كلمة واحدة ، أو ان كل علامة قد تعبر عن كلمة كاملة .

وبهذه النظرة الثاقبة الجديدة فى الخط البابلى كان باستطاعة عملية فك رموز الكتابة أن تتقدم بسرعة. ولكنه كان لابد من توفر معونتين لغويتين رئيسيتين ليكون من الممكن لعملية فك رموز الكتابة أن تتقدم بسرعة . وكلا هاتين المعونتين تحققتا نتيجة جهود وأبحاث الشخصية الثانية من ثالوثنا وهو «رولنصن» . ففى سنة ١٨٤٧ سافر « رولنصن » مرة أخرى من بغداد إلى « بهستون » ، وبالمخاطرة فى حياته نجح فى عمل طبعات ورقية (بواسطة اللصق) للترجمة البابلية فى نص « بهستون » أمدته بنص طويل مكون من ١١٢ سطراً كان من الممكن فك رموز كتابته وترجمته بمساعدة النص الفارسى القديم الموجود على نفس النصب الأثرى الذى سبق أن تمت قراءته ذلك فعلا . أضف إلى ذلك أنه اكتشف خلال عمله هذا الخاصية الأخرى البالغة الأهمية للكتابة البابلية وهى « تعدد الأصوات » أى أن نفس العلامة الواحدة قد تمثل أكثر من صوت أو «قيمة» صوتية واحدة . وكنتيجة لذلك استطاع الآن «رولنصن» أن يقرأ حوالى ١٥٠ علامة قراءة صحيحة ، وعرف قراءة ومعنى حوالى مائتى كلمة من اللغة التى تبين الآن بشكل قاطع أنها لغة سامية ، بل كان قادراً حتى على إعطاء صورة مختصرة لقواعدها النحوية .

لقد نشرت أبحاث « رولنصن » المثيرة للإعجاب فى سنة ١٨٥٠ و ١٨٥١ . وفى سنة ١٨٥٣ نجح « هنكس » بمساعدة أبحاث « رولنصن » فى إضافة أكثر من مائة قيمة صوتية جديدة للعلامات البابلية حتى أصبح الآن قادراً على تعريف القيم الصوتية وقراءات ما يقرب من ٣٥٠ علامة ولكن مبدأ تعدد القيم الصوتية الذى يتضمنه هذا التعريف أثار الشك والريبة والعداء بين العلماء الذين هاجم بعض منهم ترجمات « هنكس » و « رولنصن » ووصفوها بأنها ضارة ولا قيمة لها ، إذ كان من الصعب التصديق بأن الناس القدامى يبتدعون نظاماً للكتابة من الممكن أن يكون فيه لنفس العلامة الواحدة قيم صوتية متعددة لأن هذا ، كما يفترض ، كان يؤدى إلى

تشويش القارىء إلى درجة تجعلها عديمة الفائدة . وفى مفترق الطرق الخطير هذا هب للنجدة « يوليس اوپرت » ، ثالث الثالوث . فى سنة ١٨٥٥ قدم ملخصاً لمرحلة فك رموز الكتابة التى توصل إليها فى ذلك الوقت وأظهر صحة قراءات « هنكس » و « رولنصن » وأضاف عدداً من العلامات الجديدة التى كانت ذات أكثر من قيمة صوتية واحدة . وكان أول من قام بدراسة شاملة لجداول المقاطع التى أعدها الكتاب القدامى أنفسهم والتى وجدت بين الرقم الطينية التى اكتشفت فيما عرف باسم مكتبة « آشور بانيبال » فى « نينوى » والانتفاع منها بشكل واسع فى ترجمته . ان أبحاثه واستنساخاته للنصوص ومجادلاته العلمية ساعدت على تثبيت العلم الجديد الذى أصبح الآن يعرف بصورة عامة باسم علم الآشوريات — استناداً إلى حقيقة أن أقدم الحفائر أجريت فى شمال العراق الذى كان موطن الآشوريين — وساعدت على منح هذا العلم الاحترام والتقدير العظيمين .

لقد كانت سنة ١٨٥٢ سنة مصيرية بالنسبة لعلم الآشوريات الذى خرج من المحنة برايات خفاقة . وكان الذى اوصل الأمور إلى نهايتها رجلا متخصصاً بعلم الرياضيات ومخترعاً غير متخصص بعلم الآشوريات . فقد كان « دبليو . أف . فوكس تالبوت » (W. F, Fox Tàlbot) ، الذى بحث فى التفاضل والتكامل وساعد على وضع اسس التصوير فى الوقت الحاضر ، مستشرقا بالهواية أيضا ، فدرس منشورات « ولنصن » و « هنكس » بل ونشر ترجمات لعدد من النصوص الآشورية . وبعد أن حصل على نسخة لم تنشر بعد من نص للملك الآشورى «تجلات بلسر الأول» (سنة ١١١٦ — ١٠٧٦ ق . م) قام بترجمته وأرسل الترجمة فى ظرف مختوم إلى الجمعية الملكية الآسيوية فى ١٧ آذار (مارس) سنة ١٨٥٧ مع اقتراح بأن تدعو الجمعية « هنكس » و « رولنصن » لتحضير ترجمات لنفس النص وإرسالها فى ظروف مختومة كى يمكن مقارنة الترجمات الثلاث مع بعضها البعض . وقامت الجمعية بذلك وأرسلت ايضا دعوة إلى « اوپرت » الذى كان آنذاك فى لندن للمشاركة فى الترجمة . وقبل الثلاثة كلهم الدعوة وبعد شهرين فضت أختام الظروف الأربعة التى تحتوى على الترجمات من قبل

لجنة عينت خصيصا لهذا الغرض مؤلفة من خمسة أعضاء من الجمعية الملكية الآسيوية وصدر قرار يقول من بين ما يقوله ان ترجمتي « رولنصن » و « هنكس » تشابهان إحداهما الأخرى تشابها قويا — وان ترجمات « تالبوت » كانت بالأحرى غامضة وغير دقيقة وان « اوپرت » علق بشكل واسع على ترجماته وغالبا ما كان يختلف عن زملائه الانكليز ، وكان الحكم في كل ذلك لصالح علم الآشوريات كما كان يمارس حينذاك ، فقد كان التشابه بين الترجمات الأربع قويا إلى درجة معقولة وثبتت صحة فك رموز الكتابة .

وبعد سنتين ، أي في سنة ١٨٥٩ ، نشر « اوپرت » واحدا من أهم بحوثه العلمية تحت عنوان : فك رموز النصوص المسمارية. لقد كان هذا البحث عرضا لعلم الآشوريات وانجازاته حتى ذلك التاريخ واضح الفكرة وشاملا وقاطعا إلى درجة أنه أوقف جميع المعارضة لهذا العلم . وفي العقود التي تلت ذلك كتب فريق من العلماء خاصة في فرنسا وانكلترا وألمانيا ، المقالات والدراسات والكتب في جميع فروع العلم الجديد ، من لغة وتاريخ ودين وحضارة وغير ذلك . وكانت النصوص تستنسخ وتنشر بالالآف ، وجمعت جداول العلامات وشروح الكلمات والقواميس وكتب القواعد النحوية ، وكتب عــــدد لا يحصى من المقالات التخصصية جداً في القواعد النحوية وتركيب الجمل وأصول الكلمات وتأريخها . وهكذا تطورت ونضجت دراسة اللغة الآشورية التي سميت في بادىء الأمر بالبابلية وأصبحت الآن تعرف بالأكدية — وهو اسم مشتق من تعبير استعمله العراقيون القدماء أنفسهم — حتى أنه يوجد الآن في سنة ١٩٦٣ قاموسان منفصلان عن بعضهما يتألفان من عدة أجزاء في طريق النشر — واحد منهما باللغة الإنكليزية يصدره معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو وآخر باللغة الألمانية برعاية دولية — وهو انجاز يتوج مائة سنة من البحث المتراكم .

لقد ترددت الكلمات بابلية، آشورية، أكدية، ولكن لا توجد حتى الآن كلمة واحدة عن بلاد سومر والسومريين . ومع كل ذلك فأن هذا كتاب عن السومريين . ولسوء الحظ لم يكن أحد ليعرف حتى منتصف القرن الماضي بأن شعبا سومريا ولغة

سومرية ظهرا إلى الوجود فى أى وقت من الأوقات ولذلك علينا أن نعود قليلا إلى بداية طريقنا لمتابعة التطورات التى تمت خطوة خطوة ، التطورات التى قادت إلى ملاحظة كانت بالأحرى مثيرة للدهشة وغير متوقعة ، وهى ملاحظة أن اناسا عرفوا باسم السومريين قد استوطنوا يوما ما فى العراق . ففى سنه ١٨٥٠ ألقى « هنكس » بحثا أمام الجمعية الإنكليزية لتطوير العلم عبر فية عن شكوكه حول الفرضية الشائعة القائلة بأن سكان بلاد آشور وبابل الساميين هم الذين اخترعوا نظام الكتابة المسمارى الذى استعملوه ، ان العنصر الثابت فى السامية هو الحرف الصحيح بينما يتغير حرف العلة تغيرا كبيرا . وعلى هذا بدا من غير الطبيعى أن يكون الساميون هم الذين اخترعوا نظام كتابة مقطعى يبدو فيه أن حرف العلة لا يتغير كما لا يتغير الحرف الصحيح . والتمييز بين الأصوات الحنكية اللينة والصلبة وبين القطعية خاصية مهمة من خواص اللغات السامية . ولكن المقطعية المسمارية لم تعبر فيما يبدو عن هذا التميز تعبيرا ملائما ومن ثمة أيضا ، إذا كان الساميون قد اخترعوا الخط المسمارى فأنه ينبغى أن يكون بالإمكان تتبع القيم المقطعية للعلامات إلى كلمات سامية . ولكن نادرا ما كان هذا هو الحال . ان القسم الأكبر من القيم المقطعية للعلامات المسمارية يعود كما يبدو إلى كلمات أو عناصر لم يكن بالإمكان إيجاد ما يطابقها فى اللغات السامية . ولذلك بدأ « هنكس » بالظن بأن نظام الكتابة المسمارى قد اخترع من قبل اناس غير ساميين سبقوا الساميين فى استيطان بلاد بابل ولا يمتون إليهم بصلة .

نكتفى بهذا بالنسبة إلى « هنكس » وظنونه . وبعد سنتين، أى فى سنة ١٨٥٢، نعرف استنادا إلى ملاحظة نشرها « هنكس » بأن « رولنصن » توصـل بعد دراسة جداول المقاطع التى عثر عليها فى تل كويبخق إلى نتيجة مفادها ان هذه الجداول كانت ثنائية اللغة وان الكلمات السامية البابلية فيها توضح كلمات مطابقة لها فى لغة جديدة تماما لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت اطلاق عليها اسم « أكدية » واعتبرها « سيثية أو طورانية » . هنا إذن نحن نعرف لأول مرة عن الاحتمال القائل بأن هناك شعبا ليس ساميا قد عاش وان لغة غير سامية قد وجدت فى بلاد ما بين النهرين . وفى

سنة ١٨٥٣ ألقى « رولنصن » نفسه محاضرة أمام الجمعية الملكية الآسيوية أشار فيها إلى وجود نصوص مسمارية ذات لغة واحدة على الآجر والألواح الطينية التى جاءت من مواقع فى جنوب بلاد بابل كانت مدونة باللغة « السيثية » . وفى محاضرة ألقاها أمام نفس الجمعية بعد سنتين ناقش بشىء من التفصيل الجداول ذات اللغتين من كويثجق التى « لم تكن أكثر من هجائيات وقواعد ومفردات مقارنة من اللهجتين الأشورية والسيثية ومن الجائز الافتراض بأن السيثين البابليين الذين كان اسمهم العرق (أكديون) هم الذين اخترعوا الكتابة المسمارية ، وواصل «رولنصن» القول بأن هؤلاء الأكديين هم الذين « شيدوا المعابد البدائية وعواصم بلاد بابل ، وعبدوا نفس الآلهة واستوطنوا نفس المواقع التى استوطنها خلفاؤهم الساميون ، ولكن لهم على ما يظهر تسمية مختلفة ، ميثولوجياً وجغرافياً على السواء » . أما بالنسبة إلى لغة السيثيين فقد قال «رولنصن» ان ألواح تل كويثجق « تمدنا بمجلدات من الأمثلة المقارنة أو الترجمات المتداخلة فى نفس النص » . وكنتيجة لدراسة هذه اللغة « البدائية » الجديدة فى النصوص ذات اللغتين يخلص إلى أنه « من المشكوك فيه أن يكون بالامكان تتبع أثر أية صلات لغوية قريبة بين اللغة البدائية وبين أية لهجة من لهجات العصور الحديثة . إن النظام الخاص باستعمالات الضمير يقترب من النموذج المغولى والمانشو أكثر مما يقترب إلى أى فرع آخر من العائلة الطورانية ، ولكن التشابه قليل أو معدوم فى مفردات اللغة ». وملخص القول إن « رولنصن » قد اكتشف بكل تأكيد السومريين ولغتهم إلا أنه أطلق عليهم خطأ اسم السيثين البابليين فى بادىء الأمر ثم عرفهم بالأكديين ، وهو نفس التعبير الذى يستعمل فى الوقت الحاضر للدلالة على الساميين الذين عاشوا فى البلاد .

أننا مدينون بالتسمية الصحيحة للشعب غير السامى الذى اخترع الكتابة المسمارية إلى عبقرية « يوليس اوپرت » الذى كانت انجازاته فى جميع وجوه علم الآشوريات ، وعلى الأخص بالنسبة لدراسة جداول المقاطع ، مذهلة إلى حد كبير . فقد ألقى «اوپرت» فى ١٧ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٦٩ محاضرة امام القسم الأثنوغرافى والتاريخى من الجمعية الفرنسية للمسكوكات والآثار اعلن فيها بأنه ينبغى أن نسمى هؤلاء الناس

بالسومريين ولغتهم بالسومرية مستنداً فى استنتاجاته إلى اللقب « ملك سومر وأ كد» الذى وجد فى كتابات بعض الحكام الأوائل ، لأن اسم « أ كد » ، كما ناقش ذلك مناقشة صحيحة للغاية ، كان هو الاسم الذى استعمل لسكان بلاد آشور وبلاد بابل الساميين ، بينما كان اسم «سومر» يشير إلى السكان غير الساميين . واستمر «اوپرت» فى هذه المحاضرة إلى حد القول بأن تحليلا لتركيب اللغة السومرية قد قاده إلى الاستنتاج بأن لها صلات قريبة مع التركية والفلندية والهنغارية — وهى نظرة رائعة فى تركيب لغة كانت قبل عشرين سنة فقط غير موجودة بقدر ما يتعلق الأمر بعالم البحث .

أن التسمية « سومرية » لم يؤخذ بها مباشرة من قبل أغلبية علماء الكتابة المسمارية واستمر استعمال لفظ « أ كدية » لعدة عقود . وفى الواقع هناك مستشرق مشهور واحد وهو « جوزيف هاليفى » (Joseph Halevy) ، أنكر على الرغم من كل الأدلة التى تخالف ذلك ، حتى وجود الشعب السومرى واللغة السومرية . وبدأ من سنة ١٨٧٠ ولمدة تزيد على ثلاثة عقود من بعد ذلك فى نشر المقال تلو المقال مصراً على أن لا شعب قط غير الشعب السامى قد امتلك بلاد بابل ، وأن ما يسمى باللغة السومرية كان مجرد اختراع مصطنع قام به الساميون أنفسهم لأغراض سرية وكهنوتية وكان لفترة قصيرة جدا مؤيداً حتى من قبل علماء آشوريات بارزين ، ولكن كل ذلك أصبح الآن مجرد تساؤل تاريخى لا غير ، لأنه لم يمض وقت طويل بعد استنتاجات « أوپرت » الثاقبة حول سكان بلاد بابل غير الساميين ولغتهم حتى بدأت حفويات فى موقعين فى جنوب بلاد بابل وضعت السومريين على الخارطة باكتشاف التماثيل والمسلات التى كشفت عن ملامحهم الجسمية والألواح الطينية والنصوص العديدة والمهمة بالنسبة لتاريخهم السياسى والدينى والاقتصادى والأدبى .

لقد بدأت أول تنقيبات مهمة فى موقع سومرى فى سنة ١٨٧٧ فى «تلو» (الإسم الحديث) لخرائب « لجش » القديمة ، قام بها الفرنسيون تحت إدارة « ارنست دى سيرزاك » (Ernest de Sarzec) وبين سنة ١٨٧٧ وسنة ١٩٠٠ قام «دى سيرزاك» بإحدى عشرة حملة تنقيبية ونجح فى اكتشاف أعداد كبيرة من التماثيل ، وبصورة

رئيسية تماثيل الأمير « جوديا » ، ومسلات ـ من أهمها مسلة النسور ـ واسطوانات «جوديا» وآلاف الألواح الطينية التي يعود تأريخ كثير منها إلى أسرة «أور ـ نانشه[1]» وفي سنة ١٨٨٤ بدأ بنشر مجلد « ليون هيوزي » (Léon Heuzey) الرائع بعنوان اكتشافات في كالديا من قبل «ايرنست دي سيراك» ، بتعاون اثنين من المتخصصين بالكتابات البارزين وهما « آرثر آميود »(Arthur Amiaud) و « فرانسوا ثيورو — دانجن » (Francois Thueau-Dangin) وواصل الفرنسيون الحفر على فترات متقطعة في « لجش » من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩٠٩ بإدارة « جاستون كروس » (Gaston Cros) ومن سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣١ بإدارة «هنري دي جينويلاك» (Aenré de Genouillac) ومن سنة ١٩٣١ إلى سنة ١٩٣٣ بإدارة «اندري پارو» (André Parrot) ، وفي كل ذلك قام الفرنسيون بعشرين حملة في « لجش » ولخصت النتائج باختصار في كتاب « پارو » الذي يعتبر أغنى مصدر في الموضوع ، تحت عنوان : تلو «سنة ١٩٤٨» والذي يقدم أيضاً قائمة كاملة ومفصلة بكل المؤلفات المتصلة بشكل أو آخر بهذه التنقيبات .

ان التنقيبات الواسعة الثانية في موقع سومري هي تلك التي نظمتها جامعة بنسلفانيا ، وكانت بعثتها أول بعثة أمريكية نقبت في بلاد ما بين النهرين . ففي خلال الثمانيات من القرن التاسع عشر استمرت المناقشات في دوائر الجامعة الأمريكية حول معقولية إرسال بعثة أمريكية إلى العراق حيث كان كل من الإنكليز والفرنسيين يعثرون على بقايا آثارية في غاية الأهمية . وعلى كل حال لم يحدث شيء حتى سنة ١٨٨٧ عند ما نجح « جون . پي . پيترز » (John. P. Peters) أستاذ العبرية في جامعة بنسلفانيا في الحصول على تأييد معنوي ومالي من عدة أفراد ، في الجامعة وحواليها لغرض تجهيز وتمويل بعثة تنقيبية تعمل في العراق . وأختير موقع « نفر »[2] وهو

---

(١) الاسم الحديث لموقع مدينة « نيبور » القديمة التي كانت تتمتع بمركز ديني كبير باعتبارها مدينة الإله العظيم « انليل » (المترجم)

(٢) كان « أور ـ نانشه » مؤسس سلالة « لجش » الشهيرة في عصر فجر السلالات . (المترجم) .

واحد من أكبر وأهم التلول فى العراق ، وأجريت أربع عمليات تنقيبية طويلة ومرهقة بين سنة ١٨٨٩ وسنة ١٩٠٠ كانت فى بادىء الأمر بإدارة « بيترز » ثم بإدارة « جى . أج . هينز » (J· H·Haynes) الذى كان فى الأصل مصوراً للبعثة ، وأخيراً بإدارة عالم الآشوريات الشهير « أج . فى . هلبرشت » (H. V. Hilprecht) الذى كان متخصصاً أيضاً بالنقوش فى الحملة الأولى .

لقد كانت المصاعب والعقبات قاسية ومثبطة للعزيمة . فقد توفى أحد المنقبين الشباب فى الحقل — ولم تمر سنة دون أن يعانى فيها عضو أو آخر من أعضاء الحملات الثلاث من مرض خطير . ولكنه على الرغم من العقبات استمر التنقيب وأنجزت البعثة نتائج رائعة لا نظير لها من بعض الوجوه خاصة فى الحقل المتصل بالنصوص . فقد نجحت البعثة فى الكشف عن حوالى ثلاثين ألف لوح وكسرة خلال حملاتها الأربع ، كان العدد الأكبر منها مدوناً باللغة السومرية ، وتشمل فترة تزيد على ألفى سنة تمتد من النصف الثانى من الألف الثالث حتى آخر قرون الألف الأول قبل الميلاد وبدأ نشر بعض هذه المادة المدونة فى وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٨٩٣ وفقاً لخطة بعيدة النظر وطويلة الأمد فكر بها « هلبرشت » كانت تقضى بمشاركة عدد كبير من الباحثين بالإضافة إليه . ولم تر جميع الأجزاء التى خطط لها ضوء النهار ، إذ ظهرت أمامها ، مثلها فى ذلك مثل أغلب الخطط العظيمة ، عقبات وصعاب لم تكن متوقعة منعت تنفيذها الكامل . ولكن عدداً لا بأس به من الأجزاء قد ظهر وأثبتت هذه المؤلفات على أنها ذات أعظم قيمة لعلماء المسماريات . ويقودنا هذا إلى علم السومريات وتطوره خلال الفترة التى أعقبت أيام رواده الثلاثة العظام « هنكس » و« رولنصن » و « اوپرت » .

إن جميع المادة الأولية لدراسة السومريين ولغتهم تقريباً كانت مؤلفة حتى زمن الحفريات فى « لجش » و « نفر » من جداول المقاطع ذات اللغتين والنصوص ذات الترجمات المتداخلة التى اكتشفت فى مكتبة « آشور بانيبال » فى خرائب «نينوى» والتى كانت تنشر فى أجزاء مختلفة من المجلدات الجليلة التى تحمل العنوان : نصوص

مسمارية من غرب آسيا ، يقوم على تحريرها « رولنصن » . ولكن تأريخ هذه المادة يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد ، أى بعد أكثر من ألف سنة على اختفاء الشعب السومرى كشخصية سياسية واللغة السومرية كلغة حية . حقاً لقد كانت بعض النصوص التى عثر عليها فى مواقع سومرية متيسرة فى أوروبا ، ولكن هذه كانت تتكون بصورة رئيسية من مجموعة صغيرة من كتابات على الآجر والألواح والاسطوانات تعود إلى الفترات السومرية والفترات التى أعقبتها وجدت طريقها إلى المتحف البريطانى ، إلا انه لا يمكن أن نستخلص منها سوى معلومات قليلة الأهمية . ان التنقيبات فى « لجش » و « نفر » وضعت تحت تصرف الباحثين آلافاً من النصوص السومريه ذات اللغة الواحدة التى كان بإمكانهم القيام بمحاولة لترجمتها وتفسيرها بمساعدة ما كان يمكن الحصول عليه من أحكام نحوية ولغوية من جداول المقاطع ذات اللغتين والنصوص ذات الترجمات المتداخلة التى اكتشفت فى تل كوينجق . وكانت الغالبية العظمى من النصوص التى وجدت فى « لجش » و «نفر» ذات صفة إدارية واقتصادية وقانونية ومؤلفة من جداول مختلفة الأصناف والأحجام وسندات تعهدية وإيصالات وحجج مبايعات وعقود زواج ووصايا وأحكام قضائية ، وبهذا أصبح من الممكن أخيراً الحصول على فكرة ما عن البناء السومرى الاقتصادى والاجتماعى . وكانت هذه الوثائق تحتوى أيضاً على مئات من أسماء الأشخاص والآلهة والمواقع التى كانت ذات قيمة فى معرفة شىء عن الدين السومرى . بل ومما هو أكثر أهمية من ذلك المئات من النصوص النذرية المدونة على تمثال أو مسلة أو مخروط أو على لوح طينى التي كانت ذات قيمة أساسية لدراسة التاريخ السومرى السياسى . وجاءت على الأخص من موقع « نفر » أعداد كبيرة من النصوص ذات العلاقة بمفردات اللغة والقواعد النحوية ، التى تعتبر النماذج السومرية الأولى للنصوص المتأخرة المدونة بلغتين والتى وجدت فى تل كوينجق ، وقد أثبتت هذه على أنها ذات قيمة لا تقدر لدراسة اللغة السومرية . وأخيراً عثر فى « نفر » على آلاف الألواح والكسر التى دونت عليها أعمال أدبية سومرية . وعلى الرغم من بقائها غير مفهومة عشرات السنين بعد اكتشافها ، فإن « هلبرشت » الذى عالج وصنف كثيراً منها ،

أدرك أهميتهـــا بالنسبة لتاريخ الدين والأدب . ولسنا مبالغين بالقول بأنه كنتيجة مباشرة لتنقيبات « لجش » و « نفر » استطاع « فرانسوا ثيورو — دانجن » أن ينشر فى سنة ١٩٠٥ كتاب نصوص سومر وا كد الذى فتح عهداً جديداً وينشر « آرنو پوبل » (Arno Poebel) كتابه المشهور أيضاً ، أسس القواعد السومرية فى سنة ١٩٢٣ .

حقاً أن كلا من هذين الباحثين استند على جهود وانجازات من سبقه ومن عاصره وليس هناك طريقة أخرى لتقدم البحث المنتج غير هذه الطريقة . وإذا أردنا أن نذكر بعضاً من أشهر الشخصيات فقط فإننا نذكر الإنجليزى « أى ، أج ، سايس » (A. H. Seys) الذى نشر فى سنة ١٨٧١ أول وثيقة سومرية ذات لغة واحدة وهى نص من نصوص الملك « شولجى »[1] ، مؤلف من اثنى عشر سطراً ، ووضع فى تعليق لغوى مفصل صورة مختصرة لعدد من خصائص اللغة السومرية ، و « فرانسوا لينورما » (Francois Lenormant) وكتاباته الضخمة تحت عنوان : « دراسات أكدية » بدأت فى سنة ١٨٧٣ ، و « بول هاوپت » ، (Paul Haupt) الذى استنسخ عدداً كبيراً من النصوص السومرية ذات اللغتين وذات اللغـــة الواحدة الموجودة فى المتحف البريطانى والذى أتم بعض الإنجازات الملحوظة فى النحو ومفردات اللغة السومرية ، و « أر . أى . برونو » (R. E. brunnow) الذى وضع جدولا بالعلامات السومرية وقراءاتها وقاموساً شاملا للمفردات السومرية التى وجدت فى النصوص ذات اللغتين المعروفة فى أيامه ، أثبتا على أنهما مهمان حداً لجميع المختصين بدراسة المفردات من تأريخ نشرها لأول مرة سنة ١٩٠٥ — ١٩٠٧ حتى الوقت الحاضر ، على الرغم من أنهما استلزما ظهور عدد من القواميس المكملة قام بتحضيرها باحثون آخرون للإبقاء عليهما مفيدين على مرور الزمن أمثال « جى . دى . پرنس » (J. D. Prince) الذى نشر أول معجم سومرى مهم فى سنة ١٩٠٥ ،

---

(١) ثانى ملوك سلالة «أور» الثالثة السومرية ، حكم مدة ٤٠ سنة ابتداءاً من سنة ٢٠٩٥ ق.م . (المترجم)

و « وفريدريش ديلج » (Frie rich Eelitzsch) الذى ألف كتابا فى القـــواعد السومرية وقاموساً سومريا مستنداً على جذور الـكلمات بدلا من العلامات وقراءاتها ·

إلا أن كتاب «ثيورو — دانجن» — نصوص سومر وأكد سنة ١٩٠٥ ـ الذى ظهر بعد سنتين فقط من صدوره فى ترجمة ألمـانية ـ هو الذى أثبت على أنه الحجر الأساس فى تطوير الدراسات السومرية · أنه خلاصة وافية ورائعة لترجمة دقيقة وملاحظات وضعت بلغة محكمة تـكشف عن عملية استقصاء بارعة للمعرفة السومرية المتراكمة فى ذلك الوقت ، تلك المعرفة التى يمـكن تتبع قسم غير قليل منها إلى إنجازات « ثيورو ـ دانجن » الأصلية نفسها · وبعد حوالى خمسة عقود من البحث المسمارى ، ما زالت دراسته أبعد من أن يتفوق عليها ، وفى بعض الوجوه سوف لن يتفوق عليها قط · وفعل كتاب « پوبل » « أساس القواعد السومرية » لنحو اللغة السومرية ما فعله كتاب «ثيورو ـ دانجن» للتاريخ السياسى والدينى · فقد وضع «پوبل» فى كتابه هذا مبادىء النحو السومرى وقواعده الأساسية بمنطق مقنع شارحا إياها بدقة وبتفصيل واف كل ما أمـكن ذلك ، مستنداً فى ذلك كله على دراسات دقيقة مضنية ومفصلة بإحكام للـكتابات السومرية ، ذات اللغتين وذات اللغة الواحدة على السواء والتى تعود إلى كل الفترات ، من لغة لألف الثالث ق. م · « الـكلاسيكية » إلى لغة « الـكتاب » السومرية المتأخرة من الألف الأول ق·م · (استندت ترجمات النصوص من ١ إلى ٣٥ فى الملحق بالدرجة الأولى إلى عدد من هـــــذه الدراسات) · لقد أسفرت الدراسات النحوية التى قام بها « پوبل » نفسه وعلماء آخرون على السواء وخاصة « فلـكنشتاين » و « ثوركايلد جاكبسون » عن عدد من الإضافات والتصحيحات · وستؤدى الدراسات القادمة دون ريب إلى تعديلات فى بعض التفاصيل النحوية التى وضعت فى كتاب « أساس القواعد » ، ولـكن عمل « پوبل » صمد بصورة عامة أمام اختبار الزمن ، وعلى الرغم من الرغبة السائدة فى إجراء تغيرات فى التعابير والتسمية الحضارية ، سواء أكانت تغيرات عميقة أو أو غير عميقة ، فإنه سيبقى زمناً طويلا حجر الزاويه لجميع الجهود البناءة فى النحو السومرى

على أن كتاب « پوبل » فى القواعد السومرية لم ينظم وفقاً لأصول التدريس وإنما نظم تنظيما منطقياً ولا يمكن استخدامه بسهولة من قبل المبتدئين الذين يرغبون فى تعلم اللغـــة السومرية اعتماداً على أنفسهم · ويوجد كتاب صغير ومفيد من هذه الناحية هو كتاب « جى. جه . غاد » (G, J, Gadd) المعنون : « كتاب قراءة سومرى » . غير أن هذا الـكتاب نشر لأول مرة فى سنة ١٩٢٤ وتوجد حاجة ماسة إلى نسخة منقحة وذات معلومات حديثة · وهناك كتاب قواعد مفيد آخر ، إذا تكلمنا من ناحية أصول التدريس وهو كتاب « انتون دايمل » (Anton Deimel) المعنون : « القواعد السومرية » (Summerishe Grammatike) (الطبعة الثانية سنة ١٩٣٩) على الرغم ممـا فية من معالجة مصطنعـــة غير قليلة للمشاكل المتصلة بترجمة النصوص السومرية . وفى حقل علم المفردات ، يعتبر كتاب نفس المؤلف المعنون : « المعجم السومرى » الذى يستند فى الغالب على مجاميع « پرونو » وآخرين ، ضرورياً جداً للباحث ، ولو أن من الواجب استخدامه بحذر كبير وحسن تمييز · إن أقوى المؤلفات فى المفردات أثراً وأساسية تحت الإعداد فى الوقت الحاضر هو : Materialien Znm Sumerishen Lexikon : vokabulare and Formular-bucher (مواد للمعجـــم السومرى : كتاب مفردات وجـــداول) · لـ « بينو لاندزبرجر » — عميد علماء الآشوريات · إن ثمانية أجزاء تتكون من أحدث التآليف للجداول المقطعية والمفردات والنصوص الثنائية اللغة المتعلقة بمفردات اللغة المتأخرة بالإضافة إلى نماذجها السومرية التي تعود إلى تاريخ أقدم قد ظهرت فعلا بإشراف المعهد البابوى الـكتاب المقدس فى روما ، وهو معهد يدين له كل علماء المسماريات بالفضل العميق لـما تبناه من الدراسات السومرية خلال الخمسين سنة الماضية ·

ولنترك الآن البحث اللغوى السومرى ونعود إلى الآثار وذلك لتلخيص نتائج بعض أهم التنقيبات فى المواقع السومرية التي بدأت بنجاح كبير فى « لجش » و« نفر » ففى سنة ١٩٠٢ — ١٩٠٣ عملت بعثة ألمانيـــة بإدارة « روبرت كولديفى » (Robert Koldevey) فى موقع « فارة » «شورباك» القديمة ، موطن بطل الطوفان

« زيوسودرا »[1] ، وأخرجت من تحت التراب عدداً كبيراً من النصوص الإدارية والاقتصادية والنصوص المتعلقة بالمفردات التى يعود تاريخها إلى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد فهى لذلك أقدم من نصوص سلالة « أور — نانشة » التى عثر عليها فى « لجش » . وتشمل النصوص الاقتصادية كبيع البيوت والحقول مما يشير إلى وجود الثروة الخاصة فى بلاد سومر وهى سمـــة من سمات الحياة السومرية ظلت موضوع نقاش بين المستشرقين فتره طويلة . وكانت نصوص « فارة » المعجمية أيضاً ذات أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ المدنية لأنها أشارت إلى وجود المدارس السومرية فى زمن مبكر يعود إلى للقرن الخامس واليشرين ق. م. بل وربما إلى زمن أقدم من ذلك . وكشف المنقبون كذلك عن عدد من المبانى الخاصـــة والعامة والمقابر والأوانى الحجرية والمعدنية والهياكل الصغيرة وعدد كبير من الأختام الإسطوانية ؛ وفى سنة ١٩٣٠ عادت إلى « فارة » بعثة من جامعة بنسلفانيا بإدارة « أريك شميت » (Erick Shmidt) ولـكن اللقى الجديدة لم تختلف مادياً عن تلك التى عثر عليها قبل ثلاثين سنة تقريباً . وكان من حسن حظى وأنا شاب وعلى ما كنت عليه من قلة التجربة ، أن أكون الموكل على شئون الـكتابات فى البعثة . ودرس أغلب ألواح « فارة » ونشرها « أنتون دايمل » وعالم السومريات الفرنسى « آر. جستن » (R, Jestin)

وفى سنة ١٩٣٠ نقبت بعثة من جامعة شيكاغو بإدارة « أى. جه . بانـكس » (E.J, Bankes) فى بسمايا موقع مدينـــة « أدب » عاصمة « لوجال آنموندا » . وهنا ايضاً اكتشف عدد لا بأس به من الألواح القديمة الشبيهة بألواح « فارة » فى الشكل والمحتوى . وأخرج « بانـكس » كذلك بقايا عدة معابد وقصور وعدداً كبيراً من النصوص النذريه وتمثالا يحمل اسم « لوجال دالو » يعود تأريخه إلى حوالى سنه ٢٤٠٠ ق. م. أما المؤلف الضخم الذى نتج عن أعمال هذه البعثه فهو مجلد أصدره معهد الدراسات الشرقية يضم نصوصاً استنسخها « دى. دى. لـكينبل »

---

(١) نظير « نوح » فى قصة الطوفان السومرية (المترجم) .

(D. D. Luckenbill) . ويعتبر هذا المجلد ذا قيمة خاصة لتاريخ بلاد سومر خلال الفترة السرجونيه وما قبلها .

وقامت من سنة ١٩١٢ إلى ١٩١٤ بعثة فرنسية بإدارة عالم السماريات المعروف «هنرى دى جينوبلاك » بالحفر فى مدينه « كيش » أول مدينة هبطت فيها الملكية بعد الطوفان . وأوقفت الحرب العالمية الأولى هذه الحفريات إلا أن بعثة إنكليزية — أمريكية عادت سنة ١٩٢٣ إلى مدينة « كيش » بإدارة عالم مسماويات شهير آخر هو « استيفان لانجدون » (Stephen Langdon) وعملت هناك مدة عشرة مواسم متتابعة . لقد كشفت هذه عن عدة مبان تذكارية وزقورات ومقابر وعن عدد كبير من الألواح الطينية ، وصدر عدد من المؤلفات من قبل كل من متحف «فيلد» الذى اهتم بالمواد الآثارية وجامعة «أكسفورد» التى انصب اهتمامها على المواد الخاصة بالكتابات . وعملت جماعة صغيرة من بعثة « كيش » هذه أيضاً مدة قصيرة فى موقع « جمدة نصر » القريب ، وهو تل يغطى خرائب مدينة ما زال اسمها القديم مجهولا . وكانت هذه التنقيبات المتواضعة نسبياً فى موقع يعتبر فى الواقع صغيراً موفقة إلى درجة الكشف عن عدة مئات من الألواح والكسر المدونة بعلامات شبه صورية يعود تأريخها إلى حوالى سنة ٢٨٠٠ ق . م . فكانت لذلك أقدم نصوص سومرية بكمية لا بأس بها عرفت فى ذلك الوقت [١] . إن هذه الألواح التى استنسخها ونشرها « لانجدون » وضعت الحجر الأساس فى دراسات الكتابات السومرية .

ثم نأتى الآن إلى موقع يعرف من قبل المحدثين بإسم « الوركاء » ويعرف من قبل السومريين والأكديين القدامى بإسم « إوروك » وورد الإسم فى التوراة على هيئة « إرك » حيث تجرى فى هذه الأيام بالذات أكثر التنقيبات انتظاماً وعلمية ، تنقيبات برهنت على أنها أساسية لما يمكن التعبير عنه بالدراسة « الطبقية » لتاريخ السومرى وحضارته . لقد بدأت التنقيبات المنتظمة لأول مرة هناك بعثة ألمانية بإدارة « يوليوس يوردان» (Julius Jordan) . وبعد توقف لابد منه بسبب الحرب العالمية

---

(١) أنظر الفصل السادس للإطلاع على وصف لألواح « الوركاء » الصورية الأولى .

الأولى عادت البعثة فى سنة ١٩٢٨ وواصلت تنقيباتها إلى أوقفتها الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩ ٠ وكانت البعثة خلال هذه السنوات كلها تضم بين أعضائها عدداً من المتخصصين المشهورين بقراءة الخطوط منهم « آدم فلكنشتاين» الذى كان خصب الإنتاج ومسهماً رائعاً فى الدراسات السومرية خلال العقود الثلاثة الماضية ٠ إن بعثة « الوركاء » هذه هى التي وضعت نوعاً من التواريخ النسبية[1] لجميع اللقى السومرية وذلك عن طريق حفر حفرة تجريبية كبيرة اخترقت حوالى عشرين متراً من مستوطن موزع على طبقات متعاقبة إلى أن وصل الحفر إلى الأرض البكر ، ثم القيام بدراسة اللقى فى الطبقات والفترات المتعاقبة المتعددة دراسة دقيقة وتصنيفها إبتداء من أول المستوطنات وإنتهاء بمنتصف الألف الثالث ق٠ م٠ وكشفت البعثة عن أقدم البنايات الهامة فى سومر المعروفة فى ذلك الوقت والتى يبدأ تأريخها من حوالى ٣٠٠٠ ق٠ م٠ وكان من بين آثارها الصغيرة الحجم التى لا تعد إناء رخامى يقرب إرتفاعه من المتر تزينه مناظر طقوسية توضح إلى حد كبير الشعائر والتقاليد الدينية السومرية القديمة ٠ وكان من بينها كذلك رأس إمرأة من المرمر بالحجم الطبيعى يعود تأريخه إلى حوالى ٢٨٠٠ ق٠ م٠ يدل على أن النحت المجسم السومرى القديم قد بلغ مستويات عالية من الإبداع لم تكن متصورة من قبل ، وا كتشف فى أحد المعابد الضخمة أكثر من ألف لوح طينى عليها نقوش كتابية جعلت من الممكن تتبع نظام الكتابة المسمارى إلى أقدم مرحلة من مراحل تطوره . وقد نشر عدد كبير من كتابات هذه الألواح فى مجلد فاخر أعد بعناية فائقة وبعد دراسة طويلة من قبل « آدم فلكنشتاين» ٠
وعادت البعثة الألمانية فى سنة ١٩٥٤ إلى « الوركاء » بإدارة مدير جديد وهو « هـ ٠ لنزن » (H. Lenxen) ، وما زالت تواصل تنقيباتها الدقيقة والمنهجية التى ستجعل بلا شك « الوركاء » — مدينة أبطال سومر العظام — حجر الزاوية

---

(١) التاريخ النسبى هو الذى يحدد تسلسل الأحداث وعلاقاتها الزمنية ببعضها البعض ، كما يحدد العلاقة بالنسبة الزمنية لمجموعة من الآثار ، فيقال مثلا هذا الأثر أقدم من ذاك . وتوصلت البعثة الألمانية إلى ذلك بدراسة الطبقات المتتابعة ، حيث تكون الطبقة السفلى أقدم طبقة فى الواقع وأعلى طبقة فيه أحدث طبقة ٠ (المترجم) .

فى علم آثار بلاد ما بين النهرين فى جميع نواحيه : العمارة والفن والتاريخ والدين والكتابة .

وننتقل من « أرك » التوراة إلى « أور » التوراة أو « أوريم » ، كما كانت تعرف عند السومريين ، المدينة التى نقب فيها من سنة ١٩٢٢ إلى سنة ١٩٣٤ بمهارة ودقة وحنكة السير «ليونارد وولى » . لقد وصف « وولى » اكتشافاته فى « أور » مراراً عديدة لكل من العالم والقارىء العادى — ولسنا بحاجة هنا إلا لذكر آخر مؤلفاته فقط وهو «التنقيبات» « أور » (سنة ١٩٥٤) . ومن خلال كتاباته أصبحت مقابر « أور » الملكية وزقوراتها و « حفرة للطوفان » كلمات يومية مألوفة تقريباً . ومما هو غير معروف بصورة جيدة ، ولكنه إسهام رائع أيضاً ، هو ما قام به المختصون بالخطوط الذين كانوا مع البعثة وهم : سى . جه . غاد » (C. J. Gadd) « وليون لاغرين» (Leon Lagrian) و إى. بوروز» (E. Burrows) الذين قاموا باستنساخ ودراسة ونشر جزء كبير من الوثائق المدونة التى اكتشفت فى « أور » — وهى وثائق ألقت ضوءاً جديداً على تاريخ بلاد سومر واقتصادها وحضارتها وليس «أور» وحدها .

ويقع بالقرب من « أور » — على مسافة حوالى أربعة أميال إلى الشمال منها — تل صغير قليل الإرتفاع يعرف بإسم « العبيد » الذى لعب دوراً كبيراً فى علم آثار العراق على الرغم من صغر حجمه . لقد تحرى هذا التل لأول مرة « هـ .ر. هول »(H,R.Hall) من المتحف البريطانى فى سنة ١٩١٩ ، ونقب فيه بعد ذلك « ليونارد وولى » بانتظام فوجد أنه تل يعود فى جزء منه إلى عصر ما قبل التاريخ ويحتوى على دليل من أقدم المهاجرين إلى البلاد (أنظر رأى المؤلف عن هذا الموضوع فى (Orientala) سنة ١٩٧٠). لقد كان هؤلاء الناس ، الذين أصبحوا يعرفون بإسم « العبيديون » ، ينتجون ويستعملون نوعاً خاصاً من الأوانى الملونة بلون واحد وأدوات من حجر الصوان والحجر البركانى الزجاجى الذى وجد فيما بعد فى الطبقات السفلى لعدد من المواقع العراقية الأخرى . وكشف «وولى» أيضاً فى هذا الموقع عن معبد صغير للإلهة

« نينخورساج » الذى بالإضافة إلى ما مدنا به من صورة حية لما كان عليه شكل واحد من أشكال المعابد المحلية الصغيرة فى منتصف الألف الثالث ق . م . ، برهن بدون أى شك على أن ما كانت تسمى بسلالة «أور» الأولى ، التى كان العلماء يميلون إلى إعتبارها سلالة أسطورية ، كانت موجودة فى الواقع . وهكذا ساعد هذا الإكتشاف على تغيير الاتجاه المفرط نحو التشكيك الذى كان سائداً بالنسبة لثبت الملوك ذى الأهمية الكبيرة ، وهو تغير أعطى بدوره تبصرة أوضح فى التاريخ السياسى السومرى .

وفى أقصى الشمال الشرقى من بلاد سومر على الجهة الشرقية من نهر دجلة ، فى منطقة بعيدة إلى حد ما عن المناطق السومرية المألوفة من وجهة نظر علم السومريات ، يقع عدد من التلول التى جلبت انتباه « هنرى فرانكفورت» ، وهو واحد من أعظم علماء التنقيب فى العالم ، ومؤرخ للفن حاد الملاحظة ، وعالم ذو اتجاه فلسفى كانت وفاته المبكرة خسارة لا تعوض بالنسبة للدراسات الشرقية . لقد أدار « فرانكفورت » بين سنة ١٩٣٠ و ١٩٣٦ تنقيبات دقيقة ومنتظمة فى تلول أسمر ، وخفاجة وعقرب وكشف عن معابد وقصور وبيوت خاصة وألواح طينية وأختام إسطوانية وعدد من التماثيل المجسمة التى أثارت دهشة كبيرة والتى يرجع قسم منها إلى حوالى سنة ٢٧٠٠ ق . م . — أى حوالى قرن واحد فقط بعد الفترة التى يعود إليها رأس الإمرأة الذى عثر عليه فى « الوركاء » وكان من بين أصحاب « فرانكفورت » العاملين « بنحاس ديلوجز » (Pinhas Delougas) وهو مثقف ذو خبرة طويلة أصبح الآن مديراً لمعهد الدراسات الشرقية فى جامعة شيكاغو . و « سيتن لزيد » (Seton Lloyd) الذى أصبح مستشاراً لمديرية الآثار العراقية ، والذى ربما شارك فى تنقيبات عدد من المواقع السومرية يزيد على عدد المواقع التى نقب فيها أى منقب آخر ما زال حياً ، و « ثوركايلد جاكبسون » ، العالم الفذ الذى كان خبيراً فى كل من علم الآثار والنقوش الكتابية وتظهر نتائج هذه التنقيبات فى سلسلة من مطبوعات معهد الدراسات الشرقية الرائعة والهامة بسبب معالجتها المفصلة والموضحة جداً للعمارة إلى جانب اهتمامها بالآثار الفنية والنصوص .

ونقبت فى مدينة « مارى » من سنة ١٩٣٣ إلى ١٩٥٦ بعثة من متحف اللوفر دون انقطاع إلا خلال الحرب العالمية الثانية بإدارة « أندريه پارو » ، المنقب الذى أغلق إلى حد ما الكتاب الخاص بمدينة « لجش » وتقع مدينة « مارى » على نهر الفرات الأوسط ، على مسافة بعيدة جداً إلى الغرب مما يعتبر عادة منطقة سومرية . وكانت نتائج التنقيبات فذة وغير متوقعة — فهنا مدينة ربما كان سكانها من أقدم العصور من الساميين — لأن جميع النصوص التى اكتشفت فى « مارى » تقريبا حتى هذا التاريخ « أكدية » ومع ذلك من الصعب تمييزها عن أى مدينة سومرية من الناحية الحضارية — لأن فيها نفس نماذج المعابد ، والزقورة والنحت والتطعيم ، بل حتى تمثال صغير لمغن كتب عليه الإسم السومرى الأصيل « أور — نانشه » ، وهو نفس الإسم الذى يحمله مؤسس أقدم سلالة معروفة فى مدينة « لجش » . وكان التخصص الرئيسى فى النقوش مع بعثة اللوفر عالم المسماريات البلجيكى «جورج دوسان» (George Dissin) ، الذى يقوم بالمشاركة مع « پاور » بتحرير سلسلة هامة من المجلدات الخاصة بالمواد الكتابية المكتشفة فى مدينة « مارى » يسهم فى الكتابة فيها عدد من العلماء الفرنسيين والبلجيكيين . وبفضل ما حققوه فى « لجش » و « مارى» عاد الفرنسيون مرة أخرى إلى احتلال منزلة عالية فى علم الآثار والأبحاث الخاصة ببلاد ما بين النهرين .

وخلال سنوات الحرب ، فى الوقت الذى لم يكن فيه ارسال البعثات الأجنبية عمليا أو ممكنا ، تطورت مديرية الآثار العراقية التى نمت من بدايات صغيرة إلى دائرة جيدة للمنقبين وقارئى الكتابات والمسجلين والقائمين على الصيانة الآثارية ، ووضعت علم الآثار فى بلاد ما بين النهرين على مستوى علمى رفيع ، بجهودها الخاصة وقامت بثلاث عمليات تنقيبية تتصل بالدراسات السومرية وذات أهمية خاصة بالنسبة لها ، فى تل يسمى « العقير » ، وهو يمثل خرائب مدينة لا زال أسمها القديم مجهولا ، كشفت بعثة بإدارة فؤاد سفر[1] فى سنتى ١٩٤٠ و ١٩٤١ عن أول معبـــد سومرى

(١) من أبرز العاملين فى حقل الآثار فى العراق وما زال يعمل كمفتش عام الآثار وتتلمذ على يده عدد كبير من الطلبة العراقيين (المترجم)

مطلى الجدران عرف حتى ذلك الوقت مع زخارف ملونة تغطى الجدران الداخلية والمحراب ، وكشفت كذلك عن بعض البيوت من عصر « العبيد »[1] كما كشفت عن عدد من الألواح الطينية القديمة . وفى تل حرمل ، وهو تل صغير على مسافة حوالى ستة أميال إلى الشرق من بغداد ، تولى طه باقر[2] الذى كان حينذاك مديرا للمتحف العراقى ، إدارة تنقيبات من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٤٩ ، وكشف النقاب أمام دهشة العلماء فى العالم عن أكثر من ألفى لوح ؛ كان بينها عدد من « الكتب المدرسية » فى الرياضيات واللغة وصلت فى حالة ممتازة ، كما اكتشفت معبدا . وفى الطرف الجنوبى من بلاد سومر ، فى « أريدو » القديمة (مقر الإله « أنكى » إله الحكمة السومرى) ، أدار فؤاد سفر عمليات الحفر فى سنوات ١٩٤٦ — ١٩٤٩ واكتشف أقدم فخار من عصر « العبيد » ومقبرة عبيدية وقصرين من منتصف الألف الثالث ق . م . وتتبعت البعثة آثار معبد « أنكى » إلى المرحلة الأولى من مراحل بنائه التى يعود تأريخها إلى حوالى سنة ٤٠٠٠ ق . م . ولكن من المحزن القول بأنه لم يعثر فى « أريدو » على لوح مدون واحد — وهى حالة غريبة حقاً بالنسبة لمدينة كان إلهها الحامى إله الحكمة .

وبعد سنوات الحرب ، كانت هناك بعثتان كبيرتان فقط تنقبان فى سومر ، فقد عاد الألمان إلى « الوركاء » ، وعاد الأمريكان بفضل جهود « ثوركايلد جاكبسون » بالدرجة الأولى ، إلى « نفَّـر » وفى مواسم متعاقبة اكتشفت معبد « إنليل » كما عثر على أكثر من ألف لوح وكسرة لوح مدونة (حوالى خمسمائة لوح منها نصوص أدبية) ، وبدأت بالكشف عن معبد للالهة « إينانا » غير أن مستقبل التنقيات السومرية يقع الآن بأيدى العراقيين أنفسهم ، وهناك سبب وجيه للأمل بأن

---

(١) من عصور ما قبل التاريخ فى العراق يعود زمنه إلى أواخر الألف السادس والألف الخامس ق . م . (المترجم) .

(٢) عالم آخر من علماء الآثار العراقيين ، بذل جهوداً كبيرة فى حقلي التنقيب والتأليف وعمل سنوات عديدة فى مديرية الآثار العراقية ، ويعمل فى الوقت الحاضر استاذا فى جامعة بغداد . (المترجم)

العلماء والمنقبين العراقيين سوف لا يهملون أسلافهم من الماضى البعيد الذين فعلوا الكثير لا للعراق فحسب ، ولكن للانسان فى أنحاء العالم كافة .

نكتفى بهذا القدر من النظرة العامة عن فك رموز الكتابة وعلم الآثار المتصلين ببلاد سومر والسومريين . إلا أنه يجب قبل التحول إلى تاريخ سومر ، وهو موضوع فصلنا القادم ، أن تكون لدى القارىء فكره بسيطة على الأقل عن أكثر المشاكل تعقيداً التى تسبب إزعاجاً للمنقب والمؤرخ فى الشرق الأدنى — ألا وهى مشكلة تسلسل الأحداث التأريخى . إن هذه المشكلة لم تحل بطريقة (كربون ١٤) المستعمل فى تحديد تواريخ الأحداث المختلفة . فبسبب عوامل طبيعية وميكانيكية بحتة أظهرت نتائج هذه الطريقة بأنها غامضة وتقود إلى سوء الفهم ، هذا دون أن نذكر حقيقة أن فى حالة الجزء الجنوبى من العراق كان مدى الخطأ الذى يسمح به باستخدام هذه الطريقة واسعا بحيث لا تدعو النتائج إلى الاطمئنان .

لقد كانت التواريخ التى وضعت وأعطيت سابقاً للملوك والآثار السومرية بصورة عامة عالية جداً (أى وضعت السومريين فى تأريخ أقدم مما هو فى الواقع) وإذا كان هذا يعود جزئياً إلى ميل المنقبين المفهوم جداً نحو الإدعاء بقدم مكتشفاتهم الشخصية فإنه يعود بصورة رئيسية إلى ما كان متيسراً من المصادر وبشكل خاص إلى جداول السلالات المتعددة التى جمعها الكتاب السومريون والبابليون القدماء أنفسهم[١] لأن هؤلاء وضعوا سلالات الملوك بصورة توحى بأنها كانت متتابعة بينما يعرف الآن من وثائق أخرى أن عدداً منها كان متعاصراً إما كلياً أو جزئياً . وفى الوقت الذى مازال فيه الاتفاق التام فى الرأى حول هذا الموضوع مفقوداً ، فإن التواريخ السومرية خفضت الآن تخفيضاً كبيراً عن تلك التى نجدها فى كتب تاريخ سابقة حتى أن التخفيض وصل فى بعض الحالات إلى خمسمائة سنة .

إن الحدثين اللذين يعتبر تأريخهما مفتاحاً بالنسبة لمعرفة التسلسل التأريخى للأحداث السومرية هما نهاية سلالة « أور » الثالثة ، حينما فقد السومريون مكانتهم

(١) للاطلاع على واحدة من أهم هذه القوائم وهى المسماة قائمة الملوك السومرية ، انظر فى الملحق (هـ) .

السياسية المرموقة فى بلاد ما بين النهرين ، وبداية حكم « حمورابى » ملك « بابل » ، عندما انتهى من جميع الوجوه والأغراض وجود السومريين كشخصية سياسية وعرقية ولغوية . والشيء المتفق عليه فى الوقت الحاضر بصـــورة عامة هو أن تأريخ الملك « حمورابى » كان حوالى سنة ١٧٥٠ ق . م . مع زيادة أو نقصان خمسين سنة . أما بالنسبة للفترة الزمنية بين هذا التأريخ ونهاية سلالة «أور» الثالثة فتوجد مادة كتابية كافية لتظهر بالحساب الدقيق بأنها كانت حوالى ١٩٥ سنة . فمن الجائز إذن أن توضع نهاية سلالة « أور » الثالثة فى سنة ١٩٤٥ ق . م . مع زيادة أو نقصان خمسين سنة . ومن هذا التاريخ رجوعا إلى المـاضي القديم توجد نصوص تاريخية وقوائم تواريخ وأخبار تعاصر بين أحداث متنوعة تـكفى لتنقلنا إلى الوراء إلى مايقرب من سنة ٢٥٠٠ ق . م ، وتوصلنا إلى ملك يحمـــل إسم « مسيليم » أما بالنسبة للعهود التى سبقت هذا الملك فان تواريخها التى وضعت استندت استناداً كلياً على استنتاجات آثارية واستنتاجات توصل إليها من دراسة تتابع الطبقات فى المواقع الآثارية وعلى استدلالات وظنون مستمدة من مصادر كتابية متنوعة وعلى نتائج فحوص كاربون ١٤ (c14)[1] التى ، كما قيل سابقاً ، لم تثبت على انها قاطعة وحاسمة كما كان يتوقع لها .

---

(١) إن هذه الطريقة فى تحديد تواريخ المواد القديمة استخدمت لأول مرة فى سنة ١٩٥٩ وعقدت عليها آمال كبيرة للمساعدة على التوصل إلى تواريخ قاطعة ، إلا أن التجارب اثبتت أنها لا تؤدى إلى نتائج حاسمة كما أنها غير نافعة فى تحديد تواريخ المواد التى تعود الى ما قبل ٧٠٠٠٠ سنة . ويمكننا أن نلخص هذه الطريقة على الوجه التالى : بنتيجة تعرض الذرات الينتروجينية فى الجو إلى النيوترونات الموجودة فى الأشعة الكونية تتـكون مادة الـ (C 14) (كاربون ١٤) الاشعاعية بنسبة ثابتة معروفة . ثم تندمج هذه الماده مع ثانى أوكسيد الكاربون الموجود فى الجو . وتمتص النباتات ثانى أوكسيد الـكاربون المتحد مع (C 14) وتنتقل هذه المـادة من النبات إلى الانسجة الحيوانية عن طريق الطعام . وبعد موت الحيوان يتوقف امتصاص النظائر ويبدأ النشاط الاشعاعى فى البقايا العضوية بالتناقص التدريجى بفعل أشعة « بيتا » إلى أن تنتهى نصف كمية المواد المشعة بعد ٥٧٣٠ سنة ، وهذه الفترة تمثل « نصف حياة » النظير ، وبعد ٥٧٣٠ سنة أخرى تختفى نصف الـكمية الباقية ، وهكذا إلى أن تنتهى مادة (C 14) . وبالحساب الدقيق يمـكن تحديد عمر البقايا ... إن مادة الـكاربون العضوية لحسن الحظ ثابتة فى كل المواد الحية . لذلك أصبح بالإمكان الأستفادة من الخشب والعظام والبقايا النباتية . ولـكن النشاط الإشعاعى الذى يتضاءل تدريجياً يحدد هذه الطريقة بحوالى ٤٠ ألف سنة ، كما اظهرت التجارب بأن هناك مجالا للخطأ مما جعلها غير حاسمة (المترجم) .

الفصل الثاني

التاريخ: أبطال وملوك وأمراء

الآن وقد أوضحنا لحد ما على الأقل الأسلوب والإجراءات التى استطاع بها المنقب والعالم المحدثان أن يبعث السومريين الذين انقرضوا منذ زمن طويل إلى الحياة وأعاد ابناء حضارتهم التى نسيت منذ زمن بعيد ، أصبحنا على استعداد للتحول نحو تاريخ بلاد سومر ، أى إلى تلك الأحداث السياسية والعسكرية والاجتماعية التي سببت قيام سومر وسقوطها ، على أن استعدادنا هذا ما زال فى الواقع ناقصاً ، لأن هناك مظهراً واحداً مزعجاً فى مشكلة إعادة بناء التاريخ السومرى يجب تنبيه القارىء إليه ، ألا وهو طبيعة المصادر المتصلة بالموضوع ، فهى غامضة ومحيرة وضئيلة ومتحيزة . فمن حوالى سنة ٤٥٠٠ ق . م . حينما قامت أولى المستوطنات فى بلاد سومر . إلى حوالى ١٧٥٠ ق . م . عندما انتهى وجود السومريين كشعب ، فترة من الزمن تقارب ثلاثة آلاف سنة ، وللقارىء أن يتساءل عن المصدر الذى نحصل منه على معلوماتنا التاريخية وإلى أى مدى يمكن الاعتماد عليها .

ولنبدأ من الجانب المظلم والسلبى من الصورة الذى لا ينشر بشىء ، وهو حقيقة أن السومريين أنفسهم لم يكتبوا تاريخاً بالمعنى المقبول عامة لهذه الكلمة ، أى التاريخ الذى هو عبارة عن أساليب موضحة ومبادىء أساسية . إن المتعلمين ورجال الأدب السومريين لم يمتلكوا العدة العقلية اللازمة للتعريف والتعميم ولا طريقة الفهم التطورية الضرورية للتقييم والتفسير التاريخى . وبما أنهم كانوا مقيدين بوجهة النظر إلى العالم التى كانت سائدة فى أيامهم وقبلوا كحقيقة بديهية بأن الظواهر الحضارية والأحداث التاريخية تأتى كاملة الصنع ، « كاملة النمو . . . كاملة التفتح » على المسرح العالمى ، لأنها خططت وصنعت من قبل الآلهة الجبارة — فمن المرجح أنه لم يدر بخلد أعظم المفكرين والمتعلمين من الحكماء السومريين بأن بلاد سومر كانت فى يوم من الأيام أهواراً موحشة ليس فيها إلا بضعة مستوطنات متفرقة وأنها لم تتحول تدريجياً إلى مجتمع صاخب ومزدهر ومعقد إلا بعد أجيال عديدة من الكفاح والكدح اللذين

لعبت فيهما دوراً بارزاً الإراده والتصميم البشريان ، والخطط التى وضعها الإنسان والتجارب والاختراعات والاكتشافات التى أنجزها . إن المثقف السومرى ، الذى مثل عقلياً بهذا الموقف العقيم والجامد من تاريخ الإنسان، استطاع فى أحسن الأحوال أن يكون جامعاً للوثائق أكثر منه مؤرخاً ، أو مصنفاً للأحداث ، ومحللا أكثر منه مفسراً وشارحا للحقائق التاريخية .

على أنه حتى التاريخ الذى هو من صنف جمع وترتيب الأحداث حسب تسلسلها الزمنى كان يجب أن يبتدع من قبل شخص ما فى مكان ما ليسد حاجة اعتبرت مهمة لسبب أو آخر . وفى حالة السومريين لم يظهر هـذا النوع من التاريخ كنتيجة لاهتمام حقيقى فى تسجيل الوقائع والأحداث لذاتها ، بل ظهر بسبب الاعتقاد الدينى بأن ملوك المدن وحكامها ، الذين كانوا يعرفون عادة باسم « أنسى **Ense** » كان بمقدورهم تحقيق حياة طويلة لأنفسهم بالإضافة إلى تحقيق خير ورخاء شعوبهم بتشييد وترميم وتأثيث المعابد التى كانت على ما يفترض مساكن لآلهتهم . وقبل اختراع الكتابة بقيت هذه الإنجازات العمرانية الملكية والأميرية غير مسجلة للأجيال القادمة على الرغم من أنها كانت دون شك تصطحب بطقوس مثيرة ومراسيم رمزية .

بيد أنه حالما تما نظام الكتابة المسمارية من أقدم مرحلته الصورية ، لا بد أن تكون قد خطرت ببال شخص ما من كهنة المعبد والكتاب فكرة تدوين أعمال الحكام البنائية والهدايا النذرية ، وعلى هذا بدأوا بتسجيلها ليراها ويتذكرها جميع الناس فى المستقبل البعيد . لقد ثبتت جذور هذه الفكرة استناداً إلى معلوماتنا المتيسرة فى الوقت الحاضر ، فى الربع الثانى من الألف الثالث ق . م . ، ومن الجائز القول بأنه فى ذلك الزمان والمكان بدأ التاريخ المدون .

حقا لقد كانت النصوص النذرية والبنائية الأولى تتكون من جمل تكريسية مختصرة ذات قيمة تاريخية قليلة . ولكن الكتاب أصبحوا تدريجياً أكثر ثقة بأنفسهم وأكثر أصالة وكلاماً ، حتى إننا نجد حوالى القرن الرابع والعشرين ق . م .

معلومات تاريخية معقدة نسبياً ومتنوعة كالمعاهدة بين مدينتى « لجش » و « أوما » المدونة على مسلة النسور وأخبار الملك « أياناتم » الحربية ، ورواية الملك « أنيتمينا » عن الحرب الأهلية المستمرة بين « لجش » و « أوما » وسجل الملك « أوروكاجينا » القيم لأول إصلاحات اجتماعية فى تاريخ الإنسان استندت إلى إدراك لأهمية الحرية والمساواة ، وتمجيد الملك «لوجالزاجيرى» وتبجيله للسلام والرخاء والسعادة والأمان التى عمت بلاد سومر خلال حكمه . وكانت المادة الكتابية التى استفاد منها «المؤرخون» القدامى متنوعة ومختلفة إلى حد كبير ، فقد كانت مؤلفة من ألواح طينية وحجرية وآجر وعتبات أبواب وأوان ومزهريات ، ومسامير ومخاريط وأساطين ورؤوس هراوات وأسلحة وصفائح من المعدن أو الحجر أو الطين ، ومنحوتات صغيرة من الحجر والمعدن . وتصل الكتابات النذرية فى مجموعها إلى حوالى ألف نص على أن محتويات الأكثرية العظمى منها لسوء الحظ قصيرة ومقتضبة جداً . وعلى أية حال ، إن هذه المجموعة من النصوص ، التى تعاصر تقريباً الأحداث التى تسجلها ، هى التى أثبتت على أنها مصدر رئيسى لتاريخ بلاد سومر السياسى ، على ما هى عليه من تحيز وما فيها من مشاكل . وفى الواقع ، من المحتمل جداً أن يكون المؤرخون السومريون القدامى أنفسهم قد استفادوا مرات عديدة من هذه المصادر لمساعدتهم فى تحضير وثائقهم الأدبية والتاريخية الخاصة .

وهناك مصدر تاريخى آخر معاصر وأساسى وهام يستمد بصورة غير متوقعة فى الواقع من الوثائق الاقتصادية والإدارية ويتألف مما يعرف عادة باسم أثبات(1) (أو جداول) الأحداث الهامة التى كان يؤرخ بها فقد كان من الواجب تثبيت زمن المعاملات والصفقات التجارية المسجلة فى هذه الوثائق فى حينه لأغراض عملية ، وفى وقت مبكر يعود إلى حوالى سنة ٢٥٠٠ ق . م . بدأ الكتاب الأكثر إبداعاً بإيجاد طرق لتثبيت التواريخ ليمكن الاستفادة منها . ومن حسن حظنا ، أنهم لم يختاروا طريقة وضع تأريخ لهذه الوثائق بمجرد وضع عدد السنوات من نقطة بداية متفق عليها بصورة عامة ، كبداية حكم جديد أو سلالة جديدة ، بل بالأحرى ، استقروا

( ) أثبات جمع ثبت .

بعد إجراء بعض التجارب على طريقة تسمية السنوات بحوادث دينية وسياسيه هامة ، إن هذه الطريقة فى وضع تأريخ الأحداث تمدنا بمعلومات تاريخية ذات قيمة رئيسية . ولتجديد السنوات التى تؤرخ بموجبها سجلاتهم بدقة أكثر ، قام الكتاب أيضاً بوضع جداول تضم جميع أسماء السنين المستخدمة خلال حكم محدد أو خلال سلسلة متتابعة من الحكام ، ومكنت هذه الجداول القديمة الباحث الحديث من ترتيب الأحداث المسجلة فى إثباتات الأحداث التاريخية وفقاً لتسلسلها الزمنى الصحيح .

إن واحداً من أثمن الوثائق السومرية التاريخية ، الذى استند دون ريب إلى حد كبير على أثبات الأحداث التاريخية وجداول التواريخ ، هو ما يسمى بثبت الملوك الذى يسجل أسماء أغلب ملوك بلاد سومر ومدد حكمهم ابتداء من الفترة التي كانت بالنسبة للسومريين بداية التاريخ — وهى الفترة التى تعود إلى أزمان سحيقة فى القدم عندما « هبطت الملكية (لأول مرة) من السماء » — إلى جزء من سلالة « أيسن » التى بدأت حكمها حوالى سنة ١٩٥٠ ق . م . حقاً ، إن هذه الوثيقة الفريدة خليط فى الواقع بين الحقيقة والخيال ، وغالباً ما يكون من الصعب الجزم متى تبدأ الحقيقة وينتهى الخيال ، وكان مؤلفها على مايبدو يعمل تحت تأثير الوهم بأن جميع السلالات التى وضعها فى الثبت قامت الواحدة بعد الأخرى فى تتابع ثابت ، بينما كانت فى واقع الأمر ، إن لم تكن كلها فأكثرها ، متعاصرة لفترة طويلة أو قصيرة ، أضف إلى ذلك ما كان يعطى من مدد حكم ذات ديمومة أسطورية وغير مقبولة بالنسبة لعدد كبير من السلالات الأولى ، ووصلوا بذلك إلى مجموع يقرب من ربع مليون سنة بالنسبة لملوك فترة ماقبل الطوفان الثمانية ، وإلى مجموع يزيد على خمسة وعشرين ألف سنة بالنسبة لأول سلالتين بعد الطوفان . ولكن ثبت الملوك يمدنا على الرغم من جميع أخطائه وعيوبه بإطار تاريخى لا تقدر قيمته[1] إذا استخدم بحذر وتفهم .

ويتألف مصدر تاريخى آخر يساعد على توضيح وكشف جوانب متعدده من التاريخ السومرى مما يجوز تسميته بـ « الرسائل الملكية » وهى الرسائل التى تبودلت بين

---

(١) للاطلاع على ترجمة ثبت الملوك انظر الملحق (هـ) .

الحكام وموظفيهم ، وظهرت هذه الرسائل لأول مرة فى وقت مبكر فى القرن الرابع والعشرين ق. م. ولكن أهم مجموعة من الرسائل بالنسبة للتاريخ هى رسائل ملوك سلالة أور الثالثة . إن هذه الرسائل تكشف عن الدوافع ، والإغراءات والخصومات والدسائس التى كانت تجرى من وراء الستار ، وتضفى لمسة إنسانية حية ، إذا لم تكن أحياناً ساحرة ، على النصوص النذرية وإثباتات الأحداث التاريخية التى كانت فى الواقع جافة وخالية من الحياة ، ومما هو مثير إلى درجة كبيرة هو أن هذه الرسائل الملكية لم تصل إلينا بشكلها الأصلى ، وإنما فى نسخ كان يعدها أساتذة وطلاب فى الأكاديميات السومرية أو الـ « إيدوبا » (Edubba) بعد عدة قرون — وهذه إشارة واضحة إلى القيمة والأهمية اللتين أسبغتا عليها حتى فى الأزمان القديمة (١) .

إن الوثيقة التاريخية النثرية التى ربما ستظهر بأنها ذات قيمة هامة جداً بالنسبة للتاريخ والتواريخ السومرية هى نص شبيه بقائمة سلع يعرف بنص « التومال » (Tummal) ، وهو نص فريد يهتم بالدرجة الأولى بإعادة بناء « التومال » ، هيكل الإلهة « ننليل » فى مدينة « نفّر » ، ويهتم بالدرجة الثانية ببناء أجزاء مختلفة من معبد « أنليل » فى المدينة . وكان جزء من هذا النص معروفاً منذ نصف قرن تقريباً ، ولكن أسطره الأولى المفقودة لم تتيسر للباحثين إلا حديثاً ، ومحتويات هذا الجزء التى عرفت حديثاً هى التى ظهرت فى نهاية الأمر بأنها ذات قيمة تاريخية مدهشة وغير متوقعة (٢) .

وتوجد أيضاً مقالتان يغلب عليهما الطابع الشعرى إلى حد كبير يمكن إعتبارهما من الكتابات التاريخية إلى درجة ما على الأقل . إن كلتا المقالتين تتركزان حول إحدى أعظم الكوارث فى تاريخ بلاد سومر ألا وهى غزوة البلاد المذلة والمشؤومة من قبل الجموع البدوية البربرية التى جاءت من الجهة الشرقية : ففى أولى المقالتين وأطولها التى يمكن أن تعنون بـ « لعنة أكد » يفسر شاعر وحكيم سومرى الكارثة

(١) أنظر الملحق (و) للاطلاع على ترجمات خمس رسائل من هذه المجموعة .

(٢) للاطلاع على تفاصيل كاملة أنظر بقية هذا الفصل .

على أنها حلت نتيجة أفعال « نرام—سين » ، الملك الرابع من ملوك سلالة « أكد »، غير الورعة والمدنسة . وتسجل القطعة الثانية انتصار « أوتو حيجال » ، ملك « الوركاء » الرائع على « تيريجان » آخر ملوك الجوتيين (*) وعودة الملكية السعيدة إلى بلاد سومر[1] .

إن تسع قصص ملحمية ، تتراوح بالطول بين ما يزيد على مائة سطر بقليل وبين ما يزيد على ستمائة سطر ، معروفة الآن كلياً أو جزئياً ، منها خمس قصص ذات أهمية غير قليلة ، وخاصة بالنسبة إلى الفترات التاريخية السومرية المبكرة ، التى لم تصلنا منها عملياً وثائق مدونة معاصرة . وتهم أربع من هذه القصص الخمس بالشخصيتين البطوليتين « أينمركار » و « لوجال بنـدا » ، ومحتوياتها جديرة بالملاحظة وذلك بسبب ما تلقيه من ضوء على العلاقات المتينة بين بلاد سومر وبين دولة مدينة أخرى مجهولة وما زال موقعها غير محدد فى شمال إيران عرفت بإسم « أراتا » . أما خامسة القصص الملحمية ذات الطابع التاريخى وهى « جلجامش وآجا ملك مدينة كيش » فهى ذات أهمية خاصة جداً بالنسبة لتاريخ المنظمات السياسية ، لأنها لا تساعد فقط على توضيح تلك الفترة الغامضة من التاريخ السومرى حينما وقع النزاع المبكر بين دويلات المدن السومرية ، وإنما تسجل أيضاً اجتماع أول مجمع سياسى للإنسان ، « مجمع بمجلسين تشريعيين » حصل قبل أربعة آلاف وخمسمائة سنة وذلك لاتخاذ قرار بالنسبة لمشكلة الحرب والسلم التى كانت من بواعث الألم فى ذلك الوقت .

إن ضرباً واحداً من ضروب الأدب المخيب للأمل من وجهة نظر التاريخ السياسى ، أدب « الرثاء » وهو نموذج من نماذج التأليف الشعرى الذى يبكى على الحالة المحزنة التى تقع بها بلاد سومر ومدنها فى أوقات المحنة والهزيمة . وأقدم نموذج معروف من أدب البكاء الذى يمدنا بقليل من المعلومات التاريخية الهامة وجد مدونا على لوح طينى

---

(١) للاطلاع على ترجمة القصيدة راجع الملحق (ح) عدد ٣٣

* تلفظ الجيم فى كافة الأسماء القديمة السومرية كافاً فارسية . (أو كما تنطق الجيم فى اللهجة المصرية الدارجة) (المترجم) .

جاء من مدينة « لجش » ، وهو يصف بشيء من التفصيل تدمير « لجش » الفظيع على يد عدوتها القاسية مدينة « أوما »[1]. ولكن المؤلفات المتأخرة والأكثر طولا مثل « النواح على أور » و « النواح على نفّر » تحدد نفسها بالدرجة الأولى بوصف دمار المدن السومرية المريع ومعاناة سكانها ولا تلتفت إلى الأسباب التاريخية التي أدت إلى هذه الحالة الكئيبة من الأحداث .

وأخيراً قد يلتقط قليل من المعلومات التاريخية من مؤلفات أدبية كالأساطير والتراتيل وأدب « الحكمة » . ومع أنه ليس بين هذه المواضيع ما هو موجه توجيهاً تاريخياً ، ولكنها قد تكشف هنا وهناك ودون قصد وبصورة عابرة قليلا من المعلومات التاريخية التي لا يمكن الوقوف عليها بطريقة أخرى . وهكذا نعرف مثلا من التراتيل الملكية أن أعداء بلاد سومر الذين كان منهم أكثر من أي شيء آخر ، وهم « الجوتيون » ، مازالوا يثيرون ، ويسببون الرعب في أيام سلالة « أور » الثالثة على الرغم من انتصار « أوتوحيجال » المتبجح به . أو قد نعرف من ترنيمة شيئاً ما عن علاقات كانت قائمة بين بلاد سومر وبقية العالم ، أو ربما ذكر مثل سائر لسبب ما اسم ملك من الملوك .

ولكن النصوص النذرية وأثبات الأحداث التاريخية والرسائل الملكية وقوائم الملوك والسلالات ، وأغاني النصر الملحمية والبكاء المر بسبب الهزيمة — كل هذه لا تضيف إلا من التاريخ كما نود أن نتصـــوره . يضاف إلى ذلك ، أننا لا نملك عملياً وثائق تاريخية مطلقاً من أول ألفي سنة من وجود بلاد سومر ، كما أن النصوص النذرية التي بحوزتنا العائدة إلى الفترات المتأخرة تأتي من بضع مواقع سومرية فقط ؛ ولذلك تميل نحو إعطاء صورة ذات جانب واحد عن الأحداث التي تسجلها . أما بالنسبة للتآليف الشعرية وعلى الأخص القصص الملحمية ، فإنها تحتوي في أحسن الأحوال على نواة الحقيقة التاريخية ، ويجد الباحث نفسه عادة مثبط العزيمة إلى درجة يفقد معها الأمل في جهوده الرامية إلى فصل القمحة عن العصافة ، والواقع عما هو من صنع

(١) للوقوف على ترجمة هذه الوثيقة أنظر الملحق (ج) رقم ٢٧ .

الخيال ، ليصل بذلك إلى عزل الفضلة المتبقية ذات القيمة من الناحية التاريخية. إن كل ما يمكن لعالم السومريات أن يفعله فى الوقت الحاضر هو تحليل وتفسير المعلومات المجزأة والغامضة والمحيرة ويحاول على الأقل إعادة بناء تركيب أحداث سياسية هامة وتطورات تاريخية وفقاً لمنطقه وإدراكه وبصيرته وحسن تمييزه الشخصى — وكل هذا يقوده بالضرورة إلى معالجة غير موضوعية ومتحيزة بشكل يزيد على ما هو مرغوب فيه أو ربما إلى حد غير مقبول . وفى مثل هذه الظروف لابد من حدوث اختلاف لا يستهان به فى الآراء حتى بين المختصين فى هذا الحقل . إن صورة التاريخ السومرى المقدمة هنا فى هذا الكتاب تعانى بلاشك من تحيزات وأوهام وتقصيرات المؤلف الخاصة ، ولكن هذا هو أفضل ما يستطيع عمله فى ضوء المعلومات المتيسرة حتى سنة ١٩٦٣ ، وإذا كانت أخطاؤه فيما تناوله ، وكذلك فيما أغفله كثيرة وفظيعة فعسى أن تضع الأجيال القادمة والآلهة السومرية فى اعتبارها الظروف المخففة وتحكم عليه برأفة وشفقة . ففى اعترافه بقلة ما يعرفه أو يعتقد بأنه يعرفه عن التاريخ السومرى يهتدى فقط بأمر الحكمة السومرية « إن الذى يعلم ، لماذا يُبقى على ما يعلمه مخفياً » .

إن سومر أو بالأحرى البلاد التى أصبحت تعرف بإسم سومر خلال الألف الثالث قبل الميلاد ، ربما استوطنت لأول مرة بين سنة ٤٥٠٠ و ٤٠٠٠ ق. م. — كان هذا على الأقل إجماع رأى المنقبين فى الشرق الأدنى إلى وقت قريب جداً . وتوصل العلماء إلى هذا الرقم بالبدء من عام ٢٥٠٠ ق. م. وهو تاريخ تقريبى ومثبت إلى درجة معقولة ، توصل إليه بالحساب الدقيق بمساعدة الوثائق المدونة . ثم أضيف إلى هذا الرقم من ألف وخمسمائة إلى ألفى سنة وهو فاصل طويل يكفى للأخذ بنظر الاعتبار فترات تجمع كل الآثار الحضارية القديمة الموجودة فى الطبقات السكنية المتعاقبة حتى بلوغ الأرض البكر ، أى تماماً إلى بداية الاستيطان الإنسانى فى بلاد سومر . وفى ذلك الوقت كان يفترض بصورة عامة بأن بلاد سومر كانت عبارة عن أهوار تقطعها هنا وهناك جزر منخفضة من الأرض الرسوبية تجمعت من رواسب الطين التى تحملها أنهار دجلة والفرات وكارون . وكان يفترض بأن أغلب بلاد سومر

كانت قبل ذلك مغطاة بمياه الخليج العربى التى كانت تمتد وفقاً لهذا الرأى إلى مناطق أبعد بكثير مما تصل إليه فى الوقت الحاضر ، مما جعل الاستيطان البشرى مستحيلا .

كان كل هذا نظرية مقبولة فى المحافل الآثارية حتى سنة ١٩٤٧ حينما نشر الجيولوجيان « لبز » (Lees) و « فالكون » (Falkon) بحثاً قدم احتمالات ثورية بالنسبة إلى تأريخ أول استيطان فى بلاد سومر . فقد أوردا فى هذه الدراسة المعنوية « تأريخ سهول بلاد ما بين النهرين الجيولوجى »[١] دليلا جيولوجيا لإظهار أن بلاد سومر كانت فوق الماء قبل سنة ٤٥٠٠ — ٤٠٠٠ ق . م . بزمن طويل ، وأنه على هذا ليس مستحيلا أبداً أن يكون الإنسان قد استوطن هناك فى فترة أقدم بكثير مما كان يفترض بشكل عام . وقال صاحبا المقال إن سبب عدم الكشف حتى الآن عن آثار هذه المستوطنات المبكرة يعود إلى وجود عملية غوص بطيئة للأرض فى نفس الوقت الذى كان يرتفع فيه مستوى المياه ، وعلى ذلك ربما تكون أقدم طبقة من البقايا الحضارية فى بلاد سومر تحت الماء فى الوقت الحاضر ، ومن الجائز أن المنقبين لم يصلوا إليها مطلقا لأنهم كانوا يجرون خطأ بمستوى الماء العالى إلى الإعتقاد بأنهم قد وصلوا إلى الأرض البكر أى إلى بداية الاستيطان ، ولا يواصلون التنقيب ، فإذا ثبت أن هذا الرأى حقيقة لاشك فيها فإن أقدم بقايا سومر الحضارية ما زالت مطمورة لم تمس ، وقد يكون من الضرورى دفع تأريخ أولى المستوطنات السومرية نفسها مدة ألف سنة أو ما يقارب ذلك إلى الوراء .

ومهما يكن الأمر فإن من المؤكد إلى درجة معقولة أو أوائل المستوطنين فى بلاد سومر لم يكونوا من السومريين . ولا يأتى الدليل على هذا الرأى من مصادر آثارية أو أنثروبولوجية التى هى فى الواقع غامضة وغير حاسمة بالنسبة لهذا الموضوع ولكنه يأتى من الأدلة اللغوية . إن إسمى النهرين اللذين يهبان الحياة لبلاد سومر دجلة والفرات ، أو « ايديجلات » (Idiglat) و « بورانون » (Buranun) كما يقرآن

(١) Geographical Journal, CXVIII, 24 — 39.
للاطلاع على ترجمة المقال المذكور انظر العدد الثانى من مجلة كلية الآداب ، جامعة الكويت.
(المترجم)

فى المسارية كلمتان غير سومريتين ، كما أن أسماء أهم مراكز بلاد سومر — «أريدو» ، « أور » ، «لارسا »، « أيسن » ، « أدب ، « كولاب » ، «لجش » ، «نيبور» ، « كيش » كلمات ليس لها أصل لغوى سومرى مقنع . إن أسماء كل من النهرين والمدن أو بالأحرى القـــرى التى أصبحت فيما بعد مدننا ، لابد أن تـكون قد وضعت من قبل أناس لم يتـكلموا باللغة السومرية ، تماما كما تشير ، على سبيل المثال أسماء مثل « المسيسيبى » ، و « كنتيكت » و « مسجوست » و « دا كوتا » إلى أن سكان الولايات المتحدة الأوائل لم يتكلموا باللغة الإنـكليزية .

إن إسم مستوطنى بلاد سومر هؤلاء الذين سبقوا السومريين غـــير معروف بالطبع ، لأنهم عاشوا قبل اختراع الـكتابة بزمن طويل ولم يتركوا سجلات تدل عليهم . ولا نستطيع كذلك أن نعرفهم من الوثائق السومرية التى جاءت من وقت لاحق ، على الرغم من وجود احتمال ضئيل بأن بعضا منهم على الأقل كان يعرف فى الألف الثالث ق . م . باسم « السوباريين » . ولـكننا نعرف بدرجة لا بأس بها من اليقين بأنهم كانوا أول قوة ممدنة مهمة فى بلاد سومر القديمة — فقد كانوا أوائل فلاحيها وزراعها ، ومدجنى مواشيها ، وصيادى أسماكها ، وكانوا أوائل حائـكيها ، وصانعى جلودها ونجاريها وحداديها وصانعى فخارها وبنائيها . ومرة أخرى كان التحليل اللغوى هو الذى أمدنا بالدليل . ففى بحث نشر فى سنة ١٩٤٤ فى مجلة تتولى اصـدارها جامعة أنقرة[1] ، حلل « بينو لاندز برجر » (Beno Landsbargar) وهو واحد من أدق العقول فى البحث المسمارى — عدداً من الـكلمات السومرية الهامة من الناحية الحضارية — أى كلمات عرفت من الوثائق السومرية من الألف الثالث ق . م . ولذلك أفترض بصورة عامة أنها سومرية وأظهر أن هناك سبباً وجيهاً للاعتقاد بأنها ليست سومرية مطلقا ، لأن جميع هذه الـكلمات تتألف من مقطعين أو أكثر — بينما تتألف أغلبية الجـذور فى اللغة السومرية من مقطع واحد — وكانت تلك الـكلمات تمثل بصورة عامة نفس نموذج الـكلمات التى تعبر عن دجلة والفرات

Dil traik- Gografiaya Dergisi. 1/5. 11/3. iii. 2 (1943- 4) (١)

وأسماء المدن غير السومرية ، وخلص « لاندزبرجر » إلى رأى يقول إنها يجب أن تعود لذلك إلى اللغة التى كان يتـكلم بها نفس شعب ما قبل العهد السومرى الذى وضع أسماء نهرى بلاد سومر وأغلب مدنها . وكانت من بين الـكلمات تلك التى تعنى فلاح (اينجار engar) ، وراعى (أودول Udul) ، وصياد السمك (شوخاداك Shuhadak) ، ومحراث (آبين Apin) ، وحقل (آسپين Aspin) ، ونخلة (نيمبار Nimbar) ، وتمرة (سولومپ Sulump) وصانع المعدن (تيبيرا Tibira) ، وحائك (إشبار ishbar) وصانع الجلود (أشجاب Ashgab) ، وفخارى (پاخار Pahar) وبناء (شيديم Shidim) ؛ وربما حتى تاجر (داماجار Damager)[1] ، وهى كلمة أعتبرت فى كل مكان من العـالم تقريبا على أنها كلمة سامية أصيلة . وبناء على هذا يستنتج بأن الطرق الفنية الزراعية الأساسية والمهارات الصناعية لم تدخل لأول مرة إلى بلاد سومر من قبل السومريين وإنما من قبل أسلافهم الذين لا اسم لهم . وأطلق « لاندزبرجر » على هذا الشعب اسم ما قبل الفراتيين[2] . وهو اسم مربك إلى حد ما ولـكنه مع ذلك مناسب ومفيد من وجهة النظر اللغوية.

وفى علم الآثار ، يعرف شعب ما قبل الفراتيين باسم سكان العُبيد ، أى الشعب الذى تعود إليه البقايا الحضارية التى اكتشفت لأول مرة فى تل يعرف باسم «العُبيد» يقع بالقرب من مدينة «أور» ثم اكتشفت بعد ذلك فى الطبقات السفلى فى عدد من التلول فى جميع أنحاء بلاد سومر القديمة . وتتألف هذه البقايا من أدوات حجرية كالمغازق والفؤوس والرحى والمدقات والسكاكين ومن مصنوعات طينية كالمناجل والآجر وأثقال النول وفلـكات المغازل والهياكل الصغيرة ، كما تضم نموذجاً مميزاً ذا خصائص معينة من الفخار الملون . وعلى هذا، كان شعب ماقبل الفراتيين أو العبيديون كما استنتج من الدليل اللغوى ، مزارعين مغامرين أسسوا عدداً من القرى والمدن فى جميع أنحاء البلاد وطوروا اقتصاداً ريفيا ذا ثروة واستقرار جديرين بالاعتبار .

---

(١) تلفظ الجيم فى هذه الـكلمات كافاً فارسية (المترجم) .

Proto — Euphrates (٢)

على أن العبيديين لم يبقوا زمنا طويلا القوة المهيمنة فى بلاد سومر . فالى الغرب من بلاد سومر مباشرة تقع الصحراء السورية وشبه الجزيرة العربية ، وطن القبائل السامية منذ زمن سحيق بالقدم . وبينما استقر السومريون وازدهروا بدأ بعض من هذه الجموع السامية بالتسلل إلى مستوطناتهم كمهاجرين مسلمين وكفاتحين عسكريين. حقا إننا لا نمتلك حتى الآن دليلا مباشرا وحاسماً على هذا الاستنتاج الخطير ، على أنه من الممكن أولا أن يسلم به كأمر بديهى استنادا إلى ما هو معروف من تاريخ بلاد سومر المتأخر ، فقد كانت القبائل السامية البربرية تتسلل مرة بعد أخرى خلال آلاف من السنين وتستولى على مراكز بلاد سومر المستقرة ، ولا يوجد سبب للافتراض بأن مثل هذا لم يحدث أيضا فى الألف الرابع قبل الميلاد . ومن الناحية الثانية تحتوى حتى أقدم النصوص السومرية على عدد من الكلمات السامية المستعارة ، ويضم مجمع الآلهة السومرى عددا غير قليل من الآلهة التى هى من أصل سامى — ومن الجائز أن تعود هذه الاستعارات إلى أيام سحيقة جداً فى القدم . وأخيراً فأن أول سلالة فى بلاد سومر التى من الممكن التدليل على وجودها تأريخيا إلى درجة ما على الأقل ، وهى التى سميت سلالة « كيش » الأولى التى قامت وفقاً لما ذكره الكتاب القدامى أنفسهم بعد انحسار الطوفان مباشرة ، تبدأ بمجموعة كاملة من الملوك الذين يحملون أسماء سامية . ليس بين هذه الأدلة فى الواقع ما هو حاسم ، ولكن إذا أخذت جميعها بنظر الاعتبار فإنه يبدو من المعقول الحدس بأن الساميين تبعوا ما قبل الفراتيين إلى بلاد سومر ، وأنه كنتيجة للاخصاب المتبادل لحضارتهما ظهرت إلى الوجود أول مدنية راقية نسبيا فى بلاد سومر ، مدنية ربما كان فيها العنصر السامى هو السائد[1] .

ومهما كان الأمر ، فإنه من المحتمل جداً أن السومريين أنفسهم لم يصلوا إلى بلاد سومر إلا فى وقت ما فى النصف الثانى من الألف الرابع ق . م . أما أين كان موطنهم الأصلى فإنه أمر ما زال غير مؤكد تماماً . فإذا حكمنا من سلسلة القصص

---

(١) يختلف المؤلف فى هذا مع آراء معظم المؤرخين الذين يرون بأن السومريين سبقوا الساميين فى استيطان العراق (المترجم) .

الملحمية التي تدور حول « أينمركار » (Enmerker) و « لوجال بنـــدا » (Lugalbanda) يبدو أنه كان للحكام السومريين الأوائل علاقة قريبة ووثيقة إلى درجة غير اعتيادية مع دولة مدينة تعرف بإسم « أراتا » التي ربما كانت تقع في مكان ما في منطقة بحر قزوين . واللغة السومرية لغة ملصقة[1]، وتذكرنا إلى حد ما باللغات الطورانية وهذه الحقيقة ربما تشير أيضاً إلى نفس المنطقة العامة التي تشير إليها «أراتا».

ولـكن مهما كان المـكان الذي جاء منه السومريون وأيا كان نموذج الحضارة التي جاؤوا بها معهم فإن المؤكد ما يلي : لقد أدى وصولهم إلى دمج مثمر إلى درجة رائعة في كل من الأمور العرقية والحضارية مع السكان الأصليين وأحدث نشاطاً مفاجئاً خلاقاً مفعماً بأهمية غير قليلة بالنسبة لتاريخ المدنية . وبلغت بلاد سومر خلال القرون التي تعاقبت مستويات جديدة عالية في السلطة السياسية والثروة الاقتصادية وشهدت بعضاً من أروع إنجازاتها في الفنون والصناعات وفي العمارة الفخمة وفي الفـكر الديني والخلقي ، وفي الأسطورة والملحمة والترتيلة ، وفوق كل شيء ، إبتدع السومريون الذين أصبحت لغتهم تدريجاً هي اللغة السائدة في البلاد ، نظاماً للـكتابة طور فيما بعد إلى أداة فعالة للاتصال وخطوا الخطوات الأولى نحو تقديم تعليم منتظم .

إن أول حاكم سومري سجلت أعماله ، ولو في أقصر نوع من أنواع الروايات هو ملك يحمل إسم « إيتانا » (Etana) ملك « كيش » ، الذي ربما اعتلى العرش في وقت مبكر جداً من الألف الثالث قبل الميلاد . ووصف في قائمة الملوك بأنه «هو الذي رسخ كل البلدان » . وعلى افتراض أن هذه الرواية التي وجدت في وثيقة يعود تاريخها إلى ألف سنة أو حوالي ذلك بعد حكم « إيتانا » يحتوي على خبر يمكن الركون إليه ، فإن من الجائز الاستنتاج بأنه لم يفرض سلطته على بلاد سومر فقط ، وإنما على بعض البلدان المجاورة أيضاً — وباختصار ربما كان أول مؤسس امبراطورية معروف عند الإنسان . إن كون « إيتانا » شخصية شهيرة وفذة في تاريخ بلاد سومر المبـكر تظهره ملاحظة أسطورية محضة جاءت في نفس قائمة الملوك وهي أنه كان « رجلا

(١) للاطلاع على ما يقصد باللغة الملصقة أنظر ص ٧٠ ملاحظة (١) (المترجم) .

صعد إلى السماء » ، وقصيدة سامية أكدية كانت منتشرة فى أوائل الألف الثانى ق.م. تدور حول نفس هذه الفكرة الأسطورية . لقد كان « إيتانا » وفقاً لهذه الأسطورة، التى ربما سيظهر لها فى يوم ما فى المستقبل نموذج سومرى ، ملكا تقياً يخشى الإله ويمارس الطقوس الإلهية بإخلاص ومواظبة ، ولكنه أبتلى بعدم إنجاب الأولاد ، وعلى هذا لم يكن له ولد يواصل حمل إسمه . ولهذ كانت أعز أمنياته الحصول على « نبتة الإنجاب » التى كانت من ناحية أخرى تقع فى السماء بعيدة عن متناول البشر الفانى وحصل « إيتانا » من أجل الوصول إلى السماء على مساعدة نسر كان قد أنقذه من حفرة ألقته فيها حية خان صداقتها والتهم صغارها . وكانت هذه الأسطورة شائعة بشكل واسع بين العاملين فى نحت الأختام وذلك استنتاجاً من عدد الأختام التى تصور إنساناً يصعد نحو السماء على جناحى نسر . حقاً إن « إيتانا » لم يستقر فى السماء لأنه وفقاً لما جاء فى ترنيمة جنائزية مدونة على لوح طينى موجود فى متحف « بوشكن » (فى موسكو) وحسب ما جاء أيضاً فى اللوح السابع من ملحمة « جلجامش » الأكدية المعروف عند الباحثين منذ زمن طويل ، نجد « إيتانا » يسكن فى العالم السفلى الذى يجب أن ينزل إليه فى نهاية الأمر كل الذين مصيرهم الموت مهما عظمت انجازاتهم — باستثناء بطل الطوفان «زيوسودرا» (Ziusudra)، ولكن هذه التقاليد الأسطورية لا تساعد إلا على إظهار أن « إيتانا » كان شخصية قوية ومؤثرة جذبت حياته وأعماله خيال المنشدين والشعراء القدامى .

لقد تبع « إيتانا » حسب رواية قائمة الملوك سبعة حكام كان عدد منهم فى الواقع ساميين وليسوا سومريين وذلك استنتاجاً من أسمائهم، وكان ثامنهم الملك «إينمبراجيس» الذى نملك بعض المعلومات التاريخية عنه ، أو على الأقل معلومات تشبه القصص البطولية جاءت من كل من قائمة الملوك ومن المؤلفات الأدبية السومرية المتأخرة الأخرى . يضاف إلى ذلك أن نصاً معاصراً ثميناً مكوناً من ثلاث كلمات على كسرة صغيرة من إناء مرمرى أكتشف فى وقت قريب جداً من قبل شاب متخصص بالسومريات يعمل فى بغداد يثبت دون أى شك على أنه لم يكن ملكاً أسطورياً أبداً

وإنما كان إنساناً بدم ولحم حقيقيين[1] . وحوالى الوقت الذى اعتلى فيــه « إينمبراجيش » عرش « كيش » برزت دولة مدينة أخرى على مسافة بعيدة إلى الجنوب من مدينة « كيش » وكانت تتحدى سيادة هذه المدينة ، لأنه بعد انتهاء حكم « إيتانا » بمدة قصيرة يبدو أن ملــكاً باسم « ميسكياجاشر » وصف فى قائمة الملوك بـ « ابن أوتو (الآله — الشمس عند السومريين) » أسس سلالة طموحة وقوية فى مدينة « الوركاء » (أوروك) التى ما زالت تعرف فى أيامه باسمها القديم « أى — أنا » أى « بيت آن (الاله — السماء) » . ومن الجائز أنه قام بمحاولة لمد حكمه إلى مقاطعات فى كافة أنحاء بلاد سومر وإلى ما وراءها بمسافة بعيدة ، وذلك استناداً إلى ملاحظات غامضة وغير واضحة ألحقت باسمه فى قائمة الملوك تقول « إنه اجتاز البحار وتسلق الجبال » . ومهما كان الأمر فإن ابنه « إينمر كار » — الذى أعقبه على العرش حسب رواية قائمة الملوك ولــكنه أعطى فى القصائد الملحمية لقب « ابن أوتو » — وهو نفس اللقب الذى أعطى إلى أبيه فى قائمة الملوك — كان بالتأكيد واحداً من الشخصيات البارزة فى تاريخ سومر المبــكر — فهو الذى شيد وفقاً لرواية قائمة الملوك مدينة « الوركاء » ، وقاد وفقاً ، لما ورد فى القصص الملحمية، حملة ضد « أراتا » فى جوار بحر قزوين وأخضعها إلى « الوركاء » .

وكان « لوجال بندا » ، أحد رسل « اينمر كار » الأبطال ورفاقه فى السلاح فى كفاحه مع « أراتا » هو الذى أعقبه على عرش « الوركاء » . ولما كان هو البطل الرئيسى فى قصتين ملحميتين على الأقل فمن المؤكد أنه كان أيضاً حاكماً محترماً ومثيراً للإعجاب ، وليس من المستغرب أن نجده فى حوالى سنة ٢٤٠٠ ق . م . بل وربما فى تاريخ أقدم من ذلك ، قد أُلِّــه من قبل رجال الدين السومريين وأعطى مكاناً فى مجمع الآلهة السومرى . ولسوء الحظ لا تعطينا قائمة الملوك والقصص الملحمية أية معلومات عن إنجازاته السياسية والعسكرية ما عدا أنه رافق « إينمر كار » فى حملته إلى أراتا » .

(١) D.O. Edzard in Zeitschrift für Assyriologie, L111 (1959), 9 — 26.

لقد جاء بعد « لوجال بندا » ، وفقاً لقائمة الملوك ، « دوموزى » (Dumuzi) ، وهو حاكم أصبح فيما بعد شخصية هامة فى « شعيرة زواج مقدس » سومرية وفى أسطورة « الإله — المتوفى » التى تركت أثراً عميقاً فى العالم القديم . وفى الواقع ، إن نساء القدس كن ما زلن يندبن موته بشكل أثار اشمئزاز النبى «حزقيال» الشديد فى القرن السادس ق . م . (حزقيال ١٤ : ٨) . ويحمل أحد الأشهر فى التقويم العبرى (والعربى) اسمه إلى هذا اليوم وأن الصوم والحزن اللذين يميزان يومه السابع عشر يرجعان بلا شك إلى الأيام السومرية السحيقة فى القدم . أما لماذا بالضبط اختير « دوموزى » من قبل رجال الدين السومريين المتأخرين كبطل لهذه الشعيرة والأسطورة بشكل خاص ، فإنه أمر ما زال مجهولا ، ولا بد أنه كان يعود على الأقل فى جزئه الأكبر إلى الأثر العميق الذى تركه « دوموزى » خلال حياته كرجل وكحاكم على السواء ، ولكن لا توجد حتى الآن معلومات تاريخية من أى نوع كان لتأييد وجهة النظر هذه .

وجاء بعد « دوموزى » حسب قائمة الملوك « جلجامش » وهو حاكم أكسبته أعماله شهرة واسعة إلى حد أنه أصبح بطل الأسطورة والخرافة السومرية الأسمى . لقد كتبت القصائد التى تمجد « جلجامش » وأعيدت كتابتها خلال كل العصور ليس باللغة السومرية فقط ، وإنما فى أغلب لغات غرب آسيا الأخرى الهامة ، وأصبح « جلجامش » بطل العالم القديم بلا منازع — شخصية مغامرة وشجاعة ولكنها محزنة ترمز إلى جهود الإنسان العقيمة التى لا تتوقف فى سبيل الحصول على الشهرة والمجد والخلود — ووصل الأمر إلى حد أن الباحثين المحدثين نظروا إليه أحياناً كشخصية أسطورية أكثر مما كانوا ينظرون إليه كرجل وحاكم حقيقى . وما زلنا لا نملك سجلات معاصرة له إلا أن هناك أملا بأن تكشف التنقيبات الجارية فى الوقت الحاضر فى مدينة « الوركاء » شيئاً ما عاجلا أو آجلا . على أنه فى سنة ١٩٥٥ خرجت إلى النور العشرة أسطر الأولى من نص « التومال » الذى كان معروفاً منذ وقت طويل وسلطت ضوءاً جديداً تماماً على « جلجامش » وأيامه . وفى الواقع

تساعد هذه القطعة — على ما هى عليه من اختصار — على توضيح الوضع السياسى فى تلك الأيام المبكرة من التاريخ السومرى بصورة رائعة وغير متوقعة بحيث أصبح من المستحسن الدخول فى الموضوع بشىء من التفصيل .

لقد كانت السلالات السومرية الثلاث الأولى وفقاً لقائمة الملوك سلاله « كيش » و « الوركاء » و « أور » وكان تعاقبها بهذا التسلسل . ولكنه عرف من الملحمة السومرية والتقاليد المستنتجة من التراتيل منذ مدة أن آخر ملكين من سلالة « كيش » وهما « ايعبرا جيش » (الذى كما قلنا سابقاً نملك الآن منه نصاً معاصراً) ، وابنه « آجا » (Agge) ، كانا معاصرين لـ « جلجامش » ، خامس ملوك « الوركاء » الذى تعرض من قبلهما لكفاح مرير من أجل السيادة على بلاد سومر[1] . ولذلك كان من المقبول بوجه عام بين علماء المسماريات الرأى القائل بأن سلالة « كيش » الأولى وسلالة «الوركاء» الأولى تعاصرتا مع بعضهما البعض مدة طويلة . أما بالنسبة لسلالة « أور » الأولى التى نملك منها الآن عدة نصوص معاصرة ، فإن كافة الباحثين تقريباً يعتقدون بأن مؤسسها « ميس انيبادا »(Mesannebadda) قد عاش فى زمن متأخر جداً عن زمن « جلجامش » ملك « الوركاء » وتتراوح الفترة الفاصلة التى يقترحها العلماء بين هذين الحاكمين من الأربعين سنة إلى مدة تصل إلى أربعمائة سنة ، ولذلك جاءت لحد ما كصدمة ملاحظة أن «ميس آنيبادا» كان فى الواقع معاصراً لـ «جلجامش» وأكبر منه سناً وذلك كنتيجة للدليل الجديد المستند إلى فقرة لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت مؤلفة مما لا يزيد على عشرة أسطر — وملاحظة أن «ميس آنيبادا» ملك « أور » كان هو الذى قضى على سلالة « كيش » الأولى ، وليس « جلجامش » ، أو بقدر ما يتعلق الأمر بهذا الموضوع أى حاكم آخر من حكام سلالة « الوركاء » الأولى على الرغم من العبارة الواردة فى قائمة الملوك التى تقول « كيش ضربت بالأسلحة ونقلت ملكيتها إلى أى — أنا » .

(١) للاطلاع على تفصيلات هذا الكفاح أنظر ملحمة « جلجامش وآجا » الفصل الخامس .

إن الوثيقة التي يستند إليها الدليل الجديد هـذا هو النص التاريخي المـكون من ٢٤ سطراً المذكوز آنفاً ، والمعروف بنص « التومال » : « والتومال » هو اسم منطقة فى مدينة « نفّـر » كرست للإلهة « ننليل » ، وكانت بلا شك تضم أهم معبد لها . وباستثناء العشرة أسطر الأولى ، كان نص « التومال » معروفاً كله تقريباً منذ سنة ١٩١٤ حينما نشر « آرنوپوبل » فى كتابه « النصوص التاريخية »[١] لوحين كتبت عليهما هذه القطعة التي تقرأ ابتداء من السطر ١١ على الوجه التالى :

١١ — للمرة الثانية تهدم « التومال »[٢] .

١٢ — « جلجامش » سيد « نومونبورا » بيت « أنليل » .

١٣ — « أورلوجال » بن « جلجامش » .

١٤ — جعل « التومال » مبجلا .

١٥ — جلب « ننليل » إلى « التومال » .

١٦ — للمرة الثالثة ، تهدم « التومال » .

١٧ — وشيد « نانا « المنتزه العظيم » لبيت « ننليل » .

١٨ — « ميسكى آج — نانا » بن « نانا » .

١٩ — جعل « التومال » مبجلا .

٢٠ — وجلب « ننليل » إلى « التومال » .

---

(١) (Vol. IV, No. 1, o3) Publications of the Babylonian Section ofthe University Museum of the University of Pennsylvania)

(٢) فى ترجمة النصوص المذكورة فى هذا الـكتاب تمثل النقطتان حذف كلمة والنقاط الثلاث حذف كلمتين والنقاط الأربع حذف ثلاث كلمات أو أكثر ، وتمثل المعقفات [ ] إعادة أجزاء مشكوك فيها من النص ، والهلالان ( ) يدلان على أن الـكلمات وضعت لتساعد على فهم المعنى وليست من أصل النص . وتـكتب الـكلمات السومرية بالحروف اللاتينية ، وحينما لا يعطى المعنى ، فإن ذلك دليل على أنه غير معروف . (أما فى الترجمة العربية فتوضع الـكلمات السومرية داخل « ») .

٢١ — للمرة الرابعة تهدم « التومال » .

٢٢ — « أور ـ نامو » شيد « ايكور »[1] .

٢٣ — « شولجى » ، بن « أور ـ نامو » .

٢٤ — جعل « التومال » مبجلا .

٢٥ — وجلب « ننليل » إلى « التومال » .

٢٦ — للمرة الخامسة ، تهدم « التومال » .

٢٧ — ومن سنة « أمار ـ سين » .

٢٨ — حتى (السنة التى كان فيها) « أبى ـ سين » الملك .

٢٩ — « إينا مجلانا » كـ (أين « سيد ») لـ « لوركاء » .

٣٠ — قد انتخب .

٣١ — وجلبت « ننليل » إلى « التومال » .

٣٢ — ووفقاً لـكلمة « لو — ابنانا » ، « أشجاب — جال » « أنليل » .

٣٣ — شيد « أشبى — إيرا » « إيكور أجيجالا » .

٣٤ — مستودع « أنليل » .

لقد كان واضحاً من هذا النص ، حتى مع فقدان بدايته ، بأن مؤلفه الذى عاش فى أيام « أشبى — إيرا » ، مؤسس سلالة « إيسن » الأولى ، كان يقصد تقديم نبذة تاريخية مختصرة عن البنايات المتعددة فى حى معبد « أنليل » فى مدينة « نفّر » وبصورة خاصة عن إعادة تعمير « التومال » العائد للإلهة « ننليل » (زوجة الإله أنليل) . يضاف إلى ذلك أن نموذج الأسلوب المدهش إلى حد ما الذى استخدمه المؤلف جعل من الممكن استخلاص الصفة العامة لمحتويات الخمسة أسطر المفقودة التى

(١) معبد الاله « انليل » فى مدينة « نفر » ، ويعنى الاسم (بيت الجبل) . (المترجم) .

تسبق السطر الحادى عشر مباشرة ، ولو أن ذلك لا يشمل أسماء الأشخاص المعنيين .
وعلى هذا لما كان النص المعروف قد بدأ بالفقرة التالية المكونة من خمسة أسطر .

للمرة الثانية تهدم « التومال » .

« جلجامش » شيد « نومونبورا » بيت « أنليل » .

« أور — لوجال » ، بن « جلجامش » .

جعل « التومال » مبجلا .

جلب « ننليل » إلى « التومال » .

يبدو من المعقول الاستنتاج بأن الفقرة المكونة من الخمسة أسطر التى تسبق هذه كانت على الوجه التالى .

للمرة الأولى تهدم « التومال » .

(س) شيد بناية (ص) فى بيت « أنليل » .

(ش) ابن (س) .

جعل « التومال » مبجلا .

جلب « ننليل » إلى « التومال » .

أما بالنسبة للفقرة الواقعة فى بداية النص تماماً فلا توجد طريقة تمكن من استنتاج محتوياتها ولو أنه يبدو من المعقول أن نحزر فقط بأنها ينبغى أن تكون قد ذكرت الشخص الذى بنى لأول مرة معبد « أنليل » و « التومال » .

لحسن الحظ ، لم تعد هناك الآن أية حاجة للتخمينات والإستنتاجات أو إعادات لبناء النص ، لأن الفقرة المكونة من عشرة أسطر قد وجدت كلها على لوحين من الطين فى مجموعة « هلبرشت » (Hilbrecht) فى جامعة فردريش شيلر (فى يينا بألمانيا الشرقية) ، ودرسها لأول مرة خلال إقامة دامت عشرة أسابيع فى « يينا »

فى خريف ١٩٥٥ واستنسخها « آينز برنهارت »(Inez Bernhardt) مساعد أمين مجموعة « هلبرشت » لتنشر فى مجلد من النصوص الأدبية ظهر فى سنة ١٩٦١ . إن كلا اللوحين مؤلفان من كسر متعددة ولكنه لحسن الحظ أكمل أحدهما الآخر إلى درجة لم تعد معها هناك علامة واحدة مفقودة من الفقرة الأولى المكونة من عشرة أسطر . وها هو ما تقوله هذه الفقرة .

(١) « اينمبي اجيس » ، الملك

(٢) فى هذه المدينة نفسها (أى نفر) شيد بيت « اتليل » ،

(٣) « آجا » ابن « اينمبراجيس »

(٤) جعل « التومال » مبجلا ،

(٥) جلب « ننليل » إلى « التومال » .

(٦) لأول مرة تهدم « التومال » ،

(٧) « ميس آنيپادا » شيد « بورشوشوا » بيت « انليل » .

(٨) « ميسكى آجنونا » بن « ميس آنيپادا »

(٩) جعل « التومال » مبجلا

(١٠) جلب « ننليل » إلى « التومال » .

ثم يستمر النص :

(١١) للمرة الثانية تهدم « التومال » .

(١٢) « جلجامش » ، الخ .

فما لم نفترض بأن نص «التومال» لا قيمة له من الناحية التاريخية ، فإن هنا إذن دليل قاطع بأن لاميس آنيپادا » بل وحتى ابنه « ميسكى آجونا » سبقا « جلجامش » فى السيطرة على مدينة « نفر » وبما أنهما على كل حال جاء بعد « آجا » ، الذى كان

نفسه معاصراً « لجلجامش » وفقا للتسلسل الزمنى بين أحداث « جلجامش — آجا » المذكور أعلاه . فمن الواضح أنهما كانا معاصرين أيضا « لجلجامش » . ان الحوادث التاريخية المذكورة والمتضمنة فى نص « التومال » المكتشف حديثا ربما يحتم إعادة كتابتها على الصورة التالية :

فى الكفاح من أجل السلطة فى بلاد سومر بأسرها ، أنتزع « ميس آنيپادا » مؤسس سلالة « أور » الأولى السيطرة على « نفر » من « آجا » ، آخر حكام سلالة « كيش » الأولى ، ولعله هاجم فى الواقع « كيش » نفسها وكان مسؤولا بشكل مباشر عن سقوط « آجا » الذى يوضح سبب ادعاء « ميس آنيپادا » بلقب « ملك كيش » بدلا من لقب « ملك أور » فى نص وجد على خاتمه الخاص ، لأن لقب « ملك كيش » كان يحمل فى طياته شهرة مشرفة فى كل الأزمان . ولكن « ميس آنيپادا » كان بالتأكيد طاعنا فى السن فى الوقت الذى سقطت فيه مدينة « نفّر » فى يده ، ولذلك لم يكن لديه من الوقت إلا ما يكفى لتشييد بناية جديدة واحدة فقط وذلك فى حى معبد « أنليل » ، وهى « البورشوشوا » ، وترك الأمر لابنه « ميسكى آجنونا » لإعادة بناء « التومال » للالهة « ننليل » . إلا أن « جلجامش » ، الذى كانت له على ما يبدو مشاكله الخاصة مع « آجا » حاكم « كيش » عندما كان شابا بالإضافة إلى مشاكله مع والده « اينمبراجيس » ، أنهى سيطرة « ميسكى آجنونا » على « نفر » ، بيد أن « جلجامش » كان فى الوقت بكل تأكيد طاعنا فى السن أيضا ، وعلى أية حال لم يكن هو وانما ابنه « أور — لوجال » الملك الذى أعاد بناء « التومال » .

ولما كان « ميس آنيپادا » مؤسس سلالة « أور » الأولى ، أكبر سنا من معاصره « جلجامش » الذى ربما حكم فى وقت ما حوالى سنة ٢٦٠٠ ق . م . — لأنه ألّه فعلا حوالى ٢٥٠٠ ق . م — فإن تأريخ حكمه يكون أقدم بحوالى قرن من التأريخ الذى كان يضعه له الباحثون عادة استناداً إلى الدليل المستمد من الكتابات ، إلا أن هذا الدليل بعيد كل البعد عن كونه دليلا حاسما . على أن هذا يثير مشكلة أخرى تتصل بالتعاقب التأريخى لا يمكن حلها فى الوقت الحاضر ، ولكنها ينبغى أن تبقى عالقة بالذهن . ففى أثناء عملية التنقيب فى المقبرة الملكية المشهورة فى مدينة « أور »

اكتشف خاتم اسطوانى من صدف أبيض كتبت عليه الكلمات « ميسكلا مدوج ، ملك » وخاتم أسطوانى آخر كتبت عليه الكلمات « أكلا مدوج ملك أور » .
إن قائمة الملوك لم تذكر أحداً من هذين الملكين ، ولذلك لا توجد طريقة أخرى لمعرفة ما إذ سبقنا « ميش آنيبادا » أو جاءا بعده . ويدعى المنقب السير « ليونارد وولى » أنه لما كانت عدة طبعات ختمية تحمل إسم « مس آنيبادا » قد اكتشفت بين أكوام من الأنقاض المنتشرة على الجزء الخاص بالمقبرة الملكية التى عثر فيها على خاتمى « ميسكلا مدوج » و « أكلامدوج » فإنه لابد أن يكون هذان الملكان أقدم فى تأريخهما من « ميس آنيبادا » . أن من الجائز أن يثبت هذا الرأى فى نهاية الأمر ، ولكن هناك مجالا كبيراً للخطأ حينما يصل الأمر إلى تفسير الدليل الآثارى والدليل المستمد من الطبقات الآثارى والدليل المستمد من الطبقات الآثارية المتعاقبة ، وإن إمكانية تقدم « ميس آنيبادا » على الملكين الآخرين ينبغى ألا تهمل .

إن الكفاح المرير المثلث الزوايا من أجل السيادة بين حكام « كيش » و « الوركاء » و « أور » لابد أن يكون قد أضعف إلى درجة خطيرة بلاد سومر وأوهن قوتها العسكرية . وعلى أية حال فقد نقلت الملكية ، حسب رواية قائمة الملوك ، فى أعقاب سلالة « أور » الأولى مباشرة إلى جهات غربية ؛ إلى مملكة « أوان » ، وهى دولة مدينة عيلامية لا تبعد كثيراً عن مدينة « سوسة » [1] . أما كيف ومتى أفاقت سومر من هذه الصدمة فإنه أمر مشكوك فيه جداً . فقائمة الملوك تنص على أن « أوان ضربت بالأسلحة » وأن ملكيتها « نقلت إلى كيش » ولكنه حتى هذا التأريخ لم تكتشف أى نصوص تعود إلى حكام هذه السلالة ، أى سلالة « كيش » الثانية ، هذا بالإضافة إلى حقيقة أن سلالة « كيش » الثانية قد أعقبتها سلالة عيلامية أخرى وهى سلالة « حامازى » ، مما يشير ، على ما يبدو ، إلى أن السومريين لم يستعيدوا بعد قوتهم السابقة . وجاءت بعد سلالة « حامازى » ، وفقاً لرواية قائمة الملوك ، سلالة ثانية فى « الوركاء » لم تكتشف لها حتى الآن مواد كتابية .

---

(١) « سوسة » عاصمة الدولة العيلامية التى قامت فى جنوب غرب إيران وكانت لها صلات حضارية واقتصادية وسياسية متينة مع دول جنوب العراق . (المترجم)

وبتتبع هذه السلالة نصل إلى ملك كان على الأرجح منقذ بلاد سومر . إن إسم هذا الملك هو « لوجال آنيموندو » من ملوك مدينة « أدب » إلذى تنسب إليهقائمة الملوك حكماً طويلا لا يصدق يبلغ تسعين سنة . لقد ترك « لوجال آنيموندو » خلفه وثيقة تشير إلى أنه كان فاتحاً عظيما وقائداً عسكرياً سيطر على كل الهلال الخصيب ، من البحر الأبيض التوسط إلىجبال زاجروس . صحيح أن هذا النص وصل إلينا بشكل نسخة فقط يتأخر تأريخها مدة ألف سنة تقريباً عن الحوادث التى يسجلها ، إلا أن محتوياته فصلت بعناية ودقة وبشكل مقنع وتبدو أنها حقائق يمكن الاعتماد عليها إلى درجة كبيرة .

كان « لوجال آنيموندو » وفقاً لهذه الوثيقة ، « ملك الجهات الأربع للعالم » ملكا « جعل كل الأقطار الأجنبية تدفع له أتاوة ودائمة ، ومن حقق السلام (حرفياً جعلهم يضطجعون فى الحقل) لشعوب جميع الأقطار ، ومن شيد معابد جميع الآلهة العظيمة ، والذى أعاد سومر (إلى مجدها القديم) ، ومن مارس الملكية فوق العالم بأجمعه » . ثم يستمر النص فيسمى ثلاثة عشر « أنسيا » (أى أميراً) مع دول — مدنهم التى يسيطرون عليها تجمعوا فى ثورة ضده ويذكر بأنه أوقع الهزيمة بهم . إنه لمن المفيد أن نلاحظ بأن هؤلاء « الأمراء » ، حتى أولئك الذين كانوا يحكمون الممالك العيلامية ، كانت أسماؤهم سامية . واحتل « لوجال آنيموندو » بعد ذلك بلاد « جوتى » التى يعرف من نصوص متأخرة بأن سكانها كانوا أعداء بلاد سومر الذين يثيرون الرعب أكثر من شىء آخر ، كما استولى على عدد من الأقطار الأخرى . ولكن النص لسوء الحظ مهشم جداً عند هذه النقطة .

ولقد خصص الجزء الرئيسى من هذا النص ألى الحديث عن بناء معبد فى مدينة « أدب » يسمى « إينامزو » كرس إلى إلهة المدينة الرفيعة ، الإلهة الأم « ننتو » . وكان المعبدجديراً بالملاحظة بشكل خاص بسبب بواباتهالسبع وأبوابه السبع ، التى كان لكل منها إسم خاص مثل « البوابة الشامخة » و « البوابة العظيمة » و « بوابة القرارات (الإلهية) » والباب الرفيع » و « باب الظل المنعش » وإلى آخره .

ويستمر النص قائلا بأنه بعد أن اكتمل بناء المعبد ، كرسه « لوجال آبيموندو » إلى الإلهة مع تقديم قرابين مكونة من « سبع مرات سبعة » ثيران مسمنة وشياه مسمنة بحضور وزراء أو « سوكالماخ » من بلاد « جبـــل الأرز » و « عيلام » و « مرخاشى » و « جوتى » و « سوبير » و « مارتو »و« سوتى » و «أى—أنا» (إسم مملكة الوركاء القديم) ، جاؤا يحملون القرابين إلى معبد « أدب » وذلك للمشاركة فى الاحتفال. إن هذا النص التكريسى البالغ الروعة ينتهى بعد ذلك بالنصيحة القائلة بأن الإلهة « ننتو » ستهب حياة طويلة إلى أمراء هذه الأقطار السبعة إذا استمروا بإرسال النذور والقرابين إلى معبد « إيفامزو » فى « أدب » .

وعلى هذا فقد كان « لوجال آنيموندو » ، كما هو واضح من النص ، واحداً من أقوى حكام بلاد سومر وأنشطهم ، ونستنتج من أسماء مواقع الأقطار التى سيطر عليها — مثل بلاد « جبل الأرز »و« عيلام »و« مرخاشى »و « جوتى » فى الشرق و « سوبير » فى الشمال ، و « مارتو » فى الغرب ، و « سوتى » و « أى — أنا » فى الوسط والجنوب ، بأنه كان جديراً بتسمية نفسه حاكم « الجهات الأربع » للعالم . أما بالنسبة لتأريخ حكمه ، فربما يعود إلى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد ، أى بمقدار نصف قرن أو ما يقرب من ذلك على الأقل قبل حكام بلاد سومر الذين بإمكاننا أن نتوصل إلى تواريخهم بدقة بالحسابات الدقيقـــة مع الاستعانة بنصوص مدينة « لجش » لأن هؤلاء الحكام كان يخلف أحدهم عن الآخر فى تتابع متصل بحيث لا يتركون مجـالا لشخصية قوية وبارزة كشخصية « لوجال آنيموندو » التى لا يمكن إهمالها .

ولدينا إبتداء من حوالى سنة ٢٥٠٠ ق . م . وإنتهاء بحوالى ٢٣٥٠ ق . م . سلسلة كاملة من النصوص التكريسية التى تمكننا من إعادة كتابة تاريخ متصل تقريباً لبلاد سومر — على الأقل بقدر ما يتعلق الأمر بالشخصيات والأحداث الكبيرة . وتأتى هذه النصوص بالدرجة الأولى من « لجش » ، وهى دولة — مدينة تقع فى الجزء الجنوبى الشرقى من بلاد سومر ، ولكنها لسبب غير معروف حتى الآن لم تذكر

فى قائمة الملوك على الرغم من أنها لعبت دوراً مهماً للغاية فى تاريخ بلاد سومر السياسى بين حوالى سنة ٢٤٥٠ و ٢٣٠٠ ق.م. حقاً أن « لجش » لم تكن سوى واحدة فقط من الممالك التى تكونت منها بلاد سومر خلال هذه المدة البالغة مائة وخمسين عاماً ، لأنه كان هناك أكثر من ست ممالك أخرى قائمة إلى جانب بعضها البعض مثل « مارى » و « أدب » و « الوركاء » و « أور » و « كيش » و « أكشاك » ، ولكننا لسوء الحظ لا نعرف إلا قليلا مما حدث فيها ، لأنه لم يصل إلينا أى شىء تقريباً غير أسماء حكامها ، ونادراً ما نجد نصاً يسجل حادثة سياسية أو عسكرية مهمة، بينما يوجد لدينا من الناحية الثانية من « لجش » عدة مئات من النصوص التكريسية، وعلى حين أن الأغلبية العظمى منها مقتضبة وتحتوى على تكرار كثير فإن لعدد منها قيمة بارزة بالنسبة لتاريخ هذه الفترة. إن هذا يعنى بالطبع أننا نرى الأحداث من خلال نظر سكان « لجش » ، ولكنه إذا ما حكمنا من تلك الحالات التى يمكن تأييدها من مصادر أخرى ، فإن المؤرخين اللجشيين كانوا على ما يبدو يحترمون الحقيقة ويدونون الحقائق كما حدثت فى الواقع ، على الرغم من أن الطابع الدينى للأسلوب التاريخى الذى طوروه كان غامضاً ومربكا فى بعض الأحيان .

ومن هذه النصوص اللجشية بالدرجة الأولى يمكننا إذن إعادة بناء الأحداث التاريخية التى أوشكنا على تلخيصها فيما يأتى :

لقد ظهر بعد سنة ٢٥٠٠ ق . م . بوقت قصير على المسرح السومرى حاكم أطلق عليه إسم « مسيليم » (Mesilim) ، الذى أطلق على نفسه لقب ملك « كيش » ، وكان على ما يبدو مسيطراً على جميع أرجاء القطر — ففى « أدب » عثر على عدد من أدواته التى تحمل نقوشاً كتابية ، وأهم من ذلك كله كان الحكم المسؤول فى نزاع الحدود المرير بين مملكتى « لجش » و « أوما » ، وبعد جيل أو ما يقرب من ذلك بعد حكم « مسيليم » أى سنة ٢٤٥٠ أو حوالى ذلك نصب رجل يسمى « أور — نانشة » نفسه ملكا فى مدينة « لجش » وأسس سلالة قدر لها أن تدوم مدة خمسة أجيال . ولا نعرف من أين جاء « أور — نانشه » أو كيف تولى السلطة — بل هناك احتمال ضئيل

بأنه لم يكن فى الأصل سومريا بل كان ساميا من قطر يعرف باسم « تيد نوم » يقع إلى الغرب من بلاد سومر . ومهما يكن الأمر ، فإنه خلف وراءه حوالى خمسين نصاً على ألواح طينية وصفائح وقواعد أبواب وآجر ومسامير ، تسجل بالدرجة الأولى أخبار المعابد وحفر القنوات ونحت التماثيل الإلهية [1] . على أن واحدة من الجمل التى تظهر باستمرار فى هذه النصوص تحمل معانى سياسية واقتصادية ذات صفة تثير دهشة كبيرة ولو أنه لا بد من ملاحظة أن هذه الترجمة المقدمة هنا لم تثبت بعد صحتها تماماً . يقول النص « إن سفن «دلمون» جلبت إليه أى أور — نانشه خشباً كأتاوة أجنبية» ويشير هذا ضمناً إلى أن « أرو — نانشه » كان من القوة بحيث تمكن من السيطرة على عدد من الأقطار الأجنبية التى تقع وراء الخليج العربى [2] . على أنه لا يوجد حتى هذا التأريخ دليل آخر يؤكد صحة ادعاء واسع كهذا ، وقد يكون من المستحسن ترك هذا الموضوع ليبقى من الأمور المشكوك فيها فى الوقت الحاضر .

وتولى عرش «لجش» بعد « أرو — نانشه » أحد أبنائه ، وهو « أ كورجال » وواجه فى وقت مبكر من حكمه ، كما هو واضح ، مشاكل من سكان « أوما » وكان حكمه قصير الأمد وأعقبه إبنه « أياناتم » الذى جعلته انتصاراته العسكرية أقوى شخصية فى زمانه ، وكان من القوة إلى درجة تجرأ معها لمدة بضع سنوات على الأقل على ادعاء لقب «ملك كيش» الذى يحمل فى طياته ادعاء بالسيطرة على بلاد سومر كلها . لقد بدأ حكمه بسلام مكنه من بناء وإعادة بناء تلك الأجزاء من مملكته التى لا بد أنها قد دمرت من قبل سكان مدينة « أوما » فى أيام الملك « أ كورجال » ، بيد أنه بدأ فى وقت لاحق سلسلة من المغامرات العسكرية المظفرة وجهت ضد بلاد «عيلام» فى الشرق و « أوما » فى الشمال و « الوركاء » و « أور » فى الغرب ، هذا دون أن نذكر المدن المتعددة التى ما زالت مواقعها غير محددة . إن الأسباب المباشرة لهذه الحروب غير معروفة ما عدا الحالة مع «أوما» لأن لدينا وصفاً لهذا الكفاح فى الوثيقة

---

(١) توجد ثلاثة نصوص مختصرة فى الملحق (ج) .

(٢) لتحديد موقع « دلمون » أنظر الفصل الثامن .

المفصلة التى أعدها أحد القائمين على سجلات الملك « اينتميفا » ، ابن أخ « أياناتم »، وربما نستطيع بفضل هذه الوثيقة إعادة كتابة خلفية الصدام بين «لجش» و «أوما» وقصة هذا الصدام ودور « أياناتم » الذى نجح نجاحاً موقتاً على الشكل التالى :

فى الأيام التى كان فيها « مسيليم » ملكا على مدينة « كيش » وعلى الأقل سيد بلاد سومر الأسمى ، نشأ نزاع بشأن الحدود بين مدينتى « لجش » و « أوما » ، اللتين اعترفتا على ما يبدو « بمسيليم » كسيد لهما . وبدأ « مسيليم » التحكيم فى الخلاف بتحديد خط الحدود بين المدينتين وفقاً لما صور على أنه وحى من «ستران» وهو إله موكل بحل المشاكل . وأقام علاوة على ذلك مسلة كتب عليها نص لتحديد المكان ومنع المنازعات فى المستقبل .

إلا أن القرار الذى يفترض بأن الطرفين قد قبلاه ، كان كما يبدو لصالح مدينة « لجش » على حساب « أوما » . وعلى أية حال ، لم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى انتهك « أوش » حاكم « أوما » شروط القرار . إن زمن ذلك لم يذكر ، ولكن هناك دلائل تشير إلى أن هذا الانتهاك وقع قبل تأسيس « أور — نانشه » لسلالته فى « لجش » بفترة قصيرة — فقد انتزع « أوش » مسلة « مسيليم » ليعلن عدم التزامه بشروطها ومن ثم عبر الحدود واحتل أقصى شمال المنطقة العائدة إلى « لجش » والمعروفة باسم « جوايدينا » .

لقد بقيت هذه المنطقة بأيدى الأومانيين إلى أيام «أياناتم» ، حفيد «أور — نانشه» الذى هاجم الأومانيين ودحرهم وعقد معاهدة حدود جديدة مع « إيناكالا » أمير « أوما » (فى ذلك الوقت) ثم قام بحفر قناة على طول الحدود الجديدة ليساعد أيضاً على تحقيق خصوبة منطقة «جوايدينا» ، وأقام هناك لأغراض تتعلق بالمستقبل مسلة « مسيليم » القديمة بالإضافة إلى عدة مسلات خاصة به ، وشيد عدداً من المبانى والهياكل لعدد من أكثر الآلهة السومرية أهمية . أضف إلى ذلك أنه ترك جانباً من الأراضى الزراعية فى جهة «أوما» من قناة الحدود لتكون حداً فاصلا وذلك للمساعدة

على التقليل من كل ما يمكن أن يكون مصدراً للنزاع فى المستقبل بين « أوما » و « لجش » . وأخيراً وافق « أياناتم » ، ولعل ذلك كان فى محاولة لتلطيف مشاعر الأومانيين إلى حدما لأنه كان متحمساً لتوسيع فتوحاته فى جهات أخرى ، بالسماح لهم بزراعة الحقول الواقعة فى « جوايدينا » ، بل حتى فى مناطق أبعد من تلك من ناحية الجنوب ، ولكنه لم يمنح تلك الموافقة إلا بشرط أن يدفع الأومانيون إلى حكام « لجش » حصة من المنتجات الزراعية ثمناً لاستغلال الأرض ، وأراد بذلك أن يضمن لنفسه ولخلفائه ريعاً كبيراً . واتبع « أياناتم » انتصاراته فى « عيلام » وفى مدن سومر الواقعة إلى أقصى الجنوب مثل « أوما » و « الوركاء » و « أور » بانتصارات عسكرية فى شمال بلاد سومر التى كانت تحت سلطة مدينة « كيش » ومدينة « أكشاك » المجاورة لها. حقاً إن « كيش » قد ضعفت على ما يبدو بعد هزيمة تمت على يد « اينشا كوشانا » الذى لقب نفسه بـ « أنْ (أمير) بلاد سومر » و « ملك (البلاد) » ، وكان « زوزو » ملك « أكشاك » هو الذى قاد حملة من القوات الشمالية إلى « لجش » ، ولكن « أياناتم » أوقع بالقوات الغازية هزيمة نكراء ولاحقهم من « انتاسورا » (حدود لجش الشمالية) إلى « أكشاك » نفسها مكبداً إياهم خسارة فادحة .

لقد كان « أياناتم » الآن فى قمة سلطانه ، حتى إنه قد شعر بأنه من القوة بما يكفيه ليحمل لقب « ملك كيش » مع ما يتضمنه من إدعاء بالسيادة على بلاد سومر كلها ، أو كما يضعه المؤلف القديم « لأياناتم — أنسى » لجش . . . اينانا (الإلهة الحامية لمدينة لجش) ، لأنها أحبته ، وهبت ملكية كيش بالإضافة إلى إمارة لجش » . ولابد أن يكون قد أقام فى هذ الوقت أيضا مسلة النسور وكرسها تخليدا لذكرى انتصاراته التى أحرزها بجدارة . ويبدو أن فترة قصيرة من السلم أعقبت ذلك فى بلاد سومر ، فنجد « أياناتم » يقضى وقتا فى حفر قناة جديدة أطلق عليها بابتهاج اسم « لوماجيمدوج » أى جيدة (؟) — مثل « لوما » ، و (لوما) هو اسم من « تيدنوم » لـ « أياناتم » ، أى هو الاسم الذى يفترض بأنه أعطى له من شعب « المارتو » السامىّ الذى كان يعيش إلى الغرب من بلاد سومر حيث يعرف بأن « تيدنوم » كانت تقع هناك .

ولكن قبل أن يتم حفر القناة ، وفى الواقع قبل أن يكون لديه وقت لتكسية جدرانه بالآجر ، كان «أياناتم» مرة أخرى فى حالة حرب ، وكان فى هذه المرة هو المدافع ولم ينجح فى إيقاف اعدائه عند حدهم ومنع وقوع الهزيمة إلا بصعوبة بالغة ، فقد هاجمه « العيلاميون » أولا من الشرق ، وعلى الرغم من أنه أرجعهم إلى موطنهم، فإنه لم يتمكن من متابعة نجاحه وغزو بلاد « عيلام» نفسها لأن عدوتيه القديمتين من ناحية الشمال ، « كيش »و« أكشاك »قامتا بغزو مدينة « لجش » ، ولم يكد يبعدهما عن منطقة « لجش » حتى عاد « العلاميون » مع حلفاء جدد ، لتأتى فى أثرهم مرة أخرى قوات من » كيش »و« أكشاك » يؤيدهم فى هذه المرة عدو جديد ، هى مملكة « مارى » الواقعة على مسافة بعيدة من جهة الغرب . وفى معارك ضارية قامت فى « آسوحور » التى تكوّن حدود « لجش » الشرقية ، وفى « انتاسورا » ، حدودها الشمالية ، حقق « أياناتم » نصرا حاسما على أعدائه . ثم مرت فترة راحة أخرى قصيرة خالية من الحروب ، وأصبح « أياناتم » فى موقف يمكنه من تجديد نشاطه العمرانى فقوى جدران قناة « لوماجيمدوج » وشيد خزانا واسعاً لمياهها . ولكن على الرغم من انتصارته ولقبه « مخضع كافة البلدان (للإله) نينجرسو) ، المفعم بالتفاخر يبدو أن « أياناتم » قد آل إلى نهاية سيئة ، لأن خليفته لم يكن واحدا من أبنائه بل كان أخوه « أيناناتم » ، مما يشير إلى احتمال أنه لم يمت ميتة طبيعية ولكنه سقط فى معركة كانت بلا ريب فاجعة بالنسبة لمدينة « لجش » ، معركة لم تنهض منها تماما قط .

إن « أيناناتم » ، بعد أن خلف أخاه فى حكم « لجش » وقد وجد نفسه غارقا فى الحال فى مشا كل خطيرة مع سكان مدينة « أوما » ، لأنهم على الرغم من هزيمتهم على يد « أياناتم » استعادوا ثقتهم بأنفسهم بعد أقل من جيل واحد إن لم يستعيدوا قوتهم السابقة . وعلى أية حال فإن « أور — لوما » بن « اينا كالا » المنكود الحظ نقض الاتفاقية التى كانت تلهب صدور الأومانيين بشدة ضد « لجش » ورفض أن يدفع لـ « أيناناتم » الحاصلات الزراعية التى كانت مفروضة على « أوما » أضف إلى

ذلك أنه شرع بتجفيف قنوات الحدود واقتلاع وحرق كل من مسلتى « مسيليم » و « أياناتم » مع كتاباتهما التى كانت تثير سخط الأومانيين ، وتهديم الأبنية والهيا كل التى شيدها « أياناتم » على طول قناة الحدود لتذكير سكان « أوما » بوجوب عدم الاعتداء على مناطق لجشية ، وأصبح الآن مستعدا لعبور الحدود ودخول مقاطعة « جوايدينا » . وللتأكد من تحقيق النصر لنفسه طلب مساعدة عسكرية من « الأجانب » الذين يقطنون إلى الشمال من بلاد سومر ، وحصل عليها .

لقد تلاقت القوتان فى « جانا — أوجيجا » فى مقاطعة « جوايدينا » بالقرب من الحدود الجنوبية وكان الأومانيون وحلفاؤهم بقيادة « أور — لوما » نفسه ، بينما كان اللجشيون بقيادة « اينتمينا » لأن والده كان بكل تأكيد طاعناً فى السن فى هذا الوقت ، وكان اللجشيون هم المنتصرين وهرب « أور — لوما » ولاحقه « اينتمينا » بشدة وقتل عدداً كبيراً من قواته بعد أن أوقعها فى كمائن نصبت لها .

ولكن انتصار « اينتمينا » دل على أنه كان قصير الأمد ، فبعد اندحار «اور — لوما » واحتمال وفاته ظهر على المسرح عدو جديد وهو : « إيل » رئيس معبد مدينة تسمى « خلاب » تقع فى مكان غير بعيد من الناحية الشمالية ، وكان « إيل » كما هو واضح ذكيا فظل ينتظر فى الوقت الذى كان فيه « اينتمينا » و « أور — لوما » يناضلان من أجل الوصول إلى نتيجة حاسمة ، ولكن ما كادت المعركة تنتهى حتى هاجم « اينتمينا » المنتصر وحقق انتصاراً أوليا وتغلغل عميقا فى أراضى « لجش » . حقاً أنه لم يتمكن من الاحتفاظ بمكتسباته جنوب حدود « أوما — لجش » ولكنه نجح فى جعل نفسه « إنسيا » (أى أميرا) فى « أوما » .

وبدأ الآن « إيل » فى إظهار عدم احترامه لادعاءات « لجش » تقريباً بنفس الطريقة التى اتبعها سلفه « أوش » : فقد حرم قنوات الحدود من المياه التى كانت ضرورية للغاية لرى الحقول والمزارع المجاورة ، ولم يدفع إلا جزءا ضئيلا فقط من الضريبة التى فرضت على « أوما » بموجب معاهدة « اياناتم » القديمة . وعندما أرسل « اينتمينا » إليه رسلا طالبا إيضاحاً لهذه الأفعال غير الودية أجاب مدعيا بتطاول : إن « جوايدينا » برمتها مقاطعته وملكا له .

على أن الأمرين « إيل » و « إينتمينا » لم تقرر مصيره الحرب ، ويبدو أن حلا وسطا بدلا من ذلك فرض عليهما من شخص ثالث ، ربما كان مرة أخرى الحاكم غير السومرى الشمالى الذى كان يدعى بسيادته على بلاد سومر كلها . وعلى العموم يبدو أن القرار كان لصالح « لجش » لأن خط « مسيليم — أباناتم » القديم قد احتفظ به كحد ثابت بين « أوما » و « لجش » . إلا أنه من الناحية الأخرى لم يذكر شيء عن قيام سكان « أوما » بالتعويض عن الحاصلات التى كانوا قد أوقفوا دفعها ، كما لا يبدو بأنهم اعتبروا مسئولين فيما بعد عن ضمان إمداد مقاطعة « جوايدينا » بالمياه ، وتركت هذه المهمة الآن لسكان « لجش » أنفسهم [1] .

لقد كان « إينتمينا » آخر الحكام العظماء فى سلالة « أور — نانشة » ، فابنه « إيناناتم » الثانى لم يحكم سوى فترة قصيرة ولم ينجز إلا قليلا من الأعمال استدلالاً من حقيقة أن واحدا فقط من نصوصه قد اكتشف حتى هذا التأريخ — وهو مدون على قاعدة باب كرست عند إعادة بناء مصنع الجعة العائد للإله « نينجرسو » . وتبعه كحاكم على مدينة « لجش » « اينتارزى » ، الذى ربما كان مغتصباً للعرش ، ولدينا من أيام حكمه عدد كبير من الوثائق الإدارية إلا أننا لا نملك نصوصاً تكريسية . بيد أنه اكتشفت رسالة معنونة إلى « اينتارزى » من « لواينا » « سانجا » (رئيس معبد) « نينمار » ، تتحدث عن اندحار عصابة مكونة من ستمائة عيلامى قامت بغزو « لجش » ونهبها [2] .

وخلف « اينتارزى » كحاكم فى « لجش » لوجال بندا » الذى ، ترك لنا كسلفه نصوصاً إدارية فقط ولم يترك نصوصاً تكريسية ، ولذلك لا نعرف شيئاً عن حكمه . وجاء بعد « لوجال بندا » « أوروكاجينا » الذى لم يشتهر بسبب انجازاته العسكرية — لأنه ربما كان فى الواقع أول داعية للسلام بين البشر — وإنما بسبب

(١) للأطلاع على ترجمة للوثيقة التى تضم هذه المعلومات أنظر الملحق (ج) عدد ١٤ .

(٢) للأطلاع على ترجمة الوثيقة كلها انظر الملحق (ج) عدد ٢٧ .

إصلاحاته الاجتماعية والخلقية ، وهى أقدم إصلاحات فى التاريخ المدون للإنسان . لقد كان حكمه لسوء الحظ قصيراً وانتهى نهاية محزنة عندما قام « لوجال زاجيزى » أمير « أوما » المجاورة الطموح ذو الميول العسكرية ، بحرق ونهب وتدمير جميع الأماكن المقدسة تقريباً فى مدينة « لجش » . إن أعمال « لوجال زاجيزى » الأثيمة هذه سجلت بعناية فى وثيقة جديرة بالاهتمام الكبير كتبها كاتب لاهوتى من مدينة « لجش » بأمر بلا ريب من « أوروكاجينا » الذى — يوجد سبب للإعتقاد بأنه — قد سلم من الكارثة . إن الفقرة التى يختتم بها النص تكشف عن إيمان « أوركاجينا » بعدالة الآلهة ، إيمان — على الرغم من أنه شديد التأثير فى النفس — سبب خرابه ودماره . لقد جاء فى هذه الفقرة « لأن الأومانى هدم آجر (؟) « لجش » فإنه اقترف ذنباً ضد الإله « نينجرسو » وسيقطع « نينجرسو » الأيدى التى ترفع ضده ، إن هذا ليس ذنب « أوركاجينا » ملك « جيرسو » ، عسى « نيدابا » إلهة « لوجال زاجيزى » (الشخصية) حاكم « أوما » أن تحمله (أى لوجال راجيزى) (نتائج) جميع (هذه) الذنوب »[1]. كل هذا يترك انطباعاً بأن « أوروكاجينا » لم يقاوم زميله السومرى المعتدى من « أما » ، وأنه كان واثقاً بعدالة الآلهة ثقة لا حد لها وبالعقاب الذى ستوقعه بفاعل الشر — على أن الفائدة التى تجنيها الضحية من ذلك غير واضحة تماماً على أية حال فإن حياة « لوجال زاجيزى » التى بدأت باحتلال « لجش » ، وتوجت لفترة ما بنجاح غير اعتيادى ، وانتهت نهاية ذليلة .

لقد ترك لنا « لوجال زاجيزى » نصاً مهماً واحداً ، جمع كتاباته « هيرمن هلبرشت » قبل أكثر من نصف قرن من كسر إناء تبلغ المئات[2]. وفى هذا النص يصف « لوجال زاجيزى » نفسه بفخر على أنه ملك « الوركاء » (و) ملك البلاد وأنه شخص أخضع جميع البلدان الأجنبية حتى إنه لم يبق شىء سوى السلم والسعادة والرخاء فى كافة أنحاء مملكته التى كانت تمتد « من البحر الأسفل » على طول نهرى دجلة

---

(١) للأطلاع على ترجمة هذا النص أنظر الملحق (هـ) .

(٢) للأطلاع على ترجمة كاملة للنص أنظر الملحق (ج) .

والفرات إلى البحر الأعلى[1] . ولكن كل هذا لم يستمر ، كما قلنا سابقا ، وقتا طويلا فبعد حوالى عشرين سنة من الانتصارات العسكرية أقتيد من خشبة تطوق عنقه إلى بوابة « نفر » ليلعن ويبصق عليه من قبل كل الذين كانوا يمرون بالقرب منه . وكان قاهره ساميًّا يسمى « سرجون » ، مؤسس سلالة « أكد » القوية التى بدأت عن قصد أو عن غير قصد عملية تحويل بلاد سومر إلى السامية التى قادت أخيرا إلى نهاية الشعب السومرى على الأقل كشخصية سياسية أو عرقية يمكن تعريفها .

لقد كان « سرجون » العظيم ، كما أصبح يعرف من قبل المؤرخ الحديث ، واحداً من أعظم شخصيات الشرق الأدنى القديم السياسية الفذة — فكان قائداً عسكرياً ذا عبقرية بالإضافة إلى كونه إدارياً واسع الخيال وبناء لديه إحساس بالاهمية التاريخية لأعماله وإنجازاته . وكان أثره محسوساً بطريقة أو أخرى فى كل العالم القديم من مصر إلى الهند ، وأصبح « سرجون » فى القرون المتأخرة شخصية أسطورية حاك حولها الشعراء والمنشدون قصصاً بطولية وروايات عجيبة — كانت على أية حال تعتمد بصورة عامة على شىء من الحقيقة . ولحسن الحظ نحن لسنا بحاجة فى حالة « سرجون » إلى الذهاب إلى هذه التواريخ والقصص المتأخرة للحصول على حقائقنا التاريخية لأننا نملك نصوصه الخاصة التى تسجل أهم فتوحاته العسكرية وإنجازاته ، لأن « سرجون » وولديه « ريموش » و « منيشتوشو » اللذين خلفاه ، كانوا يخلدون إنتصاراتهم بإقامة تماثيلهم المنقوشة بالكتابات فى معبد الإله « إنليل » فى مدينة « نفر » وكذلك بمسلات تصورهم مع أعدائهم الراكعين على أقدامهم . وإذا أستثنينا كسرة هنا أوهناك من الحجر البركانى (الديوريت) ، فإنه لم يكتشف فى الواقع حتى الآن أى من هذه التماثيل والمسلات ، بل حتى حفريات « نفر » الجديدة أثبتت على أنها مخيبة للآمال من هذه الناحية ، ومن الجائز أيضاً أن تكون هذه التماثيل والمسلات قد حطمت فى الأزمان القديمة . ولكن لحسن حظ المؤرخ الحديث قام بعد عدة قرون من تكريسها فى معبد

---

(١) يقصد بالبحر الأسفل الخليج العربى وبالبحر الأعلى البحر المتوسط . (المترجم)

« إنبيل » عالم وباحث مجهول باستنساخ جميع النصوص المدونة عليها بعناية وأمانة تشرفان أى آثارى ومتخصص بالكتابة القديمة فى العصر الحديث ، مبيناً حتى فيما إذا كانت النصوص المستنسخة قد جاءت من التمثال نفسه أو من قاعدته بعبارات مثل « (هذا) النص على التمثال » أو « (هذا) النص على القاعدة » أو « لايوجد على القاعدة نص » . أما لماذا قام بهذه الاستنساخات فذلك أمر مجهول تماما ، ولعل المعبد يواجه مع آثار خطر التخريب فأراد ذلك المجهول أن يحفظ ما على التماثيل من كتابات للأجيال القادمة . فإذا كان هذا هو قصده ، فإنه قد حقق نجاحاً أكبر مما كان بالإمكان أن يأمله ، لأن لوحه القيم قد اكتشف برمته تقريباً من قبل بعثة « نفر » الأولى ووضعت محتوياته فى متناول الأجيال القادمة من قبل عالمين هما « آرنوپوبل » و « ليون لاجرين » .

لقد بدأ « سرجون » حياته كموظف كبير ، إذ كان فى الواقع ساقياً للملك سومرى فى مدينة « كيش » اسمه « أور — زبابا » ، على الرغم من أنه كان من الساميين . ولابد أن « أور — زبابا » كان هو الحاكم الذى خلعه « لوجال زجيزى » الطموح من العرش ، وربما قتله عندما مضى فى طريق الفتح بعد أن دمر مدينة « لجش » . وكان هدف « سرجون » الرئيسى إزاحة «لوجال زاجيزى» عن المسرح السياسى . وقام لتحقيق هذه الغاية بهجوم مفاجىء على مدينة «الوركاء» عاصمة «لوجال زجيزى» و « ضربها » وهدم أسوارها . ويبدو أن المدافعين عن « الوركاء » تركوا المدينة هاربين ، ولكنهم عادوا ، بعد حصولهم على مساعدات من خمسين أميراً جاءوا من المقاطعات الأخرى ، ووقفوا ، وفقاً لرواية النص ، أمام « سرجون » الزاحف وفى معركة ضارية أوقع ، « سرجون » هزيمة نكراء بقوات « الوركاء » ، ويبدو أن « لوجال زاجيزى » الذى لابد أنه كان بعيداً عن « الوركاء » فى حملة نائية ، لم يظهر على المسرح مع جيشه إلا بعد فوات الأوان ، وانتصر « سرجون » فى هذه المرة أيضاً ، وكان انتصاره حاسما إلى درجة استطاع معها أن يقود « لوجال زاجزى » بالسلاسلة ، أو بالأخرى بخشبة كانت تطوق رقبته إلى أبواب مدينة « نفر » .

وبعد أسر « لوجال زاجيزى » عاد « سرجون » إلى أقصى الجزء الجنوبى من بلاد سومر حيث مازال الحاكم التابع لـ « لوجال زجيزى » يأمل فى إيقاف زحفه . وهاجم أولا مدينة « أور » فى أقصى الجنوب الغربى ثم هاجم مقاطعة « إينينا » التى كانت تمتد من مدينة «لجش» إلى سواحل الخليج العربى حيث غسل سلاحه فى احتفال أراد به دون شك أن يخلد ذكرى انتصاراته . وفى عودته من البحر هاجم « أوما » ، وهى حصن « لوجال زاجيزى » ، وهدم أســـوارها فأتم بذلك فتح جنوب بلاد سومر . وتوجه الآن نحو الغرب والشمال وأخضع بلدان « مارى » ويارموتى » و « أبلا » حتى وصل إلى « غابة الأرز » و « جبل الفضة » أى إلى سلاسل جبال أمانوس وطوروس ، ثم نجده بعد ذلك فى حملة إلى الشرق من سومر مهاجماً بلاد « عيلام » و « براخشى » وسالباً ممتلكاتهما .

إن هذا يوصلنا إلى نهاية نسخ النصوص التى كانت مدونة على تماثيل ومسلات « سرجون » التى لاتتناول على أية حال ، إلا جزءاً فقط من حكمه، وإذا ما حكمنا من الأساطير والتواريخ المتأخرة عن ذلك بكثير ، فإننا نجد فتوحات « سرجون » قد استمرت تمتد طولا وعرضا ، بل ربما أرسل قواته إلى مصر وأثيوبيا والهند . ولتحقيق سيادته على امبراطورية بهذا الاتساع وضع حاميات عسكرية فى عدة مراكز حساسة . وعين فى بلاد سومر نفسها ، حيث كانت الثورات داءً مزمناً اتباعه الساميين فى المراكز الإدارية العليا وأقام حاميات فى المدن تتألف كل قواتها من الأكديين . وشيد لنفسه ولموظفى بلاطه وجنوده العديدين — فهو يفخر بأن « ٥٤٠٠ رجلا كانو ايتناولون الخبز أمامه يومياً مدينة — «أجادة»[1] ، فى موقع قريب من مدينة « كيش » المدينة التى بدأ فيها مهنته غــير العادية كساقى الملك « أور — زبابا » . وأصبحت « أحادة » فى وقت قصير من أغنى مدن العالم القديم . فقد كانت الهدايا والضرائب تنقل إليها من الزاويا الأربع لمملـكة « سرجون » ، وعلى أرصفتها ترسو

---

(١) بلفظ الجيم كافاً فارسية . ويستخدم فى هذه الترجمة لفظ « اكد » الأكثر شيوعاً . (المترجم)

السفن الآتية من « دلمون » و « ماجان » و « ملوخا » البعيدات (ربما الهند ومصر وأثيوبيا)[1] . وكان أغلب سكان « أجاده » بلا شك من الساميين المرتبطين بـ « سرجون » بروابط الدم واللغة ، ومن اسم « أجاده » ، أو بالأحرى من اسم « أكد » الذى يقابله فى التوراة (سفر التكوين ١٠ : ١٠) أشتقت الكلمة « أكديون » التى تشير فى الوقت الحاضر إلى الساميين العراقيين بشكل عام .

وأعقب « سرجون » ابنه « ريموش » الذى وجد امبراطوريته ممزقة بالثورات والعصيان ، وفى معارك مريرة شارك فيها عشرات الألوف من الجنود ففتح أو بالأحرى أعاد فتح مدن « أور » و « أوما » و « أدب » و « لجش » و « دير » و « كزالو » بالإضافة إلى بلاد « عيلام » و « براخشى » . ولكن « ريموش » لم يحكم سوى بضع سنوات فقط وأعقبه « أخوه الأكبر » — ربما توأمه — « منيشتوشو » الذى واصل السير على نفس النمط العسكرى والسياسى . أضف إلى ذلك أنه ، كوالده « سرجون » ، حمل جيوشه المنتصرة إلى أقطار بعيدة ، أو على الأقل قد يبدو كذلك من فقرة وردت فى نص من نصوصه تقول « عندما عبر « منيشتوشو » البحر الأسفل (أى الخليج العربى) فى سفن ، تجمع ضده اثنان وثلاثون ملكاً ، ولكنه تغلب عليهم وضرب مدنهم وأذل أسيادهم وهدم (كل (؟) القرى (؟)) حتى مناجم الفضة » .

حكم « منيشتوشو » خمسة عشر عاماً ثم أعقبه ابنه « نرام — سين » الذى رفع مدينة « أكد » إلى قمم عالية جديدة من القوة والمجد ، ليراها تصل أخيراً إلى نهاية مريرة ومحزنة . وكانت انجازاته العسكرية متعددة ومدهشة : فقد أوقع الهزيمة بحلف قوى تكون من الملوك الثائرين فى بلاد سومر والبلدان المجاورة لها ، وفتح المنطقة الممتدة من ناحية الغرب حتى البحر المتوسط وسلاسل جبال طوروس وأمانوس ، ومد سيطرته إلى أمينيا وأقام تمثاله الذى يمثل النصر فى مكان قرب مدينة ديار بكر

---

(١) للاطلاع على الآراء المتعلقة بتحديد مواقع هذه البلدان أنظر الفصل الثامن .

الحديثة ، وحارب « اللولوبيين » فى سلاسل جبال زاجروس الشمالية وخلد ذكرى انتصاره هناك بمسلة رائعة ، وحول بلاد « عيلام » جزئياً إلى دولة سامية تابعة له ، وشيد مبانى عديدة فى مدينة « سوسة » وأخذ الأتاوة من بلاد « ماجان » بعد أن دحر ملكها « مانيوم » الذى عرّفه بعض الباحثين بـ « منس » ملك مصر المشهور . فلا عجب إذا شعر بالقوة إلى حد إضافة لقب « ملك الجهات الأربع » إلى ألقابه وإذا بلغ من الجرأة إلى حد أنه إله نفسه كـ « إله أجاده » .

ولكن الكارثة المميتة التى سحقت « نرام — سين » ومدينة « أكد » وهددت بابتلاع بلاد سومر كلها حلت بعد ذلك — وهى غزوة الأقوام الجوتية[1] التى أضعفت المعنويات ودمرت البلاد . والجوتيون جموع قاسية بربرية نزلت من الجبال الواقعة إلى الشرق من بلاد سومر . إننا نعرف هذا بالدرجة الأولى من قصيدة تتضمن أخباراً تاريخية ، يمكن أن تعنون بـ « لعنة أكد : إيكور يثأر »[2] . لقد ألف هذه القصيدة شاعر سومرى عاش بعد الكارثة الجوتية بعدة قرون ، وبعد أن هجرت « أكد » مدة طويلة ليحل فيها الخراب والدمار . إن هذه الوثيقة جديرة بأن تبقى فى الذاكرة لا من أجل وصفها الحى لمدينة « أكد » قبل سقوطها وبعده فحسب ، ولكن بوصفها واحدة من أقدم المحاولات المسجلة لتفسير حادثة تاريخية فى إطار وجهة نظر عالمية معترف بها فى الوقت الحاضر . ففى البحث عن الأسباب الكامنة وراء الغزوة الجوتية المهينة والمشؤومة يجد الكاتب ما يعتقد بأنه كان بلا شك الجواب الحقيقى ، ويحدثنا عن خطأ فاحش ارتكبه « نرام — سين » ، وهو خطأ لم يرد ذكره حتى الآن فى أى مصدر آخر . إن « نرام — سين » وفقاً لرأى مؤلفنا ، قام بنهب مدينة « نفّر » واقترف بحق حرم الإله « أنليل » كل أنواع الأفعال المنتهكة لحرمة المقدسات

---

(1) بلفظ الجيم كافاً فارسية . (المترجم) .

(2) « ايكور » معبد الإله « انليل » فى مدينة « نفر » ويعنى الاسم « بيت الجبل » . وفى هذه القصيدة إشارة إلى ما حل بـ « أكد » نتيجة لما تعرض له هذا المعبد والمدينة من إساءة على يد الملك « نرام — سين » . (المترجم) .

والمدنسة لها ، ولذلك أدار « أنليل » وجهه نحو الجوتيين وأنزلهم من مواطنهم الجبلية لتدمير « أكد » والثأر لمعبده المحبوب . أضف إلى ذلك أن ثمانية من أهم آلهة مجمع الآلهة السومرى ألقت بلعناتها على « أكد » وقدرت لها أن تبقى مقفرة مهجورة إلى الأبد ، وذلك تلطيفاً لروح ملكهم « أنليل » . وأضاف المؤلف فى نهاية عمله قوله أن هذه هى فى الواقع الحالة التى وصلت إليها « أكد » إذ أنها بقيت مقفرة مهجورة .

يبدأ مؤرخنا قصيدته بمقدمة يقارن فيها بين مجد « أكد » وقوتها اللذين كانا يميزان بداية عهدها وبين الدمار والفقر اللذين حلا فيها من بعد سقوطها . لقد جاءت الأسطر المتعددة الأولى من القطعة على الوجه الآتى : « بعد أن أهلك « أنليل » ، وهو مقطب الجبين ، سكان « كيش » كأنه فى ذلك ثور السماء ، وكأنه ثور عظيم سحق بيت « الوركاء » حتى أحاله تراباً ، وبعد أن أعطى « أنليل » ، فى الوقت المناسب ، « سرجون » ملك « أكد » ، السيادة والملكية على الأقطار العليا والأقطار السفلى » ، عندئذ ، (وهنا نعيد صياغة جزء من أكثر فقرات النص غموضاً) ، أصبحت مدينة « أكد » غنية وقوية بالتوجيهات الحنونة المتواصلة من قبل « إينانا » إلهتها الحامية . فقد امتلأت مبانيها بالذهب والفضة والنحاس والقصدير وحجر اللازورد ، وكان شيوخها وعجائزها يقدمون مشورة حكيمة ، وغمرت البهجة أطفالها الصغار ، وكانت أصداء الموسيقى والغناء تتجاوب فى كل مكان وعاشت جميع البلدان المجاورة بسلام وأمان . وجعل « نرام — سين » فوق ذلك كله معابدها بهية ورفع أسوارها إلى علو الجبال ، فى حين أن بواباتها كانت مفتحة (على الدوام) . وكان يأتى إليها من الغرب « المارتو » البدو ، الشعب الذى « لا يعرف القمح » جالبين معهم أجود ثيرانهم وأغنامهم » وكان « الملوخيون » ، « سكان الأرض السوداء » ، يأتون إليها حاملين معهم بطائعهم الغريبة . وكان « العيلاميون » و « السوباريون » يأتون إليها من الشرق ومن الشمال حاملين أحمالهم كأنهم « حمير الأثقال » ، وكان يأتى إلها جميع الأمراء والرؤساء وشيوخ السهل جالبين معهم هدايا فى كل شهر وفى رأس السنة الجديدة .

ثم حلت بعد ذلك الكارثة ، أو كما يصفها المؤلف : « بوابات أ كد » يالها راكعة ذليلة . . . . « إينانا » المقدسة تترك هداياهم دون أن تلمسها ، لقد حل الرعب فى « أولماش » (معبد إينانا) ، لأن « إينانا » قد رحلت من المدينة ، لقد هجرتها ، وكعذراء تهجر مخدعها ، تخلت « إينانا » المقدسة عن معبدها فى « أ كد » وكمحارب باسلحة ممشوقة هاجمت المدينة فى معركة قاسية ، وأجبرتها على توجيه صدورها نحو العدو » . وهكذا فى مدة قصيرة جداً « ليس فى خمسه أيام ولا عشرة أيام »[1] ، رحلت السيادة والملكية م « أ كد » : لقد تحولت الآلهة ضدها ، وبقيت « أ كد » مهجورة ، وظل « نرام — سين » يقاسى التعاسة وحدة ، ويرتدى كساء من الوبر ، وبقيت سفنه وعرباته عاطلة مهملة .

كيف وقع هذا ؟ إن رواية مؤلفنا تقول إن « نرام — سين » فى غضون السنوات السبع التى توطد فيها حكمه قد تصرف تصرفاً يخالف أمر الإله « أنليل » . فقد أذن لجنوده بمهاجمة ، ونهب « إيكور » (معبد أنليل) وبساتينه . وهدم أبنية « إيكور » بمعاول وفؤوس نحاسية حتى « وقع البيت ذليلا كأنه شاب مميت » — حقاً « لقد وقعت كل البلدان ذليلة » وفوق هذا كله قطع « نرام — سين » القمح من البوابة المساة « البوابة التى لايقطع عنها القمح » ، « ودمر بوابة السلام » بالفأس . لقد دنس الآنية المقدسة وقطع أحراش « إيكور » . لقد سحق آنيته الذهبية والفضية والنحاسية وأحالها تراباً ، وحمل جميع أموال « نفر » المهدمة فى سفن كانت ترسو إلى جانب معبد « أنليل » تماماً ، ونقلها إلى « أ كد » .

ولكنه لم يكد ينتهى من ارتكاب هذه الأعمال حتى « تركت المشورة أ كد » و « تحول نهى أ كد الحسن إلى حمق » . عندئذ ، «أنليل» ، الطوفان الهادر ، الذى لا ند له ، بيته المحبوب الذى هوجم ، بالشدة الدمار الذى أوقعه » . فقد

(١) لقد وردت هذه العبارة بهذه الصورة فى الاص نفسه ، واريد بها الأشارة إلى قصر المدة . (المترجم)

صوب نظره نحو الجبال وأتى بالجوتيين وهم « شعب لايصبر على القيود فغطوا الأرض كالجراد » كي لايستطيع أحد الهرب من سلطانهم وانقطعت المواصلات في البر والبحر في كافة أنحاء بلاد سومر . فلم يعد بإمكان الرسول مواصلة رحلته ـ وراكب البحر لم يتمكن من الأبحار بسفينته . . . وامتلأت الطرق باللصوص ، وتحولت أبواب ومداخل البلاد إلى طين ، وكانت الأقطار المجاورة تخطط للشر من داخل أسوار مدنها » وحلت نتيجة ذلك مجاعة رهيبة في بلاد سومر . « فالحقول والمروج العظيمة لم تنتج الغلة ، ومصايد الأسماك لم تنتج السمك ، ولم تنتج البساتين المسقية عسلا ولا خمراً » وتدهورت الأسعار بسبب المجاعة بحيث أن الخروف الواحد لم يشتر به إلا نصف « سيلا » [1] من الدهن أو نصف « سيلا » من الحبوب أو نصف « منا » من الصوف (أنظر شكل ٤ للاطلاع على الموازين والمكاييل) .

وبسبب حالة البؤس والفاقة والموت والخراب التي هددت على هذا النحو بإفناء جميع « البشر الذين خلقهم انليل » تقريباً ، وقرر ثمانيـــة آلهة من المجمع الإلهي السومري ـ وهم « سين » و « أنكي » و « إينانا » و « نينورتا » و « أشكور » و « أوتو » و « نسكو » و « نيدابا » ـ بأن الوقت قد حان لتهدئة غضب «انليل» . وفي تضرعهم لـ « انليل » أقسموا على أن « أكد » المدينة التي دمرت « نفّر » ستدمر نفسها كما دمرت « نفّر » . وعلى ذلك « توجهت » هـــذه الآلهة الثمانية « صوب المدينة ونطقت (بلعنة) خراب على أكد » :

يا أيتها المدينة ، أنت التي تجرأت بالهجوم على « أيكور » يا من [تحديت] « أنليل » .

يا « أكد » ، يامن تجرأت بالأنقضاض على « إيكور » ، يامن [تحديت] « أنليل » .

---

(١) قياس للأحجام يعادل ٨٤ر٠ من القدر . (المترجم) .

عسى أن تترا كم حقولك ترا كم التراب . . . .

وعسى أن يعود (آجرك) الطينى إلى حالته الأولى فى الماء ،

وعسى أن يكون (آجرك) الطينى آجراً ملعوناً من (الإله) « أنكى » ،

وعسى أن تعود أشجارك إلى غاباتها ،

وعسى أن تصبح أشجاراً ملعونة من « ننـ ـ ألدو » .

ثيرانك المذبوحة — عساك تذبحين زوجاتك بدلا منها ،

ونعاجك المذبوحة — عسى أن تذبحى أبناءك بدلا منها ،

وفقراؤك — عسى أن يدفعوا إلى إغراق أطفالهم الأعزاء (؟) . .

يا « أكد » عسى قصرك المشيد بقلب يملأه الفرح ، أن يحول إلى خراب يثير الحزن . .

وفى المواضع حيث كانت تقام طقوسك وشعائرك ،

عسى أن يهز الثعلب (الذى يأوى) الخرائب ذيله . . .

وعسى ألاَّ تنبت مواضع جر قواربك سوى الأعشاب الضارة ،

وعسى ألاَّ تنبت طرق عرباتك سوى « النبتة الباكية » .

وفوق هذا عسى ألاَّ يمشى على طرق قواربك ومراسيها ،

إنسان من جراء السخول الوحشية ، والديدان (؟) والحيات وعقارب الجبل .

وعسى سهولك حيث ينمو النبات المفرح للقلب ألاَّ تنبت سوى « قصب الدموع » .

يا « أكد » ، بدلا من مياهك العذبة الجارية ، عسى أن تجرى مياه مرة .

ومن يقل « أريد أن اقطن تلك المدينة » لن يجد فيك موضع سكن حسن .

ومن يقل « سأنام فى أكد » لن يجد فيك موضع منام حسن .

ثم يختتم مؤرخنا قصيدته بقوله بأن هذا هو ما حدث تماماً لأن :

طرق قوارِبِها لم تنبت سوى الحشائش الضارة ،

ولم ينبت فى طرق عرباتها سوى « النبتة الباكية » .

وفوق ذلك ، لا يمشى إنسان على طرق سحب سفنها وعلى مراسيها .

من جراء السخول الوحشية . والديدان (؟) والحيات وعقارب الجبل ،

وفى السهول حيث كان ينمو النبات الذى يفرح القلب ، لم ينبت سوى « قصب الدموع » .

« أكد » بدلا من مياهها العذبة الجارية ، صارت المياه المرة تجرى فيها .

ومن قال « أريد أن أقطن تلك المدينة » لم يجد فيها مكان سكن صالحاً ،

ومن قال « سأنام فى أكد » لم يجد فيها موضع منام صالحاً

إن هزيمة « نرام ـ سين » على يد الجوتيين سببت اضطراباً سياسياً وفوضى فى بلاد سومر على الرغم من أن الملك « شاركاليشارى » بن « نرام ـ سين » حاول على مايبدو أن يزيل بعض الأذى الذى سببه والده ، وذلك استنتاجاً من عدد من نصوصه التكريسية التى يصف فيها نفسه بـ «بانى ـ إيكور» بيت «أنليل» . ولكن هذا العمل، إذا حدث فإنه جاء متأخراً جداً ، فقد رأى ملكه يتقلص إلى مدينة «أكد»ومايحيط بها مباشرة ، بحيث أنه لم يعد يحمل من الألقاب سوى لقب « ملك أكد » ولم يجرأ على التلقب بلقب والده « ملك الجهات الأربع » الذى يبعث الفخر . صحيح إنه يدعى فى أثبات الأحداث التاريخية تحقيق انتصارات على الجوتيين والعيلامين والعموريين ولكن هذه ربما كانت معارك دفاعية شنت لرد العدو من بوابات «أكد» . وكانت الدلائل كلها تشير إلى أن الحكام الجوتيين كانوا هم العنصر السياسى البارز خلال العقود السبعة أو الثمانية التى أعقبت وفاة « نرام ـ سين » ، وكانوا على مايبدو فى مركز يمكنهم من تعيين حكام المدن السومرية وأزاحتهم وفقاً لمشيئتهم تقريباً . ولسبب ما ـ وربما لأنهم وجدوا أمير «لجش» مطواعاً ومتعاونا ـ يبدوأن الجوتيين كانوايحابون

« لجش » التى أصبحت المدينة البارزة فى جنوب بلاد سومر لمدة نصف قرن تقريباً ، وكانت تسيطر فى بعض الأحيان على « أور » و « أوما » وربما حتى على « الوركاء » . وعلى أية حال ، نجد قبيل نهاية « الفترة الجوتية » سلالة من الأمراء فى « لجش » تواصل الأعمال السياسية والدينية التى بدأها المصلح العظيم « أوروكاجينا » وتعطى « لقيصر ما لقيصر » وذلك خدمة للآلهة بشكل أفضل .

وكان مؤسس سلالة الأمراء هذه فى « لجش » « أور ـ باو » الذى ترك لناعدة نصوص تكريسية تسجل تشييد العديد من المعابد فى « لجش » . وكان «أور ـ باو» يسيطر أيضاً على « أور » ، وبلغ نفوذه حداً مكنه على الأقل من تعين ابنته كاهنة عليا لـ « نانا » الإله الحامى لمدينة «أور» . وكان لـ «أور ـ باو» ثلاثة أصهار ، وهم «جوديا» و « أورجار » و « نامخانى » (يكتب الاسم أيضاً نامخنى) الذين صار كل منهم أميراً لمدينة «لجش» . أن وجه « جوديا » الخالى فى الواقع من الحركة ، وملامحه غير المعبرة أصبح مألوفاً لدى الدارس الحديث من تماثيله العديدة التى تم العثور عليها ، والتى يحمل بعضها نصوصاً مطولة تسجل فعالياته الدينية التى تتصل بتشييد أهم معابد « لجش » وإعادة بناء المهدم منها . ونعرف من هـذه النصوص بأنه على الرغم من سيطرة « الجوتيين » ، كانت لـ « جوديا » عملياً اتصالات تجارية مع عالم تلك الأيام «المتمدن» كله . فكان يحصل على الذهب من بلاد الأناضول ومصر ، وعلى الفضة من سلسلة جبال طوروس ، وعلى خشب الأرز من آمانوس ، وعلى النحاس من زاجروس ، وعلى حجر الديوريت من مصر ، وعلى العقيق من زاجروس ؛ وعلى الخشب من «دلمون» . ويبدو أنه لم يواجه أية صعوبة فى الحصول على الصناع من «سوسة» وبلاد «عيلام» للقيام بتزيين معبده . وتحمل اسطوانتا « جوديا » ، اللتان اكتشفتا فى « لجش » قبل أكثر من خمسة وسبعين عاماً ، كتابات تمثـل أطول نص أدبى سومرى معروف ، إنه تأليف قصصى يقرب من ألف وأربعمائة سطر ، وفيه طقوس وتراتيل ، كتب تخليداً لذكرى إعادة بناء معبد « لجش » الرئيسى ، «إينينون» ، بل ويعطى فيه «جوديا» تقريراً عن انتصار عسكرى مهم واحد ـ وهو انتصاره على دولة « أنشان »

التي كانت تجاور «عيلام» من ناحية الجنوب . ويتحدث فيه كذلك عن صناعة عدد من الأسلحة الطقوسية والرمزية مثل « الشارور » والهراوات ذات الخمسين رأساً . ولعل هذا يشير إلى نشاط عسكري جدير بالاعتبار قام به « جوديا » ، وعلى الرغم من احتمال أنه لم يقم بذلك إلا بصفته تابعاً للجوتيين . وكان « جوديا » كوالد زوجته « أور - باو » ، يسيطر أيضاً على مدينة « أور » حيث اكتشفت ثلاثة من نصوصه .

وجاء بعد « جوديا » ابنه « أور — نينجرسو » ثم حفيده « أوجمى » اللذان حكما مجتمعين أقل من عقد واحد . وربما جاء بعدهما « أور جار » وهو صهر آخر لـ « أور — باو » إلا أن حكمه كان على كل حال قصير الأمد . ثم جاء بعد ذلك ثالث أصهار « أور — باو » ، « نامخانى » ، الذى ربما كان «أميراً» لمدينة «أوما» بالإضافة إلى « لجش » . أما بالنسبة لتعاون « نامخانى » مع الجوتيين الذى ربما أدى إلى نعته بخائن بلاد سومر ، فإنه أمر مؤكد جداً ، لأنه أرخ نصاً من نصوصه بالأيام التى كان فيها « يارلجان » ملك بلاد « جوتى » . ولكنه ظهر حوالى هذا الوقت منقذ فى بلاد سومر وهو « اتوخيجال » من مدينة « الوركاء » الذى نجح فى تحطيم العبودية الجوتية وإعادة الملكية إلى سومر . إن هذا ورد فى قصيدة قصصية تعتبر ضرباً من ضروب كتابة التاريخ ألفت إما فى أيام « أوتوحيجال » نفسه أو بعد ذلك بوقت قصير . فبعد أن تبدأ القطعة بشجب شديد للجوتيين « الحية و عقرب الجبل » . بسبب هجماتهم الأثيمة على بلاد سومر — تصف بوضوح حملة « اتوخيجال » المظفرة ضد الملك الجوتى « تيريجان » الذى أسر وجئ به مقيداً ومعصوب العينين إلى حضرة « أتوخيجال » ليطأ بقدمه على رقبته »[1] .

بيد أنه على الرغم من انتصار « أوتوحيجال » الباهر ، فإنه لم يستمر مدة طويلة بالسلطة فى بلاد سومر ، فهناك إشارات تشير إلى أن العرش قد اغتصب منه بعد حوالى

---

(١) للوقوف على ترجمة لهذه الوثيقة انظر الملحق (ج) عدد ٢٣ .

سبع سنوات من الحكم من قبل « أور — ناموا » ، وهو واحد من أكثر حكامه طموحاً نجح فى تأسيس سلالة سومرية مهمة تعرف بصورة عامة باسم سلالة « أور » الثالثة . وبرهن « أور — نامو » ، الذى حكم مدة ستة عشر عاماً ، على أنه كان قائداً عسكرياً قديراً وبناء عظيماً وإدارياً بارزاً ، وأصدر أول تشريع فى تاريخ الإنسان المدون .

بدأ « أو — نامو » حكمه بالهجوم على « نامخانى » صهر « أور — باو » حاكم « لجش » وقتله ، وكان « نامخانى » كما هو واضح ، قد تجاوز على أرض تابعة لـ « أور » بمساعدة دون شك من أسياده الجوتيين . وبعد أن جعل من نفسه سيداً على « أور » و « لجش » بدأ عندئذ العمل على تثبيت سيادته فى كافة أنحاء بلاد سومر ، وعثر على نصوصه فى مدن « الوركاء » و « نفر » و « أب » و « لارسا » ، بالأضافة إلى مدينة « أور » . بل وربما نجح حتى فى مد سلطانه إلى بعض الأقطار التى كانت تجاور بلاد سومر ، وذلك استنتاجاً من احدى صيغه التأريخية الواردة فى أثبات الأحداث التاريخية التى تباهى فيها بأنه « جعل الطرق مستقيمة من (الأقطار) السفلى إلى (الأقطار) العليا » .

ويستنتج من رواية جاء فيها أن « أور — نامو » « ترك فى ساحة المعركة كأناء مهشم » بأنه ربما قتل فى معركة مع الجوتيين الذين كانوا يواصلون إثارة المشاكل لبلاد سومر خلال عهد سلالة « أور » الثالثة كله على الرغم من انتصار « أوتوحيجال » عليهم ، ذلك الانتصار الذى تبجح به كثيراً . وخلفه على العرش ابنه « شولجى » الذى حكم ثمانية وأربعين عاماً ، وبدأت فترة سلم ورخاء نسبين فى بلاد سومر . لقد مد « شولجى » حكمه إلى بلاد « عيلام » و « أنشان » من ناحية الشرق . وكذلك إلى الشعوب البدوية التى كانت تستوطن سلاسل جبال زاجروس . وكان يسيطر حتى على « آشور » وأربيل فى المنطقة « السوبارية » التي تقع على مسافة بعيدة إلى الشمال من بلاد سومر .

أما إن تهدئه « السوباريين » وإخضاعهم قد سببا إزعاجاً كبيراً له فيظهر على كل حال فى رسالة بعثها إليه أحـــد موظفيه الـكبار اسمه « أرادمو » من مكان ما فى « سوبير » . فقد كان « شولجى » قد عهد إلى « أرادمو » بمسئولية « حفظ طرق الحملة إلى بلاد سوبير بحالة صالحة » وبترسيخ حدود البلاد و « بجعل طرق البلاد معروفة » و « بتقديم المشورة إلى عقلاء المجلس ضد (؟) البذرة (؟) الخبيثة (؟) » . وربما كان التعبير الأخير نعتاً ازدرائياً لقائد « سوبارىّ » لم يذكر إسمه ، رفض الخضوع لسيادة « شولجى » . ولـكن « أرادموا » وجد الحالة ميؤوساً منها تماماً ، لأن البذرة « الخبيثة » كان يبدو غنياً وقوياً ، وأوقع الرعب فى قلب « أرادمو » وأضعف معنوياته إلى درجة لم يستطع معها أن يفعل شيئاً سوى طلب النجدة من « شولجى » . ولدينا كذلك رد « شولجى » على هذه الرسالة التى يشك فيها على مايبدو بخيانة « أرادمو » ويستخدم التهديد تارة والترغيب تارة أخرى فى محاولة لمنعه من الالتحاق بالثوار السوباريين .

ولعل « شولجى » حاول بوعى منه كما أشير إلى ذلك حديثاً[1] ، أتباع خطوات « نرام — سين » ، رابع ملوك سلالة أكد السامية . فهو كـ « نرام — سين » تلقب بلقب « ملك الجهات الأربع » وعمل على تأليه نفسه خلال حياته . وكانت زوجته الملـكة سيدة سامية نشطة وفعالة تسمى « آبى سيمتى » ، التى عاشت بعد شولجى » واستمرت كملـكة أرملة خلال حكم خلفاء شولجى » الثلاثة ، الذين تسمى إثنان منهم على الأقل — وهما « شو — سين » و « أبى — سين » ، بأسماء سامية . ولـكن على الرغم مما يبدو من أن « شولجى » كان ذا ميول سامية فإنه كان محبا عظيما للأدب السومرى والحضارة السومرية ونصيرا ممتازا للمدرسة السومرية الـ « إيدوبا » (أنظر الفصل الرابع) . وكان « شولجى » يتباهى فى تراتيله بالعلم والمعرفة الواسعة اللذين حصل عليهما فى الـ « إيدوبا » أيام شبابه ويدعى بأنه أتقن مقرراتها المدرسية وصار كاتبا ماهراً .

---

(١)

وجاء بعد شولجى » ابنه « أمار — سين » الذى حكم تسع سنين فقط ، ولكنه نجح فى الاحتفاظ بالسيطرة على سومر ومقاطعاتها بما فى ذلك « آشور » البعيدة من ناحية الشمال ، وحكم أخوه « شو — سين » الذى جاء بعده تسع سنين أيضاً ، ونسمع لأول مرة خلال حكمه عن غزو خطير لبلاد سومر قام به ساميون عرفوا باسم « العموريين » جاؤا من سوريا والصحراء العربية ، ووجد « شو — سين » ضرورة فى إقامة جدار محصن عظيم لإيقاف هذه القبائل البربرية عند حدها ولو أن ذلك لم يسفر إلا عن نجاح ضئيل . وفى السنوات الأولى من حكم « إبى — سين » ، خامس ملوك أسرة « أور — نامو » وآخرهم ، قام العمريون بغارات كبيرة واضطرت هجماتهم مع هجمات العيلاميين من ناحية الشرق « ابى — سين » على بناء أسوار وحصون حول عاصمته « أوو » بالإضافة إلى مدينة « نفـّـر » مركز بلاد سومر الدينى .

لقد نجح « إبى — سين « فى البقاء ملكا على بلاد سومر مدة أربعة وعشرين عاما ولكن الحالة كانت طوال مدة حكمه غير آمنة بل ومحزنة ، فقد كان حكمه مقتصرا أكثر الوقت على مدينة « أور » نفسها التى غالبا ما كانت تعانى من المجاعة وندرة المواد الغذائية . وكنتيجة لغزوات العموريين وهجمات العيلاميين تداعت امبراطوريته وتقوضت ، ووجد حكام مدن بلاد سومر الهامة أن من الحكمة التخلى عن ملكهم وحماية أنفسهم . نحن نعرف هذا الوضع المؤلم بالدرجة الأولى من رسائل « إبى — سين » إلى حكام الأقاليم التى تمدنا بصورة حية عن هذا الملك الذى كان فى الواقع مرتبكا حزينا وعن موظفيه المخادعين الطموحين وذوى السلوك المزدوج .

وتتيسر للباحثين فى الوقت الحاضر نصوص ثلاث رسائل من هذه لمجموعة من المراسلات الملكية . تحتوى الرسالة الأولى على تقرير أرسله إلى « إبى — سين » « أشبى — إيرا » عن نتائج حملة بعثت لشراء حبوب عقد بها « إبى — سين » إليه . وتلق الرسالة ضوءاً كبيراً على غزوات العموريين فى الجهات الغربية من بلاد

سومر بالاضافة إلى ما تلقيه من ضوء على المشاكل التى كان يسببها العيلاميون لـ « إبى — سين » . يبدأ « أشبى — إيرا » تقريره بقوله إنه نجح فى شراء اثنين وسبعين ألف « جور »[1] من الحنطة بالسعر العادى وهو « شيقل » واحد لكل « جور » من الحنطة ، ولكنه بعد أن سمع بأن العموريين المعادين قد دخلوا إلى بلاد سومر و « احتلوا الحصون العظيمة الواحد بعد الآخر » ، فإنه لم يرسل القمح إلى « أور » العاصمة وإنما أرسله إلى مدينة « إيسن » . ثم يواصل قوله فى الرسالة بأنه لو أرسل إليه الملك الآن ستمائة سفينة حمولة كل منها مائة وعشرون « جورا » ، فإنه سيسلم القمح إلى مدن سومر المختلفة ، بيد أنه ينبغى أن يعهد إليه أولا بشؤون « الأماكن التى سترسو فيها السفن » . وتنتهى الرسالة برجاء إلى « إبى — سين » بألا يستسلم للعيلاميين — على افتراض أنهم كانوا يحاصرون فعلا « أور » والمناطق المجاورة لها — لأن لديه من القمح ما يكفى لحل مشكلة المجاعة فى « القصر ومدنه » مدة خمسة عشر عاما . وعلى أية حال طلب ، إلى الملك بأن يعهد إليه بكل من « نفّـر » و « إيسن » : أما أن « إبى — سين » كان يثق ثقة تامة بـ « أشبى — إيرا » حتى أنه عهد إليه فعلا بتولى شئون مدينة « نفّـر » ومدينة « إيسن » فأننا نعرف ذلك من رسالته الجوابية ، التى لخصها الأستاذ « ثور كايلد جاكبسون »[2] على الرغم من أنها لم تنشر بعد ، ولسوء حظ « إبى — سين » ظهر أن « أشبى — إيرا » كان خائناً بقدر ما كان قديراً وكفأ . فهو لم ينجح فقط فى الدفاع عن « إيسن » و « نفّـر » بل نجح أيضاً فى اغتصاب عرش سيده . نحن لا نعرف هذا بالطبع من مراسلات أشبى — إيرا » مع « إبى — سين » وإنما من رسالة كتبت إلى الأخير من قبل « بوزور — نوموشدا » حاكم مدينة « كزالو » ومن جواب « إبى — سين » عليها .

---

(١) Journal for Cuneiform Stubies, VII, 41.

(٢) بلفظ الجيم كافاً فارسية . للأطلاع على المكاييل والموازين أنظر (شكل ٤) . (المترجم)

لقد أصبح « أشبي — إيرا » وفقا لما ورد فى رسالة « پوزور — نوموشدا » ، متمركزاً بقوة كحاكم فى مدينة « إيسن » التى حولها إلى عاصمة له ، كما أخضع علاوة على ذلك مدينة « نفّـر » ومد حكمه على طول نهرى دجلة والفرات من مدينة « حمازى » فى الشمال والشرق إلى الخليج العربى . وأسر من حكام « إبى — سين » أولئك الذين ظلوا على ولائهم واعاد أولئك الذين يفترض بأنهم طردوا من قبل « إبى — سين » بسبب خيانتهم له إلى مراكزهم القديمة . أن عجز « إبى — سين » المحزن وتردده الذى يرثى له يكشف عنهما جوابه إلى « پوزور — نوموشدا » . فعلى الرغم من إدراكه بأن « پوزور — نوموشدا » كان على حافة الخيانة — إذ لم يتقدم فى الواقع لمساعدة حكام « إبى — سين » المخلصين على الرغم من وضع مجموعة مختارة من القوات تحت تصرفه لهذا الغرض — فأن « إبى — سين » لم يستطيع أن يفعل شيئاً أكثر من مناشدته بالبقاء على ولائه ، مع تأكيدات مشكوك بقيمتها على أن « إشبى — إيرا » « الذى لم يكن من بذرة سومرية » سيفشل بطريقة ما فى تحقيق طموحه فى أن يكون سيد بلاد سومر . وأن العيلاميين سيهزمون ، لأن « انليل قد أخرج العموريين من بلادهم وأنهم سيوقعون الهزيمة بالعيلاميين ويأسرون « إشبى — إيرا » .

ومع نمو استقلال « إشبى — إيرا » وقوته وجدت سومر نفسها تحت حكم ملكين وهما « إبى — سين » الذى كان حكمه محصورا فى عاصمته « أور » و « إشبى — إيرا » الذى سيطر من عاصمته « إيسن » على أغلب مدن سومر الأخرى . وفى السنة الخامسة والعشرين من حكم « إبى — سين » احتل العلاميون أخيرا مدينة « أور » وأسروا « إبى — سين » وتركوا وراءهم حامية تسيطر على المدينة . ثم هاجم « إشبى — إيرا » هذه الحامية بعد بضع سنوات وأخرجها من « أور » وأصبح بذلك ملكا على بلاد سومر كلها كما أصبحت « إيسن » عاصمة له .

لقد أسس « إشبى — إيرا » سلالة فى « إيسن » دامت أكثر من قرنين ، على الرغم من أن حكامها المتأخرين لم يكونوا من ذريته مباشرة . وكانت « إيسن » تدعى نظريا السيطرة على كل بلاد سومر وأكد ، بينما كانت البلاد فى الواقع مجزأة

بين عدد من دويلات المدن تحت سلطة حكام منفصلين عن بعضهم ولم تعد هناك امبراطورية ذات سلطة مركزية . على أن « إيسن » بقيت في الواقع مدة تقرب من القرن أقوى هذه الدول ، إذ كانت تسيطر على « أور » عاصمة الامبراطورية القديمة ، وعلى « نفّـر » التي استمرت كمركز روحي وعقلي لبلاد سومر خلال هـذه الفترة . ويتباهى رابع حكام سلالة « إيسن » . « أشمي ـ داجان » في التراتيل باعادة « نفّـر » إلى مجدها القديم ، حيث يبدو بأنها تعرضت قبل حكمه لهجوم عنيف قام به عدو ، لعله من الآشوريين من الشمال ، وادعى ابنه وخليفته « لبت ـ عشتار » السيطرة على الآلهة الرئيسية في بلاد سومر وتلقب بـ « ملك سومر وأكد » وهو لقب يبعث على الأعتزاز ، وأصدر خلال حكمه تشريعاً سومريا جديدا كان نموذجا لقانون « حمورابي » الشهير ، على الرغم من أن القانون الأخير دون باللغة الأكدية باللغة السومرية .

ولكن في السنة الثالثة من حكم « لبت ـ عشتار » اعتلى حاكم طموح مليء بالحيوية أسمه « جو نجونوم » عرش « لارسا » ، وهي مدينة في جنوب شرق « ايسن » ، وبدأ في أعلاء قوة المدينة السياسية بعدد من الانتصارات العسكرية في منطقة « عيلام » و « أنشان » . وبعد بضع سنوات فقط نجد نفس « جونجونوم » هـذا مسيطرا على « أور » عاصمة الامبراطورية القديمة التي كافت لها أهمية كبيرة بالنسبة إلى مكانة « إيسن » وقوتها . صحيح إن هذا كان احتلالا « وديا » — فقد كانت « أور » مهددة بغزوة جديدة من العموريين — ولكن « إيسن » انتهت من هذا الوقت كقوة سياسية مهمة ، على الرغم من تمسكها ببعض ادعاءاتها القديمة لمدة قرن آخر أو أكثر بقليل . وأخيراً هوجمت « إيسن » وأحتـُلت من قبل « ريم ـ سين » آخر حكام مدينة « لارسا » ، الذي أعطى هذا الفتح أهمية كبيرة بحيث أنه كان يؤرخ به جميع وثائقه خلال آخر ثلاثين سنة من حكمه .

ولكن « ريم ـ سين » نفسه لم يتمكن من استغلال انتصاره ، فإلى الشمال من مدينة بابل ، التي لم تكن مهمة في السابق ، ظهر حاكم سامي بارز أسمه « حمورابي » ،

وبعد حوالى ثلاثة عقود من حكم مليء بالمشاكل قام بالهجوم على « ريم ـ سين » حاكم « لارسا » وانتصر عليه بالإضافة إلى انتصاره على ملوك بلاد « عيلام » « ماري » « وأشنونا » وبذلك أصبح ، حوالى سنة ١٧٥٠ ق . م . حاكما لمملكة موحدة تمتد من الخليج العربى إلى نهر الخابور . وبالملك « حمورابى » ينتهى تاريخ بلاد سومر ويبدأ تاريخ بلاد بابل التى قامت فيها دولة سامية على أساس سومرى .

الفصل الثالث

المجتمع : المدينة السومرية

كانت الحضارة السومرية جوهريا مدنية فى طبيعتها على الرغم من أنها كانت تستقر على قاعدة زراعية وليس على قاعدة صناعية . وكانت بلاد سومر فى الالف الثالث ق.م. تتكون من اثنتى عشرة دولة ـ مدينة ، أو حوالى ذلك ، لكل منها مدينة كبيرة ، مسورة فى العادة ، وتحيط بها ضواحى مؤلفة من قرى كبيرة وصغيرة . وكان أبرز ظاهرة فى كل مدينة المعبد الرئيسى الذى يقف على مصطبة عالية تطورت تدريجيا إلى برج مدرج ضخم يعرف باسم « زقورة » ، وهو أهم أسهام مميز قدمته بلاد سومر إلى العمارة الدينية . ويتألف المعبد عادة من مزار مستطيل الشكل أو مقدس مركزى ، يحيط به على ضلعيه الطويلين عدد من الغرف المخصصة لاستعمال الكهنة . وكانت توجد فى المقدس مشكاة ليوضع عليها تمثال الإله وأمام المشكاة مذبح للقرابين مبنى من الآجر الطينى المجفف . وكان المعبد يشيد على الاغلب بالآجر المجفف ، ولما كان الآجر المصنوع من الطين غير جذاب فى مادته ولونه فأن البنائين السومرين كانوا يزينون الجدران بطلعات ودخلات تتوالى بعد بعضها البعض على أبعاد منتظمة ؛ واستخدموا أيضاً العمود ونصف العمود اللذين يشيدان بالآجر الطينى المجفف ويغطيان بنماذج من الخطوط المتعرجة والأشكال المعينية والمثلثات وذلك بادخال آلاف المخاريط الملونة المصنوعة من الطين المشوى فى الطبقة الطينية السميكة التى تغطى الآجر . وكانت جدران المزار الداخلية تطلى أحياناً بزخارف جصية تمثل أشكالا بشرية وحيوانية بالأضافة إلى مجموعة متنوعة من الأشكال الهندسية[١] .

وكان المعبد أكبر واعلى وأهم بناء فى المدينة ، وذلك وفقاً للنظرية المقبولة بين الزعماء الدينيين السومرين التى ترجع بلاشك إلى ازمان قديمة جداً والقائلة بأن المدينة

---

(١) للأطلاع علي تفاصيل تتعلق ببناء المعبد أنظر الفصل الرابع .

كانها ملك إلهها الرئيسى الذى خصصت له فى اليوم الذى خلق فيه العالم[1] . أما فى التطبيق العملى فكانت مؤسسة المعبد على أية حال لا تمتلك إلا جزءاً من الأرض يؤجر إلى مزارعين ، أما الباقى فكان ملكاً خاصاً لمواطنين بصفتهم الشخصية . وكانت السلطة السياسية فى العهود الأولى بأيدى هؤلاء المواطنين الأحرار وحاكم — مدينة يعرف باسم « انسى » (ensi) ، الذى لم يكن أكثر من نبيل بين مجموعة من النبلاء . وعندما تتطلب الحالة اتخاذ قرارات حيوية بالنسبة للمدينة ككل ، كان هؤلاء المواطنون الأحرار يجتمعون فى (برلمان) مؤلف من مجلسين ، مجلس أعلى من « الكبار » (أى الشيوخ) ومجلس عموم من « الرجال » (أى النواب)[2] . ولما ازداد النزاع بين دول المدن عنفاً ومرارة ، واشتدت الضغوط من قبل الشعوب البربرية من شرق بلاد سومر وغربها ، أصبحت القيادة السياسية أمراً ضرورياً ، وأصبح الملك ، أو كما يعرف فى اللغة السومرية « الرجل الكبير » يحتل مقاما رفيعاً . وربما كان الملك فى بادئ الأمر ينتخب ويعين من قبل المجلس فى لحظة حرجة ليتولى مهمة عسكرية محدودة ، ولكن الملكية ، بكل امتيازاتها وحقوقها ، أصبحت بالتدريج مؤسسة وراثية ، وكانت تعتبر سمة المدنية المميزة لها . وأسس الملوك جيشاً نظامياً ، مع العربة — « الدبابة » القديمة — كسلاح هجومى رئيسى ، وكتيبة مشاة مساحة بأسلحة ثقيلة تقوم بالهجوم بتشكيلة الكراديس . وكانت انتصارات بلاد سومر وفتوحاتها تعود إلى درجة كبيرة إلى تفوقها هذا فى الأسلحة والأساليب والتنظيم والقيادة العسكرية . ولذلك بدأ القصر (أى الملك) بمرور الزمن بمنافسة المعبد فى الثروة والنفوذ .

ولكن الكهنة والأمراء والعسكريين كانوا لا يؤلفون إلا جزءاً صغيراً من

---

(٢) كان السومريون يعتقدون بأن الآلهة خصصت عندما خلقت الأرض لكل إله من الآلهة الرئيسة مدينة تضم معبده الرئيسى . وكانت المدينة وحقولها تعتبر ملكا خاصاً للإله . أما الملك أو الحاكم فكانا وكيلين له . وإذا استطاعت إحدى المدن السيطرة على مدن أخرى فان هذا يفسر بأن مجمع الآلهة انتخب إله تلك المدينة المنتصرة ليكون ملكاً بين الآلهة وضمت إليه بقية المدن . وكان لهذه النظرة نتائج مهمة فى تاريخ العراق السياسى . (المترجم)

سكان المدينة ، فقد كانت الأغلبية العظمى من السكان من المزارعين وأصحاب الماشية والملاحين وصيادى السمك والتجار والكتاب والأطباء والمهندسين والبنائين والنجارين والحدادين والصاغة والفخاريين . وكان يوجد بالطبع عدد من العائلات الغنية المتنفذة التى كانت تمتلك مقاطعات واسعة ، على أن الفقراء كانوا ينجحون أيضاً فى امتلاك الحقول والبساتين والبيوت والماشية . وكان أنشط الحرفيين والصناع يبيعون مصنوعاتهم اليدوية فى سوق المدينة الحر ويأخذون الثمن إما نوعاً أو بال « نقود » التى كانت عادة حلقة أو خاتماً من الفضة بوزن قياسى . وكان التجار المتجولون يتعاطون تجارة مزدهرة من مدينة إلى أخرى ومع دول مجاورة عن طريق البر والبحر ، وربما كان عدد غير قليل من هؤلاء التجار أفراداً من عامة الناس وليسوا ممثلين للمعبد أو القصر .

إن الرأى القائل بأن الأقتصاد السومرى كان اقتصاداً حراً نسبياً وأن الملكية الخاصة كانت هى القاعدة وليست شذوذاً يصطدم بإدعاء عدد من العلماء المستشرقين القائل بأن دولة — المدينة السومرية كانت حكومة دينية استبدادية يسيطر عليها المعبد وكانت تمتلك الأرض كلها وتسيطر سيطرة تامة على كافة النواحى الاقتصادية . أن حقيقة كون الأغلبية العظمى من الألواح الطينية العائدة إلى فترة ما قبل العهد السرجونى ، أى سومر حوالى سنة ٢٤٠٠ ق . م . ، عبارة عن وثائق جرد جاءت من معابد « لجش » وهى وثائق تتصل كلية بأرض المعبد وشخصياته ، هذه الحقيقة قادت العلماء إلى نتيجة لا يمكن تبريرها وهى أن جميع أرض « لجش » — وعلى سبيل الافتراض أراض دول — المدن الأخرى — كانت ملكاً للمعبد . غير أن من الصحيح أيضاً أن هناك عدداً من الوثائق التى جاءت من «لجش» ومن مواقع أخرى يشير بوضوح كبير إلى أنه كان باستطاعة مواطنى دول — المدن شراء حقولهم ودورهم وبيعها ، دون أن نذكر جميع أصناف الأموال المنقولة الأخرى . وعلى هذا ، مثلا ، اكتشفت عدة وثائق تعود إلى حوالى سنة ٢٥٠٠ ق . م . فى مدينة « فارة » و « بسمايا » سجلت فيها صفقات بيع مقاطعات كان يقوم بها أفراد من عامة الناس،

وأن هذه بلاشك لم تكن إلا جزءاً صغيراً من تلك الوثائق التي مازالت تحت التراب. وجاء من « لجش » لوح حجري سجلت عليه صفقة بيع أرض إلى « اينحيجال » ، من ملوك «لجش» وسلف «أور ــ نانشه» ، مما يظهر بأنه ما كان بوسع حتى ملك أن يستولى على ممتلكات غيره متى شاء ، بل كان يجب عليه أن يدفع ثمن ذلك . ووجدت وثيقة حجرية أخرى دونت فيها صفقة شراء ارض قام بها رجل باسم « لوماتور » ، من أبناء الملك « ايناتم » الأول ، مع افراد وعائلات متعددة — ونجد في نص الملك « أوروكاجينا » الأصلاحي بأنه حتى الفقير والوضيع كانا يمتلكان البيوت والبساتين وأحواض السمك . بيد أن فكرة وجود حكومة استبدادية معبدية تسيطر سيطرة مطلقة على المدينة استولت على عقول العلماء البارزين ولأجل اقتلاعها أصبحت اعادة دراسة مئات من النصوص الاقتصادية المتيسرة ، خاصة تلك التي جاءت من « لجش » ، دراسة عميقة ، ضرورة ملحة . وقد أنجز هذا العمل الاستاذ « آى . أم دياكانوف » (Diohanoff) ، وهو عالم روسي خصص وقتا وجهداً كبيرين إلى هذه المهمة ، وظهرت دراسته المفصلة في سنة ١٩٥٩ [١] . وفيما يأتي ، إذن ، نقدم صورة لتركيب دولة — المدينة السومرية الأقتصادى مستمدة بالدرجة الأولى من تحليلات « دياكانوف » التي تلقى ضوءاً على هذا الموضوع .

أن الخطأ الاساسي الذي قاد إلى افتراض ان معبد كل مدينة كان يمتلك جميع ارضها الزراعية اقترف من قبل المغفور له « انطون دايمل » (Anton Deimel) وهو عالم غزير الأنتاج كرس سنوات عديدة لدراسة وثائق « لجش » واسهم بشكل بارز في الدراسات السومرية كلها . لقد قدر «دايمل» باضافة جميع المقاطعات التي ذكرت في الوثائق إلى بعضها البعض مجموع مساحة أراضي المعبد في « لجش » بين مائتين وثلثمائة كيلو متر مربع ، وهو تقدير يمكن تبريره ، وإذا كان فيه ما ينتقد عليه فهو أنه منخفض جداً . ولكن «دايمل» يواصل بحثه بعد ذلك ليفترض بأن هذا هو ما كان

---

(١) Diakanoff, Sumer : Socity and State in Ancient Mesopotamia (Moscow, 1957 : in Russian with English résumé)

فى الواقع مجموع مساحة دولة — مدينة « لجش » ، وهو ادعاء لا تؤيده الحقائق مطلقا . فبعد دراسة جميع وثائق « لجش » المتيسرة بعناية أكثر قال « دياكانوف » . إن مساحة مقاطعة « لجش » كانت تضم على ما يرجح حوالى ثلاثة آلاف كيلو متر مربع الأرض ، منها حوالى ألفى كيلو متر مربع تروى ارواءاً طبيعياً . أن مجموع مساحة مقاطعات المعبد ، حتى إذا ضوعف تقدير « دايمل » — لان هناك سبباً للاعتقاد بأنه ينبغى أن يضاعف — كان يضم جزءاً كبيراً من مقاطعة دولة — المدينة ، ولكنه كان على أية حال جزءاً فقط . وكانت أرض المعبد هذه التى لم يكن بالأمكان شراؤها أو بيعها أو نقل ملكيتها بأى طريقة ، مقسمة إلى ثلاثة أصناف : (١) أرض الـ « نيجينا » (nigenna)[1] التى كانت مخصصة لتزويد المعبد بما يحتاج إليه . (٢) أرض الـ « كورا » (Kurra) وكانت مخصصة للمزارعين العاملين فى فلاحة أرض المعبد من الصنف الأول ، الـ « نيجينا » ، وكذلك للحرفيين وللشخصيات القائمة على إدارة المعبد كأجر عن خدماتهم (ولم يكن بالإمكان وراثة هذه الأرض كما كان من الممكن أن تستبدل أو تؤخذ جميعها من قبل إدارة المعبد فى أى وقت تقرر القيام بذلك لسبب أو آخر) . (٣) أرض الـ « أورولال » (urulal) وكانت مخصصة مقابل دفع حصة معينة من المحصولات الزراعية إلى افراد مختلفين ، ولكن بصورة خاصة إلى شخصيات المعبد لتوفير واردات أضافية لهم .

أما بالنسبة للأرض التى لم تكن من أملاك المعبد والتى كانت تضم القسم الأكبر من مقاطعة دولة — المدينة تقريباً ، فإن الوثائق تظهر على أن أغلبها كانت ملكا لـ « نبلاء » ، أى الامراء الحاكمين وعائلاتهم وإدارى القصر بالإضافة إلى الكهنة الذين كانت لهم أهمية كبيرة . وغالبا ما كانت هذه العائلات النبيلة تمتلك مقاطعات واسعة تصل مساحتها إلى مئات الأفدنة حصلت على أغلبها بالشراء من المواطنين الأقل حظا . وكان العمل فى هذه المقاطعات ينجز من قبل اتباع أو أفراد يعتمدون

(١) يلفظ الجيم كافا فارسية . (المترجم)

فى حياتهم المعاشية على النبلاء ، وكانت منزلتهم الأجتماعية تشبه منزلة المعتمدين على المعبد الذين كانوا اتباعاً لموظفى المعبد وإداريه من ذوى الثراء الكبير . وكانت بقية الأرض — أى الأرض التى لم تكن ملكا للمعبد أو النبلاء — تعود إلى العامة من مواطنى المجتمع ، الذين ربما كانوا يؤلفون أكثر من نصف السكان . وكان هؤلاء المواطنون الأحرار أو العوام ينتظمون فى عوائل كبيرة ذات رؤساء وكذلك فى قبائل لها زعماؤها وفى مجتمعات قروية . وكان من الممكن منذ أقدم العهود أن تنقل ملكية الأرض الموروثة التى كانت فى حوزة العوائل ، ولكن هذا كان لا يتم الامن قبل عضو أو عدة أعضاء من العائلة ، ليس من الضرورى أن يكون رأس العائلة من بينهم، يقومون بذلك كممثلين منتخبين عن مجتمع العائلة . وكان يشترك فى الصفقة عادة أعضاء آخرين كشهود ، مشيرين بذلك إلى موافقتهم ورضاهم . وكان هؤلاء الشهود يتلقون أجراً على ذلك تماما كما كان يتسلم البائعون أنفسهم ثمن الأرض ، ولو أنه كان عادة أجراً أسمياً تقريبياً. وفى حالات عديدة كانت تسجل أسماء شهود لا يتقاضون أجراً يأتى بهم المشترى ،وكان يسهم أحيانا ممثلون عن الحكومة فى صفقات البيع والشراء . ومجمل كل ذلك أننا نحصل نتيجة لأبحاث « دياكانوف » المفصلة والتى تنم عن خيال بارع على صورة من البناء الأقتصادى — الأجتماعى لدولة المدينة السومرية تختلف كل الأختلاف عن تلك الصورة الشائعة بين العلماء المستشرقين فى الوقت الحاضر . ونرى أن السكان كانوا يتألفون من أربعة أصناف : نبلاء ، وعوام ، وأتباع ، وعبيد . وكان النبلاء يمتلكون مقاطعات كبيرة ، كان جزء منها بشكل أملاك فردية وجزء آخر بشكل ممتلكات عائلية ، وكان يعمل فيها إلى جانب العبيد أتباع احرار أو أفراد يعتمدون اعتماداً كلياً على النبلاء . وكان النبلاء كذلك هم الذين يسيطرون على أرض المعبد ، ولو أن هذه الأرض دخلت تدريجيا تحت سيطرة الحاكم ، بل أصبحت بعد ذلك ملكا خاصاً له . وربما كان المجلس الأعلى من البرلمان أو « مجلس المدينة » يتشكون من أعضاء ينتمون إلى العائلات النبيلة .

وكان الرجل من العامة يمتلك قطعة أرض خاصة به فى دولة المدينة ، ولكن

ذلك كان بصفته عضوا من عائلة وليس كفرد مستقل ، وربما كان العوام هم الذين يكونون مجلس (العموم) من (البرلمان) المكون من مجلسين .

وكان الاتباع يتألفون من ثلاثة أصناف :

(١) المعتمدون على المعبد من الأثرياء — كإدارى المعبد والصناع المهرة ، (٢) المجموعة الكبيرة من المستخدمين فى المعبد ، (٣) اتباع النبلاء . وكان أغلب الأتباع من الصنفين الأول والثانى يحصلون على قطع صغيرة من أرض المعبد (ولكن على أساس تملك مؤقت فقط) ، على الرغم من أن بعضهم كان يحصل على كميات من الأغذية والصوف . وكان بلا شك يدفع أيضا إلى أتباع النبلاء العاملين فى مقاطعاتهم وفقاً لترتيبات شبيهة بما كان يتخذ مع أتباع المعبد .

وكان الرق نظاما معترفا به ، وكانت المعابد والقصور والمقاطعات الغنية تمتلك العبيد وتستغلهم لمصالحها الخاصة . وكان العديد من العبيد أسرى حرب ، بيد أنه ليس من الضرورى أن يكونوا من الأجانب لأنه كان من الممكن أن يكونوا أخوانا سومريين من مدينة مجاورة هزمت فى الحرب . وكان العبيد السومريون يجمعون بطرق أخرى ، فكان من الجائز أن يستعبد الأحرار كعقوبة تفرض عليهم بسبب مخالفات معينة . وكان باستطاعة الوالدين بيع أطفالهم كعبيد عند الحاجة أو من الجائز أن يسلم رجل جميع أفراد عائلته إلى دائنين تسديدا لدين عليه ، على أن ذلك كان لمدة محدودة لا تزيد على ثلاث سنوات . وكان العبد ملك سيده كأى مال منقول آخر ، ومن الممكن وشمه بعلامة وجلده . ويعاقب العبد بشدة إذا حاول الهرب ، ألا أنه كان من مصلحة السيد من ناحية أخرى أن يظل عبده قويا ومعافى ، ولذلك كان العبيد يعاملون عادة بلطف ، بل وكانت لهم حقوق قانونية معينة : فقد كان بامكانهم الدخول فى معاملة تجارية واستدانة نقود وابتياع حريتهم ، وإذا تزوج عبد أو أمة شخصاً حراً كان الأبناء أحراراً . وكان سعر بيع العبد يتفاوت وفقاً لحالة

السوق والشخص الذى تشمله عملية البيع . وكان معدل سعر الرجل البالغ لسن الرشد عشرين « شيقلا » وهى سعر كان يقل أحياناً عن سعر حمار .

لقد كانت العائلة ، كما هو الحال عندنا ، الوحدة الأساسية فى المجتمع السومرى ، وكان أعضاؤها ملتحمين مع بعضهم بالحب والاحترام . وكان يعترف بالخطوبة قانونياً حالما يقدم العريس هدية زواج إلى والد الفتاة . وتتم الخطوبة غالباً بعقد يدون على لوح طينى ، ومع أن الزواج جعل بهذه الصورة تنظيماً عملياً فإن هناك بعض الأدلة التى تشير إلى أن الاتصال الجنسى قبل الزواج لم يكن أمراً غير معروف تماماً . وكانت للمرأة فى بلاد سومر حقوق قانونية معينة مهمة : فكان لها أن تمتلك وتتعاطى العمل التجارى وكانت مؤهلة للشهادة ، بيد أنه كان باستطاعة زوجها أن يطلقها لأسباب تافهة نسبياً ، وإذا كانت عاقراً كان باستطاعته أن يتزوج من امرأة ثانية . وكان الأطفال تحت سلطة والديهم المطلقة ، وكان لهما حق حرمانهم من الإرث أو حق بيعهم ليصبحوا عبيداً . ولكن فى سياق الحياة الاعتيادية كان الوالدان يحبانهم ويعتزان بهم إلى درجة كبيرة . ويرث الأبناء عند وفاة الوالدين كل ثروتهما . وكان تبنى الأطفال أمراً شائعاً : ويعامل الأبناء المتبنون أيضاً بأقصى حد من العناية والرعاية .

لقد لعب القانون المدون ، كما يستنتج مما قيل عن التنظيم الاجتماعى والاقتصادى دوراً كبيراً فى المدينة السومرية . فنجد ابتداءاً من حوالى سنة ٢٧٠٠ ق.م. سندات بيع حقيقية ، تشمل بيع الحقول والبيوت والعبيد ، وتملك من حوالى سنة ٢٣٥٠ ق.م أثناء حكم « أوروكاجينا » ملك « لجش » ، وثيقة من أثمن الوثائق وأكثرها تعبيراً فى تاريخ الإنسان وكفاحه الدائم الذى لا يلين من أجل التحرر من الطغيان والاضطهاد . إن هذه الوثيقة تسجل اصلاحات شاملة لمجموعة كاملة من المظالم السائدة التى يمكن إرجاع أغلبها إلى بيروقراطية بغيضة ، موجودة فى كل زمان ومكان ، مؤلفة من الحاكم وحاشيته ، وتعطينا هذه الوثيقة ، فى نفس الوقت ، صورة كئيبة ومشؤومة لقسوة الإنسان على الإنسان فى كل المستويات — الاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية ، والنفسية . وإذا قرأنا مابين سطورها نلمح كذلك صراعاً مريراً من أجل

السلطة بين المعبد والقصر — كالنزاع بين الكنيسة والدولة — ووقوف مواطنى « لجش » إلى جانب المعبد. وأخيراً نجد فى هذه الوثيقة كلمة « حرية » تستخدم لأول مرة فى التاريخ المدون للإنسان. إن هذه الكلمة هى « امارجى » (amargi) التى تعنى حرفياً « عودة إلى الأم » ، كما أشار إلى ذلك حديثاً الأستاذ « فلكنشتاين » . على أننا ما زلنا نجهل السبب الذى أدى إلى استعمال هـــذا التعبير بمعنى « حرية » .

ولا توجد فى النص نفسه إشارة عن الأحداث التى نجمت عنها تلك الحالة الفاسدة وغير الشرعية وذلك الاضطهاد فى « لجش » كما تصورها وثيقة « أوروكاجينا » الأصلاحية ، بيد أنه فى وسعنا أن نستنتج حدساً بأنها كانت نتيجة مباشرة للقوى السياسية والأقتصادية التى انطلقت من عقالها بسبب السعى من أجل الاستحواذ على السلطة ، ذلك السعى الذى كان يميز السلالة الحاكمة التى أسسها « أور — نانشه » فى حدود سنة ٢٥٠٠ ق.م. ، ذلك أن بعض الحكام ، بعد أن قتنبوا بالمطامح العظيمة لأنفسهم ولدولتهم ، عمدوا لتحقيق هذه المطامح إلى حروب استعمارية وفتوحات دموية وحالفهم فى بضع حالات نجاح كبير ، حتى أن أحدهم ، وهو « إياناتم » ، نجح فترة قصيرة فى مد سلطان « لجش » على بلاد سومر كلها ، بل وحتى على عدد من الدويلات المجاورة . غير أن تلك الانتصارات الأولى برهنت على أنها كانت وقتية زائلة وفى أقل من قرن واحد تراجعت « لجش » إلى حدودها القديمة ووضعها السابق . وكانت « لجش » فى الوقت الذى تسلم فيه « أوروكاجينا » الحكم ضعيفة إلى درجة جعلت منها فريسة سهلة لعدوتها اللدودة من جهة الشمال وهى دولة — مدينة « أوما » .

لقد وجد سكان « لجش » أنفسهم أثناء هذه الحروب القاسية وما تركته من آثار محزنة وقد حرموا من حريتهم الأقتصادية والسياسية ، ذلك لأن من أجل تجنيد الجيوش وتجهيزها بالســـلاح والعدد اضطر الحكام على التجاوز على حقوق المواطن الشخصية وفرض أقصى ما يمكن من الضرائب على أمواله وممتلكاته والاستيــلاء أيضا على أملاك كانت تعود للمعبد . ولم يواجه الحكام بسبب ظروف

الحرب إلا مقاومة ضئيلة ، وما أن تمكن رجال القصر من الهيمنة حتى كشفوا عن ممانعتهم الشديدة للتخلى عن هذه السيطرة الداخلية حتى فى أوقات السلم لأنها أثبتت على أنها ذات منافع كبيرة لهم.والواقع أن هؤلاء البيروقراطيين القدامى صاروا يتفننون فى ابتكار مصادر متنوعة للدخل والإيراد ، والضرائب والرسوم التى ربما تكون ، من بعض الوجوه ، موضع حسد عند نظرائهم من الحكام فى العصر الحديث . وكان المواطنون يلقون فى السجن لأوهى حجة: بسبب دين ، أو عدم دفع الضرائب أو تهم سرقة أو جريمة قتل ملفقة .

ولكن لندع المؤرخ الذى عاش فى «لجش» قبل أكثر من مائتين وأربعة آلاف سنة ، فكان بذلك معاصراً للأحداث التى ينقلها ، يتلو علينا القصة بعباراته الخاصة تقريباً . لقد اكتشفت فى « لجش » ثلاث نسخ متطابقة من النص الذى دونه هذا المؤرخ ، وربما كانت هناك نسخ أخرى مما يشير إلى أن « أوروكاجينا » والمصلحين من أصحابه كانوا فخورين ، وهو أمر له ما يبرره ، بالثورة الاجتماعية والأخلاقية التى حققوها[1] .

فى الأيام التى سبقت « أوروكاجينا » ، أو كما يضعها المؤلف على نحو أكثر بهاءاً ، « قديماً ، من أيام العبودية ، من (اليوم) الذى نبتت فيه بذرة (الإنسان) ، كان موظفو القصر يمارسون أعمالا سيئة كالاستيلاء ، بلا حق أو تفويض ، على مايفترض ، على أموال تعود إلى مواطنى « لجش » مثل حميرهم ، وشياههم ، ومصايد أسماكهم . وكان آخرون من المواطنين يجردون بصورة غير مباشرة تقريباً من بضائعهم وممتلكاتهم وذلك بإرغامهم على كيل مايستحقونه من المؤن فى القصر بصورة تؤدى إلى إضرار كبيرة بمصالحهم ، أو بإجبارهم على جلب أغنامهم إلى

(١) يجد القارىء فى الملحق (ج) عدد ٢٤ ترجمة كاملة ومنقحة تنقيحاً كاملا للنسخ الثلاث استندت إلى درجة كبيرة ، ولكن ليس كلياً ، إلى احد استنساخات آرنو « يوبل » غير المنشورة حتى الآن .

القصر لغرض جز صوفها ودفع أجر عن هذه الخدمة « نقداً » فى حالات معينة على الأقل .

وإذا طلق رجل امرأته كان « الأنسى » (أى الحاكم) يتقاضى خمسة « شياقل » ويتقاضى وزيره «شيقلا» واحداً ، ويأخذ « الأبجال » (أى ناظر القصر) « شيقلا » آخر .

أما بالنسبة للمعبد وأملاكه فأن « الأنسى » (أى الحاكم) كان يستحوذ عليها ويحولها إلى ملك خاص له . ونقتبس مما قاله قصاصنا القديم حرفياً قوله : « كانت ثيران الآلهة تحرث حقل « الأنسى » (أى الحاكم) المخصص لزراعة البصل ، وكانت حقول البصل والخيار العائدة إلى « الأنسى » تقع فى أجود حقول الآلهة ، وفوق ذلك ، فإن موظفى المعبد البارزين ، وخاصة طبقة « السانجا » كانوا يجردون بطريقة أو أخرى من حميرهم وثيرانهم بالإضافة إلى حرمانهم من الكثير من غلاتهم وملابسهم .

وكان حتى الموت لايخلص الناس من الرسوم والضرائب . فحين كان يؤتى بميت إلى المقبرة لدفنه ، (كانت هناك درجتان من المقابر — مقبرة عادية وأخرى تسمى « قصب (الإله) أنكى » ، كان عدد كبير من الموظفين والمتطفلين يجعلون من هذا تجارة ليربحوا العائلة الحزينة من مقادير من الشعير والخبز ، ونبيذ التمر ، ومن أدوات منزلية متنوعة . ويقول قصاصنا المحترم بمرارة « إن جباة الضرائب كانوا منتشرين » من أقصى الدولة إلى أقصاها . فلا عجب إذا ماانتفخ القصر وازداد ثراءاً ، فقد كانت أراضيه وأملاكه تكون مقاطعة واسعة متصلة ، وبكلمات معلقنا السومرى الحرفية « بيوت الأنسى وحقول الأنسى ، وبيوت حرم القصر وحقول حرم القصر ، وبيوت أطفال القصر وحقول أطفال القصر كان يزاحم أحدها الآخر جنباً إلى جنب » .

وكانت هناك كذلك مساوىء أخرى سائدة لا ترجع على مايبدو إلى بيروقراطية القصر مباشرة ولكنها كانت ناتجة دون ريب من حالة الظلم العامة وعدم المبالاة والمبالغة فى تعظيم النفس التى تحدث بسبب أعمل البيروقراطية الفاسدة والجائرة :

فالصناع والحرفيون أحيلوا إلى حالة فقر مدقع ، وكان عليهم أن يستجدوا الناس من أجل الحصول على طعامهم ، وكان يقبض على العمى — الذين كانوا على مايفترض من أسرى الحرب ومن العبيد الذين تعمى أبصارهم لمنعهم من محاولة الهرب — ويوضعون للعمل فى سق الحقول كالحيوانات ولا يعطى لهم من الطعام إلا ما يكفى للابقاء عليهم أحياء ، وكان الأغنياء و « الرجال الكبار » ، والنظار يزدادون ثراء على حساب المواطنين السيىء الحظ ، مثل طبقة الـ « شوب لوجال » (ربما فى الأصل « خدام الملك »)، وذلك بدفعهم على بيع حميرهم وبيوتهم بأسعار زهيدة خلافاً لإرادتهم . وكان المعوزون والفقراء واليتامى والأرامل يعامـــلون معاملة سيئة ، ويجردون بطريقة أو أخرى من القليل الذى كانوا يملكونه من قبل أصحاب السلطة والنفوذ .

فى هذه الفترة المتدهورة من أحوال « لجش » السياسية والاجتماعية اختار الإله « نينجرسو » إله المدينة الحامى ، على ما يخبرنا به مؤرخنا السومرى ، الحاكم الجديد لذى كان يخشى الآلهة « أوروكاجينا » من بين جموع مواطنى « لجش » وأمره بإعادة تطبيق « القوانين الإلهية » التى تركها أسلافه وأهملوها . والتزم «أوروكاجينا» بكلمات « نينجرسو » ونفذ أوامر الإله تنفيذاً كاملا . فمنـــع الممارسات السيئة كالأستحواذ على الحمير والأغنام والشياه وأماكن صيد السمك العائدة للمواطنين . ومنع فرض دفع الأموال إلى القصر بطرق مختلفة ، كأجر على وزن حصصهم من المؤن وجز صوف أغنامهم . وإذا طلق رجل امرأته لم يعد يحق للحاكم ولا لوزيره الحصول على رسم . وإذا صنع العطار صنفاً من الدهان لا يحـق للحاكم ولا لوزيره ولا لـ « أوبجال » أن يأخذ شيئاً منه . وعند ما يؤتى بالميت إلى المقبرة لدفنه صار مايتقاضاه الموظفون من مخلفات الميت أقل مما كان يتقاضونه سابقاً ، بل صار أقل من النصف فى بعض الحالات . أما بالنسبة لأملاك المعبد التى استحوذ عليها الحاكم فإنه ، أى « أوروكاجينا » ، أعادها إلى أصحابها الحقيقين وهم الآلهة ، ويبدو بأنه قد عهد الآن فى الواقع إلى القائمين على إدارة المعبد بمسئولية إدارة قصر « الأنسى » (أى الحاكم) بالإضافة إلى قصور زوجته وأطفاله . ومن أقصى طرف البلاد إلى طرفها الآخر ، كما يقول مؤرخنا الذى عاصر الأحداث ، « لم يعد هناك جباة للضرائب » .

ولكن القضاء على الوكلاء المنتشرين فى كل مكان ، وعلى جباة الضرائب والموظفين الطفيليين الآخرين لم يكن الإنجاز الوحيد لـ « أوروكاجينا » . فقد أزال كذلك الظلم والاستغلال اللذين كانا يعانيهما الفقراء على أيدى الأغنياء والأقوياء وخصصت حصص ثابتة من الطعام والشراب إلى طائفة الصناع وإلى عدد معين من العمال المصابين بالعمى وإلى عمال آخرين ، والى شتى الكهنة من صنف الـ «جالا» (الذين ربما كانوا مغنى المعبد) ، ولم يجد الصناع والحرفيون بعد الآن ضرورة للاستجداء فى سبيل الحصول على طعامهم . ولمنع المشرفين و «الكبار» من استغلال المواطنين الاقل حظا مثل طبقة الـ « شوب — لوجال » فإنه أصدر مرسومين يمنعهم من اجبار اخوانهم المحتاجين على بيع حميرهم ودورهم خلافا لإرادتهم . وأصدر عفوا وأطلق سراح مواطنى «لجش» ممن سجنوا بسبب دين أو تخلف فى دفع الضرائب ، أو بموجب تهم قتل أو سرقة (كانت على ما يفترض) مزيفة . أما بالنسبة لليتامى والأرامل الذين كانوا ضحايا سهلة وعاجزة للأغنياء والأقوياء فإن « أوروكاجينا » عقد عهدا مع الإله « نينجرسو » بأن لا يقترف رجل قوى ظلما بحقهم .

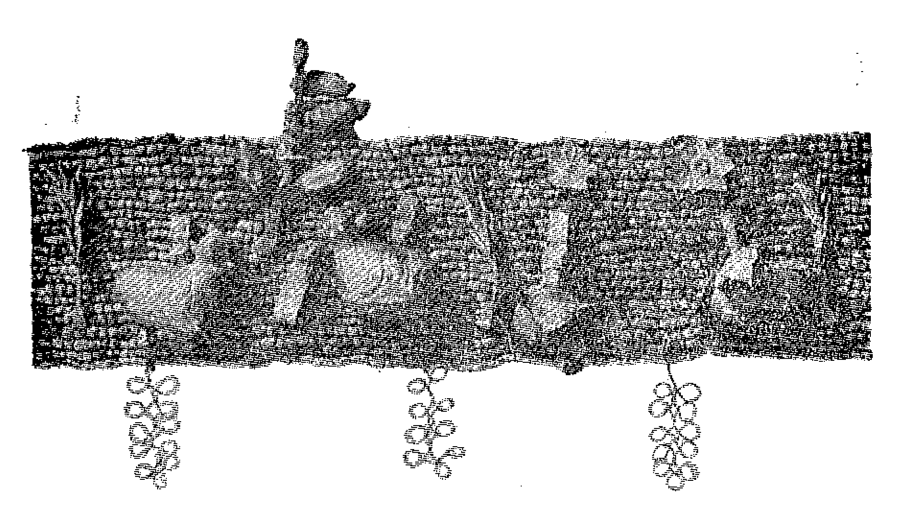
وأخيرا نجد فى نسخة من نسخ وثيقة « أوروكاجينا » (انظر الملحق ج عدد ٢٦ و٢٧) سلسلة من القواعد التى ، إذا كانت قد ترجمت وفسرت تفسيراً صحيحاً ، ينبغى أن تكون ذات أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ القانون ، فهى تشير إلى أن المحاكم كانت تؤكد بشدة على الحاجة إلى توضيح الجريمة التى يعاقب من أجلها المتهم لجميع الناس عن طريق الكلمة المكتوبة . فمثلا كان يجب رجم السارق والمرأة التى تتزوج برجلين (فى آن واحد) باحجار كانت تدون عليها نيتهما الشريرة ، والمرأة التى كانت ترتكب ذنباً بقولها لرجل قولا ما كان ينبغى أن تقوله (إن الفقرة التى تقدم كلماتها غير واضح لسوء الحظ) يجب أن تهشم أسنانها بآجر مفخور كتب عليه ما كان يفترض بأنه العمل الإجرامى الذى اقترفته .

وكما يتضح من نص اصلاحات « أوروكاجينا » ، كان اصدار القوانين والقواعد القانونية من قبل حكام الدول السومرية ظاهرة شائعة فى حدود سنة ٢٤٠٠ ق . م . ، بل وربما فى وقت أقدم من ذلك بكثير . وعلى هذا فإن من المعقول الاستنتاج بأنه لا بد

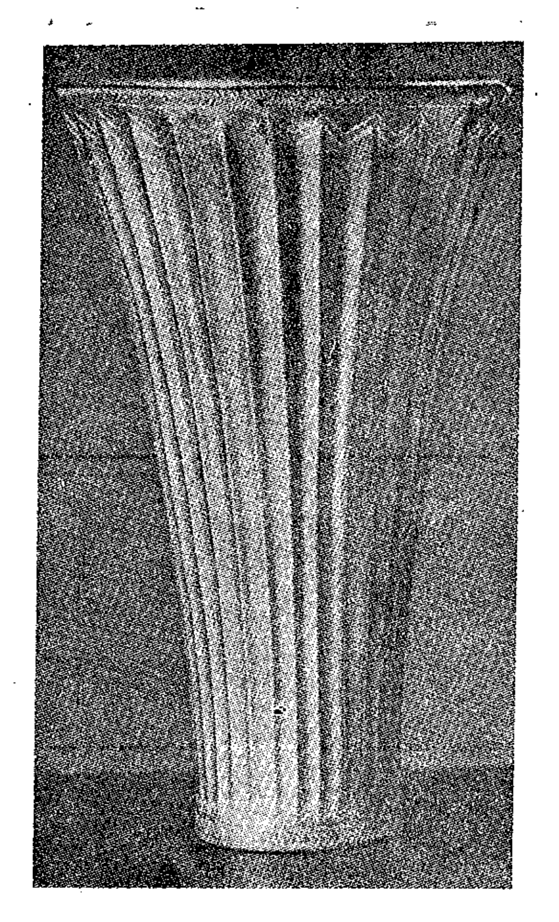
أن يكون هناك أكثر من قاض رسمى واحد أو مشرف على سجلات القصر أو أستاذ فى «الايدوبا» (المدرسة) قد فكر فى القرون الثلاثه التالية بتدوين القوانين والسوابق السائدة فى أيامه أو فى الأزمان السابقة أما لغرض الرجوع إليها للانتفاع منها كمراجع أو لإستعمالها كوسائل للتعليم . ولكنه ، حتى هذا التأريخ ، لم تكتشف مثل هذه السجلات من الفترة الواقعة بين عهدى « أوروكاجينا » و « أور — نامو » مؤسس سلالة « أور » الثالثة الذى بدأ حكمه حوالى سنة ٢٠٥٠ ق . م .

ومما لا ريب فيه هو أن شريعة « أور — نامو » كانت مدونة فى الأصل على مسلة حجرية لا تختلف عن المسلة التى دونت عليها شريعة « حموارى » باللغة الأكدية بعد ذلك بحوالى ثلاثة قرون . ولكن ما أكتشف حتى الآن لم يكن المسلة الأصلية ، ولا حتى نسخة معاصرة لها ، وانما هو عبارة عن لوح فى حالة سيئة أعد بعد ذلك بعدة مئات من السنين . لقد قسم الكاتب القديم هذا اللوح إلى ثمانية حقول (أو أعمدة)، أربعة منها على الوجه وأربعة على الظهر ،ويحتوى كل حقل على حوالى خمسة وأربعين حيزا فصل بين الواحد والآخر بخط مستقيم . الا أن ما يفهم منها فى الوقت الحاضر أقل من النصف . ويحتوى وجه اللوح على مقدمة مطولة لا تفهم الا جزئياً بسبب الكسور المتعددة فى النص . وإذا ما أوجزت المقدمة فأن من الممكن قراءة محتوياتها جزئياً على الوجه التالى :

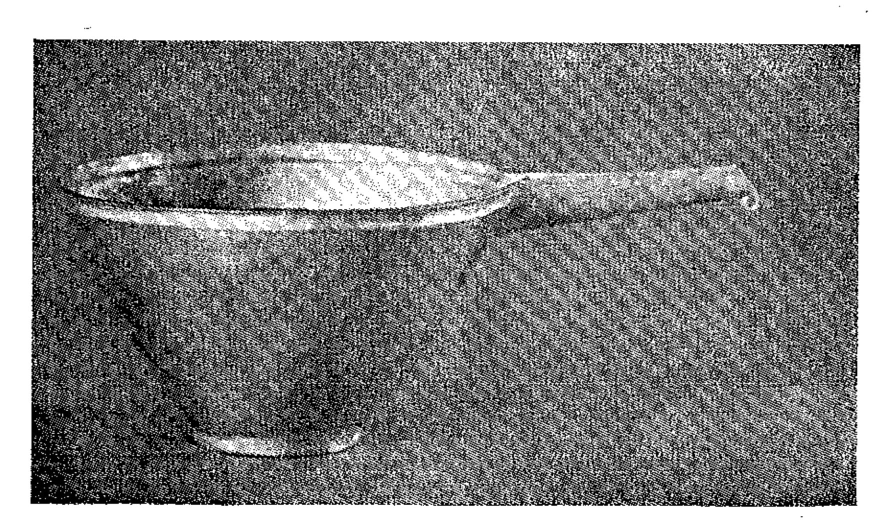
بعد أن خلق العالم ، وبعد أن تقرر مصير بلاد سومر ومدينة « أور » ، عين « آن » و « انليل » ، الإلهان اللذان يتزعمان مجمع الآلهه السومرى ، الإله — القمر « نانا » ملكا على مدينة « أور » . وفى يوم من الأيام أختير « أور — نامو » من قبل هذا الإله ليكون ممثلا له فى الأرض ويحكم بلاد سومر و « أور » . وكانت باكورة أعمال الملك الجديد تتصل بسلامة « أور » وبلاد سومر السياسية والعسكرية . فقد وجد من الضرورى بصورة خاصة شن حرب على دولة — مدينة « لجش » المجاورة التى كانت تتوسع على حساب « أور » ودحر ملكها « نامخانى » وقتله ، ثم أعاد « بقوة الإله نانا ، ملك المدينة » تثبيت حدود دولة « أور » السياسية .

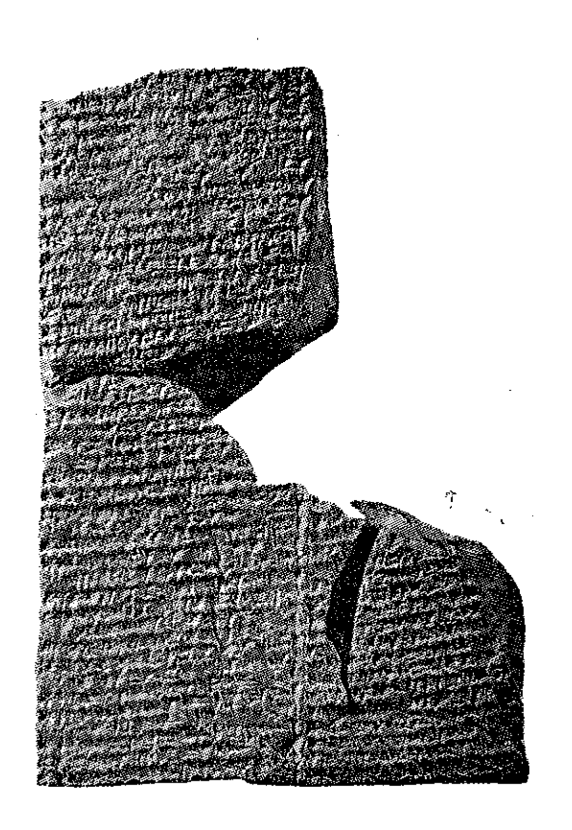


جزء من إكليل الملكة « شوباد » وجد فى المقبرة الملكية فى « أور » (من حوالى ٢٥٠٠ ق . م .) ، ويتكون من خرز من حجر اللازورد مركبة مع أوراق وفواكه وزهور وأشكال حيوانية مصنوعة من الذهب (من متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .

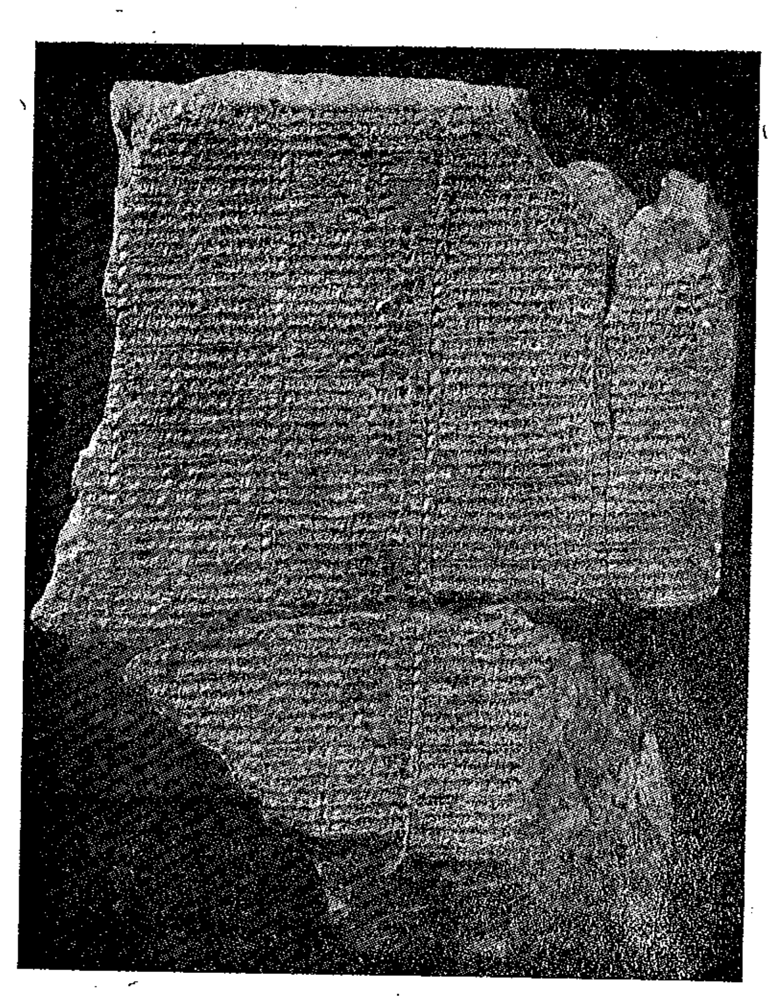


قـدح محزز وإناء بصنبور من الذهب عثر عليهما فى المقبرة الملـكية فى « أور » (من حوالى سنة ٢٥٠٠ ق٠م٠) (من متحف الجامعـــة فى بنسلفانيا).





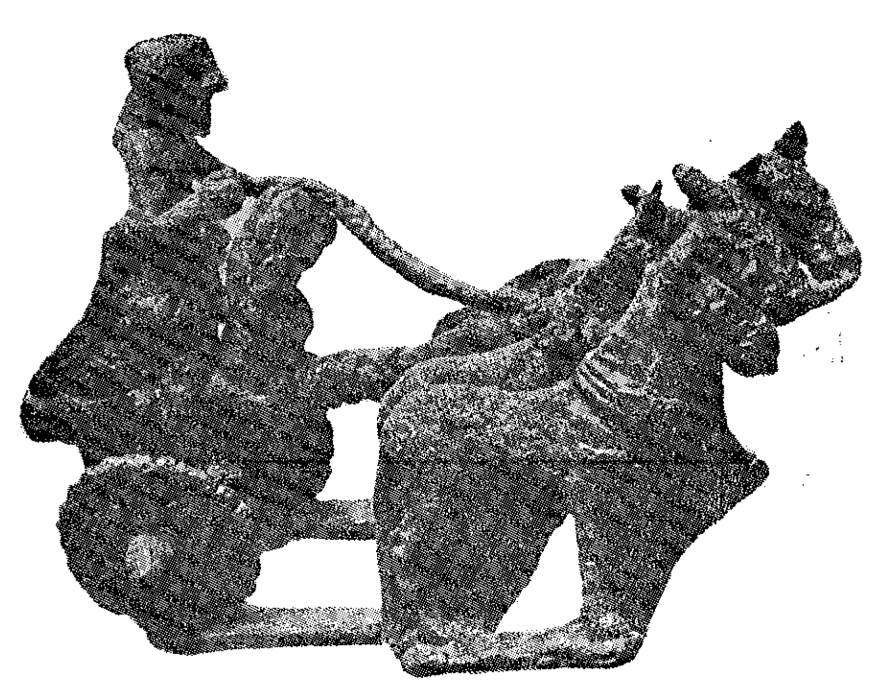
« خلق الإنسان » : لوح طيني جمع من ثلاث كسر دونت عليه قصة خلق الإنسان من « الطين الموجود على المياه الأولى » . (من متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .



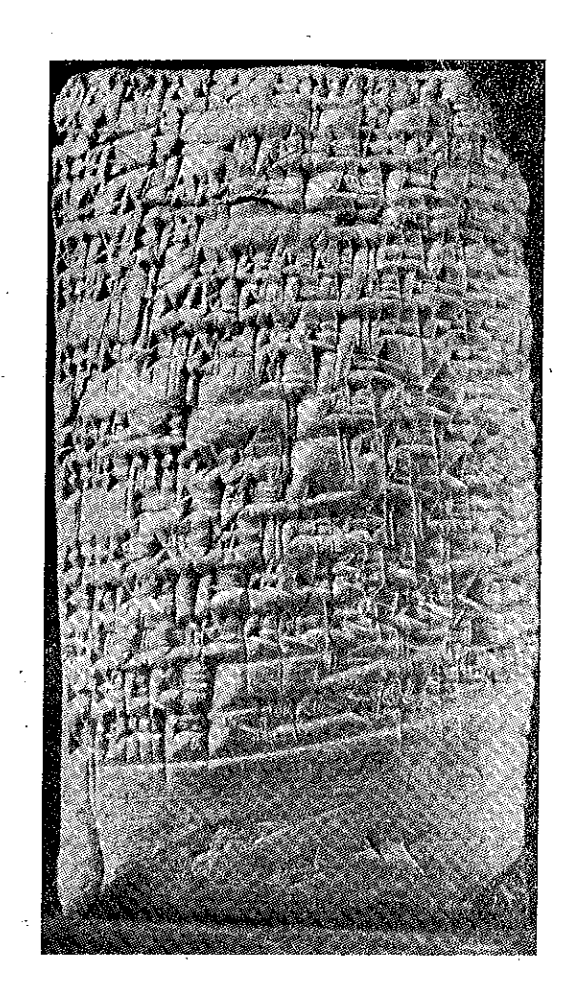
نص نحوى اكتشف فى مدينة « نفَّر » . كان هذا اللوح فى الأصل يحتوى على ستة عشر حقلاً من الكتابة ، وقسم كل حقل إلى قسمين . يحتوى النصف الواقع على جهة الشمال على وحدة قواعدية سومرية كمركب إسمى أو فعلى ، بينما يعطى النصف الثانى الترجمة السامية للمركب السومرى . (من متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .



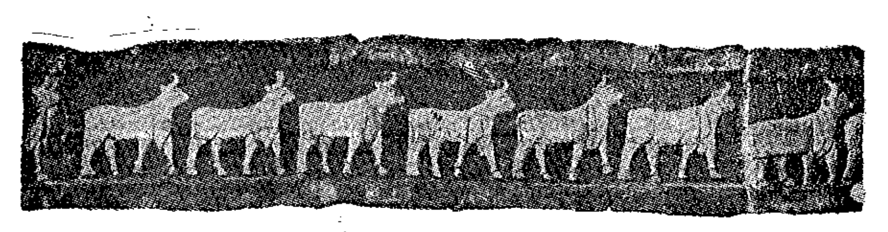
زوجة وزوجته : نحت من الجبس يعبر عن العاطفة والسعادة الزوجية . (من صور البعثة الأمريكية للتنقيب فى نفر) .



سائق عربة تجرها أربعة حمير (من النحاس) . عثر على هذه العربة فى معبد « شارا » فى تل عقرب (من حوالى سنة ٢٧٠٠ ق . م .) . والعربة من الصنف الخفيف . ويقف السائق فوق عارضتين على محور ويمسك قطعة خشبية فى الوسط مغطاة بالصوف . ويسيطر على الحمير بتثبيت حلقات فى شفاهها العليا ، وبسوط فقد من القطعة . (من متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .



« تقويم الفلاح » : يشاهد فى الصورة ظهر اللوح الذى دونت عليه إرشادات تتعلق بأعمال زراعية يقوم بها الفلاح خلال السنة . (من متحف الجامعة فى بنسلفانيا) .





نقوش بارزة تظهر قطيعاً من البقروأعمالا مختلفة تتصل بتهيئة الألبان ۰ ا كتشف هذا النقش فى « العبيد » (حوالى سنة ٢٥٠٠ ق ۰ م ۰) . يشاهد فى الجزء الأسفل وإلى يمين الزريبة التى تحتل مركز الصورة مباشرة رجلاً يحلب بقرة ۰ وإلى الشمال من الزريبة مباشرة نشاهد رجلاً يخض اللبن لإستخراج الزبدة ، ونشاهد بعد ذلك ثلاثة رجال يحضرون السمن أو الزبد الصافى ، الذى مازال منتجاً رئيسياً عند سكان العراق الذين يعملون فى الرعى (الأصل موجود فى المتحف العراق وتوجد نسخة جبسية فى متحف الجامعة فى بنسلفانيا) ۰

والآن آن الأوان للتوجه نحو الشئون الداخلية والبدء بإصلاحات اجتماعية وأخلاقية . فقضى على المحتالين ومبتزى الأموال ، أو كما يصفهم القانون نفسه « ناهبى » ثيران المواطنين وأغنامهم وحميرهم . ثم وضع ونظم موازين ومكاييل دقيقة لا يمكن التلاعب بها . وأكد على أن « لا يقع اليتيم فريسة للغنى » و « الأرملة ضحية للقوى » ولا « يقع الرجل مالك « الشيقل » الواحد فريسة للرجل الذى يملك « منا » واحداً (والمنا يعادل ستين شيقلا) . وعلى الرغم من تهشم الفقرة الخاصة بالغرض من وضع الشريعة فأن هذا الجانب من اللوح كان يحتوى بلا شك على عبارة مفادها أن « أور — نامو » أصدر المواد القانونية التالية لتحقيق العدالة فى البلاد وتعزيز رفاهية مواطنيها .

أما بالنسبة لمواد الأحكام نفسها فأنها تبدأ على ما يرجح على ظهر اللوح ، إلا أن التلف قد أصابها إلى درجة لا يمكن معها إلا استعادة محتويات خمس منها بدرجة من اليقين . وتتعلق إحدى هذه المواد بشكوى من أعمال سحر وبأسلوب من المحاكمات يتم فيها اظهار الحقيقة عن طريق الامتحان بإلقاء المتهم فى مياه النهر . وتعالج مادة أخرى أعادة عبد هارب إلى سيده . ولكن المواد الثلاث الأخرى ، على ما أصابها من تلف وما فى محتوياتها من تعقيد ، فأنها على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لتاريخ نمو الإنسان الإجتماعى والروحى ، لأنها تبين بأنه حتى قبل سنة ٢٠٠٠ ق . م . قد حلت محل قانون « العين بالعين » و « السن بالسن » أحكام أكثر إنسانية فى معالجة الأمور استعيظ فيها بغرامة مالية عن العقوبات المذكورة آنفاً . وتنص هذه المواد الثلاث على ما يأتى :

إذا قطع رجل بآلة . . . قدم رجل آخر . . . فعليه أن يؤدى ١٠ « شياقل » من الفضة .

إذا بتر رجل عظام رجل آخر بسلاح . . . فعليه أن يدفع « منا » واحداً من الفضة .

إذا قطع رجل أنف رجل آخر بآلة « جيشبو » فعليه أن يدفع ⅔ « منا » من الفضة .

ولم تكتشف حتى هذا التأريخ شريعة لأى من حكام سلالة « أور » الثالثة الآخرين ، السلالة التى أسسها « أور — نامو » . ولكننا نمتلك من فترة الثمانى والثلاثين سنة التى تبدأ بالسنة الثانية والثلاثين من حكم الملك «شولجى» بن « أور — نامو » وخليفته وتنتهى بالسنة الثالثة من حكم « إبى — سين » المؤلم والمحزن مجموعة تزيد على ثلثمائة سجلا من سجلات المحاكم التى تكشف إلى حد كبير عن الممارسات القانونية واجراءات المحاكم فى دول المدن السومرية، بالإضافة إلى الكشف عن تنظيمها الاجتماعى والاقتصادى. صحيح أن هذه السجلات كلها جاءت من فترة كان السومريون فيها يقتربون من نهاية تاريخهم ، ولكنها دون ريب تعكس إلى درجة ما عادات وأساليب الازمان القديمة .

لقد اكتشفت غالبية سجلات المحاكم هذه فى « لجش » ، وأستنسخت ونشرت وترجمت ترجمة جزئية من قبل الباحثين الفرنسيين وخاصة « شارلس فيروليود » « وهنرى دى جنويلاك » . وفى سنة ١٩٥٦ نشر الأستاذ « آدم فلكنشتاين » (الألمانى) قراءات وترجمات جديدة لكل هذه الوثائق الخاصة بالمحاكم مع تعليق وبحث مفصلين — فأضاف بهذا مأثرة أخرى إلى سلسلة مآثره المهمة فى حقل السومريات . ويستند الملخص التالى للاجراءات القانونية التى كانت تتبع فى دولة — المدينة السومرية كلية تقريبا على ما كتبه « فلكنشتاين » . لقد كانت محفوظات المحاكم تسمى من قبل الكتاب القدامى أنفسهم « ديتيلا Ditilla »وهى كلمة تعنى حرفيا « قضايا كاملة » . وعلى كل حال فإن ثلاث عشرة من هذه لم تكن قطعاً قضايا قانونية ، وإنما مجرد توثيقات من قبل المحكمة لإتفاقيات أو عقود تتعلق بزواج أو طلاق أو اعالة زوجة أو هدايا أو مبيعات أو تعين افراد مختلفين فى وظائف المعبد . ويتعلق الباقى منها ، وجميعه سجلات لاحكام قضائية حقيقية ، بعقود زواج وطلاق وارث وعبيد وتأجير قوارب ، وادعاءات مختلفة وتعهدات ومواد متفرقة كالتحقيقات التى تجرى قبل المحاكمة وأوامر بالمثول أمام المحكمة وسرقة عقار أو تخريبه ومخالفة وظيفية .

وكان ملك بلاد سومر — فى حدود فترة سلالة « اور » الثالثة على الأقل —

هو المسؤول نظرياً عن القانون والعدالة ولكن تنفيذ القانون فى التطبيق العملى كان بأيدى الحكام المحليين فى مختلف دويلات المدن . ويظهر فى وثائق المحاكم القديمة اسم «الأنسى» ، أى الحاكم ، بمثابة توقيع رسمى فقط ، الا أن اسمه بدأ يظهر فيما بعدمع أسماء القضاة الذين يقضون فى القضية ، وفى زمن متأخر عن ذلك كانت أسماء القضاة تظهر دون أن يرافقها اسم « الانسى » بيد أن أسمه كان يوضع عادة إلى جانب أسماء أولئك القضاة فى الكتابة التى تدون على صناديق الألواح الطينية التى كانت تلك الوثائق تحفظ فيها وترتب وفقاً لتواريخها، ولم يلعب المعبد ، إذا حكمنا من المصادر المتيسرة لنا ، عمليا دوراً فى إدارة شئون العدالة ، ما عدا كونه مكانا يؤدى فيه القسم ، بيد أنه توجد حادثة واحدة ، وصف فيها فرد بأنه « حاكم بيت نانا » (أى المعبد الرئيسى فى مدينة « أور ») ، ولعل هذا يشير إلى أنه كان يوجد صنف خاص من القضاة الذين يعينون لسبب ما من قبل المعبد.

وكانت المحاكم عادة مؤلفة من ثلاثة قضاة أو أربعة ولو أنها كانت فى بعض الحالات تقتصر على واحد أو اثنين . ولم يكن هناك قضاة ممتهنين حتى أن أغلب الستة والثلاثين رجلا الذين ذكروا كقضاة فى الوثائق المدونة كانوا من إدارى المعبد المهيمن ومن التجار العاملين فى البحار ومن السعاة والكتاب ومن رجال القصر والمفتشين والمتكهنين ومن حكام المناطق ومن القائمين على شئون السجلات ومن كبار المدينة بل وحتى من الأمراء . على أن هناك عدة أشخاص وصفوا بأنهم « قضاة مليكون » ، وتنتهى احدى الوثائق بالكلمات التالية «ديتيلا» (أى احكام) القضاة الملكيين السبعة فى «نفر» التى تشير إلى وجود محكمة خاصة فى هذه المدينة كانت على ما يحتمل من المحاكم التى تنظر فى آخر استئناف للدعوى . ولا يعرف شىء عن الاساليب أو المقاييس التى كانت تتحكم فى اختيار الحكام ، أو مقدار المكافأة التى كانوا يتقاضونها إن كانت هناك مكافأة .

وكان يظهر عادة على وثائق المحكمة قبل أسماء القضاه مباشرة اسم « المشكيم » الذى كان على ما يبدو شخصاً شبيهاً بكاتب المحكمة ومأمور التنفيذ فيها ،وكان يعهد إليه بتهيئة القضية للمحكمة والاهتمام بتفاصيل سير المحاكمة . وسجلت أسماء أكثر من مائة « مشكيم » فى « الديتيلا » (أى الأحكام) وينتمى جميع هؤلاء إلى نفس الطبقة

الاجتماعية التي ينتمى اليها القضاة ، وعلى هذا لم تكن مهمة « المشكيم » كذلك مهنة دائمية . وتوجد اشارة ما إلى أنه كان لـ « مشكيم » أجر على خدماته ، فمثلا هناك قول فى أحدى الوثائق ينص على ما يأتى : « شيقل » واحد من الفضه ، وخروف واحد ، كانا (اجرا) لما قام به المشكيم » .

وكانت أسماء القضاة و « المشكيم » تتبع فى بعض الـ « ديتيلا » ، (الأحكام)، بقائمة أسماء أشخاص يوضعون كشهود مختلفين لا يمثلون على ما يبدو الأطراف المتخاصمة وانما كانوا يمثلون الرأى العام فى المحاكمات .

وكانت اجراءات المحكمة السومرية فى قضية ما تسير على النحو الآتى : تقام دعوى من قبل أحد الفرقاء أو من قبل إدارة الدولة — إذا كانت لمصالح الدولة علاقة بالموضوع — وقد تتكون البينة التي تعرض أمام المحكمة من أفادات يدلى بها شهود بعد تأديتهم اليمين عادة ، أو من إفادة أحد الاطراف بعد اداء القسم ، أو قد تكون هذه البينة على شكل وثائق وأقوال مدونة يقدمها « خبراء » أو موظفون ممن كانت لهم مكانة كبيرة . وكان الحكم مشروطا ولا يعمل به إلا بعد أن تؤدى الأطراف التى تطلب إليها المحكمة القسم فى المعبد وذلك كدليل على صحة ادعاءاتهم وكانت تأدية هذا القسم عادة تطلب من الشهود — وعددهم أما شاهد واحد أو اثنان — ولا تطلب من الاطراف المتنازعة فيما عد القضايا التى تكذب فيها شهادة الشهود من قبل أحد المتخاصمين . ولم تكن تأدية القسم ضرورية إذا تيسرت لدى أحد المتخاصمين وثيقة مدونة . وكان « المشكيم » الذى سبق له أن شارك فى محاكمة سابقة تتعلق بالقضية المرفوعة أمام المحكمة يؤدى القسم أيضاً . وكان الحكم يعلن بصورة موجزة جدا بعبارات مثل « أنه (أى الشيء أو العبد الذى حصل النزاع بسببه) قد ثبتت عائديته إلى (س) « الطرف الذى كسب القضية » . أو « س (الطرف الذى كسب القضية) قد استرده (أى استرد الشيء أو العبد) كشيء يعود له » أو حتى بعبارة « ص (الطرف الذى خسر القضية) يجب أن يدفع » وفى بعض الأحيان، ولكن هذا لا يعنى

بأى وجه من الوجوه بأنه كان يحدث باستمرار ، كان ينص على سبب الحكم، وكانت الوثيقة تضم بعد الحكم فى بعض الحالات فقرة تفيد بالتخلى (عن حق) ووعد بتجنب (الأمور التى أدت إلى الحكم) .

وبعد « أور — نامو » بحوالى مائتى سنة أصدر حاكم من حكام سلالة « أيسن » يسمى « لبت — عشتار » شريعة عثر عليها مدونة على كسر متعددة من لوح واحد كبير مؤلف من عشرين حقلا كان يحتوى فى الأصل على نص الشريعة الكامل ، وعلى أربعة ألواح أخرى تحتوى على « مقتطفات » من الشريعة كانت تستخدم فى التمارين المدرسية . وتتألف هذه الشريعة ، كشريعة « حمورابى » المدونة باللغة الأكدية ، من ثلاثة أبواب : المقدمة ، والمواد القانونية نفسها ، والخاتمة . وتبدأ المقدمة ببيان وضع على لسان الملك «لبت ـ عشتار» يقول فيه بأنه بعد أن أعطى الإلهان « آن » و«انايل الإلهة « ننسينا » إلهة مدينة « ايسن » الحامية ملكية بلاد سومر وأكد وبعد أن استدعياه (أى لبت ـ عشتار) « لتولى أمارة البلاد » وذلك لتحقيق « الرفاهية للسومريين والأكديين » فإنه (أى لبت — عشتار) أصدر شريعة عدل فى بلاد سومر وأكد . ثم يعدد بعض انجازاته التى تتعلق بسعادة رعيته : فقد حرر « أبناء وبنات بلاد سومر وأكد » من العبودية التى سبق أن فرضت عليهم وأعاد تثبيت عدد من الممارسات العائلية العادلة . ولكن نهاية المقدمة مصابة لسوء الحظ بالتلف .

أما بالنسبة للمواد القانونية نفسها فإن النص المتيسر لنا يسمح بإعادة كتابة حوالى ثمان وثلاثين مادة أما كلياً أو جزئياً ، وجميعها تقريباً من النصف الثانى من الشريعة وذلك لأن التلف قد أصاب النصف الأول كله تقريباً . وتشمل المواضيع التى تتناولها هذه المواد تأجير القوارب ، والممتلكات وعلى الأخص البساتين ، والعبيد وربما الخدم، والتخلف فى دفع الضرائب والإرث والزواج ، وتأجير الثيران . واما الخاتمة فتأتى مباشرة بعد آخر مادة قانونية ، وهى لا تفهم إلا بصورة جزئية فقط بسبب الثغرات العديدة الموجودة فى النص . تبدأ الخاتمة بترديد « لبت—عشتار » لقوله بأنه قد ثبت

العدل فى البلاد وأنه حقق الرفاه لسكانها . ثم يقول بعد ذلك بأنه أقام « هذه المسلة » — وعلى هـذا فان الشريعة كانت مدونة ، كما هو منتظر — على مسلة لم تـكن الألواح الطينية سوى نسخ منها ، ثم يمضى بعد ذلك ليدعو بالبركة لأولئك الذين سوف لا يصيبونها بالتلف بأى شكل من الأشـكال وباللعنة على أولئك الذين سيفعلون ذلك[1].

وإذا تحولنا من بناء المدينة السومرية الاجتماعى — الاقتصادى إلى مظاهرها الأكثر مادية ، فإنه قد يكون من المفيد أن نبدأ بمحاولة لتقدير حجم سكانها ، على الرغم من صعوبة القيام بهذا التقدير بأى درجة معقولة من الدقة وذلك بسبب عدم وجود إحصاء رسمى ، أو على الأقل لم يعثر على أى أثر لأى نوع من أنواع الإحصاء حتى الآن . وبالنسبة لمدينة « لجش » فإن « دياكانوف » بعد دراسة المعلومات الناقصة وغير المباشرة التى تقدمها النصوص الاقتصادية ، قدر عدد سكانها من الأحرار بحوالى ١٠٠٠٠٠ نسمة . أما بالنسبة لمدينة « أور » فى حدود سنة ٢٠٠٠ ق . م . عندما أصبحت عاصمة لبلاد سومر للمرة الثالثة . فإن الأستاذ « س . ال . وولى » قدر عدد سكانها فى مقالته الحديثة « تمـــدين المجتمع »[1] بحوالى ٣٦٠٠٠٠ نسمة . إن رقمه هذا استند على مقارنات غامضة وافتراضات مشـكوك بها ، وربما يكون من المعقول تخفيضه إلى حوالى النصف وهو تقدير « مازال » يضع فى « أور » سكاناً يقرب عددهم من ٢٠٠٠٠٠ نسمة .

وإذا استثنينا المنطقة المقدسة (Temenos) فى المدينة بمعابدها الرئيسية وزقورتها فإن المدينة السومرية لم تـكن موقعاً جذاباً ، ولنقتبس من « وولى » قوله : « إذا كانت الأحياء السكنية التى نقبت فى « أور » تعطى ، كما يفترض أنها كذلك ، نموذجاً مناسباً للمدينة كـكل ، فإننا نرى شيئاً قد نما من ظروف بدائية لم تخطط وفقاً لأى نظام من نظم تخطيط المدن . فقد كانت الشوارع غير المعبدة ضيقة وملتوية ، وكانت أحياناً مجرد دهاليز مسدودة تقود إلى بيوت مختفية وسط مجموعة كبيرة من المبانى

---

(١) الاطلاع على النص الـكامل لشريعة « لبت — عشتار » أنظر الملحق (ح) .

التي شيدت كيفما اتفق ؛ بيوت كبيرة وأخرى صغيرة متهاوية على بعضها البعض ، وقليل منها منازل ذات سطوح مستوية تصل إلى علو طابق واحد ، وأغلبها ذات طابقين ، وقليل منها كما يبدو مؤلف من ثلاثة طوابق . وتقابل ازقتها الضيقة التي تظللها مظلات بسيطة وتحيط بها من الجانبين صفوف من الحجرات الصغيرة التي تستخدم كمخازن مفتوحة بأسواق قرى الشرق الأدنى الحديثة » .

ومع كل ذلك ، إذا ما حكمنا من الفقرات الواردة في القطعة المعنونة « النواح على تدمير أور » (أنظر الفصل الرابع) ، فإنه كان للمدينة مفاتنها من « بوابات عالية » وشوارع يتنزه فيها الناس بالإضافة إلى الشوارع العريضة حيث كانت تقام احتفالات الأعياد . ونعرف من القطعتين المعنونتين « كاتب وولده الضال » و« الحب يجد طريقاً » (أنظر الفصلين السادس والسابع) بأنه كان في المدينة ميدان عام لا يخلو من الجاذبية للشباب وللساعين وراء المتعة .

وكان البيت السومري الاعتيادي بناءاً صغيراً مكوناً من طبقة واحدة ومشيداً باللبن (آجر من الطين المجفف في الشمس) ويتألف من عدة حجرات تبنى عادة حول باحة مكشوفة . ومن الناحية الأخرى ربما كان السومري الثري يعيش في بيت مكون من طابقين وفيه حوالي اثنتي عشرة حجرة ومشيد بالآجر وجدرانه مكسوة بالجص المطلي بطلاء أبيض من الداخل والخارج . ويتألف الطابق الأرضي من البيت ذي الطابقين من غرفة استقبال ومطبخ ومرحاض ومساكن للخدم وقد يحتوي أحياناً حتى على معبد صغير خاص به . وكان الأثاث مكوناً من مناضد قليلة الارتفاع وكراسي عالية الظهر وأسرة ذات إطارات خشبية . وكانت لوازم المنزل تصنع من الطين والحجر والنحاس والبرونز . وكانت توجد أيضاً سلال وصناديق مصنوعة من القصب والخشب . وكانت الأرضيات والجدران تغطى بحصر مصنوعة من البردي وسجاجيد من الجلد وستائر مصنوعة من الصوف . وغالباً ما كانت توجد تحت البيت مقبرة عائلية يدفن فيها أموات العائلة ، على الرغم مما يبدو بأنه كانت هناك كذلك مقابر خاصة للموتى تقع خارج المدن .

وكانت حياة المدينة السومرية الاقتصادية تعتمد بالدرجة الأولى على مهارات الفلاحين والمزارعين والصناع والمخططين المتطورة تطوراً كبيراً . ولم يطور السومريون « علماً » نظرياً ، فنحن لانعرف أى قوانين عامة ذات صفة علمية وضعها رجال المعرفة عندهم . ولقد صنف المفكرون السومريون العالم الطبيعى إلى الأصناف التالية : حيوانات داجنة ، وحيوانات متوحشة (من الفيل إلى الحشرة) وطيور (تشمل بعض الحشرات الطائرة) وأسماك ، وأشجار ، ونباتات ، وخضار ، وأحجار . وقد جمعت جداول بأسماء أكبر عدد من هذه الأصناف لتستخدم ككتب مدرسية فى الـ « أيدوبا » (أى المدرسة) ولكن هذه الجداول لا تحتوى على أكثر من الأسماء ولو أن المعلمين كانوا بلاشك يضيفون توضيحات — أولنقل محاضرات — لأجل أن ينتفع منها الطلبة ، وهذا يتضح إلى حد ما من النصوص الأدبية التى وصف فيها « طير الراعى » بالعبارات التالية :

إن « طير الراعى » يقول : رى — دى — إيك — إيك — رى — دى ، إيك ،

لـ « طير الراعى » رقبة مرقشة مثل طير — « الدار »
وله عرف فوق رأسه .

أو كما وصفت سمكة « المور » — ربما كانت من نوع سمك السفن أو من نوع الشفنين البحرى — بما يأتى :

الرأس مجرفة ، الأسنان مشط ،
عظامها شجرة نار عالية ،
معدتها قربة ماء الإله « دوموزى »
ذيلها الرفيع ، سوط صيادى السمك
جلدها الخالى من الحراشف لايحتاج إلى تنظيف ...

الجمة تستخدم كظفر .

أو كما يلاحظ التناقض بين صبر القطة واستقامة النمس فى العبارات التالية :

قطة — لأفكارها

نمس — لأفعاله

إن علم الفلك ، الذى أصبح فى النصف الأخير من الألف الأول ق . م . واحدا من أهم المنجزات العلمية عند البابليين ، ورثة السومريين فى الحضارة،لم يكن من الناحية العملية معروفاً فى بلاد سومر القديمة ، أو على الأقل نحن لا نملك من بلاد سومر حتى يومنا هذا سوى جدول بحوالى خمس وعشرين نجمة ولا شىء أكثر من ذلك . لقد كانت مراقبة الأجرام السماوية بكل تأكيد تمارس فى بلاد سومر لأغراض تقويمية اذا لم تكن لأسباب أخرى ، ولكن إذا كانت نتائج هذه المراقبات قد دونت فى وقت ما ، فإنها لم تحفظ ، غير أنه لا بد أن يكون للتنجيم فى ذلك الوقت رواج كبير استدلالا من حلم « جوديا » (أمير لجش) الذى ظهرت فيه الإلهة « نيدابا » وهى تفحص لوحاً طينياً رسمت عليه السماء ونجومها مشيرة بهذا إلى أن « جوديا » كان على وشك أن يقوم ببناء معبد « اينينوم » وفقاً للنجوم المقدسة .

وقسم السومريون السنة إلى فصلين : « ايمش » (Emesh) «الصيف» الذى يبدأ من شباط — آذر (فبراير — مارس) و « انتين » ، (Enten) « الشتاء » الذى يبدأ فى ايلول — تشرين الأول (سبتمبر — كتوبر).وربما كان يفترض بأن السنة الجديدة تبدأ فى بعض الأحيان فى نيسان — آيار (ابريل — مارس) . وكانت الأشهر قمرية فقط وتبدأ من مساء ظهور الهلال وكان عدد أيامها ٢٩ أو ٣٠ يوما . وكانت أسماء الاشهر، التى كانت تؤخذ فى الغالب من أسماء فعاليات زراعية أو من احتفالات تقام على شرف آلهة معينة ، تختلف من مدينة إلى اخرى ، ولاجل معالجة مشكلة الفرق بين طول السنين القمرية والسنين الشمسية كان يكبس شهر اضافى فى فترات

منتظمة . ويبدأ اليوم عندهم مع شروق الشمس ،وكان طوله اثنتى عشرة ساعة مضاعفة[1] .وكان الايل مقسما إلى ثلاث مراحل تتكون كل مرحلةمن أربع ساعات. وكان الزمن يقاس بساعة مائية ، أو (كليبسيدرا) (Clepsydra) كانت على هيئة اسطوانة أو منشور ، وربما كانت ساعة الظل أو ساعة العصا (المزولة) معروفة أيضاً .

وكان نظام العد السومرى فى طبيعته نظاما ستينيا ، ولكن ليس بصورة قاطعة لأنه يستخدم العامل ١٠ بالإضافة إلى ٦ فمثلا : ١ ، ١٠ ، ٦٠ ، ٦٠٠ ، ٣٦٠٠ ، ٣٦٠٠٠ إلى آخره . ومن ناحية الكتابة كان هناك فى الواقع نظامان للعد ، النظام الذى كان يستخدم بشكل عام وفيه علامات خاصة لكل رتبة من رتب الوحدات (أنظر شكل ١) ، ونظام « المتعلمين » ، وهو النظام الوحيد المستعمل فى النصوص الرياضية ، وهو نظام ستينى بحت كما أنه نظام موضعى ، شبيه بنظامنا العشرى ، وعلى هذا ، بينما يمثل على سبيل المثال العدد ٤٣٩ المدون وفقاً للنظام العشرى (٤ × ١٠^٢) + (٣ × ١٠) + ٩ ، فإن نفس العدد يمثل فى النظام الستينى (٤ × ٦٠^٢) + (٣ × ٦٠) + ٩ أو ١٤٥٨٩ . ولم يكن الصفر معروفاً عند السومرين ولم يشر فى الكتابة إلى القيمة المطلقة للوحدات وعلى هذا فإن العدد الذى يكتب على الوجه التالى :

والذى يمكن تحويلة إلى الأرقام ٤ ، ٢٣ ، ٣٦ ، يمكن أن يقرأ أما (٤ × ٦٠^٢) + (٢٣ + ٦٠) + ٣٦ = ١٥٨١٦ ، أو (٤ × ٦٠^٣) + (٢٣ × ٦٠^٢) + (٣٦ × ٦٠) = ٩٤٨٩٦٠ الخ . . ، أو يمكن أن يقرأ (٤ × ٦٠) + ٢٣ + (٣٦ / ٦٠) = ٢٣٦ ٣/٥ ، أو بـ ٤ + (٢٣ / ٦٠) + (٣٦ / ٣٦٠٠) = (٤ ٥٩ / ١٥٠)

---

(١) كان طول الساعة عندهم يساوى مائة وعشرين دقيقة . (المترجم)

600 sag gar-du × 600 sá = 1080 × 3 + 180 × 2 = 3600 iku

(60 × 9)(60 × 9) = 1080 × 2 + 180 × 4 + 18 × 2 = 2916 iku

(60 × 8)(60 × 8) = 1080 × 2 + 180 × 8 = 2304 iku

(60 × 7)(60 × 7) = 1080 + 180 × 3 + 18 × 8 = 1764 iku

(60 × 6)(60 × 6) = 1080 + 180 + 18 × 2 = 1269 iku

(60 × 5)(60 × 5) = 180 × 5 = 900 iku

(60 × 4)(60 × 4) = 180 × 3 + 18 × 2 = 576 iku

(60 × 3)(60 × 3) = 180 + 18 × 8 = 324 iku

(60 × 2)(60 × 2) = 18 × 8 = 144 iku

...١٠٠٠ الخ.

.....١٠٠٠ الخ.

ان هذا اللوح قصد به تقديم المساعدة فى حساب مساحة الحقول المربعة. ويعطى العمود الأول (من ناحية الشمال) طول الجانب (sag) مقاسا بـ (gar-du) (الجاردو = ٦ ياردات تقريبا). ويعطى العمود الثانى (فى الوسط) طول الجانب الآخر قائلا بانه يساوى (sá) بالنسبة للجانب الأول. ويعطى العمود الثالث المساحة مقاسة بـ (iku) (الإيكو الواحد = ١٠٠ جار - دو ٢). وعلى هذا للوصول على المساحة بالـ (جار - دو ٢)، اضرب النتائج فى العمود الثالث بمائة.

لاحظ أن مجموعة خاصة من علامات الأرقام تستخدم فى قياسات السطح:

⊙ = ١٠٨٠ ايكو   ✡ = ١٨٠ ايكو   ● = ١٨ ايكو

شكل ٢ – نص رياضى عثر عليه فى مدينة "فارة" (منقول من (A. Deimel, "Schultexte aus Fara," No. 82

الخ . ولذلك كان النظام الستينى ؛ مثل نظامنا العشرى ، يسمح بالمرونة فى كتابة الأرقام مما أصبح ملائماً جداً لتطوير الرياضيات .

وتتكون النصوص التي وصلت إلينا من صنفين : جداول ومسائل . ويشمل الصنف الأول جداول متداولات وضرب وتربيعات وجذور تربيعية ، وتكعيبات وجذور تكعيبية ، وحاصل تربيعات وتكعيبات يحتاج إليها فى الحل العددى لنماذج معينة من المعاملات والدالات الاساسية ، ومعاملات تعطى أعدادا تستخدم فى الحساب العملى (مثل القيمة التقريبية لـ $\sqrt{٢}$) وحسابات قياسية تعطى مساحات المستطيلات والدوائر الخ . وتعالج نصوص المسائل الأعداد الفيثاغورية ، والجذور التكعيبية ، ومعادلات وقضايا عملية مثل حفر أو توسيع القنوات وعدد الآجر (المستعمل فى البناء) وهلم جرا . وحتى هذا التأريخ جاءت نصوص المسائل كلها تقريبا مدونة باللغة الأكدية ، على الرغم من أن جزءاً كبيرا منها كان يعود حتما إلى نماذج أولى سومرية لأن جميع التعابير الفنية المستعملة تقريبا تعابير سومرية (شكل ٢ يمثل لوحاً سومرياً من حوالى ٢٥٠٠ ق . م . عثر عليه فى مدينة فارة ، يحتوى على جدول لحساب سطح حقول مربعة الشكل) .

ولم يكن هناك عمليا شيء معروف عن الطب السومرى إلى زمن قريب جدا على الرغم من أنه كانت هناك مئات من النصوص الطبية الأكدية من الألف الأول ق . م. التى تستخدم مختلف أصناف الكلمات والتعابير السومرية الطبية . وحتى يومنا هذا نحن لا نملك سوى لوحين طبيين سومرين ، أحدهما عبارة عن قطعة صغيرة تحتوى على وصفة طبية واحدة فقط غير أن الثانى عبـــارة عن لوح يبلغ حجمه $٣\frac{٣}{٤} \times ٦\frac{١}{٤}$ بوصة ودونت عليه خمس عشرة وصفة طبية ذات قيمة ليست قليلة بالنسبة لتاريخ الطب . لقد دون هذا اللوح فى وقت ما خلال الربع الأخير من الألف الثالث ق . م . وقد استنتج هذا من خطه الكبير الذى يتصف بالدقة والجمال ، ويحتوى لذلك على ما يعتبر من كل الوجوه أقدم وصفة صيدلية معروفة عند الانسان . وعلى الرغم من العثور على هذا اللوح قبل حوالى ستين إلى سبعين سنة فإنه لم يعرف

القيمة العددية	المتأخر	القديم	القيمة العددية	المتأخر	القديم
٦٠٠			١		D
٣٦٠٠		O	٢		DD
٣٦٠٠٠		◎	٣		DDD
الكسور			٤		DD DD
١/٣			٥		DDD DD
١/٢			١٠		O
٢/٣			٦٠		D

الأمثلة :-

المثل الأول

٨٥٥ = ٥ + ١٠ + ٤ × ٦٠ + ٦٠٠

المثل الثاني

٥×١٠ + ٣×٦٠٠ + ٤×٣٦٠٠ + ٢×٣٦٠٠٠

+ ٦ + ٢/٣ = ٨٨٢٥٦ ٢/٣

lá اسم العلامة

(= ناقص) تستخدم بالطريقة التالية

= ١٠ - ١ = ٩

٢٠ - ٣ = ١٧

ويمكن التعبير عن الكسر بعبارة

igi - n - gál.

١/٤ = gál - ٤ - igi

١/٥ = gál - ٥ - igi الخ .....

شكل ١ - علامات أعداد سومرية

فى عالم البحث حتى سنة ١٩٤٠ . ونشرت منذ ذلك الحين عدة ترجمات للنص الطافح بالمشاكل اللغوية بسبب أسلوبه التقنى ، وأحدث الترجمات وأكثرها جدارة بالثقة هى تلك التى أعدها « ميشيل سيڤيل » (Michel Civil) مساعد باحث فى متحف الجامعة فى جامعة بنسلڤانيا(١) .

وتحتوى هذه الوثيقة على ١٤٥ سطرا أو بالاحرى ، حالات مرضية . وأصاب التلف الواحد والعشرين سطرا الأولى بحيث أصبح من المستحيل الحصول على فكرة واضحة عن محتوياتها ، وكان يؤمل بالبداهة وعلى قياس التشابه مع النصوص الطبية المسمارية التى جاءت من الألف الأول ق . م . أن تحتوى على تعبير مثل « إذا قاسى رجل من » ، يعقبه اسم هذا أو ذاك الداء . ولكن العلامات القليلة نسبيا التى وصلت سليمة مثل جذر نبات الـ . . . . . (الحالتان او ٢) ، « رأس . . . . . . » (الحالات ٣ و ٥) و « صوف » (الحالات ٩ و ١٠) ، و « ملح » (الحالة ١٥) لا تشير نحو هذا الاتجاه .

وتبدأ الوصفات نفسها ، البالغة كلها خمس عشرة وصفة ، بالسطر ٢٢ (بالقرب من أسفل الحقل الأول من اللوح) . ومن الجائز تقسيمها إلى ثلاثة أصناف وفقاً للطريقة التى تستخدم بها الأدوية . يتألف الصنف الأول من ثمانى وصفات حيث يكون العلاج على شكل كمادة . وبصورة عامة تأتى محتويات الوصفة على النسق التالى : أولا جدول بأسماء المواد الأولية التى تستعمل فى كل وصفة ، ثم الأمر بسحنها ومزجها مع سائل وذلك لعمل مرهم يوضع على شكل كمادة على الجزء العليل من الجسم بعد دلكه بالزيت ، وهو عمل ينجز إما من أجل قيمته العلاجية الواقعية أو لمنع المرهم من

Revue d' assyriologie, LIV (1960) 59-72-See also Giba Journal No. 21, pp. 1 — 7.

(يعمل « ميشيل سيفيل » فى الوقت الحاضر استاذاً فى معهد الدراسات الشرقية فى جامعة شيكاغو) .

(المترجم)

الألتصاق بالجلد . وفيما يأتى ترجمات حرفية للوصفات الخمس الأخيرة الخاصة بالكليات (أن الجزء الذى دونت عليه الوصفات الثلاث الأولى مهشم بحيث لا يمكن ترجمتها) .

وصفة رقم ٤ — أسحق نبات «أناديشا» ، وأغصان نبات «الشوك» (ربما من فصيلة Prosopis Steplamana) وبذور الـ «دو آشبور» (ربما A. triplex halmus I.) و . . . (أسماء مادتين على الأقل أصابها التلف) ، . . . أسكب عليها جعة مخففة بالماء (أى على مجموعة المواد المسحونة) وأدلك (البقعة المصابة) بزيت نباتى (و) ألصق (المرهم الذى صنع بسكب السائل على المواد المسحونة) على شكل كمادة .

وصفة رقم ٥ — اسحق طيناً نهرياً (و) . . . ، أعجنه مع الماء ، أدلك بزيت (و) الصق على شكل كمادة .

وصفة رقم ٦ — اسحن كمثرى (؟) (و) « منا » ، ثم اسكب تفل الجعة فوقه ، أدلك بزيت نباتى ، (و) الصقة على شكل كمادة .

وصفة رقم ٧ — اسحن تفل الزبيب ، وشجرة الصنوبر ، وشجرة الخوخ اسكب الجعة عليه ، ادلك بالزيت ، (و) الصق على شكل كمادة .

وصفة رقم ٨ — اسحق جذور شجرة الـ . . . ، . . . وقير النهر الجاف ، اسكب جعة عليه ، ادلك بالزيت (و) الصقه على شكل كمادة .

إن المجموعة الثانية من الوصفات ، وعددها ثلاث ، تتألف من علاجات تؤخذ داخليا . الأولى منها معقدة إلى حد ما وتشمل استعمال الجعة وزيت القير النهرى .

وصفة رقم ٩ — اسكب جعة مركزة على زبيب نبات الـ . . . ، سخنه على نار ، ضع هذا السائل فى زيت قير نهرى ، (و) دع الرجل (المريض) يشربه .

ويتشابه الأسلوب فى الوصفتين الباقيتين ، وهو عبارة عن تعليمات لسحن مادتين وإذابتهما فى الجعة ليشرب المريض ذلك .

وصفة رقم ١٠ — اسحق كمثرى (و) جذور نبات الـ « من » ، ضع (المواد المسحوقة) فى الجعة ، (و) دع الرجل (المريض) يشربه .

وصفة رقم ١١ — اسحق جذور نبات الـ (نينجار) ، والـ (؟) (و) زعتر ثم ضع ذلك فى الجعة ، (و) دع الرجل المريض يشربه .

وقدمت المجموعة الثالثة من الوصفات بفقرة صعبة ومبهمة تقرأ على النحو التالى : « رتب (؟) الاسل فوق يدى وقدمى الرجل (المريض) » . وليس من الواضح على الاطلاق فى الوقت الحاضر ما تشير إليه هذه العملية وسبب وضعها فى هذا الموضع بالذات . وهذا السطر على الرغم من غموضه ذو أهمية بالغة لأنه يلمح على الأقل إلى الأجزاء المصابة من الجسم التى اريد بها أن تعالج .

وتأتى الوصفات نفسها بعد هذا التعبير المستعمل كمقدمة . وعددها أربع وعناصرها أكثر تعقيدا وأقل تجانسا من عناصر الاحدى عشرة وصفة المتقدمة . وتتألف العمليات الموصوفة فى الثلاث الأولى بالدرجة الأولى من غسل العضو المصاب بمحلول أعد بصورة خاصة ومن ثم تغطيته (؟) حالا بمادة تبدو فى حالتين منها بأنها رماد محروق ويبدو بأن الوصفة الرابعة والأخيرة ، التى أصاب التلف أسطرها الأولى تضم أسماء مجموعة من العقاقير النباتية تتبعها حالا عملية التغطية (؟) . ومن الممكن لذلك أن يكون الكاتب قد حذف بغير قصد على الأقل عملية عرضية واحدة . وفيما يلى ترجمة لأربع وصفات على الأقل .

وصفة رقم ١٢ — انخل واعجن معا — لتصبح كلها خليطاً واحدا — ترس سلحفاة ، ونبات الـ « ناجا » المتبرعم (؟) (نبات يستخدم للحصول على صودا وقلويات أخرى) وملح (؟) خردل ، اغسل (البقعة المصابة) بجعة فاخرة (و) ماء حار ، ثم ادلك (البقعة المصابة) بكل ذلك (المرهم) ، وبعد التنضيف ، ادلكها بزيت نباتى (ثم) غطها (؟) بتنوب مسحون .

وصفة رقم ١٣ — اسكب ماء فوق حيـــة ماء مجففة ومسحونة ، ونبات الـ « أماماثومكسبال » وجذور نبات « الشوك » ، و (ناجا) مسحون ، وزيت التنوب إله ، (و) براز خفاش « الـ«جاريب ؟ » ، وسخن (الخليط) (و) اغسل (البقعة المصابة) بهذا السائل ، وبعد الغسل بالسائل أدلك بزيت نباتى (و) غطِّ بالـ « شا كى » .

وصفة رقم ١٤ — اسكب على شعر مجفف مسحون مأخوذ من جلد بقرة داخلى (؟) وأغصان نبات « الشوك » ، ونبات « النجمة » وجذور شجرة « البحر » وتين مجفف ، (و) ملح « أيب » ثم سخن هذا السائل واغسل به ، وبعد الغسل بهـذا السائل غطِّ (؟) برماد (؟) الأسل .

وصفة رقم ١٥ — ••• (عدد من العلامات أصابها التلف) التى استخرجتها من الصفصاف ، وحثالة (؟) إناء الـ« جيربى» ، ورواسب النبيذ ، ونبات الـ«نيجمى» ، ونبات الـ « أرينا » — جذوراً وجذعاً — (و) غطِّ (؟) بالرماد (؟)

وكما تظهر وثيقتنا ، كان الطبيب السومرى ، كقرينه الطبيب الحديث ، يلجأ إلى المصادر النباتية والحيوانية والمعدنية لعمل وصفاته الطبية . وكانت مواده المعدنية المفضلة كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) ، وقار النهر والزيت الخام . وكان يستخدم من المملكة الحيوانية الصوف ، والحليب ، وترس السلحفاة وحية النهر . ولـكن أغلب أدويته كانت تستحضر من عالم النبات كالزعتر والخردل وشجرة البرقوق والكمثرى ، والتين والصفصاف ، ونبات الـ« من » والتنوب والصنوبر ، ومن منتجات مصنوعة كالجعة والنبيذ والزيت النباتى .

ولـكن الأمر الجدير بالملاحظة هو أن وثيقتنا القديمة ، خالية تماماً من الرقى والتعاويذ السحرية التى كانت صفة مألوفة فى النصوص المسمارية الطبية من العصور المتأخرة ، فلم يذكر فى النصوص إله واحد أو شيطان واحد . ولهذا يبدو بأن الطبيب

الذى دون هذا النص كان يمارس عمله الطبي وفقاً لأسس منطقية — تجريبية . حقاً إن الطبيب كان لا يلجأ إلى تجربة وتحقيق يخطط لها بشكل مقصود ، ولكنه يبدو مع ذلك من المعقول أن نفترض بأن العقاقير التى كان يعدها كانت ذات قيمة علاجية كبيرة ، لأن سمعته المهنية كانت على المحك ، كما أن من الممكن أن نتصور بأن هذه العقاقير قد تبرهن على وجود قيمة عملية لها بالنسبة للبحث الطبي الحديث .

ومن المحزن القول بأن دستورنا الصيدلى القديم (الأقرباذين) لا يمدنا بأية فكرة واضحة عن الأمراض أو الأدواء التى وضعت من أجلها تلك الوصفات . فالمقدمة التى تسبق الوصفات والتى تحتل أغلب الحقل الأول من اللوح أصيبت بتلف كبير ، وعلى أية حال ، كانت لاتحتوى على أسماء الأمراض وذلك استدلالا من العلامات القليلة الباقية . ومع أننا نجد فى الوصفة الأولى التى جاءت على الجزء المهشم من اللوح الكلمات السومرية التى تعنى « ظهر » و « ردفين » ولكنها جاءت فى فقرة مهشمة وغير مفهومة . وتقدم المجموعة الثالثة من الوصفات بفقرة تذكر الأيدى والأقدام ولكن السياق فى هذه الحالة غامض ومبهم أيضاً ، بل إننا لا نعرف حتى ما إذا كانت كل وصفة تهيأ لمرض محدد أو ما إذا كانت عدة وصفات تهيأ لنفس الداء . على إنه كان من الممكن أن توضح هذه التفاصيل وعدد كبير غيرها ، لقارىء اللوح ، وهذا أمر يقودنا إلى البحث عن غرض النص والدوافع التى دفعت إلى جمعه وكتابته .

وإن من المفيد أن نؤكد على أن الطبيب القديم الذى كان يهىء دستورنا الصيدلى، لم يكن مجرد ممارس لمهنته ضيق الأفق ، وإنما كان إنساناً متعلماً ومثقفاً ، فلأجل أن يتعلم كتابة المقاطع المسمارية المعقدة بعلاماتها التى تبلغ المئات وقراءاتها التى تبلغ الآلاف على نحو صحيح ورتيب ، كان عليه أن يقضى أكثر شبابه فى المدرسة السومرية أو الـ « أيدوبا » ، حيث كان يدرس ويستوعب ما كان سائداً فى زمنه من المعرفة العلمية والأدبية . وتتألف « الكتب المدرسية » بالدرجة الأولى من مجموعات من الكلمات والعبارات والفقرات ومن مقتطفات ومؤلفات كاملة كانت تحضر من

قبل الـ « أوميا » ، أو أساتذة المدرسة ، وكان على الطالب أن يستنسخها ويعيد استنساخها حتى يحفظها عن ظهر قلب . وكانت التآليف المختصرة والموجزة والخالية من التنميقات ترفق دون شك بتوضيحات شفهية أو بمحاضرات . ومن الجائز أن يكون دستورأدويتنا القديم تأليفا من هذا الصنف الذى يهيئه طبيب ممارس لمهنته كان فى نفس الوقت « محاضراً » فى الطب فى « الأكاديمية » . وإذا ما برهن هذا الأقتراح على صحته فإن بالإمكان وصف وثيقتنا السومرية وصفاً ملائماً بالقول بأنها صفحة من أقدم كتاب مدرسى معروف فى تاريخ الطب .

ونشرت محتويات اللوح الثانى فىوقت مبكر يعود إلى سنة ١٩٣٥ ، ولكن هذا اللوح أعتبر وثيقة تجارية وبقى مهملا لغاية سنة ١٩٦٠ حينما عرفه « ميشيل سيڤيل » نتيجة دراسته للوح الكبير الذى بحث آنفا ، وترجمه على الوجه التالى :

بعد الأنتهاء من سحن ترس سلحفاة و... ، وبعد مسح فتحة (العضو المريض ربما) بالزيت إدلك الرجل (بالترس المسحون) وهو مضطجع على وجهه (؟) وبعد التدليك بالترس المسحون ، إدلك (مرة ثانية) بجعة فاخرة وبعد التدليك بجعة فاخرة ، إغسل بالماء ، وبعد الغسل بالماء إملأ (البقعة المصابة) بخشب التنوب المسحون . ان هذه (وصفة طبية) لشخص مصاب فى الـ « تون » والـ « نو » .

وربما كان الـ « تون » والـ « نو » اجزاء من الاعضاء التناسلية ما زالت غير معروفة ، ولذلك من الجائز أن يكون الدواء قد هيىء لمرض مامن الأمراض الزهرية . وكما سيلاحظ القارىء ، ان العلاج الموصوف فى هذا اللوح مشابه جداً لما جاء فىالوصفة رقم ١٢ فى الوثيقة الطبية الكبيرة الحجم التى بحثت سابقاً .

ويعرف الطبيب فى اللغة السومرية بلفظة « آ — زو » التى ربما كانت ترجمتها الحرفية « عارف — الماء » . وأول طبيب ورد ذكره فى النصوص ، طبيب ممارس اسمه « لولو » : إن الكلمتين «لولو ، الطبيب» ظهرتا على لوح عثر عليه فى مدينة «أور» من قبل السير « ليونارد وولى » ، يعود فى تأريخه إلى زمن قديم فى حدود سنة

٢٧٠٠ ق . م . وكان الطبيب بكل تأكيد يتمتع بمكانة اجتماعية عالية نسبياً ، وذلك استدلالا من حقيقة أن واحداً من أطباء «لجش» اسمه « أورلوجال إيدينا » الذى وصل إلينا خاتمه الأسطوانى وكتابته المدونة على حجر نذرى ، كان يحتل وظيفة مهمة تحت حكم « أور — نينجرسو » بن « جوديا » . وكان هناك بيطريون أيضا يعرف كل منهم بـ « طبيب الثيران » أو « طبيب الحمير » ، ولكنهم كانوا يذكرون فى النصوص الخاصة بمفردات اللغة فقط ولا يعرف عنهم شىء آخر فى العهود السومرية ، حتى الآن .

وفى حقل الفنون ، عرف السومريون بصورة خاصة بمهارتهم فى النحت . وكان أقدم النحاتين ينزعون نحو التجريد والانطباعية ، وتكشف تماثيلهم الخاصة بالمعبد عن قوة عاطفية وروحية أكثر مما تكشفه من مهارة فى النحت ، ولكن المهارة قد تكونت بالتدريج على أية حال ، وكان النحاتون المتأخرون متفوقين من الناحية الفنية ، على الرغم من أن تماثيلهم فقدت الإثارة والقوة . وكان النحاتون السومريون مهرة جداً فى حفر الصور البشرية على المسلات والألواح وحتى على المزهريات والآنية . ولقد عرفنا من هذا النحت الشىء الكثير عن مظهر السومريين وملابسهم .

وكان الرجال إما حليقى اللحى أو ذوى لحى طويلة — ولهم شعر طويل يفرق فى وسط الرأس . وكان أكثر أشكال الملابس شيوعا نوع من التنورة ذات الأهداب ، ويرتدى فوقها أحياناً عباءة طويلة مصنوعة من اللباد . ثم حل بعد ذلك الثوب أو التنورة الطويلة محل التنورة ذات الأهداب . وكان الثوب يغطى بـ (شال) ذى حاشية يلقى فوق الكتف الأيسر ويترك الساعد الأيمن طليقا . وكانت النسوة يلبسن ملابس تبدو كأنها « شالات » طويلة محزمة بخيوط تغطيهن من الرأس إلى القدم تاركة المنكب الأيمن فقط عاريا . وكان شعرهن يفرق عادة فى وسط الرأس ويضفر إلى ضفائر كبيرة كانت تلف عندئذ حول الرأس . وكن فى الغالب يضعن على رؤسهن أغطية دقيقة الصنع وخرزاً وحلقات متدلية .

ولعبت الموسيقى ، ســـــواء أكانت آلية أو صوتية ، دوراً كبيراً فى الحياة

السومرية . وكان بعض الموسيقيين شخصيات مهمة فى المعابد والقصور . وقد استخرجت من مقابر « أور » الملكية قيثارات جميلة الصنع . وكانت آلات القرع كالطبل والدف شائعة أيضاً بالأضافة إلى المزامير المصنوعة من القصب أو المعدن . وازدهر الشعر والغناء فى المدارس السومرية . وأغلب التآليف التي اكتشفت عبارة عن تراتيل فى تمجيد الآلهة والملوك كانت ترتل فى المعبد والقصر ، ولكن هناك سبباً وجيهاً للاعتقاد بأن الموسيقى والغناء والرقص كانت مصدراً كبيراً من مصادر التسلية فى البيت وفى سوق المدينة [1] .

وكان الختم الأسطوانى واحداً من أكثر إسهامات السومريين أصالة فى الفنون ، وهو عبارة عن أسطوانة صغيرة من الحجر يحفرعليها نقش كان يظهر ويتضح معناه عندما تدحرج الأسطوانة على لوح من الطين أو على غطاء جرة طينية . ثم تحول الختم الأسطوانى إلى نوع من أنواع العلامات التجارية الفارقة لبلاد مابين النهرين ، ولوأن استعماله دخل أيضاً إلى بلاد الأناضول ومصر وقبرص واليونان . وكان الفنانون السومريون عباقرة جداً فى ابتداع رسوم ملائمة ، وخاصة فى الوقت الذى اخترع فيه الختم لأول مرة . وكانت أقدم الأختام الأسطوانية عبارة عن حجر كريم تحفر عليه بدقة صور تمثل صفوفا من الحيوانات أو مخلوقات قصص خرافية ، وصور حيوانات مهولةومناظر متنوعة مثل منظر الملك وهو فى ساحة الحرب والراعى وهو يدافع عن ماشيته ضد الحيوانات المتوحشة . ثم أصبحت الرسوم بعد ذلك أكثر زخرفة وذات أشكال قياسية محددة . وأخيراً أصبح شكل واحد منها أكثر شيوعا بحيث تركت جميع الأشكال الأخرى تقريباً : وهو رسم منظر يشاهد فيه رجل يقدمه « ملاكه الطيب » إلى إله من الآلهة .

وعلى الرغم من خلو بلاد سومر من المعدن والحجر وافتقارها إلى الخشب كان صناع بلاد سومر من بين أكثر صناع العالم القديم مهارة ، على الرغم من احتمال

---

(١) انظر مثلا « الحب يجد طريقا » الفصل السادس .

أن كثيراً منهم جاء فى الأصل على الأقل من أقطار أجنبية لممارسة مهاراتهم فى أمور تتصل ببناء المعابد . ونحصل فى الواقع على لمحة حية وموضحة عن الصناع والحرفيين السومريين أثناء قيامهم بالعمل من لوح كبير وجده فى « أور » « ليونارد وولى » ، يعطى فيه مشرفان على مشاغل (أو ورش) المعبد ملخصاً للأعمال التى أنجزت خلال السنة الثانية عشرة من حكم « أبى — سين » ، الذى حكم فى حدود ١٩٧٥ ق . م . وذكرت فى هذا اللوح ثمانية مشاغل وهى : «بيوت عامل المنحت » ، أو النحات ، والصائغ وصاقل الأحجار الكريمة والنجار والحداد وعامل الجلود ، والقصار ، وحائك السلال .

إن أول من ذكر فى القائمة هو النحات الذى كان عمله نحت الهياكل والأدوات الصغيرة الأخرى المصنوعة من العاج أو الخشب النادر . وفى السنة التى نحن بصددها حول واحد وعشرون رطلا من العاج إلى أشياء مثل الهياكل والطيور الصغيرة ، والصناديق والأختام .

وكان الصائغ يشتغل بصورة رئيسة بالذهب والفضة ، ولو أنه كان يشتغل بالأحجار الشبه كريمة مثل حجر اللازورد والعقيق وحجر التوباز[١] . وكان يقوم بأعمال سبك ممتازة بقوالب مركبة من ثلاث أو أربع أجزاء . وكان يطرق الصفائح المعدنية على مخروط من الخشب ، ويتم صنع الأدوات المعدنية بضغط صفائح المعدن على سطح فيه نقوش بارزة أو عن طريق طبعها بختم عليه نقوش بارزة . وكان الصائغ يعرف كيف يشد قطعاً من الذهب والفضة بدبابيس أو بمسامير كما كان يشدها أيضاً باللحام . وكان خبيراً فى الأنتفاع بأعمال التخريم والتحبيب . وأما العاملون فى الحجر الذين ذكروا فى لوحنا فكانوا يشتغلون بالأحجار الشبه كريمة فقط ليستخدمها الصائغ فى حليّه ، على أنهم كانوا دون ريب قادرين أيضاً على تحضير الأحجار لأغراض البناء .

---

(١) حجر متعدد الألوان والأشكال . (المترجم)

لقد كان عدد النجارين فى بلاد سومر كبيراً فى جميع الأوقات ، لأنه كان ينتفع مما يتيسر من الخشب على الرغم من ندرته إنتفاعاً كبيراً فى صناعة أنواع مختلفة من الأثاث إلى جانب صناعة السفن وعربات الحمل والمركبات الخفيفة ذات العجلتين . وقام النجارون فى المشغل المذكور فى لوحنا بصنع منصة من العاج لا يقل وزنها عن أربعين رطلا ، هذا دون أن نذكر الأشياء التى كانت تصنع من خشب البلوط وخشب التنوب والأبنوس والصفصاف ، وأما الأخشاب الأخرى التى كان النجار يستعملها والتى لم يرد لها ذكر فى لوحنا فهى خشب الأرز والتوت ، والطرفاء والدلب . ولم تستعمل النخلة ، وهى أكثر الاشجار التى وجدت فى بلاد سومر إنتشاراً ، من قبل النجارين وذلك بسبب رداءة أخشابها . وبسبب صعوبة الحصول على الخشب وندرته كان يعاد استخدام الأثاث القديم بصورة مستمرة ، فمثلا أعيد فى المشغل الذى وصف فى لوح الملك « إبى — سين » استعمال أغطية ثلاث مناضد قديمة وأربعة صناديق من خشب التنوب وسريرين وصندوق صغير لصنع منضدة واحدة جديدة . وفى السنة التى سجلت فى اللوح صنع النجارون بصورة رئيسية كراسى متنوعة ، ومناضد وأسرة وصناديق . وكان المنشار والمحفر والمطرقة والمثقب من الأدوات التي كان يستخدمها النجار السومرى .

وتشمل قائمة المعادن المستعملة فى سبك السبائك المدونة فى لوحنا جميع المعادن المعروفة فى ذلك الوقت تقريباً ، وهى الذهب والفضة والقصدير والرصاص والنحاس والبرونز ، وكان يستفاد من كميات قليلة من معدن يسمى « سوجان » (ربما كان الأثمد) فى أعمال الأشابة وكانت صناعة النحاس متطورة إلى درجة عالية فى وقت مبكر من بداية الألف الثالث ق . م . ولم يكن صب النحاس فقط معروفاً معرفة جيدة ، وإنما كانت هناك مهارات أخرى أيضاً مثل الطرق والتلدين والتخريم والتحبيب . وكان الحداد أو السباك ، يمتلك تحت تصرفه نوعاً خاصاً من المنافيخ التى كان بالامكان تشغيلها باليد أو القدم لرفع حرارة فرنه إلى درجة تمكنه من صهر النحاس . وكان الخشب أو القصب يستخدم لإشعال النار ، وكان صهر نصف رطل من النحاس يتطلب

استخدام رطلين من الخشب وثلاث « حزم من القصب » — أو ست حزم من القصب إذا لم يستعمل الخشب . وكانت أكثر المنتجات المصنوعة من النحاس والبرونز شيوعاً أدوات مثل المعازق والفؤوس وأدوات النحت والسكاكين والمناشير والأسلحة ، مثل رؤوس الرماح ورؤوس السهام والسيوف والخناجر والحربونات والأوانى والقدور والمسامير والدبابيس والحلقات والمرايا .

وكان العامل فى صناعة الجلود المذكور فى لوحنا يتسلم خلال السنة عدداً كبيراً من جلود الثيران والعجول والخنازير وبصورة خاصة جلود الأغنام . وكان يصنع من الجلود عدداً لا بأس به من الأدوات كالقرب والأكياس والأجمة والأسرجة وإطارات عجلات العربة والقاليع ، وفوق كل ذلك الأحذية والصنادل . وكان يستفيد من القلويات والسمّاق ومواد أخرى مازالت مجهولة فى أعمال التلوين . وكان الشحم يستعمل لتطرية الجلود وجعلها غير قابلة لترشيح المياه . وكان عامل الجلود المذكور فى لوحنا المكتشف فى مدينة « أور » يستفيد من الطحين لصقل أنواع معينة من الجلود وكذلك من « مسحوق الذهب » لزخرفة بعض المصنوعات .

ويبدو أنه لم يكن تحت تصرف القصّار المذكور فى لوحنا سوى مشغل صغير لم يذكر عنه إلا شيء قليل . وآخر الصناع هو صانع السلال الذى كان يتسلم كميات من البردى ، وهو سلعة مهمة جدا فى بلاد سومر ، وقاراً وذلك من أجل صنع السلال والسفن .

وربما كانت صناعة النسيج التى لم تذكر فى لوحنا المكتشف فى مدينة «أور» ، أكبر الصناعات فى البلاد وأكثرها أهمية من الناحية التجارية . فقد كانت آلاف الأطنان من الصوف تنسج سنويا فى مدينة « أور » وحدها . وكانت قطعان كثيرة جداً من العنز والأغنام تربى من أجل الحصول على الصوف . وكان «جزّ الصوف» يتم بطريقة النتف ويستخدم المغزل فى غزل الصوف. وكان النسيج يحاك على أنوال أفقية وعمودية . وكانت تقوم بهاتين العمليتين عادة فرقة مكونة من ثلاث نســـاء ، كن

يستغرقن فى العمل إلى حد ثمانية أيام لتحضير قطعة من القماش بحجم ٣½ × ٤ أمتار . وكان النسيج يرسل بعد ذلك إلى القصّارين الذين كانوا ينقعونه فى محلول قلوى فى أوعية كبيرة ثم يدوسون عليه بأقدامهم ويمشون فوقه . وعلى الرغم من أن الصوف كان فى أحسن الحالات أكثر المواد المستعملة فى نسج الملابس ، كان الكتان يزرع كذلك . وكانت الملابس الكتانية على ما يبدو تستعمل بصورة خاصة من قبل كهان ورجال مقدسين معينين .

وكانت المواد والبضائع تُنقل فى بلاد سومر بواسطة الإنسان أو الحيوان أو بمساعدة وسائط نقل أخرى مثل الزلاّجات والحافلات ، والعربات ذات العجلتين والسفن ، وربما كانت العربات ذات أربع عجلات أو عجلتين ، وتجر عادة بواسطة الثيران . وكانت العربات ذات العجلتين فى الغالب ثقيلة وصغيرة الحجم وتجر بواسطة الحمير الوحشية . وكان النقل بواسطة السفينة ممكناً وتكاليفه منخفضة إلى درجة كبيرة إذ كان بإمكان سفينة واحدة ذات حمولة تزيد قليلا على خمسة أطنان أن تحمل حمولة يصل وزنها إلى مائة (منا)[1] . وتوجد أيضاً سفن كبيرة جداً صنعت من الخشب فى أحواض بناء السفن ، وكانت هذه دون شك تستخدم فى رحلات بحرية بعيدة إلى بلدان مثل «ملوخا» و « دلمون » . أما القارب الشائع الاستعمال فكان من النوع الذى يعرف اليوم فى العراق بأسم (قفّـة) ، وفى الأزمان القديمة بـ «اللفت» ، وتصنع (القفة) من قصب يغطى بالجلد بعد أن يحاك على شكل سلة . وربما كانت السفينة الشراعية معروفة أيضا فى بلاد سومر القديمة ، وذلك استدلالاً من نموذج سفينة (طينى) عثر عليه فى موقع «أريدو» ، وكانت المجاذيف والمرادى شائعة الأستعمال منذ أقدم الأزمان . غير أن السفن كانت تُجر فى الغالب على طول النهر من قبل الرجال والثيران .

إن قسما من أعمق الإنجازات التكنولوجية أثراً عند السومريين يتصـــل بالرى والزراعة . فقد كان إنشاء نظام معقد من القنوات والحواجز والسدود والخزانات

---

(١) الـ (منا) الواحدة تعادل حوالى ٥٠٠ غرام (أى رطل واحد تقريباً) (المترجم)

يتطلب مهارة هندسية ومعرفة غير قليلة إذ كان يجب تحضير المسوح والمخططات التى كانت تستلزم استعمال آلات التسوية ، وقضبان المقاييس ، والرسم وإعداد الخرائط . وأصبحت الزراعة أيضاً أسلوبا منهجياً ومعقداً يتطلب بعد نظر وكداً ومهارة . ولذلك ليس من العجيب أن نجد المعلمين قد وضعـــوا « تقويما للمزارع » يتألف من جملة نصائح لأرشاد أى فلاح بما ينبغى القيام به خلال أعماله الزراعية السنوية كلها ، ابتداء من غمر الحقول بالمياه فى شهرى أيار — حزيران (مايو — يونيو) وانتهاء بتذرية وتنقية الحاصل الجديد الذى يحصد فى شهرى نيسان — أيار (إبريل — مايو) التاليين . ولقد جمع نص هذه الوثيقة ، الذى يتألف من ١٠٧ سطور من التعليمات ، تسبقها مقدمة مكونة من سطر واحد وتليها خاتمة من ثلاثة سطور ، من أكثر من اثنى عشر لوحاً وكسرة لوح أهم مافيها قطعة مازالت غير منشورة عثر عليها فى مدينة «أور» « ليونارد وولى » قبل أكثر من ربع قرن . إن نص هذه الكسرة استنسخ من قبل « سى . جى . جاد » ، من أمناء المتحف البريطانى سابقا ، وأستاذ شرف فى جامعة لندن فى الوقت الحاضر [١] ، ووضعها متكرما تحت تصرف العلماء من أجل إعادة كتابة النص كله بشكل أفضل . إن ترجمة النص فى غاية الصعوبة وتنطوى على كثير من المشاكل بسبب مصطلحاته الفنية بصورة خاصة ، أما المحاولة الحاضرة (التى قدمت فى الملحق) فيجب أن ينظر إليها كترجمة مبدأية ومؤقتة ، وقد أعدت بالتعاون مع « ثوركايلد جاكبسون » و «برنو لاندزبرجر» من معهد الدراسات الشرقية فى جامعة شيكاغو ، و « ميشيل سيفيل » من متحف الجامعة فى جامعة بنسلفانيا [٢] ونعيد فيما يلى صياغة النص بصورة عامة بعبارات أخرى كى يتضح للقارىء :

---

(١) توفى الأستاذ « جاد » قبل بضع سنوات . (المترجم)

(٢) لقد تحول « جاكبسون » إلى جامعة « هارفرد » قبل عدة سنوات ثم أحيل على التقاعد بعد أن بلغ سنه ٦٣ عاماً ولكنه مازال يعمل بنشاط فى حقل الدراسات اللغوية والآثارية والتاريخية . وتوفى الأستاذ « لاندزبرجر » قبل ست سنوات ، أما « سيفيل » فأنه يعمل فى الوقت الحاضر استاذاً فى معهد الدراسات الشرقية فى جامعة شيكاغو . (المترجم)

يبدأ كتيبنا الزراعي بالسطر التالي : « في الأزمان القديمة أرشد فلاح أبنه » . وتتعلق الإرشادات التي تعقب هذا السطر بالجهود والأعمال الزراعية اليومية التي كان يتحتم على أي فلاح القيام بها ليضمن لنفسه الحصول على منتجات وفيرة . ولما كان الري أول الأمور الضرورية لتربة بلاد سومر الجافة ، فإن معلمنا يبدأ بنصيحة تتعلق بوجوب العناية لئلا يرتفع الماء كثيراً فوق الحقل . وبعد أن ينحسر الماء تطلق ثيران منعلة لتدوس الأرض اللينة وبذلك يقضى على الأعشاب الضارة . ويسوى سطح الحقل الذى يجب تهيئته بعد ذلك بفؤوس صغيرة وخفيفة حتى يصبح ممهداً . ولما كانت حوافر الثيران تترك آثارها على الأرض اللينة ، فقد كان على الرجال أن يطوفوا حول الحقل بفؤوسهم لتمهيده كما كان يجب إزالة الحفر التى تحدثها الثيران باستخدام مزلجة .

وينصح الفلاح بأن يجعل أفراد أسرته يقومون بتهيئة الأدوات الضرورية فى الوقت الذى يأخذ فيه الحقل بالجفاف . وكان يؤكد بشكل خاص على السياط والمهاميز والوسائل « التأديبية » الأخرى التى تساعد على دفع العمال والحيوانات على العمل بجهد متواصل . وينصح أيضاً بتهيئة ثور إضافى لجر المحراث لأن هذا يؤدى فى المدى البعيد إلى تحقيق ربح وفير — ذلك لأنه يمكن من زراعة كمية كبيرة مكونة من ثلاثة « جورات » (gur) على كل « بور » من الأرض .

وقبل أن يبدأ الفلاح بزراعة الأرض يؤمر بحرثها مرتين حراثة كاملة بنوعين مختلفين من المحاريث التى تنفذ إلى عمق كبير فى التربة (وهما محراث الشوكين والبارديل) ثم تمهد التربة وتقلب ثلاث مرات ، وأخيراً تكسر الكتل الترابية بالمطارق . ويحث الفلاح على إبقاء العمال خلال إنجاز هذه الأعمال تحت مراقبة مستمرة حتى لا يتهاونوا فى العمل لحظة واحدة . ولكن كان عليه من الناحية الأخرى أن يتحكم بتصرفاته ولا يطلب إليهم القيام بخدمات شخصية اعتيادية له .

ويصبح من الممكن الآن أن تبدأ عمليتا الحرث وبذر البذور ، وتنفذ العمليتان

فى آن واحد بواسطة المبذرة ، وهى عبارة عن محراث تتصل به آلة لتمرير البذور من وعاء إلى الأخاديد الأرضية خلال قمع ضيق . وينصح الفلاح بحرث ثمانية أخاديد فى كل « جاروش » (قطعة من الأرض يبلغ طولها من ستة إلى سبعة أمتار) . وكان يجب عليه أن يتأكد من نزول البذور إلى أعماق متساوية تبلغ « إصبعين » . وإذا لم تتغلغل البذور فى التربة على الوجه الصحيح كان يجب عليه تبديل سكة المحراث ، أو كما ورد فى النص ، « لسان المحراث » . وكانت هناك جملة أنواع من الأخاديد وفقا لرأى خبيرنا القديم ، إلا أن النص غامض فى الواقع بالنسبة لهذه النقطة باستثناء الأماكن التى يتحدث فيها عن الأخاديد المستقيمة والمائلة . وكان يجب بعد ملء الاخاديد بالبذور تنقية الحقل من جميع الكتل الترابية وتسوية كل المرتفعات والمنخفضات فى الأرض حتى لايتعثر نمو الشعير الجديد بأى شكل من الأشكال .

ويستمر كتيب الإرشادالزراعى بقوله : « بعد أن تخترق البرعمة الأولى (سطح الأرض » يجب على الفلاح أن يقيم الصلاة إلى الإلهة « نينكيليم » الإلهة الخاصة بفئران الحقل وديدانه لئلا يصيب ضررها الحبوب النامية ، كما يجب عليه أيضا طرد الطيور . وعندما ينمو الشعير نمواً كافياً بحيث يملأ قعور الأخاديد ، يحل موعد سقيه، وإذا تكاثف الزرع ووصل إلى « علو (قشة) حصير فى وسط قارب » . يحل عندئذ موعد سقيه مرة ثانية . وكان عليه أن يسقيه مرة ثالثة متى صار شعيراً « ملكياً » أى عندما يبلغ أقصى ارتفاع له . وإذا لاحظ تحول القمح المبلل إلى اللون الأحمر فإن ذلك دليل على إصابته بمرض الـ « سمانا » الرهيب الذى يهدد المحاصيل بخطر التلف ، أما إذا نما الشعير نمواً جيداً فعليه أن يرويه مرة رابعة وبذلك يحصل على زيادة فى الإنتاج قدرها عشرة بالمائة .

ويحين الآن أوان الحصاد . ويحذر الفلاح بألا ينتظر حتى تنحنى السنبلة تحت ثقلها ، وإنما عليه حصدها « فى يوم قوتها » ، أى فى اللحظة الملائمة للحصاد تماماً . ويعمل كل ثلاثة رجال معاً كفرقة فى عملية حصد سنابل الشعير القائمة ، وهم الحاصد

(١) مقاييس الطـول

šu-si		اصبع
kùš	= 30 su-si	ذراع
gi	= 6 kùš	قصبة
gar-(du)	= 2 gi	
èš	= 10 gar-(du)	حبل
danna	= 1800 gar-(du)	فرسخ

الـ kùš الواحد يعادل حوالي ٥٠سم أو ٢٠ بوصة

(٢) مقاييس المساحة

sar	= gar-(du)	بستان
iku	= 100 sar	حقل
bùr	= 18 iku	
šár	= 1080 iku	

sár واحد يقابل ٣٥٠ متراً مربعاً أو ٣٧٦ قدم مربع

(٣) المكاييل

gín	
sila,	= 60 gin
gur	= 144 sila
gur-lugal	= 300 sila
gur,	= 3600 sila

sila تساوي ٨٥٠ و٠ لتر (خمس جالون تقريباً)

(٤) مقاييس الوزن

še		قمحة
gin	= 180 še	شيقل
ma-na	= 60 gin	منا
gú	= 60 ma-na	تلنت

(منا) واحدة تساوي ٥٠٠ غرام تقريباً (حوالي رطل واحد)

الشكل الرابع - المقاييس السومرية وما يعادلها (ذكرت الترجمات المعروفة منها)

والحزام وعامل ثالث يرتب الحزم . ثم تأتى فى هذا المكان فقرة ، إذا كانت ترجمتها صحيحة ، فإنها ذات أهمية خلقية وتوراتية كبيرة : إنها تحث الفلاح على ترك بعض سنابل الشعير المتساقطة على الأرض « للصغار » والـ « ملتقطين » (أنظر : لاويين ١٩ : ٩ — ١٠ ، وراعوث ٢ — ٣) ، وهو عمل خيرى يجلب على الفلاح عطف الإله على الدوام .

أما عملية الدراسة ، التى تلى الحصاد فوراً ، فكانت تنجز على مرحلتين ، يداس فى المرحلة الأولى على أكوام الشعير بعربات تجر فوقها إلى الأمام وإلى الخلف مدة خمسة أيام متتالية . ثم تستعمل مزلجة الدراسة — وهى تتألف من عوارض ذات أسنان مربوطة بخيوط جلدية مثبتة بالقار — « لفتح الشعير » . ثم يلى ذلك نظير آخر لما ورد فى التوراة وهو نصيحة الفلاح بوجوب إطعام الثيران إلى حد الإشباع خلال عملية الدراسة عندما يسيل اللعاب من أفواهها وكأنها تنادى للحصول على الشعير ذى النكهة الطازجة المغرية . (أنظر : سفر تثنية الأشتراع ٢٥ : ٤) .

ويحين الآن أوان التذرية التى كانت تنجز من قبل « رافعى الشعير » . ويصبح النص من هنا فصاعداً غامضاً تماماً ، ولكن يمكننا أن نستنتج بأن عملية التذرية كانت تتكون من رفع الخليط « الوسخ » من الشعير والتبن كلما تجمع فى ساحة التذرية بواسطة المذارى والمساحى وبهذا يفصل الشعير عن التبن والقشور التى كانت إلى حد ما تلوث الشعير . وينتهى النص بعبارة مؤلفة من ثلاثة سطور أريد بها التأثير فى نفس القارىء والتلميذ بدعوى أن الإرشادات التى قدمها الفلاح لإبنه ما هى فى الواقع إلا إرشادات الإله « نينورتا » ، الذى كان حسب رأى فقهاء الدين السومرى ، « فلاح إنليل الجدير بالثقة » ، وكان « إنليل » الإله الأول فى مجمع الآلهة السومرى .

إن مؤلف هذه الوثيقة الزراعية ، على الرغم من سطور مقدمتها ، لم يكن فلاحاً ، وذلك لأن الفلاحين كانوا على الأرجح لا يقرأون ولا يكتبون ، وعلى أية حال كانوا

لايجدون الوقت أو الرغبة لتهيئة كتاب زراعى كهذا . لقد ألف هذا الكتاب بلاشك من قبل أحد الأساتذة أو الـ « أومايا » فى المدرسة السومرية ، الـ « أيدوبا » ، لأن مميزاته الأدبية واضحة فى عدد غير قليل من فقراته . وكان غرض المؤلف تعليمياً ، إذ كان يراد به تعليم طلبة المدرسة ، « الأويدوبا » — وبصورة خاصة المتقدمون من بينهم — كل شىء عن الفن والمهارة اللذين يحققان زراعة ناجحة . إن هذا الرأى تبرهن عليه حقيقة أن الوثيقة قد وجدت مدونة فى نسخ ومقتطفات عديدة ، ولا حاجة بنا للقول بأن عدداً من هذه النسخ ربما لا يزال مدفوناً فى خرائب بلاد سومر . ولذلك من الجائز أن نستنتج بأنها كانت محببة عند كل من الأستاذ والتلميذ على السواء ، ولا عجب فى ذلك لأن هذا المؤلف ربما كان يساعد المتخرج فى المدرسة ، « الأيدوبا » ، على حصوله على عمل مناسب والأحتفاظ به ، كما يمكننا أن نرى من مقالة غير معروفة حتى الآن يمكن أن نضع لها العنوان التالى : « مناظرة بين أوجولا وكاتب » وهى تظهر خريج المدرسة فى دور مدير ناجح ودقيق فى مقاطعة زراعية واسعة .

وكانت الحبوب التى يزرعها السومريون تتألف من الشعير — الذى كان من جميع الوجوه أكثر الحبوب أهمية — والحنطة ، والدخن وزرعت أنواع كثيرة من الخضار التى تشمل الحمص والعدس والبيقيات والأبصال ، والثوم والخس واللفت والرشاد والكراث والخردل وأنواع مختلفة من القثاء . وكان استخدام نطاق من الأشجار لحماية البساتين من الشمس المحرقة والرياح المجففة أمراً معروفاً عندالسومريين ، بل تحول هذا إلى موضوع ميثولوجى « أنظر الفصل الرابع » . وكانت أكثر الآلات استعمالا فى أعمال البستنة المعزوقة ويوجد نوع من المساحى يعرف باسم « مسحاة البستان » .

إن الشجرة التى لعبت دوراً رئيساً فى الحياة الأقتصادية السومرية هى النخلة ، التى كانوا يستخلصون منها مادة حلوة الطعم عرفت باسم « لال » أو « العسل » ، وكان تلقيح النخلة الأصطناعى معروفاً ويمارس فى الأزمان السومرية . وتوجد من

أوائل الألف الثانى ق . م . جداول لغوية سومرية تضم ما يقارب من مائة وخمسين كلمة لأنواع النخيل المتعددة وأجزائها المختلفة .

وكانت تربية الحيوانات ، كالزراعة ، أساسية بالنسبة للإقتصاد السومرى ، وكانت الحيوانات تستخدم فى المواصلات كما كانت مصدراً للغذاء والكساء . وكان الحمار هو الحيوان الذى يستخدم بصورة عامة فى المواصلات ، وكانت الفرس معروفة على مايبدو فى العهود السومرية المتأخرة ولكنها لم تستخدم على نطاق واسع أبداً ، وكان الثور بلا شك أكثر الحيوانات المدجّنة فائدة ، فهو الحيوان الوحيد المستخدم فى الجر الذى كان يسخر تسخيراً كاملا تقريباً فى تلك الأزمان القديمة ، إذ كان يستخدم فى الحرث وجر العربات والزلاجات وحمل الأثقال الكبيرة . وكانت الثيران والأبقار والعجول ثمينة جداً بسبب لحومها وجلودها .

لقد وصلت إلينا حوالى مائتى كلمة سومرية تسمى نماذج وأنواعاً متعددة من الأغنام ولو أن أغلبها لا يمكن تحديد نوعه حتى الآن . وكانت أهمها من الناحية الاقتصادية — بالاضافة إلى الأغنام العادية — الشاة السمينة ، والشاة ذات الإلية الشحمية وخروف الجبل ، الذى ربما كان « المفلون » . وكان العنز والجديان كثيرة أيضاً ، ويستعمل شعر العنز على نطاق واسع فى حياكة السجاد وعمل صناديق كبيرة تشبه الأقفاص . وكانت الخنازير تربى من أجل شحمها وجلدها بالإضافة إلى لحمها — وكان ينظر إلى الخنزير نظرة استحسان من قبل السومريين — فهناك مرب خاص للخنازير كما كان هناك جزار خنازير مسؤول عن ذبحها وتحضير لحومها

وكانت تربية الحيوانات تكتمل بالصيد ، وتوجد نصوص تسجل فيها تسليم الأيائل والخنازير البرية والغزلان ، وكان هناك أيضا الصياد الذى يصطاد الطيور باستخدام مجموعة كاملة من الشباك . وتوجد سجلات لعمليات تسليم عدد من الطيور القابلة للشواء يصل إلى أربعة وخمسين طيراً ، وكان صيد السمك أيضاً مهنة هامة جداً فى إنتاج الغذاء ، ولو أن ذلك كان على نطاق أوسع فى الأزمان السومرية

القديمة مما كان عليه فى الأزمان المتأخرة ، وذلك استنتاجا من حقيقة أن مازيد على خمسين صنفاً من الأسماك ذكرت فى نصوص يعود تأريخها إلى زمن أقدم من سنة ٢٣٠٠ ق . م . بينما لم تذكر إلا ستة أصناف أو حوالى ذلك فقط بعد هذا التأريخ . وكانت الشبكة أكثر الأدوات شيوعا فى صيد السمك ولو أن المصايد وحبال الصيد قد ذكرت فى النصوص أيضاً .

وكانت أكثر المشروبات انتشاراً بين السومريين هى الجعة ، ذلك الشراب الذى يشرح « قلوب حياة » كلٍّ من الآلهة والبشر ، علاوة على ماله من قيمة طبيـــة . وما زالت طرق التخمير فى الواقع غامضة ويتطرق إلى ما هو معروف منها بأسلوب يدعو للأعجاب الاستاذ « ليـو أوبنهايم » فى مقالته « عن الجعة وطرق التخمير فى بلاد ما بين النهرين القديمة »[1] .

وكان تحضير الجعة يتصل اتصالا كبيراً بنوع من الكعك يصنع من الشعير الجديد ، وكان الملت هو الذى يعطى الحبوب قيمة غذائية كبيرة بسبب ما يحتوى عليه من كمية من الكربوهيدرات والبروتين . وتوجد إلهة خاصة مسؤولة عن تحضير الجعة تدعى « نينكاسى » وهو اسم يعنى حرفياً « السيدة التى تملأ الفم » . وعلى الرغم من أنها كانت إلهة « ولدت فى ماء عذب متلألى » فإن الجعة هى التى كانت حبيبها الأول . ووصفت فى ترتيلة تمجيد موجهة إليها من قبل أحد مريدى الإلهة « إينانا » كصانعة خمر الآلهة التى « تخبز بمجرفة عظيمة الشعير الجديد » ، والتى تمزج مات « البابير » فى التنور العظيم « والتى » تسكب الجعة المعطرة فى إناء « لختان » الذى يشبه دجلة والفرات . مجتمعين فمن الواضح إذن بأنه حتى الجعة كانت لها إلهتها وخصائصها السامية بالنسبة للشعراء والحكماء السومريين .

---

(1) Supplement No. 10 to the Journal of the American Oriental Society .

الأدوات	الصور الممثلة لها	العلامات المسمارية القديمة	الصور القديمة
محراث			
مزلجة			
قارب (وشراع ؟)			
قارب		لم تستمر العلامة في الاستعمال	
منحت			
فأس			
منشار		لم تستمر العلامة في الاستعمال	
هراوة حرب			

شكل ٣ - العُدد والأدوات كما كانت تُمثل في الصور القديمة

الفصل الرابع

الديانة

اللاهوت والطقوس والأسطورة



لقد طور السومريون خلال الألف الثالث قبل الميلاد أفكاراً دينية ومفاهيم روحية تركت فى العالم الحديث أثراً لا يمكن محوه ، وخاصة ما وصل منها عن طريق الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام . فعلى المستوى العقلى استنبط المفكرون والحكماء السومريون ، كنتيجة لتأملاتهم فى أصل وطبيعة الكون وطريقة عمله ، نظرية كونية وأخرى لاهوتية كانتا تنطويان على إيمان راسخ قوى بحيث أنهما أصبحتا العقيدة والمبدأ الأساسيين فى أغلب أقطار الشرق الأدنى القديم . وعلى المستوى العملى والوظيفى طوّر الكهنة ورجال الدين السومريون مجموعة من الطقوس والشعائر والاحتفالات الغنية بالألوان والتنوع التى كانت تؤدى لغرض إرضاء الآلهة وتهدئتهم بالإضافة إلى ما فيها من إشباع عاطفى لحب الإنسان للمهرجانات والمشاهد الضخمة . وعلى المستوى الجمالى خلق الموسيقيون والمنشدون الأميون وورثتهم المتأخرون وشعراء وكتاب « الإيدوبا » (أى المدرسة) ما يعتبر من جميع الوجوه أغنى مجموعة أساطير (ميثولوجية) فى الشرق الأدنى القديم ، نزلت بالآلهة إلى مستوى الحجم البشرى ، إلاّ أنهم فعلوا ذلك بتفهم واحترام ، وفوق كل شىء ، بأصالة وخيال .

ولنبدأ بنظرية نشأة الكون واللاهوت . لم يكن تحت تصرف الفلاسفة والمفكرين السومريين ، إذا تحدثنا من الناحية العلمية سوى أكثر الأفكار بدائية وسطحية عن الطبيعة والكون وطريقة عمله . فى نظر المعلمين والحكماء السومريين كانت عناصر الكون الرئيسية (فى أضيق معنى للكلمة) السماء والأرض . وفى الواقع كان تعبيرهم عن الكون « آن — كى » ، وهى كلمة مركبة تعنى « السماء — الأرض » ، وكانت الأرض قرصاً منبسطاً يعلوه فضاء شاسع مجوف ، محاط من كل جهاته بسطح صلب على شكل قبة . أما ماذا كان يعتقد أن تكون هذه الكتلة السماوية بالضبط فإنه أمر مازال غير مؤكد ، ومن المحتمل أنها كانت قصديراً وذلك استنتاجاً من حقيقة أن التعبير السومرى عن القصدير هو « معدن السماء » . وكانوا

يقرون بوجود مادة بين السماء والأرض أطلقوا عليها « ليل » (lil) وهى كلمة معناها التقريبي ، ريح ، هواء ، نفس ، روح ، ويبدو أن أكثر خصائصها أهمية هى الحركة والامتداد ، ولذلك يضاهى بوجه التقريب كلمتنا « الجو » . وكان يعتقد أن الشمس والقمر والكواكب والنجوم مكونة من نفس مادة (الجو) إلا أنها علاوة على ذلك وهبت قدرة على الإشراق . ويحيط بالـ « سماء — أرض » من جميع الجوانب ، بما فى ذلك من الأعلى والأسفل ، البحر اللامتناهى الذى يظل فيه الكون ، بطريقة ما ، ثابتاً وبلا حركة .

ومن هذه الحقائق الأساسية المتعلقة بتركيب الكون — وهى حقائق كانت تبدو للمفكرين السومريين جلية لا جدال فيها — طوروا نظرية فى أصل الكون تتلاءم معها . فقد استنتجوا بأنه كان هناك أولا (البحر الأول) . وتشير الدلائل إلى أنهم كانوا ينظرون إلى ذلك البحر على أنه أول سبب وأهم محرك ، ولم يسألوا أنفسهم قط عما قد سبق البحر فى الزمان والمكان . وفى هذا (البحر الأول) ولد بطريقة ما الكون (أى « السماء — الأرض ») ، المكون من قبة السماء التى وضعت فوق أرض منبسطة ومتصلة بها . إلا أنه حل بينهما « الجو » المتحرك المتمدد الذى فصل السماء عن الأرض وتولدت من هذا (الجو) المجموعة النيرة من الأجرام وهى ، القمر والشمس والكواكب والنجوم . وبعد فصل السماء عن الارض وخلق المجموعة النجمية المضيئة ظهرت إلى الوجود الحياة النباتية والحيوانية والبشرية .

وكان رجال الدين السومريون يفترضون أن تشغيل وإدارة الكون ومراقبته يقوم بها مجمع آلهة يتألف من مجموعة من الكائنات الحية ، تشبه الانسان شكلا ولكنها فوق البشر وخالدة ، وهى ، على الرغم من أنها لا ترى بعين الانسان الفانى ، كانت تسير الكون وتسيطر عليه وفقاً لخطط وضعت بدقة وبقوانين معينة . إن عوالم السماء والأرض والبحر والهواء العظيمة ، والعناصر النجمية الكبرى ، والشمس والقمر والكواكب ، والقوى الجوية كالريح والعاصفة والزوبعة ، وأخيراً على الأرض ، الذاتيات الطبيعية كالنهر والجبل والسهل ، والذاتيات الحضارية كالمدينة والدولة

والسد والخندق والحقل والمزرعة ، وحتى الأدوات كالفأس وقالب الآجر والمحراث — كان كل واحد منها على ما يعتقد برعاية أحد من تلك الكائنات المتخيلة على أنها فوق البشر ، وكان هذا الكائن الراعي يوجه فعالياته وفقاً للقواعد والأنظمة الثابتة .

ويكمن وراء فرضية العالم اللاهوتي السومري البديهية هذه ، بلا شك ، استنتاج منطقي ، وإن لم يكن قد وضع بوضوح ، لأن ذلك اللاهوتي لم ير أيا من الكائنات الشبيهة بالبشر . ولعل عالمنا اللاهوتي أخذ دلالته من المجتمع البشري كما كان يعرفه وسار في استنتاجه من المعلوم إلى المجهول ، فقد لاحظ أن البلدان والمدن والقصور والمعابد والحقول والمزارع — وبأختصار ، جميع ما يمكن تصوره من المؤسسات والمشاريع ، إنما ترعى شؤونها وتشرف عليها وتسيرها وتسيطر عليها كائنات حية من البشر ، ولولا هذه الكائنات المسيطرة لأقفرت البلدان والمدن ، ولتداعت المعابد والقصور وتحولت الحقول والمزارع إلى صحراء وقفر . وعلى هذا كان من المؤكد بالنسبة لهم أن يكون للكون ومظاهره المتعددة أيضاً كائنات حية على هيئة البشر تسيرها وتسيطر عليها . ولكن لما كان الكون أكبر جداً من جميع مواطن البشر ، وتنظيمه أكثر تعقيداً فإنه يجب كما هو واضح أن تكون هذه الكائنات الحية أقوى كثيراً من البشر العاديين وأكثر فعالية منهم ، ويجب فوق كل شيء ، أن تكون خالدة ، وإلا فإن الكون سيؤول إلى فوضى عند وفاتها وتحل عندئذ نهاية العالم ، وهذان بديلان لا يستسيغهما لأسباب واضحة عالم ما وراء الطبيعة السومري . لقد عبر السومري عن كل كائن من هذه الكائنات غير المرئية والشبيهة بالإنسان ، التي كانت في الوقت نفسه فوق البشر وخالدة ، بكلمة « دنجير »[1] (dingir) التي نترجمها إلى كلمة « إله » .

ورب سائل يسأل : كيف كان يعمل هذا المجمع الإلهي ؟ أولا كان يبدو من المعقول بالنسبة للسومري أن يفترض بأن الآلهة التي تؤلف المجمع الإلهي (البانثيون)

---

(١) تلفظ الجيم كافاً فارسية . (المترجم)

لم تكن جميعها بنفس الأهمية أو من منزلة متساوية . فلم يكن من المنتظر أن يقارن الإله الموكل بالفأس أو قالب الآجر مع الإله الموكل بالشمس ، كما لم يكن متوقعاً أن يكون الإله الموكل بالسدود والجداول مساوياً فى المنزلة للإله الموكل بالأرض كلها ، ومن ثم ، بالقياس على التنظيم السياسى فى الدولة البشرية ، كان طبيعياً أيضاً الافتراض بأنه كان على رأس المجمع الإلهى إله اعترفت به جميع الآلهة الأخرى كملك وحاكم عليها. وعلى هذا كان يتصور بأن مجمع الآلهة السومرى يعمل على هيئة مجلس يقوم على رأسه ملك: وكانت أهم مجموعات هذا المجلس هى المجموعة المؤلفة من الآلهة السبعة التى « تقدر المصائر » ثم مجموعة الخمسين إلها التى عرفت بـ « الآلهة العظيمة » . ولكن أهم تقسيم وضعه رجال الدين السومريون داخل مجمع آلهتهم هو ذلك التقسيم الذى يميز بين الآلهة الخلاقة وغير الخلاقة ، وهو تصور توصلوا إليه نتيجة لآرائهم فى أصل الكون . فبموجب هذه الآراء كانت العناصر الأساسية التى تكوّن الكون ، هى السماء والأرض والبحر والجو ، وكل ظاهرة كونية أخرى لا توجد إلا ضمن هذه العوالم . وعلى هذا كان من المعقول أن يستنتجوا أن الآلهة التى تسيطر على السماء والأرض والبحر والجو كانت هى الآلهة الخالقة ، وأن كل ظاهرة كونية أخرى خلقت من قبل أحد الآلهة الأربعة وفقاً لخطط وضعت بالأصل من قبلهم .

أما بالنسبة لأسلوب الخلق الذى عزى إلى تلك الآلهة ، فإن فلاسفتنا السومريين طوروا مبدءاً صار فيما بعد عقيدة فى أنحاء الشرق الأدنى كافة ، وهو مبدأ القوة الخالقة الكامنة فى الكلمة الإلهية . فكل ما كان على الإله الخالق أن يفعله ، وفقاً لهذا المبدأ ، هو أن يضع خططه وينطق بالكلمة ويعلن الإسم . وربما كانت فكرة القوة الخالقة للكلمة الإلهية نتيجة لاستنتاج قياسى مأخوذ من ملاحظة المجتمع البشرى أيضاً ، فإذا كان باستطاعة ملك من البشر إنجاز كل ما يريده تقريباً بمجرد الأمر ، أى بشىء لا يزيد فيما يبدو على كلمات تصدر من فمه ، فلا شك أن إمكانية القيام بذلك كانت أكبر بالنسبة للآلهة الخالدة التى كانت فوق البشر ومسؤولة عن عوالم الكون الأربعة . ولكن ربما كان هذا الحل « السهل » للمشاكل المتعلقة

بأصل الكون ، حيث الفكرة والكلمة وحدها مهمتان جداً ، إنعكاساً على الأكثر لحافز البشرى باللجوء فى تحقيق الرغبات المفعمة بالأمل إلى مجرد الرغبة فى تحقيقها بأى شكل من الأشكال ، هذا الحافز الذى يميز جميع البشر تقريباً فى أوقات الضيق والمحنة .

وبأسلوب مماثل قدم رجال اللاهوت السومريون ما كان بالنسبة لهم استنتاجاً غيبياً مقنعاً لتوضيح السبب الذى كان يجعل الذاتيات الكونية والظواهر الحضارية بعد أن تخلق تعمل باستمرار وانسجام دون تصادم أو اضطراب . لقد كانت هذه هى الفكرة التى عبرت عنها الكلمة السومرية « مى » (me) — التى لايزال معناها الدقيق مشكوكاً فيه ، ولكنها تشير بوجه العموم على ما يبدو إلى مجموعة من الأحكام والقواعد التى خصصت لكل ذاتية كونية وظاهرة حضارية للإبقاء عليها عاملة إلى الأبد بمقتضى الخطط التى وضعت من قبل الإله الذى خلقها . وهذا باختصار جواب سطحى آخر ، ولكنه لم يكن ،كما هو واضح، بلا تأثير مقنع عن مشكلة كونية مستعصية ، إنه جواب لا يعنى سوى إخفاء المشاكل الاساسية عن الرؤية تحت طبقة من كلمات لا معنى لها على الأكثر .

إن مصدر معلوماتنا الرئيسى حول الـ « مى » أو (القواعد والاحكام) هى أسطورة « إينانا وأنكى : انتقال مبادىء المدنية من أريدو إلى أوروك » (أنظر بقية هذا الفصل) . لقد قسم مؤلف هذه القصيدة المدنية كما كان يعرفها إلى أكثر من مائة عنصر كان كل واحد منها بحاجة إلى « دمى » (قاعدة) لتكوينه وللإبقاء عليه مستمراً فى وظيفته ، وأورد المؤلف فى الأسطورة « الميات » التى يبلغ عددها حوالى مائة « مى » أربع مرات ، بيد أنه لا يفهم منها فى الوقت الحاضر على الرغم من هذا التكرار إلا حوالى ٦٠ « مى » وبعضها مجرد كلمات عادية لا تقدم إلا إشارة مقتضبة عن أهميتها الحقيقية بسبب فقدان القرينة التى توضح المعنى . وعلى الرغم من ذلك ، فإن ما بقى منها يكفى لإظهار طبيعة ومعنى أول محاولة مسجلة فى التحليل الحضارى ، ذلك التحليل الذى كان من نتيجته وضع جدول جدير بالأهتمام يضم ما يعبر عنه الآن

بصورة عامة بميزات ومركبات الحضارة . وتتألف عناصر المدنية هذه كما سنرى من مؤسسات إجتماعية متعددة ، ووظائف كهنوتية مختلفة ، ومجموعة من الطقوس الدينية والاتجاهات العقلية والعاطفية بالإضافة إلى المعتقدات والمذاهب المتنوعة .

ونقدم فيما يلى الأجزاء الواضحة من الجدول فى نفس الترتيب الذى أورده الكاتب السومرى القديم .

(١) السيادة (٢) الألوهية (٣) التاج الممجد الخالد (٤) عرش الملكية (٥) الصولجان الممجد (٦) الشارة الملكية (٧) المزار المقدس (٨) الرعاية (٩) الملكية (١٠) مقام السيادة النسوية الدائم (١١) « السيدة المقدسة » (وظيفة كهنوتية) (١٢) « إيشيب » (وظيفة كهنوتية) (١٣) « لوماخ » (وظيفة كهنوتية) (١٤) « جودا » (وظيفة كهنوتية) (١٥) الصدق (١٦) النزول إلى العالم السفلى (١٧) الصعود من العالم السفلى (١٨) (الخصى) « كوجازا » (١٩) (الخصى) « جير بادارا » (٢٠) (الخصى) « ساجور ساج » (٢١) راية (الحرب) (٢٢) الطوفان (٢٣) السلاح (؟) (٢٤) الجماع الجنسى (٢٥) البغاء (٣٠) « عبد السماء » (٣١) (الآلة الموسيقية) « جو سيليم » (٣٢) الموسيقى (٣٣) المشيخة (٣٤) البطولة (٣٥) السلطة (٣٦) العداوة (٣٧) الأستقامة (٣٨) تدمير المدن (٣٩) الرثاء (٤٠) فرح القلب (٤١) البهتان[1] (٤٢) البلاد الثائرة (٤٣) الصلاح والخير (٤٤) العدالة (٤٥) فن صناعة الخشب (٤٦) فن صناعة المعدن (٤٧) الكتابة (٤٨) الحدادة (٤٩) صانع الجلود (٥٠) مهنة البناء (٥١) مهنة حائك السلال (٥٢) الحكمة (٥٣) الأنتباه (٥٤) التطهير المقدس (٥٥) الخوف (٥٦) الرعب (٥٧) الصراع (٥٨) السلام (٥٩) الإرهاق (٦٠) النصر (٦١) الشورى (٦٢) القلب

---

(١) لقد سقطت من الكتاب أسماء « النواميس » من رقم (٤٢) إلى رقم (٤٦) ونوردها هنا استناداً إلى كتاب « من ألواح سومر » لنفس المؤلف وترجمة الأستاذ . طه باقر » .
(المترجم)

المهموم (٦٣) القضاء (٦٤) القرار (٦٥) (الآلة الموسيقية) « ليليش » (٦٦) (الآلة الموسيقية « أوب » (٦٧) (الآلة الموسيقية) « ميس » (٦٨) (الآلة الموسيقية) « آلا » .

وكانت الآلهة السومرية ، كما هو مبين بوضوح فى الأساطير السومرية ، بشرية الصفات تماما ، فقد كان أعظمها قوة وأكثرها علما يصوَّر فى الذهن كبشر فى الهيئة والفكر والعمل . وكانت الآلهة كالإنسان تخطط وتعمل وتأكل وتشرب وتتزاوج وتؤسس الأسر وتتعهد بإعالة أسر كبيرة العدد . وكانت تصاب بالانفعالات وعوامل الضعف البشرى . إلا أنها كانت بصورة عامة تفضل الصدق والعدل على الكذب والظلم ، ولكن حوافزها على العمل لم تكن واضحة مطلقاً ، وغالباً ما يكون الإنسان حائراً فى فهمها . وكان يعتقد أنها تعيش فوق « جبل السماء والأرض ، الموضع الذى كانت الشمس تشرق منه » ، على الأقل عندما لا يكون وجودها على ما يفترض ضرورياً فى الذاتيات الكونية المعينة التى كانت موكلة بها . أما كيف كانت الآلهة تنتقل من موضع إلى موضع فإنه أمر لا يمكن التأكد منه على الإطلاق من المعلومات المتيسرة لدينا فى الوقت الحاضر ، ولو أننا نعرف بأن الإله — القمر كان يسافر فى قارب ، والإله — الشمس فى عربة أو مشياً على قدميه حسب رواية أخرى ، والإله — العاصفة على السحاب . وكانت القوارب تستخدم كثيراً ، ولكن المفكرين السومريين لم يقلقوا أنفسهم كثيراً على ما يبدو فى مشاكل عملية وواقعية كهذه ، ولذلك لم يخبرونا عن الطريقة التى يتخيلون بها الآلهة تصل إلى معابدها ومزاراتها المختلفة فى بلاد سومر ، أو بأية طريقة كانت تنجز فى الواقع فاعلياتها البشرية كالأكل والشرب . ومن المفروض أن الكهنة كانوا لا يرون سوى تماثيلها التى كانوا بلاشك يهتمون بها ويعنون بها عناية فائقة . أما كيف كان يتصور بأن لتلك الأشكال الحجرية والخشبية والمعدنية عظاماً وعضلات ونفس الحياة — فان هذا تساؤل لم يخطر ببالهم قط . كما لا يبدو أن المفكرين السومريين كانوا يقلقون بسبب ذلك التناقض الأساسى بين الخلود وبين إسباغ الصفة البشرية . فعلى الرغم من اعتقادهم بخلود الآلهة ، فإنهم مع ذلك كانوا يرون بأنه

لا بد لها من طعام يمدها بالحياة ، وكان من الممكن أن تصاب بالمرض إلى حد الإشراف على الموت . وكانت تحارب ، وتجرح وتقتل ، كما كانت على ما يفترض تجرح وتقتل نفسها . ومما لا شك فيه أن حكماءنا السومريين وضعوا عدة آراء لاهوتية فى محاولة عقيمة للتوفيق بين تلك المفارقات والمتناقضات المتأصلة فى نظام ديانة تتصف بالشرك ، ولكنه إذا ما استنتجنا من المصادر المتيسرة لنا ، نرى أنهم على الأرجح لم يدونوا أبداً هذه الآراء فى صيغة منسجمة ، لذا فإننا سوف لا نعرف شيئاً كثيرا عنها . وعلى أية حال لا يحتمل بأنهم وفقوا إلى حل كثير من هذه المتناقضات . على أن الذى أنقذهم من الوقوع فى خيبة روحية وعقلية هو بلا شك حقيقة أن مسائل عديدة مما كان ينبغى أن تقلقهم وفقاً لأسلوب تفكيرنا ، لم تدر بخلدهم أبداً .

لقد كان للسومريين حوالى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، إذا لم يكن قبل ذلك ، مئات من الآلهة ، بالاسم على الاقل . ونحن نعرف أسماء العديد منها ، ليس من الجداول التى كانت تجمع فى المدارس (لأغراض تعليمية) وحسب ، بل أيضاً من جداول تضم القرابين مدونة فى ألواح اكتشفت فى غضون القرن الماضى ، ومن أسماء أعلام الاشخاص مثل « (س) الفلانى راع » و « (س) الفلانى ذى قلب كبير » و « من مثل (س) الفلانى » و « عبد (س) الفلانى » و « رجل (س) الفلانى » و « (س) الفلانى المحبوب » و « (س) الفلانى أعطانى » الخ ... حيث يمثل حرف (س) « اسم إله من الآلهة . إن عدداً من هذه الآلهة من طبقة الدرجة الثانية ، فهى إما أن تكون أزواجاً أو أبناء أو خدماً للآلهة العظيمة فكر بها السومريون وفقاً لما هو معروف فى المجتمع البشرى . وربما كان بعضها . أسماء وكنى لآلهة كانت مشهورة عند السومريين ، ولكننا لا نستطيع التعرف على هوية أصحابها فى الوقت الحاضر. إن عدداً كبيراً من الآلهة كان يعبد خلال العام كله بتقديم القرابين والتمجيد والصلاة وكانت الإله — السماء « آن » والإله الريح « إنليل » والإله — « إنكى » والإلهة — الأم العظيمة « ننخورساج » أعظم وأهم أربعة بين جميع هذه المئات من الآلهة . وكان هؤلاء يوضعون عادة فى رأس الجداول الخاصة بالآلهة ،

وغالباً ما يذكرون وكأنهم مجموعة واحدة تقوم جميعها بإنجاز أعمال هامة ، كما كان لهم مكان الصدارة فى الاجتماعات والولائم الآلهية .

وهناك سبب وجيه يحملنا على الاعتقاد بأن السومريين كانو فى وقت من الأوقات يعتبرون « آن » ، الإله — السماء ، الحاكم الأعلى فى المجمع الإلهى ، على الرغم من أن الإله — الريح « إنليل » كان هو الذى يحتل مكانه كقائد للمجمع الإلهى فى مصادرنا التى يرجع تاريخها إلى حوالى سنة ٢٥٠٠ ق . م . وكانت دولة — المدينة التى اتخذت كمركز رئيسى لعبادة « آن » تعرف باسم « أوروك » (الوركاء)[1] وهى مدينة لعبت دوراً سياسياً بارزاً فى تاريخ بلاد سومر ، وكشفت فيها بعثة ألمانية قبيل الحرب العالمية الثانية مئات من الألواح الطينية الصغيرة ، المنقوشة بعلامات كتابية شبيهة بالصور يرجع تأريخها إلى سنة ٣٠٠٠ ق . م . تقريباً ، أى بعد اختراع الكتابة بوقت قصير . واستمرت عبادة « آن » فى بلاد سومر طوال ألوف من السنين إلا أنه فقد تدريجاً الشيء الكثير من مكانته البارزة حتى صار مجرد شخصية مبهمة فى المجمع الإلهى ، وأصبح من النادر أن يذكر فى تراتيل العهود المتأخرة وأساطيرها ، حيث أعطيت فى هذه الفترة معظم سلطاته للإله « إنليل » .

وكان الإله — الريح « إنليل » أهم إله فى مجمع الآلهة السومرى ، فهو الإله الذى لعب دوراً بارزاً فى الشعائر والأساطير والصلوات فى أنحاء بلاد سومر كافة . أما الأحداث التى قادت إلى قبوله إلها وقائداً فى مجمع الآلهة السومرى فغير معروفة ، ولكن « إنليل » كان يلقب فى أقدم السجلات الواضحة بلقب « أبى الآلهة » و « ملك السماء والأرض » و « ملك البلدان جميعها » وكان الملوك والحكام يتباهون بأن الإله « إنليل » هو الذى وهبهم ملكية البلاد ، وهو الذى جعل البلاد رخية من أجلهم ، وهو الذى وهبهم الأقطار ليفتحوها بقوته . وكان الإله « إنليل » هو الذى يعلن إسم الملك ، ويعطيه صولجانه وينظر إليه بعين الرضا .

---

(١) لقد ورد إسم هذه المدينة فى ثلاث صيغ ، « أوروك » عند السومريين ، و « أرك » فى التوراة ، وتعرف باسم « الوركاء » فى الوقت الحاضر . (المترجم)

ونعرف من الأساطير والتراتيل المتأخرة أن « إنليل » كان يُتصور على أنه إله عظيم الإحسان ، إذ كان الإله الموكل بخلق وتدبير أكثر الظواهر الكونية إنتاجاً . إنه كان هو الإله الذى يخرج النهار ، وهو الذى شمل البشر بعطفه ، وضع الخطط لإخراج كل البذور والنباتات والأشجار من الأرض . وكان هو الذى يحقق الوفرة والبركة والرخاء فى البلاد . إنه « إنليل » الذى أعطى الفأس والمحراث هيأتهما ليكونا نموذجين للأدوات الزراعية التى استخدمها الإنسان فيما بعد . لقد وضعت توكيداً على إبراز صفة الإحسان عند « إنليل » لأصحح سوء فهم تسرب إلى جميع الكتب ودوائر المعارف التى تعالج موضوع الديانة والحضارة السومريتين ، وأعنى بذلك الاعتقاد بأن « إنليل » كان إله العواصف العنيفة المدمرة الذى لم تجلب أوامره سوى الشر . وكما يحدث كثيراً ، فإن سوء الفهم هذا يعزى إلى درجة كبيرة إلى مصادفة آثارية ، فقد حدث أن كان بين أقدم الأعمال السومرية المنشورة جزء كبير جداً من نماذج أدب الرثاء حيث كان لـ « إنليل » بالضرورة مهمة بغيضة وهى تنفيذ الدمار وإحلال المحن المحزنة التى كانت الآلهة تقررها لسبب أو آخر . وكنتيجة لذلك وصم « إنليل » بأنه إله عنيف ومخرب من قبل أوائل الباحثين ولم يتخلص من هذه الوصمة أبداً . وفى الواقع لو حللنا التراتيل والأساطير التى لم ينشر بعضها إلا فى وقت قريب جداً لوجدنا « إنليل » وقد مجد كإله على أشد ما يكون من الشعور بالود والحنو الأبوى ، كإله يحفظ أمن جميع البشر ورخاءهم ، ولا سيما سكان بلاد سومر طبعاً .

ويمكننا أن نحس باحترام السومريين العميق للإله « إنليل » ومعبده « إيكور » فى مدينة « نفَّر » فى ترتيلة (لم تتيسر للقراء إلا قبل مدة قصيرة) يمكن قراءتها جزئياً على الوجه التالى :

« إنليل » من يصل أمره إلى أبعد مكان — ومن كلمته مقدسة ،

الرب الذى لا يبدل كلامه ، والذى يقدر المصائر إلى الأبد ،

الذى تبصر عينه النفاذة الاقطار كافة ،

ومن يدخل إشعاعه الوهاج فى قلب الاقطار كافة ،

« إنليل » من يتربع على المنصة البيضاء ، على المنصة الرفيعة ،
والذى يهذب أحكام السلطة والسيادة والإمارة ،
آلهة — الأرض تنحنى خشية أمامه ،
وآلهة — السماء ، تتذلل أمامه . . .
المدينة « نفـر » ، مظهرها يثير الخوف والرعب ،
الجائر ، والظالم الشرير ،
وال . . . ، والنمام ،
والمتـكبر ، وناكث العهد ،
كل هؤلاء لا يجيز شرهم فى المدينة ،
والشبكة العظيمة . . . ،
إنه لا يدع الشرير والظالم المؤذى وفاعل الشر يفلتان من شراكها .
« نفـر » المزار — الذى يسكنه الأب ، « الجبل العظيم » ،
منصة البركة ، « إيـكور » الذى يعلو ... ،
الجبل الشامخ ، الموضع الطاهر ... ،
أميره ، « الجبل العظيم » ، الأب « إنليل » ،
قد أقام مجلسه على منصة « إيـكور » ؛ المعبد الشامخ ،
المعبد — قراراته كالسماء لا يمكن تبديلها ،
طقوسه المطهرة كالارض لا يمـكن إزالتها ،
قراراته كقرارات المياه العميقة (المقدسة) ، مامن أحد يستطيع النظر فيها ،
« قلبه » كمزار بعيد ، إنه سر كسمت السماء ... ،
كلماته صلوات ،

عباراته ابتهال ... ،

مناسكه غالية ،

أعياده تتدفق بالسمن واللبن ، إنها غنية بالخير ،

مخازنه تجلب السعادة والفرح ... ،

بيت « إنليل ، إنه جبل الخير ... ،

« إيكور » بيت حجر اللازورد ، السكن السامى الذى يبعث الرهبة (فى النفوس) .

إن رهبته وخشيته لا تضاهيهما إلا السماء ،

وظله ينتشر على البلدان جميعها ،

وشموخه يبلغ قلب السماء ،

جميع النبلاء والأمراء يقدمون هناك هداياهم وقرابينهم المقدسة ،

ويقيمون صلاتهم ويتلون ابتهالاتهم وتضرعاتهم هناك .

يا « إنليل » ، إن الراعى الذى تنظر إليه بعين (رضاك) ،

والذى دعوته ورفعت مقامه فى البلاد ... ،

والذى يذل الأقطار الأجنبية حيثما يذهب ،

قد جلب سكائب ملطفة من كل مكان ،

وقرابين (أختيرت) من غنائم كبيرة ،

وفى المخزن ،

وفى الباحات العظيمة ، قدم قرابينه ،

« إنليل » ، أوجد إمارة الراعى الكفء ...

(إمارة) الراعى القائد لكل من يتنفس ، (الملك) ،

خلقت أمارته ،

ووضعت التاج المقدس على رأسه ...

السماء — هو أميرها ، الارض هو عظيمها ،

« الآنوناكى » [1] — هو ربها المجيد .

عندما يقدر المصائر ، وهو فى جلاله ،

لا يجرؤ إله على النظر إليه .

لوزيره المبجل فقط ، للحاجب « نوسكو » ،

قد كشف عن أمره الذى هو كلمة قلبه ، وبلغه به ،

وأناط به تنفيذ أوامره التى تشمل كل شىء .

لقد إئتمنه على القوانين المقدسة ، وعلى جميع الأحكام المقدســـة .

لولا « إنليل » الجبل العظيم ،

لما شيدت مدن ، ولما أقيمت مواطن ،

ولما شيدت زرائب ، ولا أقيمت حظائر ،

ولما رفع ملك ، ولا ولد كاهن عظيم ،

ولما أختير كاهن الـ « ماخ» ، ولا كاهنة رفيعة القدر بفأل الشاة[2] ،

ولما غدا للعمال موجه ولا مشرف ... ،

والأنهار ... ما جلبت مياه فيضاناتها الفيض ،

---

(١) اسم يطلق على مجموعة آلهة السماء بالمقابلة إلى مجموعة آلهة العالم الأسفل التى تعرف باسم « إجيجى » (بلفظ الجيم كافا فارسية) ، على أننا نجد أحيانا عدداً من آلهة السماء يقطن العالم الأسفل أيضاً . (المترجم)

(٢) كان هذا الفأل يستند على ما يراه قارئ الفأل من علامات على كبد الضأن لها تفسيرات خاصة تبشر بالخير أو تنذر بالشر . (المترجم)

ولما وضع سمك البحر ، بيضه فى أدغال القصب ،

ولما بنت طيور السماء أعشاشها على الأرض الفسيحة ،

وفى السماء ، لما جاءت الغيوم السائرة بمائها ،

ولولاه ما نمت النباتات والأعشاب ، مفخرة السهل ،

ولما ازدهر القمح الوفير فى الحقل والمرعى ،

ولما أثمرت الأشجار النابتة فى غابة الجبل أثمارها . . .

أما الإله الثالث من مجموعة الآلهة السومرية الرئيسة فهو الإله « أنكى » ، الإله الموكل بمياه الغمر ، أو كما يعبر عنها فى اللغة السومرية ، الـ « آبزو » . وكان « أنكى » إله الحكمة المسؤول بالدرجة الأولى عن تنظيم الأرض وفقاً لقرارات الإله « أنليل » الذى لم يضع سوى الخطط العامة . أما التفاصيل العملية وتنفيذها فقد تركت إلى الإله « أنكى » الذى يتصف بالدهاء والبراعة والحكمة . ونحن نعرف الشىء الكثير عما كان يدور حول الإله « أنكى » من الأسطورة المعنونة « أنكى ونظام العالم : تنظيم الأرض ومقوماتها الحضارية » ، (أنظر الفصل الخامس) ، التى تمدنا بوصف مفصل لجهود «أنكى» الخلاقة فى تنظيم الظواهر الطبيعية والحضارية اللازمة للمدنية . وتقدم لنا هذه الأسطورة توضيحاً حياً للأفكار السومرية السطحية عن الطبيعة وأسرارها ، ولا نجد للسومريين فى أى مكان محاولة لتقصى أصول الظواهر الطبيعية أو الحضارية الأساسية ، لأن وجود كل شىء كان يعزى إلى جهود « أنكى » الخلاقة بمجرد قولهم بما يمكن إجماله عادة بعبارة «أنكى هو الذى صنعه » . وإذا ما ذكروا أسلوب الخلق إجمالا ، فإن ذلك يتكون من كلمة الإله وأمره ولا أكثر من ذلك .

وكانت الإلهة — الأم « نينخورساج » تعتبر الرابعة من بين الآلهة الخالقة ، وكانت تعرف باسم « نناخ » أيضاً ، أى « السيدة المجيدة » . وربما كانت هذه الإلهة فى زمن مبكر تحتل منزلة أعظم ، حتى إن إسمها كان يتقدم على إسم « أنكى » حينما تذكر الآلهة الأربعة كلها لسبب أو آخر . ولعل اسمها كان فى الأصل « كى » أى

« الأرض (الأم) » ، وربما كانت تعتبر زوجة للإله « آن » أى « السماء » — وعلى هذا فإن « آن » و « كى » كانا يقومان فى الذهن كوالدين لجميع الآلهة . وكانت تعرف أيضاً باسم « ننتو » أى « السيدة التى أنجبت » . وكان يحلو للحكام السومريين الأوائل أن يقولوا عن أنفسهم « إن ننخورساج تطعمهم باللبن على الدوام » ، وكانت تعتبر أم جميع المخلوقات الحية ، والإلهة — الأم المبرزة . وتلعب فى إحدى أساطيرها دوراً هاماً فى خلق الإنسان ، وفى أسطورة أخرى نراها تبدأ سلسلة من الولادات الإلهية فى « دلمون » ، فردوس الآلهـــة ، وهى فكرة تقودنا إلى موضوع « الثمرة المحرمة » .

وكانت هناك ثلاثة آلهة سماوية إلى جانب تلك الآلهة الأربعة الرئيسة وهى : الإله — القمر « نانا » ، الذى يعرف أيضاً باسم « سـين » ، وكان على ما يرجح من أصل سامى ، وابن « نانا » الإله — الشمس « أوتو »[1]، وإبنة « نانا » الإلهة « إينانا » ، التى عرفت عندالساميين باسم «عشتار» ، وربما كانت هذه الآلهة السبعة « آن » و « أنليل » و « أنـكى » و « نينخورساج » و « نانا — سين » و «أوتو» و « إينانا » هى التى تؤلف مجموعة الآلهة السبعة التى كانت « تقدر المصائر » . أما أسماء الخمسين إلهاً الذين كانوا يؤلفون « الآلهة العظام » فإنها لم تذكرعلى الإطلاق ولـكنها كانت على ما يبدو للآلهة التى عرفت باسم الـ « آنوناكى » ، أبناء « آن » ، أو على الأقل لتلك الآلهة التى لم تحتجز فى العالم السفلى — ويعود بعض الآلهة المتعددة الواردة فى هذا الـكتاب دون شك إلى الـ « آنوناكى» أو على الأقل إلى مجموعة « الآلهة العظيمة » الخمسين . وكانت هناك أيضاً مجموعة من الآلهة عرفت باسم الـ « إجيجى » على أنها لا تلعب ، كما يبدو ، إلا دوراً ثانوياً نسبياً وذلك استنتاجاً من حقيقة أنها نادراً ماذكرت فى الآثار الأدبية الموجودة حالياً .

وبانتقالنا من الإله إلى الإنسان ، نجد أنه لم تـكن للمفكرين السومريين ، بمقتضى

---

(١) يعرف عند الساميين باسم « شمش » . (المترجم)

فكرتهم عن الكون ، ثقة كبيرة به وبمصيره ، فقد كانوا على قناعة تامة بأنه لم يكن سوى مخلوق من الطين ، خلق من أجل غرض واحد فقط : هو خدمة الآلهة عن طريق مدهم بالطعام والشراب والملجأ ليكون بوسعهم التفرغ التام لأعمالهم الإلهية . وكان الشك يغلف حياة الإنسان ويلازمه شبح الشعور بعدم الأمان وذلك بسبب جهله بالمصير الذى قدرته له الآلهة التى لا يمكن التنبؤ بأعمالها ، وإذا ما مات الإنسان ، تهبط روحه العاجزة إلى العالم السفلى المظلم المخيف الذى لم تكن الحياة فيه سوى انعكاس كئيب وبائس للحياة على الأرض .

إن المفكرين السومريين لم يقلقوا أنفسهم على الإطلاق بالمشكلة الخلقية الأساسية التى تحتل عند الفلاسفة الغربيين مكانة رفيعة ، ألا وهى مشكلة الإرادة الحرة المرهفة والمبهمة فى الواقع . فالسومريون الذين كانوا مقتنعين قناعة لا جدال فيها بأن الإنسان لم يخلق من قبل الآلهة إلا لمصلحتها وراحتها ، قبلوا بوضعهم الإتكالى تماماً كما قبلوا القرار الإلهى بأن الموت كان من نصيب الإنسان وأن الآلهة وحدها هى الخالدة . وكان السومريون يعزون كل الفضل فى الصفات الروحية السامية والفضائل الخلقية التى طوروها تدريجاً وبمشقة كبيرة ، خلال قرون عديدة ، من تجاربهم الاجتماعية والحضارية إلى الآلهة : فهى التى خططت لذلك بهذا الأسلوب وما كان على الإنسان إلا أن يخضع للأوامر الإلهية .

وكان السومريون ، وفقاً لكتاباتهم الخاصة ، يعزّون بالخير والصدق ، بالقانون والنظام ، بالعدل والحرية ، بالاستقامة والأمانة ، بالرأفة والعطف ، وكانوا بطبيعة الحال يمقتون نقائضها الشر والكذب ، عدم التقيد بالقانون والفوضى ، الظلم والاستبداد ، اقتراف الذنب والضلال ، البطش وفقدان الشعور بالعطف . وكان الملوك والأمراء على الأخص يفخرون دائماً بأنهم وضعوا القانون وأسسوا النظام فى البلاد ، وأنهم كانوا يحمون الضعيف من القوى ، والفقير من الغني ، وبالقضاء على الشر والعنف . فالملك « أوروكاجينا » مثلا يسجل بفخر أنه أعاد العدل والحرية إلى مواطنى « لجش » الذين ظلوا يعانون الظلم وقتاً طويلا ، وتخلص من الموظفين

المتطفلين الذين كانوا يضطهدون الناس ، وأوقف الظلم والاستغلال وحمى الأرملة واليتيم . وأعلن « أور — نامو » مؤسس سلالة « أور » الثالثة ، بعد ذلك بأقل من أربعة قرون شريعته التي تذكر في مقدمتها بعض إنجازاته الخلقية : فقد أزال قسما من الإساءات البيروقراطية السائدة ، ونظم الموازين والمقاييس لتحقيق الأمانة في السوق ، وأكد على حماية الأرملة واليتيم والفقير من سوء المعاملة والظلم . وأعلن « لبت — عشتار » ملك « إيسن » بعد قرنين تقريباً شريعة جديدة يفخر فيها بأنه أنتخب بصورة خاصة لـ « إمارة البلاد » من قبل الإلهين العظيمين «آن» و «أنليل» من أجل تحقيق العدالة في البلاد ، والقضاء على الشكاوى ، ولدحر الأعداء والعصاة بقوة السلاح ، وتحقيق الرخاء للسومريين والأكديين . وتمتلىء تراتيل عدد كبير من الحكام السومريين بادعاءات مماثلة بالسلوك الأخلاقي والروحي الرفيع .

وطبيعي أن الآلهة كانت تفضل أيضاً ، حسب رأي الحكماء السومريين كل ماهو أخلاقي وروحي على ما هو عكس ذلك . وكانت جميع آلهة المجمع الإلهي السومري الرئيسة تقريباً تمجد على أنها محبة للخير والصدق والحقيقة والأمانة . وفي الواقع كان الإشراف على النظام الخلقي عملا رئيساً لعدد من الآلهة ، ونذكر على سبيل المثال الإله — الشمس « أوتو »[1]. ولعبت أيضاً إلهة أخرى ، وهي الإلهة اللجشية المسماة « نانشه » ، دوراً هاماً في مجال سلوك الإنسان الخلقي والروحي حتى أنها وصفت في إحدى تراتيلها بالإلهة التي :

تعرف اليتيم ، والتي تعرف الأرملة .

وتعرف ظلم الإنسان للإنسان ، إنها أم اليتيم .

« نانشه » ، التي تعنى بالأرملة .

---

(١) كان اسم الإله — الشمس يرتبط دائماً بالشرائع والقوانين . ففي مسلة « حمورابي » مثلا نرى الملك يتسلم الشريعة من يد هذا الإله المتربع على عرشه ، وربما كان سبب ذلك يعود إلى نظرة العراقيين القدماء إلى القوانين ، فهي — حسب رأيهم — تنير الطريق للناس تماماً كما يفعل نور الشمس . (المترجم)

والتي تنشد (؟) العدالة (؟) لأفقر (الناس) (؟) .
الملكة تأخذ اللاجئ إلى حجرها ،
وتجد ملجأ للضعيف .

وفي فقرة أخرى من هذه الترتيلة تصور « نانشه » كحاكمة للبشر في يوم رأس السنة الجديدة ، وإلى جانبها « نيدابا » ، إلهة الكتابة والحساب ، وزوجها « خايا » بالإضافة إلى العديد من الشهود . أما النماذج البشرية الشريرة التي يقع عليها غضب هذه الإلهة فهي :

(الناس) الذين وهم يعشون في الإثم تتطاول أيديهم ،
والذين يخالفون مبادئ السلوك الثابتة ، وينتهكون حرمة العقود ،
والذين كانوا ينظرون بعين الرضا إلى أماكن الشر .
والذين كانوا يستبدلون معياراً صغيراً بعيار كبير (١)
والذين كانوا يستبدلون مكيالا صغيراً بمكيال كبير (٢)
والذين بعد أن يأكلوا (ما ليس لهم) لا يقولون « إننا أكلناه » ،
والذين بعد أن يشربوا (من ماء غيرهم) لا يقولون « إننا شربناه » ،
والذين يقولون « سنأكل ما هو محرم »
والذين كانوا يقولون « سنشرب ما هو محرم » .

ويتضح تقيد الإلهة « نانشه » في الشؤون الاجتماعية بما يمليه عليها الضمير بصورة أجلى في سطور تقرأ على الوجه التالي :

من أجل إراحة اليتيم ، ولمنع الظلم عن الأرملة
ومن أجل إقامة موضع دمار للقوى ،

---

(١) (٢) إشارة إلى الغش الذي كان يمارس في الموازين والمكاييل . (المترجم)

ومن أجل تسليم القوى للضعيف .

تستكشف « نانشه » قلوب الناس .

ولسوء الحظ ، على الرغم مما كان يفترض من أن الآلهة الرئيسة كانت تتمسك فى سلوكها بالمثل الأخلاقية والروحية فإن الحقيقة تبقى بأنها هى التى وضعت وفقاً لنظرة السومريين إلى الكون ، خطط الشر والكذب والعنف والأسى تبداد — وباختصار جميع أنماط السلوك البشرى الفاسدة وغير الأخلاقية وذلك أثناء عملية خلق مقومات المدنية ، وعلى هذا لا توجد مثلاً بين أسماء الـ « ميات » ، وهى القواعد والنظم التى أبتدعتها الآلهة ليسير الكون بانتظام وفعالية، القواعد التى لاتقنن « الحقيقة » و « السلام » و « الخير » و « العدالة » فحسب ، بل توجد أيضا تلك التى تتحكم بالـ « الكذب » و « الصراع » و « البكاء » و « الخوف » . ورب سائل يسأل : لم اذن وجدت الآلهة أن من الضرورى أن تخطط وتخلق الأثم والشر والمعاناة وسوء الحظ التى كانت على درجة من الإفساد بحيث أن أحد السومريين المتشائمين وصل إلى حد القول « لم يولد لأمه أبداً طفل بلا خطيئة » ؟ إن الحكماء السومريين كانوا ، استنتاجاً من مصادرنا المتيسرة ، على استعداد ، إذا ما سألوا هذا السؤال على الأطلاق ، للإعتراف بجهلهم فى هذه الناحية ، لأن إرادة الآلهة ودوافعها كانت فى بعض الأحيان مبهمة . وكان الطريق الصحيح لسلوك أى « أيوب » سومرى (أى لأى معذب سومرى) ، هو ألا يناقش ولا يشكو أمام ما يبدو بأنه سوء حظ لا مبرر له . بل كان عليه أن يتوسل ويبكى وينوح ويعترف بقصوره وبذنوبه التى لا مناص منها .

ولكن هل كانت الآلهة تستجيب له ، وهو إنسان وحيد وبشر زائل لا أثر له فى الكون، حتى لو تمرغ وتضرع بصلاة صادرة من القلب ؟ لعل المعلمين السومريين يجيبون عن هذا السؤال بالنفى ، لان الآلهة كانت على ما كانوا يعتقدون، تشبه الحكام من البشر، وكانت مشغولة دون ريب بأعمال أكثر أهمية ، وعلى هذا كان لا بد للانسان من وسيط للتدخل من أجله كما هو الحال بالنسبة للتعامل مع الملوك . وسيط تكون

الآلهة راغبة بالسماع إليه ومستعدة لمحاباته . وكنتيجة لذلك ابتكر المفكرون السومريون وطوروا فكرة وجود إله شخصي ، يشبه إلى حد ما الملاك الطيب لكل شخصية مهمة ورب أسرة ، ويكون كما لو كان والده الإلهي الذي أنجبه . وكان المعذب يكشف لإلهه الشخصي عما في قلبه بالصلاة والدعاء وكان يجد الخلاص عن طريقه .

نحن نعرف كل هذا من مقالة شعرية جمعت أجزاؤها حديثاً تتعلق بموضوع معاناة الانسان وخضوعه ، وهو موضوع أشتهر في الأدب العالمي والفكر الديني بتأثير سفر « أيوب » في التوراة . إن هذه القصيدة السومرية لا تقارن بأي وجه من الوجوه بقصة « أيوب » من حيث سعة المدى وعمق الفهم أو جمال التعبير . ولكن أهميتها الأولى تكمن في حقيقة أنها تمثل أول محاولة مدونة للإنسان في معالجة مشكلة عذاب البشر القديمة ، التي مازالت مع ذلك تقلق الإنسان في عصرنا هذا — فالقصيدة السومرية أقدم بأكثر من ألف عام من تأريخ تأليف سفر « أيوب » .

إن فرضية شاعرنا الرئيسة هي أنه ليس للضحية في حالات العذاب والمحنة ، مهما تراءى له من عدم وجود مبرر لها ، سوى سبيل صحيح واحد ، ذلك هو أن يمجد إلهه دوماً ويواصل البكاء في حضرته حتى يبدأ بالإصغاء إلى دعواته بشيء من العطف . وكان الإله المعني بذلك هو إله المعذب الشخصي ، أي الإله الذي كان ممثلاً للفرد وشفيعاً له في مجمع الآلهة وفقاً للعقيدة السومرية السائدة ، ولكي يدلل مؤلفنا على قصده لا يعمد إلى التأمل الفلسفي وإنما يعمد إلى الممارسة العملية ، فيعرض حالة خاصة وهي حالة : رجل ، لم يذكر اسمه في الواقع ، كان غنياً وحكيما وعادلاً ، أو أنه كان يبدو على الأقل هكذا ، وكان منعماً عليه بنعمة الأصدقاء وذوي القربى . وفي يوم من الأيام حل به السقم والعذاب . فهل ازدرى بالقضاء الإلهي وكفر بالإله ؟ إنه لم يفعل هذا مطلقاً بل توجه إلى الإله خاشعاً باكياً وبالدموع وكشف عن مكنون قلبه بالصلاة والتضرع ، وسر إلهه نتيجة لذلك سروراً عظيما وأخذته الشفقة به واستجاب لصلاته وخلصه من البلية وأحال عذابه إلى بهجة وسرور .

ويمكن مبدئياً تقسيم القصيدة من ناحية تركيبها إلى أربعة أقسام . فأولا تأتى نصيحة موجهة للإنسان على شكل مقدمة مختصرة ، تقرأ أسطرها الخمسة الأولى على الوجه التالى :

لينطق الإنسان بتمجيد ربه على الدوام ،
وليسبح الشاب بكلمات ربه ببراءة ،
ودع ذلك الذى يسكن الأرض الآمنة ينتحب ،
وفى بيت الغناء (؟) دعه يواسى (؟) صديقه ورفيقه ،
ودعه يهدىء قلبه .

ثم يقدم لنا الشاعر ذلك الفرد المجهول الإسم الذى نجده بعد أن حل به المرض والبلاء يخاطب ربه باكياً ومصلياً ، ويعقب التماس ذلك المعذب الذى يؤلف الجزء الأكبر من القصيدة ، إذ يبدأ هذا القسم بوصف ما لاقاه من معاملة سيئة على ما يبدو من أصحابه — الصديق منهم والعدو على السواء — وتستمر القصيدة فى ندب المعذب حظه السيء ، ويتضمن هذا التماساً فى عبارة بليغة من ذوى قرباه ومن المغنين المحترفين لمشاركته فى البكاء والتضرع ويختتم باعترافه بالذنب والتماسه الفرج والخلاص :

إننى رجل ، مدرك فطن ، ومع ذلك لا يفلح من يحترمنى ،
لقد حولت كلمتى الصادقة إلى أكذوبة ،
وغطانى الرجل المخاتل بـ « الريح الجنوبية » ، لأننى مكره على خدمته ،
إن من لا يحترمنى قد أخجلنى أمامك .
لقد تصدقت علىّ بعناء يتجدد على الدوام ،
ودخلت البيت ، وروحى مثقلة بالحزن .

أنا الرجل ، خرجت إلى الطرقات ، والقلب معذب ،

لقد غضب عليّ الشجاع ، راعيّ العادل ، ونظرة إليّ نظرة العداء ،

الراعى الموكل بى أرسل قوى الشر عليّ ، أنا الذى لست عدوه ،

إن صاحبي لا يقول لى كلمة صدق ،

وصديق يقابل كلمتي الصادقة بكلمة كاذبة ،

لقد تآمر عليّ الرجل المخادع ،

وأنت يا إلهى ، لا تحبط عمله .

(لقد حذفت ثلاثة سطور) .

أنا الحكيم ، لِمَ أقيد مع الأحداث الجهلة ؟

أنا الذكى ، لِمَ أعد مع الجهال ؟

الطعام وفير فى كل مكان ، ولكن طعامى الجوع ،

فى اليوم الذى قسمت فيه الأنصبة على جميع الناس ، كانت الحصة المخصصة لى العناء .

(لقد حذفت عشرة أسطر) .

يا إلهى [أريد أن أقف] فى حضرتك ،

أريد أن أتكلم إليك ... ، إن كلمتى أنين ،

أريد أن أتكلم بشأنه ، وأريد أن أبكى على مرارة سبيلى ،

[أريد أن أنوح على] ارتباك الـ .....

(لقد حذفت ثلاثة أسطر) .

يا إلهى ، لا تدع أمى التي ولدتنى تنقطع عن النواح من أجلى بين يديك ،

ولا تدع أختى تردد الأغنية والأنشودة السعيدتين ،

ولتنطق باكية بين يديك .
ولتعبر زوجتى بحزن عن عذابى ،
وليندب المغنى البارع مصيرى التعس .
يا إلهى ، إن النهار ليشع مشرقاً على البلاد ، أما بالنسبة لى فالنهار مظلم ،
إن النهار المشرق ، النهار الزاهر قد .. مثل .. ،
إن الدموع والنواح والجزع والخوف قد غرزت بداخلى ،
ويغمرنى العذاب كأننى أمرؤ ما أختير إلا للدموع ،
يقبض على الحظ المشؤوم بقبضته ، ويسلبنى نفس حياتى ،
المرض الخبيث يغمر جسمى .
(لقد حذفت حوالى ٢٢ سطراً)
يا إلهى ، يا من أنت أبى الذى أنجبنى ، أرفع وجهى ،
كبقرة بريئة ، بشفقة .. الأنين ؟
إلى متى ستهملنى وتتركنى بدون حماية ؟
كثور ... ،
ستتركنى بلا هداية ؟
إنهم يقولون — أى الحكماء البارعون — كلمة صدق وحق :
« لم يولد لأم طفل بلا خطيئة قط ،
... وما وجد طفل بلا خطيئة منذ القدم » .
(حذفت ١٤ سطراً)
نكتفى بهذا القدر من صلوات الرجل وتضرعه وتأتى « النهاية السعيدة » على الوجه التالى :

[ذلك الرجل] — قد استمع [إلهه إلى دموعه ونحيبه المرير] ،

[ذلك الشاب] قد لطّف بكاؤه ونحيبه قلب إلهه ،

والكلمات الحقة ، الكلمات الطاهرة التي تفوه بها ، قد تقبلها منه إلهه ،

الكلمات التي أعترف بها الشاب في صلاته ،

أرضت (؟) .. ، ولحم (؟) إلهه ، وسحب آلهه يده من كلمة الشر ..

التي تحزن القلب .. واحتضن

وطرد شيطان المرض المحدق به ، والذي بسط عليه جناحيه ،

والـ (مرض) الذي أصابه مثل .. قد بدده ،

والمصير المشؤوم الذي قدر له بموجب أمره (أي أمر الإله) قد ازاله ،

وبدل معاناة الرجل (؟) إلى فرح ،

ووضع إلى جانبه الملاك الرحيم ... كحارس ورقيب ،

وزوده ... بجنى ذي طلعة بهية ،

(وهكذا) يسبح [الرجل] بتمجيد إلهه على الدوام ،

ويجلب [الشاب] بـ ... ، ويعلن عن ... ،

ولكن سواء أكان هناك ملاك حارس أم لم يكن ، فإن الحقيقـــة هي أن ذلك الرجل قد توفى عاجلاً أو آجلاً ، وبقدر ما كان يرى السومريون أصحاب النظرة القاطعة الذين يتميزون بالواقعية ، فإنه ذهب إلى العالم السفلي بلا عودة . ولاحاجة بنا للقول إن هذا الأمر ، أي الموت ، كان مصدر قلق وحيرة ، فقد كانت الألغاز والتناقضات والمعضلات تكتنف الموت والعالم السفلي ، ولا عجب إذا لم تكن الأفكار السومرية التي تتعلق بهذه المشكلة دقيقة أو ثابتة — كما سنرى من التحليل التالي للمادة التي تتصل بهذا الموضوع .

لقد كانت المقابر الملكية ذات المدافن المتعددة ، التي كشف عنها في مدينة «أور» « السير ليونارد وولى » بعناية ومهارة فائقة ، من وجهة نظر السلوك الحضارى السومرى ذات مغزى كبير الأهمية ، لأنها تشير بدرجة معقولة من اليقين إلى أن حكام بلاد سومر الأوائل كانوا لا يصطحبون عادة إلى القبر بطائفة من أثمن مقتنياتهم الشخصية فحسب ، وإنما كانوا يصطحبون بحاشية بشرية كبيرة أيضاً . ولسنا بحاجة للقول إن قارىء الخط المسمارى ، وعلى الأخص المتخصصون منهم باللغة السومرية ، بدأوا بعد هذا الاكتشاف المذهل مباشرة بالبحث في الوثائق من أجل العثور على أى تأييد مدون لهذا الرأى ، ولكنهم لم يحققوا نجاحاً فيما كانوا يأملون الحصول عليه . أضف إلى ذلك أن عدداً كبيراً من الأساطير والقصص الملحمية والتراتيل والمرثيات والنصوص التاريخية السومرية قد تيسرت للباحثين خلال العشرين سنة الماضية ، يبدو أنه كان من المعقول أن يؤمل بأن أحد هذه المصـــادر قد يلقى ضوءاً على تقاليد الدفن السومرية المتصلة بالمقابر الملكية . ولكن هذا الأمل لم يتحقق أيضاً ، ولم يصل الباحثون إلى أية نتيجة ذات أهمية ، وهو أمر لا يدعو إلى استغراب كبير في ضوء حقيقة أن تأريخ المقابر الملكية يعود إلى سنة ٢٥٠٠ ق . م . تقريباً ، على حين أن معظم وثائقنا الأدبية المتيسرة ألفت لاول مرة على ما يرجح سنة ٢٠٠٠ ق . م . تقريباً .

وأما بالنسبة للوقت الحاضر ، فإن الوثيقة الأدبية السومرية الوحيدة التى يبدو أنها تؤيد الدليل الآثارى الذى يشير إلى اصطحاب الحكام القدامى إلى مقابرهم بحاشية بشرية عبارة عن لوح صغير في متحف الجامعة في جامعة بنسلفانيا دونت عليه الإثنان والأربعون سطراً الأخيرة من قصة ملحمية من قصص « جلجامش » ، وهى على ما يرجح القصة التى وضعت مبدئياً تحت عنوان « موت جلجامش » التى لا يتيسر منها في الوقت الحاضر سوى بقايا أصابها التلف . إن هذه القصة تخبرنا بتعابير شعرية على أن « جلجامش » قدم هدايا ونذوراً إلى آلهة العالم السفلى المختلفة وإلى المهمين من الأموات القاطنين هناك من أجل جميع الذين « يهجعون معه » فى « قصره النقى »

فى مدينة «الوركاء» وهم : زوجته وأبنه ومحضيته والموسيقى" ومن يقوم بدور التسلية ، ورئيس خدمه ، والقائمون بشؤون بيته . ومن المعقول أن يفترض أن الشاعر صور هذه الهدايا وكأنها قدمت من قبل « جلجامش » بعد أن توفى هو وحاشيته ونزلوا إلى العالم السفلى .

فإذا تبين أن هذا التفسير صحيح فإنه سيكون لدينا تأييد أدبى آخر لنموذج الدفن المتعدد فى المقابر الملكية التى كشف عنها «وولى» —وخاصة عندما كان «جلجامش» كما نعرف الآن من نص « التومال » (الذى ورد ذكره فى الفصل الثانى) معاصراً للملك « ميس آنثاداً » (ملك أور) وعلى هذا يرجع تقريباً إلى الفترة التى تمثلها تلك المقابر .

ومن الوثائق الأخرى التى تلقى ضوءاً كبيراً على الممارسات الجنائزية التى تتصل بالمتوفى من أفراد الأسرة الملكية اللوح الذى يحتوى على ستة حقول من الكتابة فى متحف الجامعة والذى كتبت عليه قطعة فريدة للملك « أور—نامو » تعود إلى ضرب أدبى لم يصنف حتى الآن ، وربما كان الحقل الأول، المكسور كله ، يحتوى على وصف شعرى لإنجازات « أور — نامو » البارزة فى الحرب والسلم والحوادث المؤسفة التى أدت إلى وفاته . ويبدو أن النص المتيسر الذى يبدأ بالحقل الثانى ، يسرد كيف أن « أور — نامو » « الذى ترك فى ميدان المعركة كأنه إناء مهشم » كان يرقد فى نعشه فى قصره ، وكان يندب غايه (على مايرجح) أقرباؤه وشعب «أور» . ثم نجده بعد ذلك فى العالم السفلى كما فى حالة « جلجامش » — يقدم الهدايا إلى « آلهته السبعة » ، ويذبح الثيران والأغنام للمهمين من الأموات ، ويقدم أسلحة وأكياساً جلدية وآنية وأكسية وأدوات زينة وحلياً وأدوات شخصية أخرى إلى «نيرجال» و«جلجامش» « واريشكيجال » (؟) و «دوموز» و «نامتار» و « حوبيشاج » و «نينجيشيد» ، كل فى قصره الخاص ، وقدم هدايا أيضاً إلى « ديمبيمكوج » وإلى « كاتب العالم السفلى » . أما كيف وصل « أور — نامو » إلى العالم السفلى ومعه كل هذه الهدايا الثمينة والقرابين فهو أمر لم يبينه شاعرنا مالم سينظر بأن « العربات » التى أشير إليها فى

السطور الغامضة من النص التى وردت قبل « فقرة العالم السفلى » مباشرة قد أستفيد منها لهذا الغرض . وعلى أية حال فقد وصل « أور — نامو » أخيراً إلى البقعة التى (ربما) خصصتها له كهنة العالم السفلى . وهنا سلم إليه عدد من الأموات ليكونوا على ما يحتمل خدماً له ، ثم شرح له « جلجامش » ، أخوه الحبيب ، قوانين العالم السفلى وقواعده .

ولكن ، كما تستمر قصيدتنا « بعد أن مرت سبعة أيام ، عشرة أيام »[1] سمع « أور — نامو » عويل بلاد سومر ، وملأت عينيه بالدموع أسوار « أور » التى تركها ناقصة وقصره المشيد حديثاً الذى تركه بلا تطهير (؟) ، وزوجته التى لم يعد باستطاعته وضعها على حجره ، وابنه الذى لم يعد باستطاعته مداعبته (؟) على ركبتيه — أجل هؤلاء جميعهم ملأوا عينيه بالدموع ، فأقام مناحة طويلة ومريرة . ويبدو أن السبب وراء عويله هو أن الآلهة لم تقف إلى جنبه عند المحنة على الرغم من الخدمات الحسنة التى قدمها لها ، فهو الآن ميت وترك زوجته وأصدقاءه ومؤيديه غارقين بالدموع والنحيب . إن خاتمة القطعة غير معروفة فى الوقت الحاضر لأن التلف أصاب الحقل الأخير بكامله .

إن من الصعب — وكما يمكن رؤية ذلك من ملخص محتوياتها الأولى الذى أوردناه آنفاً — تحديد الضرب الأدبى الذى تنتمى إليه القصيدة ، فهى قد تكون نوعاً من أنواع التأليف التاريخى الذى يشبه من بعض الوجوه القطعة المعنونة « لعنة أكد » (أنظر الفصل الثانى) ، يقدم فيه شاعر سومرى متنفساً لمشاعره التى نجمت عن الحالة المحزنة التى وصلت إليها بلاد سومر بعد وفاة « أور — نامو » مباشرة . على أن وثيقة « أور — نامو » تلقى على أية حال ضوءاً كبيراً على حياة الأموات فى العالم السفلى كما صورها الحكماء السومريون ، فنجد مرة أخرى الآلهة التى كان يجب استرضاؤها

(1) ترجمة حرفية لعبارة ، وردت فى النص تشير إلى قصر المدة التى كانت تتراوح بين سبعة وعشرة أيام . (المترجم)

كما كان يجب استرضاء المهمين من الكهنة الأموات . وكان للميت الواصل حديثاً مكان خاص به ، وكان يعلم قوانين العالم السفلى إذا كان ملكاً على الأقل . وكان بإمكان المتوفى ، على الرغم من الموت ، أن يكون بطريقة لم توضح على صلة ودية مع العالم العلوى ، (عالم الاحياء) ، كما كان من الجائز أن يقاسي من الألم والإذلال ، وكان بإمكانه أن يشجب بشدة الآلهة التي لا يمكن الإعتماد عليها . غير أنه لم يرد ذكر ، لأى حاشية بشرية دخلت العالم السفلى برفقة الملك خلافاً لقصيدة «موت جلجامش» ، وفى الواقع إن الزوجة والأبناء قد وصفوا فى اللوح وكأنهم يعيشون فى العالم العلوى (عالم الاحياء) . ولذلك يبدو أن من الصحيح الأستنتاج بأنه لم يعد من المألوف حوالى عهد « أور — نامو » على الأقل أن يصطحب الملك إلى القبر أى فرد من أفراد أسرته أو حاشيته .

وبانتقالنا من الملوك إلى أفراد من عامة البشر الفانى فإننا سنقف على عدد لا بأس به من التفاصيل غير المعروفة حتى الآن عن العالم السفلى السومرى من ترنيمتين جنائزيتين دونتا على لوح فى متحف «بوشكين» (فى موسكو) . فنحن نقرأ على هذا اللوح لأول مرة بأن المفكرين السومريين كانوا يعتقدون أن الشمس تواصل رحلتها بعد المغيب خلال العالم السفلى فى الليل فتحيل الليل فيه إلى نهار ، وأن القمر كان يقضى « يوم راحته » ، أى اليوم الأخير من كل شهر فى العالم السفلى . ونعرف أيضاً أن الإله — الشمس « أوتو » كان يقاضى الموتى ، وأن الإله — القمر كان « يقدر مصير » المتوفى أيضاً . وكان يوجد فى العالم السفلى ، وفقاً لما ورد فى هذا اللوح « الأبطال آكلو الخبز » (؟) و « شاربو الـ . . . » الذين كانوا يطفئون ظمأ الميت بالماء العذب . ونعرف أيضاً أنه كان من الممكن التوجه إلى آلهة العالم السفلى وإقامة الصلوات من أجل الميت ، وأن الرحمة تطلب من إلهه الشخصى وإله مدينته ، كما نعرف كذلك أن رخاء أسرة المتوفى لا يهمل أبداً فى الأدعية الجنائزية .

إن الوثيقة السومرية التى تمدنا بأكثر المعلومات تفصيلا عن العالم السفلى والحياة

الجارية داخل أســواره هى قصيدة « جلجامش وأنــكيدو والعالم السفلى » . فقد كانت توجد بمقتضى ما ورد فى هذه القصيدة التى تصف العالم السفلى بالتعبير اللطيف « السكن العظيم » ، فتحة فى مدينة « الوركاء » تقود إلى عالم الاموات ، وكان من الممكن أن تسقط من خلالها بعض الأدوات الخشبية مثل الـ « پوكُّو » والـ « ميكُّو »[1] وكان بإمكان المرء أن يدخل فيها يده أو قدمه . وكانت توجد أيضاً بوابة فى مدينة « الوركاء » يستطيع الفرد الجلوس أمامها ، وكان من الجائز أن يهبط خلالها بشر فان — على الأقل إذا كان بطلا مثل « أنــكيدو » — على الرغم من أن الوثيقة لم توضح الطريقة التى كان يتم بها هذا النزول . بيد أنه كانت هناك أمور معينة محظورة يجب ، إستناداً إلى مؤلف القصيدة ، على كل امرىء يريد النزول إلى العالم الأسفل أن يتجنب القيام بها وهى : أن عليه ألا يرتدى ملابس نظيفة ، ولا يدهن جسمه بزيت « جيد » ولا يحمل سلاحاً أو عصا ، ولا يضع على قدميه خفاً ولا يسبب ضجيجاً ولا يسلك سلوكاً عادياً مع أفراد أسرته . فإذا قام بأى من هــذه المحرمات فإنه سيحاط من قبل « الموكلين بالخدمات » ومن قبل الأرواح التى تستوطن المناطق السفلى وسيمسك به « غضب العالم الأسفل » بشدة . فإذا ما أمسك به هذا الغضب بشدة فإنه سيستحيل عليه الصعود إلى الأرض ما لم يتدخل أحد الآلهة لإنقاذه . وفى حالة « أنــكيدو » كان الإله « أنــكى » هو الذى هب لنجدته ، عندما جعل الإله « أوتو » يفتح «أبلال»[2] العالم السفلى وصعد « أنــكيدو » إلى الارض « بلحمه » (أى كما هو) على ما يبدو ولم يكن شبحاً[3] . وقد أعقب ذلك ، وفقاً للقصيدة ، حديث

---

(١) ربما كان يقصد بالـ « پوكو » الطبل وبالـ « ميكو » مضرب الطبل. وهناك أسطورة تقول إن الإلهة «اينانا» صنعت من شجرة هاتين الآلتين وقدمتهما هدية لـ «جلجامش» ولـكنهما سقطا منه فى العالم السفلي ، وسيأتى ذكر هذه الاسطورة فيما بعد . (المترجم)

(٢) كلمة سومرية تعنى أبواب . (المترجم)

(٣) كان السومريون يعتقدون بوجود الأشـباح التى كانت فى الواقع أرواح الموتى التى لم تدخل العالم الأسفل لسبب أو آخر أو أنها خرجت منه بعد نزول الميت إليه . (المترجم)

محزن بين « جلجامش » و « أنكيدو » يفهم منه أن الأخير وصف حالة الموتى ، أو بالأحرى حالة بضعة نماذج منتخبة منهم .

وبانتقالنا من البشر الفانى ، العادى منهم والمهم ، إلى الآلهة الخالدة ، نجد أن العالم السفلى كان آخر مكان تتطلع إليه الآلهة لقضاء حياتها « التى لا تفنى » فيه . على أننا نجد هناك على الرغم من ذلك عدداً لا بأس به من الآلهة ، وعلى حين أن بعضها يبدو كما لو كان ينتمى إلى العالم السفلى ، فإن الأخرى كانت فى الاصل آلهة سماوية حكم عليها بعقوبة النزول إلى العالم السفلى قبل مؤلفى « الثيولوجيا » السومريين كنتيجة تخمين أو اختلاق لاهوتيين . بيد أنه لم يكتشف حتى هذا التأريخ إلا عدد ضئيل من الأساطير التى تتعلق بهذا الموضوع ، وباستثناء واحدة منها ، فإن جميعها تتصل بالإلهة « إينانا » وبزوجها السيء الحظ « دوموزى » . وهذا الأستثناء الوحيد هو أسطورة « أنليل وننليل : ولادة الإله — القمر » التى تخبرنا كيف نفى « أنليل » نفسه — وهو أقوى الآلهة السومرية وزعيم مجمع الآلهة السومرى ، إلى العالم السفلى وكيف لحقت به إلى هناك زوجته « ننليل » . وهذه الأسطورة هامة أيضاً لكونها المصدر الوحيد بالنسبة للاعتقاد السومرى القائل بوجود نهر « يبتلع الإنسان » وكان على الموتى أن يعبروه إلى جانب ملاح سفينة كان ينقل الأموات إلى مصيرهم ، وهو اعتقاد كان سائداً فى جميع أرجاء الشرق الأدنى القديم وعالم البحر المتوسط .

ومن الأساطير التى تكشف بوضوح عن أمور كثيرة تتصل بالعالم السفلى هى أسطورة (نزول « إينانا » إلى العالم السفلى) التى أصبحت فى الوقت الحاضر بين أيدى الباحثين بكاملها تقريباً . لقد كان العالم السفلى ، وفقاً لما ورد فى هذه القصيدة ، مكاناً ينزل إليه المرء ويصعد منه من خلال فتحة أو بوابة على مايفترض تقع فى مدينة « الوركاء » ، على الرغم من أن هذا الموضوع لم يذكر بوضوح فى أى مكان . ويوجد فى العالم السفلى مكان وصف بـ « جبل اللازورد » يقوم على حراسة بواباته المقفلة والمثبتة بالأرتجة حجاب تحت رقابة رئيسهم « نيتى » .

ويحكم العالم السفلى بقواعد وقوانين إلهية ، يبـدو أن أهم قاعدة بينها هى التى توجب على ساكنيه بأن يكونوا عراة . وقاعدة أخرى — وهى التي برهنت على أنها كانت مميتة للإله « دموزى » — تقضى بأنه ليس بمقدور أحد إذا ما دخل العالم الأسفل الصعود مرة أخرى إلى العالم العلوى حتى إذا كان إله ما لم يحل محله بديل عنه وعلى هذا مثلا ، كان لابد من التأكد بأن « إينانا » ، التي أعيدت إلى الحياة بجهود إله « أنـكى » البارعة ، ستقدم بديلا مناسباً عنها ليحل محلها حتى أن الـ « جالا »[1] السبعة لم يتركوها حتى سلمت « دوموزى » .

ومن جملة ما مر بنا ، نجد لذلك أن الصورة السومرية للموت وللعـالم السفلى كانت بالأحرى غير واضحة ومتناقضة . فـكان يعتقد بصورة عامة بأنه عبارة عن فضاء كونى هائل تحت الأرض متناظر تقريباً مع السماء ، الفضاء الـكونى الهائل فوق الأرض . وكان الأموات أو على الأقل أرواحهم ، تنزل إليه على ما يفترض من القبر . على أنه كانت هناك أيضاً كما يبدو فتحات وأبواب خاصة فى مدينة «الوركاء» كما كانت أيضاً موجودة بلا شك فى جميع مراكز المدن المهمة . وكان يوجد نهر لابد للأموات من عبوره بمعبر ، إلا أن الأساطير المتيسرة لدينا لاتنص على موقعه بالنسبة للأرض أو العالم السفلى ، وكان العالم السفلى يحكم من قبل الإلهة « ارشكيجال » والإله « نرجال » ، اللذين كانت لهما حاشية خاصة من الآلهة تشمل سبعة من الـ « آنوناكى » (آلهة السماء) وعدداً كبيراً من آلهة السماء السيىء الحظ إلى جانب عدد من الموظفين الذين يشبهون الشرطة ، يعرف كل منهم باسم «جالا». وكان جميع هؤلاء باستثناء الـ « جالا » ، بحاجة على ما يبدو للطعام والـكساء والأسلحة والآنية ذات الأصناف المتنوعة والحلى .. ، تماماً كالآلهة فى السماء أو البشر على الارض . وكان يوجد قصر بسبع بوابات حيث كانت « ارشكيجال » تقيم محكمتها ولـكننا لا نعرف أين كان من المفروض موقعه بالضبط .

---

(١) الـ « جالا » بلفظ الجيم كافاً فارسية ، هم (شرطة) العالم الأسفل . (المترجم)

ونظم الأموات على ما يبدو على شكل أسرة ، كالأحياء . وكانت أماكن الصدارة مخصصة بلا شك للموتى من الملوك ومن الكهان ذوى الرتب العالية الذين كان يجب العناية بهم بتقديم قرابين خاصة لها من قبل موتى آخرين مثل «جلجامش» و « أور — نامو » . وكانت للعالم السفلى قوانينه وأحكامه المتنوعة ، وكان على « جلجامش » المؤله التأكد من تصرف سكان العالم السفلى تصرفاً يتفق مع تلك الأحكام . وعلى الرغم من شعور الإنسان بصورة عامة بأن العالم السفلى كان مظلماً وموحشاً ، فإن هذا كان يبدو صحيحاً بالنسبة للنهار فقط ، أما أثناء الليل فقد كانت الشمس تجلب النور إليه . وكان القمر يرافق الشمس فى اليوم الثامن والعشرين من الشهر . ولم يعامل الأموات جميعهم معاملة واحدة . فقد كان للميت حساب يقوم به الإله — الشمس « أوتو » ، وإلى حد ما الإله — القمر « نانا » ، فإذا كانت نتيجة المقاضاة لصالحه فمن المفروض عندئذ أن تعيش روحه بسعادة ورضا وتحصل على كل ما ترغب فيه ، على أن الدلائل تشير إلى أنه لم يكن للسومريين سوى ثقة ضئيلة فى أمل الحصول على حياة سعيدة فى العالم السفلى ، حتى بالنسبة لمن كان منهم صالحاً ومستحقاً . وكان السومريون مقتنعين بصورة عامة بأن الحياة فى العالم السفلى لم تكن إلا انعكاساً كئيباً وبائساً للحياة على الأرض .

وفى الوقت الذى كان فيه الورع الخاص والتقوى الشخصية مهمين ، فقد كانت الشعائر والطقوس هى التى تلعب بمقتضى نظرة السومريين إلى الكون ، الدور البارز فى ديانتهم . ولما كان الإنسان لم يخلق لغير خدمة الآلهة ، فقد كان واجبه الأكبر كما هو واضح ، أنجاز هذه الخدمة وتحسينها بأسلوب يسر أسياده ويرضيهم . وإذا ما تساءلنا لماذا أنقذ « زيوسودرا » [1] من دمار الطوفان ، فإن الجواب عن ذلك هو لأنه كان ينجز بتواضع وتقوى شعائره الدينية اليومية للآلهة . ولم يكل حكام سومر من ترديد القول بأنهم أنجزوا واجباتهم الدينية وفقاً للقوانين والأحكام المقررة .

---

(١) بطل الطوفان (يقابل نوح) عند السومريين وقد أنعمت عليه الآلهة بالخلود . (المترجم)

وكان المعبد بالطبع مركز العبادة . وقد أكتشف واحد من أقدم المعابد في « أريدو » ، المدينـــة التي كان « أنـكي » ، إلهها الحامى فى الازمان المتأخرة على الأقل . وعلى الرغم من أنه كان مزاراً بسيط الشـكل ولا تزيد أبعاده على ١١ × ١٥ قدماً ، فإنه كان يحتوى منذ البداية على عنصرين بقيا من خصائص المعبد السومرى خلال الألوف من السنين ، وهما : محراب فى الجدار يوضع فيه شعار الآلهة أو تمثاله ، ومنضدة للنذور (مذبح) تشيد بالآجر الطيني المجفف أمام المحراب. ووسع مزار « أريدو » هذا وحسن خلال عدد من الأصلاحات المتأخرة حتى أصبح فى وسطه محل مقدس للعبادة يحيط به عدد من الغرف الإضافية . وكان المحراب الذى تواجهه منضدة النذور ، يوضع على أحد الضلعين القصيرين ، أما الجدران المشيدة بالآجر الطيني الباهت اللون فـكانت تزين بدخلات وطلعات تتعـــاقب على أبعاد منتظمة ، وكان البناء كله مشيداً على منصة (أو دكة كبيرة) يصعد إليها بواسطة مجموعة من السلالم تؤدى إلى مدخل المعبد الذى يقع فى الضلع الطويل من البناء .

ويوجد فى « الوركاء » الواقعة إلى الشمال من « أريدو » معبد كان على ما يرجح مكرساً للإله « آن » ويعود تأريخه إلى سنة ٣٠٠٠ ق . م . تقريباً وشيد بصورة عامة وفقاً لنفس مخطط معبد « أريدو » ، ما عدا الإستعاضة عن المنصة بتل اصطناعى يبلغ ارتفاعه حوالى أربعين قدماً فوق سطح السهل ، وتؤدى سلالم بنيت على واجهته الشمالية الشرقية إلى قمته حيث كان يقف مزار صغير مطلى باللون الأبيض . واكتشف معبد مشابه لذلك فى تل « العقير »[٢]، وعلى الرغم من أن المنصة التى شيد فوقها كانت على ارتفاع خمس عشرة قدماً فقط ، فإنها كانت ذات طبقتين ، وعلى هذا يمـكن أن تعتبر النموذج الأول للزقورة ، البرج المدرج الذى أصبح العـلامة الفارقة لعمارة المعبد العراقى والذى كان يراد به أن يكون حلقة وصل ،حقيقية ورمزية، بين الآلهة فى السماء وبين البشر على الأرض . ومعبد العقير جدير بالملاحظة بسبب ما ظهر فيه من إبتـكار معمارى آخر ،

---

(٢) يقع تل « العقير » على مسافة ٨٠ كم إلى الجنوب من مدينة بغداد . (المترجم)

إبتكار لم يتبع كما يبدو فى المعابد السومرية الأخرى ، وهو : أن جدرانه الداخلية كانت مزينة بزخارف جصية ملونة ، (فريسكو) . وكانت الزخرفة تنتظم على الشكل التالى: أولا يأتى نطاق من لون واحد يميل عادة نحو الاحمرار ، ويبلغ ارتفاع هذا النطاق أكثر من ثلاث أقدام ويدور على جوانب الغرفة كلها . ويأتى فوق النطاق الأول نطاق آخر مؤلف من زخرفة هندسية ويبلغ ارتفاعه أكثر من قدم واحدة . أما الأجزاء العليا من الجدران فكانت تزين بمناظر مؤلفة من أشكال بشرية وحيوانية رسمت على أرضية بيضاء .

وتحقق ابتكار معمارى آخر فى « الوركاء » عندما طور بناة معبد « أى — أنا » أسلوباً فريداً فى زخرفة جدران وأعمدة البناء المشيد باللبن ذى المنظر القاتم ، وذلك بتكسية الجدران بعشرات الألوف من المخاريط الطينية الصغيرة بعد تغطيسها فى ألوان مختلفة حتى تصبح رؤوسها إما حمراء أو سوداء أو برتقالية باهتة . وكانت هذه المخاريط الملونة تدق إلى جنب بعضها البعض فى طبقة طينية سميكة بطريقة معينة بحيث تكون رؤسها الظاهرة أشكالا هندسية مختلفة كالمثلثات وغيرها أو خطوطاً متكسرة وأشكالا أخرى ذات ألوان متعددة .

وواصلت المعابد اتباع نفس النموذج العام فى البناء خلال الألف الثالث ق . م . مع أنها أخذت تتسع حتى أصبحت أكبر حجماً وأكثر تعقيداً . وأصبحت الساحة الأمامية إحدى المظاهر الثابتة فى كل المعابد ، كما صار من الممكن أن يكون البناء بيضوى الشكل بالإضافة إلى الشكل المستطيل . وأدخلت فى البناء مادة بنائية جديدة لم تكن على مايبدو ملائمة جداً — وهى ما يعرف باسم الآجر «البلانو كونفكس» ، وهو آجر ذو جهة مستوية وأخرى محدبة (اختفى من الاستعمال فيما بعد) . أما الأسس فكانت تبنى عادة فى هذا الوقت من كتل غير مهندمة من الحجر الكلسى .

وأصبحت معابد المدن الكبرى فى زمن سلالة « أور » الثالثة تضم عدة مبان واسعة . فكان معبد « نانا » فى مدينة « أور » المسمى « كيشنوجال » مثلا يتألف

من منطقة مسورة تبلغ مساحتها ٤٠٠ × ٢٠٠ ياردة (أى ٨٠٠٠٠ ياردة مربعة) تضم الزقورة إلى جانب عدد كبير من المزارات والمخازن والمستودعات والباحات ومساكن موظفى المعبد . وكانت الزقورة ، وهى أبرز ظاهرة ، برجاً مستطيلا يبلغ طول قاعدته ٢٠٠ قدماً وعرضها ١٥٠ قدماً تقريباً ، وكان ارتفاعها الأصلى ٧٠ قدماً تقريباً . وكان البناء كله عبارة عن كتلة صلبة من الآجر تغطيها طبقة من اللبن (آجر مجفف فى الشمس) غير المهندم ثم طبقة خارجية من الآجر المشوى المثبت بمادة القير . وكانت الزقورة ترتفع إلى ثلاث طبقات غير منتظمة ، ويصعد إلى الطبقة العليا بواسطة ثلاثة سلالم يتكون كل منها من مائة درجة ، وربما كان على قمتها فى الأصل مزار صغير شيد كله بالآجر المزجج الأزرق اللون . وكانت الزقورة تقف على منصة عالية محاطة بجدران مزدوجة . ويقع جزئياً فوق هذه المنصة وجزئياً عند قاعدتها معبد كبير للإله — القمر « نانا » ، مع ساحة خارجية واسعة يحيط بها العديد من المخازن والدوائر . وكان يوجد على مقربة من هذا معبد آخر كرس لكل من « نانا » وزوجته « ننجال » ثم بناية تعرف باسم « دوبلال » ، كانت تستخدم كمكان لإجراء المحاكمات ، وأخيراً المعبد المعروف باسم « جيپاركو » الذى خصص للآلهة « ننجال » .

وكان بناء أى معبد أو إعادة بنائه يرافقه العديد من الطقوس والشعائر المتنوعة كما يستدل على ذلك من تلك القصيدة القصصية الترنيمية الطويلة الرائعة التى وصلت مدونة على اسطوانتى الأمير « جوديا » اللتين اكتشفتا فى مدينة « لجش » ، ووجد عليها ٥٤ حقلا وما يقرب من ١٤٠٠ « حيزاً » من الكتابة . إن هذه الوثيقة التى تعتبر فى الواقع العمل الأدبى الوحيد الذى بقى من هذه الفترة ألفها على ما يرجح أحد شعراء معبد « أى — نينو » فى « لجش » تخليداً لذكرى قيام « جوديا » ، الأمير التقى ، بتشييده . وأسلوب ذلك الكاتب الأدبى زاه وفخم ، كذلك تضم الصورة التى رسمها للطقوس والشعائر . التى صاحبت بناء « أى — نينو » كما يبدو من الخيال ... لا مما يحتوى عليه من الحقيقة . ومع ذلك فهى هامة ومثقفة إلى درجة كبيرة كما سيظهر ملخص محتوياتها التالى .

ولنستمع إلى الشاعر يتلوها علينا : إن كل شىء بدأ مباشرة بعد أن قدرت الأقدار

وأنعم على مدينة « لجش » بميـــاه نهر دجلة المتدفقة الغزيرة . ففى ذلك الوقت قرر « نينجوسو » ، إله مدينة « لجش » الحامى ، أن يأمر «جوديا» ببناء « أى — نينو » على نمط فخم . ولذلك ظهر لـ « جوديا » فى حلم كان محض اختلاق من قبل الشاعر ، ولو أن الأحداث تذكر وكأنها قد وقعت فعلا .

لقد رأى « جوديا » فى ذلك الحلم رجلا ذا قوام هائل يضع على رأسه تاجاً إلهياً ، وله أجنحة طير ورأس أسد . أما الجزء الأسفل من جسمه فيتـكون من « موجة فيضان » ، ويربض أسدان عن يمينه وعن شماله ، وأمر هذا الرجل الهائل « جوديا » ببناء معبده غير أن « جوديا » لم يدرك معنى كلماته . ثم حل النهار — فى الحلم أيضاً — وظهرت امرأة تمسك بيدها قلماً ذهبياً وكانت تمعن النظر فى لوح طينى صورت عليه السماء ذات النجوم . وظهر « بطل » يمسك بيده لوحاً من حجر اللازورد رسم عليه مخطط بيت ، ووضع آجرة فى قالب الآجر ، ووقف القالب والسلة أمام « جوديا » ، وكان فى الوقت نفسه حمار قد ربى تربية خاصة يضرب الأرض بحافره وقد نفد صبره .

وبما أن معنى الحلم لم يـكن واضحاً له ، صمم « جوديا » على استشارة الإلهة « نانشه » التى كانت تقوم بتفسير الأحلام للآلهة . ولـكن « نانشه » كانت تسكن فى منطقة من « لجش » تسمى « نينا » وكانت أفضل وسيلة للوصول إليها عن طريق قناة . ولذلك رحل « جوديا » بقارب وأكد على ضرورة التوقف عند عدة مزارات هامة على طول الطريق لتقديم القرابين وإقامة الصلاة إلى آلهتها طالباً لعونها . وأخيراً وصل القارب إلى رصيف مقاطعة « نينا » وتوجه « جوديا » برأس مرتفع إلى ساحة المعبد حيث قدم القرابين وسكب السكائب وأقام الصلوات ، ثم قص عليها أخيراً ما رآه فى حلمه وفسرت الحلم له نقطة نقطة على الوجه التالى :

إن الرجل صاحب القوام الذى وضع على رأسه تاجاً إلهيا ، وله أجنحة طير برأس أسد ، وموجة فيضان تـكون الجزء الأسفل من جسمه ، ويربض أسدان عن يمينه وعن شماله — هو أخوها « نينجوسو » الذى أمره ببناء المعبد « أى — نينو » ،

أما بزوغ النهار فى الأفق — فإنه يمثل « نينجشزيدا » ، إله « جوديا » الشخصى ، الذى كان يظهر كالشمس . وأما المرأة التى تحمل قلماً ذهبياً وتمعن النظر فى لوح رسمت عليه قصة السماء — فإنها « نيدابا » إلهة الكتابة وإلهة الـ « إيدوبا » (أى المدرسة) الحامية التى توجهك لبناء البيت وفقاً لـ « نجوم المقدسة » . وأما البطل الذى يمسك بلوح من حجر اللازورد — فإنه الإله « نيندوب » (المعمار) وهو يرسم مخطط المعبد . وأما السلة وقالب الآجر حيث وضعت « آجرة القدر » فإنهما يدلان على أن الآجر لمعبد « أى — نينو » ، والحمار الذى كان يضرب الأرض — نافد الصبر — فإنه بطبيعة الحال « جوديا » نفسه ، الذى كان متلهفاً على تنفيذ مهمته .

وواصلت « نانشه » بعد ذلك نصيحتها لـ « جوديا » بصنع عربة حربية جديدة مزينة بزينة جميلة للإله « نينجرسو » وتقديمها له مع عدتها المكونة من حمارين وشعار الإله وأسلحته على أن يكون التقديم مصحوباً بقرع الطبول . وبعد أن أنجز كل ذلك وجه إليه « نينجرسو » ، فى حلم آخر ، إرشادات أكثر تفصيلا ، ثم أنعم على « لجش » بالخير والماء الغزير وأكد لـ « جوديا » بأن شعبه سيعمل بعناية أكبر لبناء « أى — نينو » بكل أنواع الخشب والحجر الذى يجاب إليه من أقطار مختلفة من أرجاء العالم كافة .

وأفاق « جوديا » من نومه ، وبعد أن قدم قرباناً ووجد ما فيه من العلامات التنبؤية الملائمة بدأ بتواضع تنفيذ إرشادات « نينجرسو » فأصدر تعليماته إلى سكان مدينته الذين استجابوا جميعاً بحماس شديد . وقام « جوديا » أولا بتطهير المدينة معنوياً وخلقياً : فقد أمر بألا يكون هناك تذمر ولا اتهامات أو عقوبات ، فكان على الأم ألا توبخ طفلها ، وكان على الطفل ألا يرفع صوته على أمه ، وألا يعاقب لخطأ يرتكبه ، وألا تضرب الأمة من قبل سيدتها بسبب عدم احترامها لها ، ثم طرد جميع السيئين من المدينة . وبعد سلسلة أخرى من التنبؤات والإيحاءات والقرابين والاحتفالات والصلوات انتقل « جوديا » ببسالة إلى مهمة تشييد معبد «أى — نينو»

الذى وصفه الشاعر بعد ذلك بتفصيل كبير مع كثير من التكرار وغالباً ما يكون غامضاً لسوء الحظ .

لقد دونت تلك القصيدة على طرفى الأسطوانة الأولى عند اكتمال تشييد مبانى معبد « أى — نينو » وتستمر القصة الترنيمية على الأسطوانة الثانية مبتدئة بابتهال يقدمه « جوديا » إلى « الآنوناكى » ويلى ذلك إعلانه لـ « نينجرسو » وزوجته « باو » عن اكتمال المعبد وتهيئته للسكن . وبمساعدة عدد من الآلهة يقوم « جوديا » بعد ذلك بتنظيف المعبد وتهيئته وإعداد جميع الطعام والسكائب والبخور لتستعمل فى الاحتفالات التى تقام احتفاء بدخول الإلهين (الإله وزوجته) إلى بيتهما . ويطهر « جوديا » مرة أخرى المدينة خلقياً ومعنوياً ثم يبدأ بعد ذلك بتعيين مجموعة كاملة من الآلهة الصغيرة لتعنى باحتياجات المعبد وهم : حاجب ، ورئيس حاشية ، واثنان من صانعى الأسلحة ، ومراسل ، ورئيس موظفين ، وسائق عربة ، وراع ، وموسيقيان ، ومفتش للحبوب ، ومفتش مصائد السمك ، وحارس للطرائد ، ومنفذ للأحكام . ووصفت هذه التعيينات بأسلوب يذكرنا بوصف تعيين الآلهة المشرفة المختلفة من قبل الإله « أنكى » فى أسطورة « أنكى ونظام العالم » (انظر الفصل الخامس) . وبعد أن اتحد الإله « نينجرسو » والإلهة « باو » بنعمة الزواج بدأ احتفال استمر سبعة أيام توج بوليمة للآلهة العظيمة « آن » و « أنليل » و « ننماخ » . وتنتهى القصيدة بعد أن يقدم الإله « نينجرسو » بركته ، بأنشودة حمد للمعبد « أى — نينو » وإلهه « نينجرسو » .

وبانتقالنا من صــــور المعبد وشعيرته التى تميزت بالمثالية العالية إلى الطقوس والشعائر الفعلية اليومية ، فإن من الجائز أن نعتبر تقديم القرابين يومياً فى معبد كل مدينة كبيرة أمراً مسلماً به . وتتألف القرابين من أطعمة حيوانية ونباتية وسكائب من الماء والنبيذ والجعة وحرق البخور . وكانت الاحتفالات بلا شك أكثر ضخامة وإثارة للإعجاب فى الأعياد والمناسبات الدينية الخاصة . وكان هناك العديد من

الاحتفالات الثابتة التي تقام في كل عام وذلك استخلاصاً من أسماء أشهر كهذه : «شهر أكل شعير الإله نينجرسو » و « شهر أكل الغزال » و « شهر عيد شولجي » . وكانت بعض هذه الأعياد تستمر عدة أيام . وكان يحتفل فيها بتقديم القرابين وإقامة المواكب . وتوجد بالإضافة إلى ذلك أعياد شهرية منتظمة في يوم طلوع الهلال وفي اليوم السابع واليوم الخامس عشر واليوم الأخير من الشهر .

وكان أهم الأعياد جميعها عيد رأس السنة الجديدة الذي كان يحتفل به على ما يرجح لعدة أيام بإقامة الولائم والاحتفالات الخاصة . وأهم شعيرة في عيد رأس السنة الجديدة كانت شعيرة الزواج المقدس بين الملك الذي كان يمثل الإله « دوموزي » ، وإحدى الكاهنات ، التي كانت تمثل الإلهة « إينانا » ، وذلك لتحقيق خصوبة ورخاء بلاد سومر وسكانها . أما كيف ومتى بدأت هذه الشعيرة ، فإن ذلك ما يزال أمراً مشكوكاً فيه ، ولو أننا قد نستطيع تكوين صورة من تتابع الأحداث على الوجه التالي :

في تاريخ مبكر من الألف الثالث ق . م . كان « دوموزي » حاكماً بارزاً لدولة — مدينة « الوركاء » السومرية ذات الأهمية الكبيرة . وتركت حياته وأفعاله تأثيراً عميقاً في الأجيال المعاصرة والأجيال التي تلتها . وكانت «إينانا» إلهة مدينة «الوركاء» الحامية — وهي إلهة اعتبرت خلال التاريخ السومري كله بالدرجة الأولى بالحب الجنسي والخصب والإنجاب . وتشابك بلا شك إسما « دوموزي » و « إينانا » تشابكاً متيناً في أساطير « الوركاء » وطقوسها القديمة . بيد أنه في حوالي منتصف الألف الثالث ق . م . عندما بدأ السومريون يشعرون أكثر فأكثر بقوميتهم وكان رجال اللاهوت سائرين في عملية تنظيم وتصنيف مجمع الآلهة السومري وفقاً لهذا الشعور ، ظهرت فكرة كانت على مايبدو مقبولة وجذابة جداً ، وهي أنه يجب على ملك بلاد سومر بقطع النظر عن شخصيته أو المدينة التي ينتمي إليها ، أن يصبح زوج إلهة الحب الواهبة للحياة ، أي « إينانا » إلهة الوركاء ، وذلك إذا ماأراد أن يحقق واقعياً خصوبة البلاد ورخاء سكانها . وبعدأن صارت الفكرة الأولى عقيدة مقبولة أصبحت تنفذ في ممارسة

طقوسية بإقامة احتفال زواج ، كان يعاد على مايرجح فى رأس كل سنة جديدة ، بين الملك وبين وصيفة تختار من معبد « إينانا » فى « الوركاء » بصورة خاصة ، ولكى تسبغ على كل من القصيدة والطقوس أهمية وشهرة كان من المستحسن ، على أية حال، الرجوع بهما إلى الوراء حتى أقدم الأزمان ، ومن الطبيعى أن يقع شرف القيام بدور أول زوج « لأنانا » إلهة « الوركاء » وأكثر الآلهة تمتعاً بالاحترام ، على « دوموزى » حاكم « الوركاء » الذى أصبح خلال القرون شخصاً لاينسى فى الأساطير والمعارف السومرية .

أما فيما يتعلق بالكهنة المسؤولين عن إقامة الطقوس ، فإننا لا نعرف أكثر من أسماء وظائفهم إلا قليلا . فقد كان الـ « سنجا » رئيس المعبد الإدارى ، وكانت واجباته تتعلق بلا شك بحفظ أبنية المعبد وشؤونه المالية فى حالة منتظمة والتأكد من قيام موظفى المعبد بتنفيذ واجباتهم بكفاءة . وكان رئيس المعبد الروحى يسمى الـ « أنْ en » الذى كان يسكن فى جزء من المعبد يعرف باسم « جيپار[1] » وكان من الممكن ، كما يبدو ، أن يكون الـ « أن » من النساء فضلا عن الرجال ، وذلك يتوقف على جنس المعبود الذى كان الـ « أن » يقوم على خدمته . فمثلا كان « أن » معبد « الوركاء » الرئيسى ، « أى — أنا » ، الذى أصبحت فيه الإلهة « إينانا » المعبودة الرئيسة ، رجلا . وكان كل من البطلين «اينمركار» و«جلجامش» يلقبان فى الأصل بـ « أن » ولو أنهما كانا على مايحتمل ملكين أيضاً ، وكانا بكل تأكيد قائدين عسكريين عظيمين . وكانت إمرأة تحتل منصب الـ « أن » فى معبد « أى — كيشنوجال » فى مدينة « أور » الذى كان إلهه الرئيسى « نانا » (الإله — القمر) ، وكانت هذه فى العادة إحدى بنات الملك الحاكم بلاد سومر (نحن نمتلك فى الواقع أغلب ، إن لم يكن كل أسماء الذين شغلوا وظيفة الـ « أن » فى معبد « أى — كيشنوجال » من أيام الملك « سرجون » العظيم) .

---

(١) تلفظ الجيم كافاً فارسية . (المترجم) .

وكان تحت إمرة الـ« أن » عدد من الطبقات الكهنوتية — تضم الـ« جودا » والـ « ماخ » والـ « إيشيب » والـ « جالا » والـ « نندينجير » الذين لا نعرف شيئاً عن واجباتهم ماعدا احتمال كون الـ « أيشيب » موكلا بالسكائب والتطهيرات ، واحتمال كون الـ « جالا » من مغنى المعبد أو شعرائه . وكانت توجد فرق كاملة من المغنين والموسيقيين وعدد كبير من الخصيان وعبيد المعابد ، خاصة فى المعابد المخصصة لـ « اينانا » وكانت هيئة المعبد تضم ، بالإضافة إلى أولئك الذين يتصلون بطريقة أو أخرى بالخدمات الدينية ، عدة موظفين يعنون بالشؤون الدنيوية ، وعمالا وعبيداً كانوا يساعدون فى إدارة مشاريع المعبد الزراعية والاقتصادية المتنوعة ، كما يستدل على ذلك من النصوص الإدارية العـــديدة التى تم الكشف عنها فى المعابد السومرية القديمة .

ويعتبر تهديم المعبد السومرى أقسى كارثة مشؤومة يمكن أن تحل بمدينة وسكانها كما يتضح من المرثيات الحزينة التى ألفها شعراء المعبد ومنشدوه . وكمثل واحد على ذلك نقدم مقطعاً شعرياً من القطعة المعنونة « النحيب على تدمير مدينة أور » التى ترسم صورة للخراب الكامل الذى أصاب « أور » ومعبدها « أى — كيشنوجال » بعد هجوم العيلاميين على المدينة وأسرهم « إبى — سين » ، آخر ملوك سلالة « أور » الثالثة[1] .

أيتها الملكة ، كيف أبقى عليك قلبك ، كيف تقدرين على البقاء حية !

« ننجال » ، كيف أبقى عليك قلبك ، كيف تقدرين على البقاء حية !

أيتها المرأة العادلة التى هدمت مدينتها ، كيف تقدرين الآن على البقاء !

أيا « ننجال » التى هلكت بلادها ، كيف أبقى قلبك عليك !

وبعد أن دمرت مدينتك — كيف تقدرين الآن على البقاء !

وبعد أن دمر بيتك ، كيف أبقى عليك قلبك !

(١) تذكرنا هذه المراثى الحزينة بمراثى إرميا الشهيرة فى العهد القديم . (المترجم)

إن مدينتك أصبحت مدينة غريبة ، فكيف تقدرين على البقاء !
وأصبح بيتك بيتاً للدموع ، فكيف أبقى عليك قلبك !
إن مدينتك التى حولت إلى خرائب — أنت لم تعودى سيدتها !
وبيتك بيت العدل الذى سلم للمعول ، لا تسكنين اليوم فيه .
وشعبك الذى أقتيد للذبح — أنت لم تعودى ملكة له .
ودموعك صارت دموعاً غريبة وأرضك لاتنتحب ،
بلا « دموع التضوع » تستوطن هى بلاداً أجنبية ،
إن أرضك كأرض تجزأت .. أغلقت فمها بأحكام ،
وحولت مدينتك إلى أنقاض ، فكيف تقدرين على البقاء !
وترك بيتك مقفراً ، فكيف أبقى عليك قلبك !
« داور » المزار ، قد سلمت إلى الريح ، فكيف تقدرين الآن على البقاء !
ولم يعد كاهنها الـ « جودا » يمشى فى الرخاء ، فكيف أبقى عليك قلبك !
إن « أن » ها [١] — لم يعد يسكن فى الـ « جيبار » فكيف تقدرين الآن على البقاء !

... الذى يعز التطهيرات لا يقوم بأعمال التطهير لك ،
أيها الأب « نانا » إن كاهنك الـ « أيشيب » لم يستكمل الآنية المقدسة لك ،
و « ماخ » فى « جيجونا » المقدسة لم يكتس بالكتان ،
و « أن » — ك العادل المختار . . . ، فى « أى — كيشنوجال » ،
يخرج بلا سرور من المزار إلى الـ « جيبار » .

---

(١) الـ « أن » رئيس المعبد الروحى ، أنظر ٨٨ . (المترجم)

فى الـ « آخو » بيت أعيادك ، لم يحتفلوا بالأعياد ،

على الـ « أوب » والـ « آلا » لم يعزفوا لك موسيقى الـ « تيجى » ، التى تدخل السرور إلى القلب ،

ذوو الرؤوس السود[1] ، لا يستحمون من أجل عيدك ،

وكما تتوسخ خيوط الـكتان قدر لهم الوسخ ، لقد تغير مظهرهم ،

إن أغنيتك قد استحالت إلى بكاء . . . ،

وتحولت الـ « تيجى » وهى موسيقاك إلى نحيب . . ؟

إن ثورك لا يجلب إلى الحظيرة ، ولا يحضر سمنه لك ،

وشاتك لا تبقى فى حظيرتها ، ولا يقدم لبنها لك .

ومن اعتاد على جلب لبنك لم يعد يجلب لك من زريبة الأغنام . . . ،

وصياد السمك الذى اعتاد على جلب السمك لك قد حلت به مصيبة ،

وصيادو الطير الذين اعتادوا على جلب الطيور لك أسروا من قبل الـ . . .

ولا تستطيعين العيش الآن إلا بشق الأنفس .

إن نهرك الذى جعل صالحاً لسفن الـ« ماجور » — فى وسطه ينمو نبات الـ ... ،

وعلى طريقك الذى أعد للعربات تنمو أشواك الجبل .

أيا مليكتى ، مدينتك تنتحب بين يديك كأنك أم لها ،

و « أور » ، كطفل فى شارع خرب ، تبحث عنك ،

البيت ، كرجل فقد كل شىء ، يمد يديه إليك ،

البيت الصالح المشيد بالآجر يصيح ، كأنه بشر ، « أين — من فضلك ؟ » ،

---

(١) يطلق هذا التعبير على الشعب السومرى . (المترجم)

أيا مليكتى ، لقد غادرت البيت ، لقد غادرت المدينة .

حتى م ، أرجوك ، ستقفين جانباً فى المدينة كأنك خصم ؟

أيتها الأم « ننجال » (حتى م) ستقذفين بالتحديات على المدينة كأنك خصم ؟

وعلى الرغم من أنك ملكة أحبتها مدينتها ، فأن مدينتك .. قد تخليت عنها ،

[وعلى الرغم من] أنك ملكة يحبها شعبها ، فأن شعبك .. قد تخليت عنه ،

أيتها الأم « ننجال » ، (عودى) كثور لاسطبلك ، كشاة لحظيرتك !

كطفل صغير إلى حجرتك ، أيتها العذراء (عودى) إلى بيتك !

عسى « أن » ملك الآلهة أن ينطق بكلمة « كفى » ،

عسى « أنليل » ملك الأقطار جميعها أن يقدر مصيرك (المفضل) ،

وعسى أن يعيد المدينة إلى مكانها لك ، وتمارسين ملكيتها !

وعسى أن يعيد « أور » إلى مكانها لك ، وتمارسين ملكيتها !

وعندما ننتقل إلى الميثولوجيا السومرية فإن من المهم أن نلاحظ قبل كل شىء أن للأساطير السومرية اتصالا ضعيفاً ، إن كان ثمة أى اتصال ، بالشعائر والطقوس ، على الرغم من حقيقة أن هذه لعبت دوراً هاماً جداً فى الممارسات الدينية السومرية . إن جميع الأساطير الموجودة تقريباً أساطير أدبية ذات طابع استفسارى، فهى ليست «شعيرة تتلى » (فى حفل) كما وصفت الأسطورة فى الغالب خطأ ، ولا ملاحق لفظية لتمثيليات طقوسية ، وإنما هى تحوم بصورة رئيسة حول خلق الكون وتنظيمه وحول ولادة الآلهة وعشقها وكرهها وأحقادها ومؤامرتها وبركاتها ولعناتها ، وأعمالها فى الخلق والتدمير . ولا يوجد فيها إلا النزر القليل من الصراع بين الآلهة من أجل السلطة ، وحتى إذا حدث هذا ، فإنه لم يوصف على الأطلاق كصراع مرير ملىء بالانتقام وملطخ بالدماء .

وإذا تحدثنا من الناحية العقلية ، فإن الأساطير السومرية تكشف عن طريقة

ناضجة ومصقولة لفهم الآلهة وأعمالها ، فمن ورائها يمكن أن نلاحظ انعكاساً جديراً بالاعتبار للآراء الكونية واللاهوتية . وعلى كل حال ، كان كتاب الميثولوجيا السومريون بصورة عامة الورثة المباشرين لمغنّي الأزمان الأولى ومنشديها الذين كانوا يجهلون القراءة والكتابة ، وكان هدفهم الأول هو تأليف قصائد قصصية عن الآلهة رائقة للناس وموحية وممتعة لهم . أما وسائلهم الأدبية الرئيسة فإنها لم تكن المنطق والحجة وانما كانت التصور والخيال . ففي سرد قصصهم لم يترددوا عن اختلاق دوافع وأحداث توضع وفقاً لنموذج العمل البشرى دون أن يكون لها أى أساس فى التفكير العقلى والتأملى . كما لم يترددوا فى تبنى مواضيع أسطورية وفولكلوزية لم يكن لها علاقة بالتحقيق والاستنتاج الكونيين .

ولم تكتشف حتى الآن أساطير سومرية تعالج بصورة مباشرة وبوضوح خلق العالم . أما القليل المعروف عن الأفكار السومرية الكونية فقد استنتج من أقوال مقتضبة مبعثرة فى كافة الوثائق الأدبية . غير أننا نمتلك عدداً من الأساطير التى تهتم بتنظيم العالم وفعاليته الحضارية وخلق الإنسان وإقامة المدنية . أما الأبطال الرئيسون المرتبطون بهذه الأساطير فعددهم قليل نسبياً وهم : الإله ــ الريح « أنليل » ، الإله ــ الماء «أنكى» ، الإلهة ــ الأم « نينخورساج » (وتعرف أيضاً بـ « ننتو » و « نماخ ») ، وإله الريح الجنوبية « نينورتا » ، والإله ــ القمر ــ « نانا ــ سين » وإله البدو « مارتو » ، وأكثرهم وروداً فى النصوص الآلهة «إينانا» وخاصة فيما يتصل بعلاقتها بزوجها السيء الحظ « دوموزى » .

وكان « إنليل » ، كما لوحظ سابقاً فى الفصل ، أهم إله فى مجمع الآلهة السومرى ، فهو « أبو الآلهة » و « ملك السماء والأرض » و « ملك كل الأقطار » وكان وفقاً للأسطورة المعنونة « إنليل وخلق الفأس » الإله الذى فصل السماء عن الأرض وأخرج «بذرة البلاد» من الأرض وأوجد « كلما يحتاج إليه » وخلق الفأس لأغراض زراعية وبنائيـــة وقدمه إلى « ذوى الرؤوس السود » أى إلى السومريين ، بل ربما إلى الجنس البشرى كله . وكان « إنليل » بمقتضى ماورد فى المناظرة المعنونة « الصيف

والشتاء » الإله الذى خلق كل الأشجار والحبوب وأنتج الوفرة والرخاء فى البلاد ووكل « الشتاء » بوصفه « فلاح الآلهة » بالمياه واهبة الحياة وبكل ما ينمو على الأرض . وكانت الآلهه جميعها — حتى أهمها — تتوق إلى بركته ، فتروى إحدى الأساطير كيف رحل الإله — الماء « أنكى » بعد أن أتم بناء « بيته البحرى » فى «أريدو» إلى معبد الإله « إنليل » فى « نفّر » من أجل الحصول على تأييده وبركته . وعندما أراد الإله — القمر « نانا — سين » ، إله مدينة « أور » الحامى ، أن يتأكد من تحقيق خير مملكته ورخائها ، رحل إلى « نفّر » فى قارب محمل بالهدايا وبذلك حصل على بركة « إنليل » الكريمة .

ومع أن « إنليل » كان رئيس مجمع الآلهة السومرى ، فإن سلطاته لم تكن بأى وجه من الوجوه غير مقيدة . ففى أسطورة من أكثر الأساطير السومرية إنسانية ورقة نجد « إنليل » ينفى إلى العالم السفلى نتيجة للأحداث التالية :

فى الوقت الذى لم يكن فيه الإنسان قد خلق بعد ، ويوم كانت مدينة « نفّر » مأهولة بالآلهة وحدها ، كان الإله « إنليل » فتاها وكانت الإلهة « ننليل » عذراءها وكانت أم « ننليل » « نونبارشيجونو » امرأتها العجوز . وفى أحد الأيام نصحت الأم ابنتها ، بعد أن عزمت على (ما يبدو) فكراً وقلباً على تزويج « ننليل » من « إنليل » ، بما يلى :

فى الجدول الصافى ، يا امرأة اغتسلى فى الجدول الصافى ،
يا « ننليل » سيرى على ضفة الجدول « نونبيردو » ،
فإن ذا العينين الوهاجتين ، إن السيد ذا العينين الوهاجتين ،
« الجبل الأشم » الأب « إنليل » ، ذا العينين الوهاجتين ، سيراك ،
إن الراعى . . الذى يقدر المصائر ذا العينين الوهاجتين ، سيراك ،
وعلى الفور سيعانقك (؟) ويقبلك .

فاتبعت « ننليل » بكل سرور تعليمات أمها :
فى الجدول الصافى ، تغتسل المرأة فى الجدول الصافى ،
وتمشت « ننليل » على ضفة الجدول « نونبيردو » ،
ذو العينين الوهاجتين ، السيد ، ذو العينين الوهاجتين ،
« الجبل الأشم » الأب « إنليل » ، ذو العينين الوهاجتين رآها ،
الراعى . . الذى يقدر المصائر ، ذو العينين الوهاجتين رآها ،
ويدلى الرب إليها (برغبته) بمضاجعتها (؟) ، إلا أنها لم ترغب بذلك ،
« إنليل » يكلمها عن المضاجعة (؟) إلا أنها رفضت ذلك ،
« إن مهبلى صغير جداً ، لا يعرف الجماع ،
وشفتى صغيرتان جداً ، لا يعرفان التقبيل » . . . .

ويدعو « إنليل » عندئذ وزيره « نوسكو » ويبوح إليه بهيامه بـ « ننليل » الفاتنة . فيأتى « نوسكو » بقارب ، ويغتصب « إنليلُ » « ننليل » فى القارب وهو يجرى فى الجدول ويحبلها بالإله — القمر « سين » . فتفزع الآلهة من هذه الفعلة المنافية للأخلاق وتقبض على « إنليل » وتنفيه من المدينة إلى العالم السفلى على الرغم من أنه كان ملكا عليها . وتقرأ الفقرة التى تتصل بهذا الموضوع ، وهى من الفقرات القليلة التى تلقى بعض الضوء غير المباشر على تنظيم المجمع الإلهى وأسلوب عمله ، على الوجه التالى :

(كان) « إنليل » يتمشى فى « كى — أور » (معبد « ننليل ») ،
وبينما كان « إنليل » يتمشى فى « كى — أور » ،
قبضت الآلهة العظيمة ، كل الآلهة الخمسين ،
والآلهة التى تقدر الأقدار ، سبعتهم ،

على « إنايل » فى « كى — أور » ، (وقالت له) :

« يا « إنليل » ، يا أيها الفاسق ، أخرج من المدينة ،

يا «نونامنير» (لقب من ألقاب «إنليل») أيها الفاسق اخرج من المدينة » .

وهكذا يغادر «إنليل» ، وفقاً للمصير الذى قررته الآلهة ، باتجاه الجحيم السومرى ولكن « ننليل » ، وهى حبلى ، ترفض البقاء بعده ، وتسير وراء « إنليل » فى رحلته التى فرضت عليه إلى العالم السفلى . بيد أن هذا يقلق « إنليل » لأنه يعنى أن ابنه « سين » الذى كان مقدراً له فى الأصل أن يكون موكلا بأكبر جرم مضىء وهو القمر ، سيسكن العالم السفلى الكئيب بدلا من أن يسكن فى السماء . وللحيلولة دون وقوع هذا ، دبر « انليل » كما يبدو خطة معقدة على الوجه التالى : التقى فى طريقه من « نفّـر » إلى العالم السفلى بثلاث شخصيات ، كانت بلا شك من الآلهة الصغيرة ، وهى الحاجب الموكل بأبواب « نفّـر » و « رجل نهر العالم السفلى » والموكل بالمعبر ، « كارون » السومرى الذى ينقل الموتى بقاربه إلى الجحيم . ويتقمص « إنايل » شخصية كل من هؤلاء بالتتالى — وهذا أول مثل معروف عن التحول الإلهى — ويحبل « إنليل » بثلاثة من آلهة العالم السفلى ليحلوا محل أخيهم الكبير « سين » ، الذى أصبح نتيجة ذلك حراً ليصعد إلى السماء .

إن واحدة من أكثر الأساطير السومرية تفصيلا وإفصاحاً هى التى تتصل بتنظيم الكون من قبل الإله « أنكى » الإله — الماء وإله الحكمة السومرى ، وسنورد ترجمة جديدة وكاملة لها فى الفصل الخامس (الأدب : الآداب السومرية المحضة). وتروى أسطورة أخرى من أساطير « أنكى » قصة معقدة وما زالت تتصف بالغموض تتصل بأرض « دلمون » ، التى ربما كان بالإمكان تعريفها بالهند القديمة[1] . ويمكننا أن

---

(١) إن رأى المؤلف فى تحديد موضع « دلمون » التى ورد ذكرها فى النصوص القديمة يختلف مع آراء أغلب الباحثين الذين يعتقدون بأن « دلمون » تشير إلى جزيرة البحرين فى الخليج العربى . (المترجم)

نلخص أحداث أسطورة الـ « جنة » السومرية هذه ، التى تتكلم عن الآلهة دون البشر ، على الوجه التالى :

إن « دلمون » أرض « نقية » و « نظيفة » و «مشرقة» ، إنها «أرض الحياة» التى لاتعرف المرض ولا الموت ، ولكنها كانت تفتقر إلى المياه العذبة اللازمة لحياة الحيوان والنبات . ولذلك أمر إله الماء السومرى العظيم « أنكى » الإله الشمس « أوتو » بملئها بالمياه العذبة النابعة من الأرض . وهكذا تحولت «دلمون» إلى حديقة إلهية خضراء عامرة بالحقول الملآى بالفاكهة وبالمروج .

وفى هذه الجنة الإلهية زرعت الآلهة « نينخورساج » ، الإلهة الأم العظيمة عند السومريين ، ثمانية أصناف من النباتات ، وربما كانت « نينخورساج » تعتبر فى الأصل الأرض — الأم . ولم تفلح هذه الإلهة فى خلق هذه النباتات إلا بعد سلسلة من العمليات المعقدة شملت ثلاثة أجيال من الإلهات اللواتى ولدن من إله الماء . وكانت ولادتهن ، كما تؤكد قصيدتنا دائماً ، بدون أدنى ألم أومعاناة . ولأن « أنكى » أراد على ما يرجح أن يتذوق طعمها ، اقتطف رسوله الإله «إيسموند» ذو الوجهين ، هذه النباتات الثمينة واحدة واحدة وقدمها إلى سيده الذى كان يأكل الواحدة بعد الأخرى. وعند ذلك نطقت « نينخورساج » التى تملكها الغضب بلعنة الموت على « أنكى » واختفت من بين الآلهة حتى لاتضطر ، على ما يبدو على تغيير رأيها وتلين بسبب ما قد يقع عليها من تأثيرات .

وبدأت صحة « أنكى » تتردى وأصيبت ثمانية أعضاء من جسده بالمرض .وبينما كانت صحة « أنكى » آخذة بالتردى بسرعة جلست الآلهة العظيمة فى الرغام ، وحتى « إنليل » ، الإله — الريح ، ملك الآلهة السومرية ، بدا غير قادر على معالجة الأمر عندما بدأ ثعلب يتكلم بصراحة . لقد قال الثعلب لـ « إنليل » إنه سيأتى بالإلهة « نينخورساج » إذا كوفىء بمكافأة لائقة . ونجح الثعلب بطريقة ما ، كما وعد — ولسوء الحظ أصيبت الفقرة الخاصة بهذا الموضوع بالتلف — بإقناع الإلهة الأم

بالعودة إلى مجمع الآلهة ومعالجة إله الماء المشرف على الموت . لقد أجلسته إلى جانب فرجها ، وبعد الاستفسار منه عن أعضاء جسمه الثمانية التي توجعه ، أوجدت ثمانية إلهات من الموكلات بالشفاء تقابل كل منهن عضواً من أعضائه الريضة ، وأعيد « أنكى » بذلك إلى الصحة والحياة .

وعلى الرغم من أن أسطورتنا تتصل بجنة إلهية لا علاقة لها بالبشر ، فإن فيها العديد من الأفكار الشبيهه بأفكار الجنة الواردة فى التوراة . وهناك فى الواقع من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن نفس فكرة وجود جنة أوحديقة للآلهة قد بدأت فى الأصل عند السومريين . وتقع الجنة السومرية ، حسب ما ورد فى قصيدتنا فى « دلمون » ، وهى بلاد كانت تقع فى مكان ما إلى الشرق من بلاد سومر . وفى « دلمون » هذه نفسها وضع فيما بعد البابليون ، وهم الشعب السامى الذى دحر السومريين ، « أرض الأحياء » ، موطن الخالدين منهم . وهناك دلالة مقنعة على أن جنة التوراة أيضاً ، التى وصفت كبستان زرع فى الناحية الشرقية من « عدن » ، التى تنبع فيها مياه أنهار العالم الأربعة ، بما فى ذلك دجلة والفرات ، كانت على ما يرجح مطابقة فى الأصل لـ « دلمون » مكان الجنة السومرية .

وتذكرنا أيضاً فقرة قصيدتنا التى تصف إرواء « دلمون » من قبل الإله — الشمس بالماء العذب المستخرج من الأرض بالفقرة الواردة فى التوراة « ثم خرج من الأرض ضباب فسقى وجه اليابسة جميعه » (سفر التكوين ٢ ، ٦) . وتوضح ولادة الإلهات بلا ألم أو عناء أساس اللعنة التى لعنت بها حواء وقضى عليها بأن يكون من نصيبها أن تحمل وتلد الأطفال بالأسى . وواضح بما فيه الكفاية أن أكل «أنكى» للنباتات الثمانى واللعنة التى لعن بها بسبب فعلته السيئة يذكرنا بأكل « آدم » و « حواء » من ثمرة شجرة المعرفة واللعنات التى لُعنا بها بسبب هذا العمل الأثيم .

ولكن أكثر النتائج التى توصلنا إليها من تحليلنا للقصيدة السومرية إثارة للاهتمام ربما كان ذلك التفسير الذى تقدمه لموضوع من أكثر المواضيع إثارة للحيرة

فى قصة الفردوس الواردة فى التوراة ، ألا وهى العبارة المشهورة التي تصف خلق « حواء » « أم جميع البشر » من ضلع « آدم » — لأنه لماذا خلقت من الضلع ؟ ولماذا وجد القصّاص العبرانى اختيار الضلع أكثر ملاءمة من اختيار أى عضو آخر من أعضاء الجسم الأخرى لخلق المرأة التى يعنى اسمها « حواء » ، بحسب العقيدة التوراتية ، « هى التى تحيى » . إن السبب يتضح إلى درجة كبيرة إذا افترضنا وجود خلفية سومرية كالتى تقدمها قصيدة « دلمون » التى بين أيدينا لتكون أساس قصة الفردوس فى التوراة ، لأن الضلع كان واحداً من أعضاء « أنكى » التى أصابها المرض حسب ما ورد فى القصيدة السومرية . والكلمة السومرية التى تعنى « ضلع » هى « تى » (TI) ، ولذلك سميت الإلهة التى خلقت لتشفى ضلع « أنكى » فى اللغة السومرية « نن — تى » أى « سيدة الضلع » ، ولكن الكلمة السومرية « تى » تعنى أيضاً « يحيى » وعلى هذا فإن الإسم « نن — تى » يعنى « السيدة التى تحيى » بالإضافة إلى « سيدة الضلع » ولذلك أصبحت « سيدة الضلع » فى الأدب السومرى تعرف ، تورية وبالتلاعب بالألفاظ أيضاً بالـ « سيدة التى تحيى » . وكانت هذه التورية التى تعد من أقدم التوريات الأدبية ، هى التى نقلت وخلدت فى قصة الفردوس التوراتية ، على الرغم طبعاً من أن التورية تفقد صحتها فى التوراة لعدم وجود تشابه لفظى بين الكلمات العبرية التى تعنى « ضلع » و « من يحيى » .

وتوجد أسطورة أخرى من أساطير « أنكى — نينخورساج » تتصل بخلق الإنسان من الـ « طين الذى فوق الأبج » . إن هذه القصة تبدأ بوصف المصاعب التى تواجه الآلهة فى الحصول على خبزهم خاصة ، كما يتوقع ، بعد أن ظهرت الإلهات إلى الوجود . وتبدأ الآلهة بالشكوى ولكن « أنكى » ، الذى ربما كان ينتظر منه أن يهب لمساعدتهم بوصفه إله الحكمة عند السومريين ، كان يغط فى النوم فى الأعماق ولا يسمعهم ، وعند ذلك تضع أمه ، البحر الأول « الأم التى ولدت جميع الآلهة » ، دموع الآلهة بين يدى « أنكى » وتقول :

يا بنى ، إنهض من سريرك ﻭ ... ك ، وافعل ما هو حكيم ،

اخلق خدماً للآلهة ، وعسى أن ينجب هؤلاء أضعافهم (؟)

ويفكر « أنكى » بالأمر ملياً ، ويقود جموع « الخالقـــين الخيرين ومن فيهم صفة الإمارة » ويقول لأمه « نمو » البحر الأول :

يا أمى ، المخلوق الذى نطقت باسمه ، موجود ،

فاسبغى عليه صورة (؟) الآلهة ؛

امزجى لب الطين الذى فوق الاج ،

وسيكثف صانعو الأشكال الخيرون ، الذين فيهم صفة الأمارة ، الطين ،

أما أنت فاخلقى الأطراف ،

وستعينك « ننماخ » (اسم آخر لنينخورساج) ،

وستقف إلهة (الولادة) . . إلى جانبك عندما تخلقين ،

أيا أمى ، قدرى قدره (أى قدر المولود الجديد) ،

أما « ننماخ » فستطابق عليه قالب (؟) الآلهة ،

إنه الانسان . . . . .

ثم تنتقل القصيدة من خلق الإنسان ككل إلى خلق نماذج بشرية معينة مشوهة وذلك فى محاولة واضحة لتفسير وجود هذه المخلوقات الشاذة . تتحدث القصيدة عن وليمة ، أعدها « أنكى » للإلهة تخليداً على ما يرجح لذكرى خلق الإنسان ، يشرب « أنكى » و « ننماخ » فيها كثيراً من الخمر ويطغى عليهما الحماس والمرح . فتتناول « ننماخ » جزءاً من الطين الموجود فوق الاج وتكوّن منه ستة نماذج مختلفة من الشخصيات الشاذة ، إلا أن « أنكى » كان يقدر لكل منها مصيراً ويعدها بما يمكنها من الحصول على خبز لتأكله . وبعد أن أتمت « ننماخ » خلق هذه النماذج الستة من البشر يصمم « أنكى » على خلق نموذج من عنده ، إلا أن الأسلوب الذى اتبعه غير

واضح فى القصة . ولـكن مهما كان الأمر ، فإن المخلوق الذى ولد نتيجة لذلك مخلوق فاشل ، فهو ضعيف وواهن القوى جسماً وروحاً . وينتظر « أنـكى » متلهفاً لما ستفعله « نماخ » فى مساعدة مخلوقه البائس ، ولذلك يخاطبها على الوجه التالى :

لقد قدرت مصيراً لمن خلقت يداك

وأعطيته خبزاً ليأ كل .

عينى الآن قدراً لهذا الذى خلقته يدى ،

أعطيه خبزاً ليأ كل .

وتحاول « نماخ » أن تـكون ذات فائدة لذلك المخلوق ، ولـكنها تبوء بالفشل — تـكلمه فيعجز عن الجواب ، وتقدم له كسرة خبز ليأ كل ، فيعجز عن مد يده لها ، ولم يكن قادراً على الجلوس أو الوقوف ، ولم يستطع ثنى ركبتيه . وبعد جدل طويل ، ولـكنه غير واضح حتى الآن ، بين « أنـكى » و « نماخ » ، تنطق الإلهة بلعنة على «أنـكى» بسبب ذلك المخلوق العليل الخالى من الحياة الذى خلقه ، لعنة يبدو أن«أنـكى» تقبلها كأمر يستحقه .

أما بالنسبة لـ « ننورتا » إله الريح الجنوبية العاصفة ، فإن هناك أسطورة عنه ذات موضوع يتصل بذبح تنين . تبدأ القصة ، بعد فقرة تحتوى على تمجيد للإله ، بخطاب يوجهه إلى « ننورتا » سلاحه الذى شخص باسم « شارور » . فلأسباب لم تذكر عزم « شارور » على الدخول فى نزاع مع « آساج » ، شيطان المرض والسقم ، الذى كان مسكنه فى الـ « كور » أو العالم السفلى . وفى كلـة مليئة بعبارات التمجيد لخصائل « ننورتا » ومآثره البطولية ، يحث الإله على مهاجمة ذلك الوحش والقضاء عليه . ويشرع « ننورتا » بفعل ما حثه عليه ، غير أنه عجز فى بادىء الأمر ، على ما يبدو ، من مواجهة خصمه ، و « فرَّ كطير » . ولـكن « شارور » حثه مرةأخرى بعبارات مطمئنة ومشجعة ، فهجم « ننورتا » على « آساج » هجوماً عنيفاً بجميـع ما لديه من سلاح وقضى على الشيطان .

ولكن حلت فى بلاد سومر بعد القضاء على « آساج » كارثة خطيرة ، فعندما ارتفعت مياه « كور » الأولى إلى سطح الأرض ، وبسبب قوة اندفاعها لم يعد بإمكان المياه العذبة أن تصل إلى الحقول والبساتين ، وحلّ اليأس بآلهة بلاد سومر التى « كانت تحمل الفأس والسلة » ، أى التى كانت موكلة بإرواء بلاد سومر وإعدادها للزرع ، ولم يرتفع نهر دجلة وانعدام الماء « الطيب » من مجراه .

كانت المجاعة شديدة فلم ينتج أى شىء .
فى الأنهار الصغيرة لم يعد بالإمكان « غسل الأيدى » ،
المياه لم ترتفع ،
ولم ترو الحقول ،
وتوقف حفر جداول (الرى) .
وانعدم النبات من البلدان كلها ،
ولم ينمُ سوى الأعشاب الضارة .
وعندها وجه الرب فكره الثاقب لتلك (المحنة)
« ننورتا » بن « إنليل » خلق أشياء عظيمة .

لقد وضع « ننورتا » الأحجار فوق « كور » وكدسها حتى أصبحت كجدار عظيم أمام بلاد سومر فاحتجزت هذه الحجارة «المياه الجبارة» مما جعل مياه « كور » غير قادرة على الإرتفاع إلى سطح الأرض . أما بالنسبة للمياه التى سبق أن غمرت الأرض ، فإن « ننورتا » جمعها وأعادها إلى نهر دجلة الذى أصبح الآن قادراً على إرواء الحقول بفيضه :

ما كان قد تبدد (من المياه) جمعه ،
ما كان قد تبدد من (مياه) « كور »

جره وسلطه فى دجلة ،

المياه العالية صبها على الحقول .

فانظر ، الآن كل شيء على الأرض ،

قد ابتهج من بعد بـ « ننورتا » ملك البلاد ،

وانتجت الحقول القمح الوفير ،

وحملت الكروم والبساتين أثمارها ،

وكدست الغلة فى الصوامع والتلال ،

لقد أزال الرب الحزن من البلاد ،

وأسعد أرواح الآلهة .

وبعد أن سمعت الإلهة « نماخ » ، بأعمال إبنها الباهرة والبطولية ، ملأتها الشفقة عليه وصارت لا يقر لها قرار حتى إنها لم تعد قادرة على النوم فى مخدعها ، فخاطبت « ننورتا » من بعيد بدعاء ليأذن لها بزيارته والنظر إلى طلعته . وينظر إليها « ننورتا » بـ « عين الحياة » قائلا :

أيتها السيدة ، لأنك — ترغبين بالمجيء إلى « كور » ،

يا « نماخ » ، لأنك من أجلى ترغبين بدخول تلك الأرض المعادية ،

ولأنك لا تهابين هول المعركة المحدقة بى ،

فليكن إسم التل الذى كدسته ، أنا البطل

« خورساج » (أى الجبل) ولتكونى أنت ملكته[1] .

ثم يبارك « ننورتا » « خورساج » (أى الجبل) لكى ينتج جميع أنواع

---

(١) إن اسم هذه الإلهة « نن — خورساج » يعنى « سيدة الجبل » . (المترجم)

الحشائش والنبيذ والعسل ومختلف أصناف الأشجار والذهب والفضة والبرونز والماشية والغنم وجميع المخلوقات من «ذوات الأربع» . وبعد هذا الدعاء بالبركة التفت «ننورتا» إلى الأحجار فلعن تلك التى كانت خصما له فى قتاله مع الشيطان « آساج » ، وبارك تلك التى وقفت إلى جانبه .

إن عدداً غير قليل من الأساطير السومرية يدور حول إلهة الحب الطموحة والمغامرة والكثيرة الطلبات « إينانا » — « عشتار » الأكدية — وزوجها الإله — الراعى « دوموزى » — وهو تموز الذى ورد ذكره فى التوراة . وذكر تودد « دوموزى » للالهة فى روايتين . فى الأولى نجد « دوموزى » يتنافس على كسب حبها مع الإله — الفلاح « أنكيمدو » ، ولم ينجح إلا بعد قدر كبير من النقاش الحاد الذى قاد أخيراً إلى تهديدات بالعنف . وفى الرواية الأخرى يبدو أن «دوموزى» وجد قبولا سريعاً من لدن « إينانا » ليكون حبيبها وزوجاً لها ولكنه لم يكن يحلم بأن زواجه من « إينانا » سيفضى به إلى الهلاك وأنه سيجر إلى الجحيم جراً . إن هذه القصة وردت فى أسطورة من أحسن الأساطير السومرية من ناحية عدم تعرضها للتلف وهى « نزول إينانا إلى العالم السفلى » التى نشرت ونقحت ثلاث مرات فى غضون الخمس والعشرين سنة الماضية ، وهى على وشك أن تنقح مرة رابعة بمساعدة الرجوع إلى عدة ألواح وكسر مدونة غير معروفة حتى الآن . وإذا مالخصت هذه الأسطورة فإنها تقص علينا القصة التالية :

إن « إينانا » « ملكة السماء » ، إلهة الحب والحرب الطموحة التى تودد « دوموزى » الراعى إليها حتى نجح بالزواج منها ، عزمت على النزول إلى العالم السفلى لتجعل من نفسها سيدة له ، على أمل أن تخرج الموتى منـــه . فجمعت « إينانا » القوانين الإلهية المناسبة ، وأصبحت على استعداد لدخول تلك « الأرض التى لارجعة منها » بعد أن تزينت بحللها وحلاها .

وكانت ملكة العالم السفلى ، أختها الكبرى وعدوتها اللدودة « إيرشكيجال »

إلهة الموت والظلام عند السومريين . ولما كانت « إينانا » تخشى ، وليس بدون سبب ، أن أختها ستقضى عليها فى مملكتها التى تحكمها ، فإنها أوصت وزيرها « نينشوبور » ، الذى كان رهن إشارتها وأمرها على الدوام ، بإقامة مأتم لها عند الخرائب فى مجمع الآلهة إذا لم تعد بعد ثلاثة أيام ، ثم عليه أن يذهب إلى « نفّر » مدينة « إنليل » ، الإله القائد فى مجمع الآلهة السومرى ، والتوسل إليه لينقذها ولا يتركها تموت فى العالم السفلى . فإذا رفض « إنليل » الطلب ، كان على « نينشوبور » الذهاب إلى « أور » مدينة الإله — القمر « نانا » وإعادة تضرعه هناك . فإذا رفض « نانا » أيضاً القيام بنجدتها ، عليه أن يذهب إلى « أريدو » مدينة « أنكى » إله الحكمة ، الذى « يعرف طعام الحياة » و « يعرف ماء الحياة » .. سيهبُّ بكل تأكيد لإنقاذها .

وتهبط « إينانا » إلى العالم السفلى وتقترب من معبد « إيرشكيجال » المشيد من حجر اللازورد . وعند البوابة قابلها رئيس الحجاب الذى طلب أن يعرف هويتها وسبب مجيئها . فلفقت « إينانا » سبباً مزوراً لزيارتها وقادها الحاجب ، وفقاً لأوامر سيدته ، ومر بها من بوابات العالم السفلى السبع . وكانت كلما مرت من بوابة من البوابات تجرد من حللها وحلاها قطعة قطعة على الرغم من احتجاجاتها على ذلك . وأخيراً ، بعد مرورها من البوابة الأخيرة ، أقتيدت عارية تماماً ومثنية الركبتين إلى حضرة « إيرشكيجال » و « الآنوناكى » قضاة العالم السفلى السبعة المرعبين الذين صوبوا نحوها نظرات الموت فتحولت إلى جثة معلقة بعد ذلك على عمود قائم .

ومرت ثلاثة أيام وثلاث ليال . وفى اليوم الرابع شرع « نينشوبور » ، بعد أن تأكد من عدم عودة سيدته ، بالقيام بجولاته بين الآلهة وفقاً لما أوصته به . ولكن ، كما توقعت « إينانا » ، رفض كل من « إنليل » و « نانا » تقديم المساعدة إلا أن « أنكى » وضع خطة لبعثها إلى الحياة . فقد خلق « كورجارا » و « كلاتورا » وهما لا ذكر ولا أنثى ، وعهد إليهما بـ « طعام الحياة » ، و « ماء الحياة » ليذهبا به إلى العالم السفلى حيث كانت ترقد « إيرشكيجال » الأم التى تهب الولادة « مريضة

بسبب أبنائها » ، عارية وبلا غطاء . وكانت تواصل أنينها قائلة « ياويل جوفى » و « ياويل ظاهرى » . وكان على « كورجارا » و « كلاتورا » ترديد أناتها والتظاهر بالعطف مع إضـــافة عبارة « من جوفى إلى جوفك ، ومن ظاهرى إلى ظاهرك » . وعندئذ سيقدم إليهما ماء الأنهار وقمح الحقول كهدية ، ولـكن « أنـكى » حذرهما بوجوب رفض ذلك وأمرهما أن يقولا بدلاً من ذلك « أعطنا الجثـة المدلاة من على مسمار » وأن ينثر « طعام الحياة » و « ماء الحياة » اللذين زودهما به « أنـكى » على جثـــة « إينانا » وبذلك يعيدانها إلى الحياة . ففعل « كورجارا » و « كلاتورا » ما أمرا به وعادت « إينانا » إلى الحياة .

ولـكن متاعب « إينانا » لم تنته على الرغم من عودتها إلى الحياة مرة أخرى ، لم تنته متاعبها لأن هناك قانوناً من قوانين العالم السفلى لا يمكن مخالفته يقضى بأنه ليس بمقدور أحد يدخل فيه العودة إلى العالم العلوى إلا إذا قدم بديلا عنه ليحل محله هناك .

وما كان بإمكان حتى الإلهة « إينانا » الخروج على هذه القاعدة الثابتة . حقاً لقد سمح لها بالصعود إلى الأرض ولـكنها كانت بصحبة عدد من الشياطين القساة الذين أمروا بإعادتها إلى المناطق السفلى إن هى أخفقت فى تقديم إله ليحل محلها فى العالم السفلى . وبدأت « إينانا » وهى محاطة بهؤلاء الحراس الأغوال أولا بزيارة المدينتين السومريتين « أوما » و « باد — تيبيرا » ، فأصاب الذعر إلهى هاتين المدينتين الحاميين « شارا » و « لاتراك » عند رؤية القادمين الذين لا ينتمون إلى الأرض بصلة ولبسا المسوح وتمرغا بالتراب أمام « إينانا » . ويبدو أن « إينانا » سرت بتذللهما ، حتى إنها منعت الشياطين من حملهما إلى العالم السفلى ، عندما هددوا بالقيام بذلك وأنقذت حياتهما .

ثم وصلت « إينانا » والشياطين بعد مواصلة رحلتهم إلى « كولاب » وهى منطقة فى دولة — « الوركاء » . وكان ملك هذه المدينـة الإله — الراعى « دوموزى » ، الذى بدلا من البـكاء على هبوط زوجته إلى العالم السفلى حيث قاست

ألوان العذاب والموت « ارتدى جبـة فخمة وجلس متربعاً على عرش » ، أى إنه كان فى الواقع يحتفل بمـا حل بها من مصيبة . فاستشاطت « إينانا » غضباً ونظرت إليه بـ « عين الموت » وسلمته إلى الشياطين المتوثبين القساة ليحملوه إلى العـــالم السفلى . فامتقع لون « دوموزى » وبدأ بالبـكاء ، ثم رفع يديه نحو السماء وتضرع إلى الإله — الشمس « أوتو » ، أخ « إينانا » ، أى عديله ، وتوسـل « دوموزى » إلى « أوتو » ليعينه على الخلاص من الشياطين بتحويل يده إلى يد حية وقدمه إلى يد وقدم حية .

ولـكن فى هذا الموضع من القصة — أى فى منتصف تضرع « دوموزى » — تنتهى الألواح الموجودة بين أيدينا ، وبقى القارىء حتى وقت قريب لا يعرف ما حصل. بيد أننا عرفنا النهاية المحزنة من مصادر أخرى ، وهى : أن « دوموزى » أخذ على الرغم من ثلاث محاولات للتدخل من جانب « أوتو » ليموت فى العالم السفلى بدلا من زوجته « إينانا » الغاضبة الحاقدة . لقد وقفنا على هذا من قصيدة غير معروفة بصورة عامة حتى الآن ، ولم تـكن فى الواقع جزءاً من أسطورة « نزول « إينانا إلى العالم السفلى » ولـكنها على صلة وثيقة بها من حيث الجوهر ، كما تحدثت ، بالإضافة إلى ذلك ، عن إحالة « دوموزى » إلى غزال بدلاً من حية . لقـــد وجدت هذه القطعة الجديدة مدونة على ثمانية وعشرين لوحاً وكسرة لوح تعود فى تأريخها إلى سنة ١٧٥٠ ق.م . تقريباً. ولم يجمع النص الـكامل من هذه الألواح والـكسر ويترجم، ترجمة أولية على الأقل ، إلا فى وقت قريب على الرغم من أن بعض أجزائه قد نشرت قبل عدة عشرات من السنين ، إذ نشرت أولى القطع العائدة إلى هذه الأسطورة فى الواقع فى تأريخ مبكر يعود إلى سنة ١٩١٥ من قبل «هيجو رادو» (Hugo Radau) ولـكن هذه القطعة كانت تحتوى على الأسطر الأخيرة فقط من القصة . وفى سنة ١٩٣٠ نشر العلامة الفرنسى « هنرى دى جنويلاك » قطعتين أخريين تحتويان على الأسطر الخمسة والخمسين الأولى من القصيدة ، ولـكن لما كان الجزء الأوسط كله ما يزال مجهولا ، فإنه لم تـكن هناك طريقة لمعرفة ما إذا كانت قطع « رادو » و «دى

جنويلاك» تعود إلى تلك القصيدة ذاتها . وفى سنة ١٩٥٣ أصبحت ست قطع أخرى ، منشورة وغير منشورة ، من القصيدة تحت تصرف الباحثين . وكان « ثور كايلد جاكبسون » من معهد الدراسات الشرقية فى جامعة شيكاغو أول من قدم فكرة عن روايتها وترجمة فقرات منها (١) . ثم عرف منذ ذلك الوقت تسعة عشر لوحاً وكسرة أخرى ، منها عشرة كانت فى متحف الشرق القديم فى اسطنبول (وقد قمت مع امينتى مجموعة الأواح فى المتحف المذكور السيدة «معزز جك» والسيدة « هاتيس كيزيلياى» باستنساخ هذه القطع العشر) وكنتيجة لهذه الوثائق الجديدة جميعها أصبح بالإمكان أخيراً إعادة كتابة نص القصيدة بصورة كاملة تقريباً وترجمتها ترجمة أولية أعتمدنا عليها فى إعداد الملخص التالى لمحتوياتها .

تبدأ الأسطورة التى يمكن أن تعنون بـ « موت دوموزى » بعبارات تقديم يضع فيها المؤلف نبرة القصة الحزينة التى يوشك أن يسردها . فقد كان لـ «دوموزى» فلاح « الوركاء » إحساس داخلى باقترابه من الموت ، ولذلك يهرع إلى السهل بعينين دامعتين ببكاء مرير ،

كان قلبه مليئاً بالدموع ،
لقد هرع إلى السهل ،
الفلاح — كان قلبه مليئاً بالدموع
لقد هرع إلى السهل ،
« دوموزى » كان قلبه مليئاً بالدموع ،

---

(١) Jacobsen and Kramer, « The Myth of gnanna and Bilulu» Journal of Near Easterm, Studies XII, 165-66, and Leo. Openheim, «Interpretation of Dreams in the Ancient Near East.» Transactions of the American Philosophical Soeiety, 195 , P. 246.

لقد هرع إلى السهل ،

وعلق مزماره (؟) حول عنقه ،

وبدأ بالنحيب

أقم مناحة ، أقم مناحة ،

أيها السهل ، أقم مناحة ،

أيها السهل ، أقم مناحة (؟)

بين قواقع النهر ، أقم مناحة ،

وبين ضفادع النهر ، أقم مناحة

ولتنطق أمى بكلمات (الرثاء) .

ولتنطق أمى ، «سيرتور» ، بكلمات (الرثاء)،

لتنطق أمى التى لا تملك (؟) خمسة (أرغفة) من الخبز (؟) بكلمات(الرثاء) (؟)،

ولتنطق أمى التى لا تملك (؟) عشرة (أرغفة) من الخبز (؟) بكلمات (الرثاء) ،

فى اليوم الذى أموت فيه سوف لن يكون لها من يعنى (؟) بها ،

وعلى السهل ، كأمى ، لتذرف عيناى الدموع (؟) ،

وعلى السهل ، كأختى الصغرى ، لتذرف عيناى الدموع .

ثم تستمر القصيدة بقولها إن « دوموزى » إستلق على الأرض لينام ورأى حلماً ينذر بالشؤم والشر :

بين البراعم (؟) يستلق بين البراعم (؟) يستلقى ،

الراعى — ينام بين البراعم (؟)

ولما نام الراعى بين البراعم (؟) رأى حلماً ،

وأستيقظ — لقد كان حلماً ، وأرتعشت (؟) أوصاله — فقد كانت رؤيا ،
وفرك عينيه بيديه ، فقد أصيب بالدوار .

ونادى « دوموزى » المرتبك أخته « جيشتينانا » ، الشاعرة الإلهية والمغنية ومفسرة الأحلام وقص عليها حلمه الذى ينذر بالشؤم :

حلمى ، يا أختى ، حلمى ،
وهذا هو لباب حلمى !
أسل يرتفع من كل جانب حولى ، أسل تبرعم من كل جانب حولى ،
قصبة واحدة كانت تقف وحدها ، رأسها لى ،
من بين الأقصاب الواقفة زوجا زوجا ، واحدة نُقلت من أجلى ،
وفى البستان المشجر — ترتفع الأشجار (؟) حوالى بشكل يثير الذعر ،
وعلى موقدى المقدس يسكب الماء ،
ومن ممخضتى المقدسة ، تؤخذ قاعدتها (؟) ،
والقدح المقدس المتدلى من وتد ، سقط من الوتد ،
واختفت عصا الراعى العائدة لى ،
وتمسك بومة ... ،
ويمسك صقر على حمل بمخالبه ،
عنيزاتى الصغيرة ، تجر لحاها اللازوردية فى الرغام ،
وأغنامى فى الإصطبل تضرب الأرض بأطرافها المحنية ،
ووقعت المخضة (مهشمة) فلم يسكب منها اللبن ،

وسقط القدح (مهشما) ـ فلا يبقى « دوموزى » على قيد الحياة بعد الآن .
وسلمت حضيرة الغنم إلى الريح .

وقلقت « جيشتينانا » أيضاً قلقاً عظيما بسبب حلم أخيها :
آه ، يا أخى ، إن حلمك الذى قصصته علىّ لا يبشر بالخير
أسل يرتفع من حواليك ، أسل يتبرعم من كل جانب حولك ،
(هذا يعنى) أن الخارجين على القانون سيثورن للهجوم عليك .
قصبة واحدة تقف وحدها حانية الرأس لك ،
(هذا يعنى) أن أمك التى ولدتك ستحنى رأسها من أجلك ،
من الأقصاب الواقفة زوجاً زوجاً ، واحدة نُقلت ،
(هذا يعنى) أنا وأنت ـ سيقتل واحد منا ...

وتستمر « جيشتينانا » فى تفسير حلم أخيها الكئيب المشؤوم عبارة عبارة إلى أن تنتهى بتحذيره من أن شياطين العالم السفلى الـ « جالا » على وشك الإطباق عليه وأن عليه أن يختفى حالاً . ووافق «دوموزى» ورجا من أحقه ألا تخبر الـ «جالا» عن مخبأه .

ياصديقتى ، سأختفى بين النباتات
فلا تخبرى أحداً بمخبأى ،
سأختبىء بين النبات الصغيرة ،
فلا تخبرى أحداً بمخبأى ،
سأختبىء بين النباتات الكبيرة ،
فلا تخبرى أحداً بمخبأى ،

سأختبىء بين قنوات « أرالو »
فلا تخبرى أحداً بمخبأى .

وترد « جيشتينانا » على ذلك :

لو أخبرت عن مخبأك ، فاتلتهمنى كلابك ،
كلابك السود ، كلابك الخاصة بالـ «رغى» ،
الكلاب المتوحشة ـ كلابك الخاصة بالـ « سيادة » ،
عسى كلابك هذه أن تلتهمنى .

وجاء الـ « جالا » المخلوقات غير الأنسانية ، الشياطين الذين :

لا يأكلون طعاماً ، ولا يعرفون الماء ،
ولا يأكلون طحيناً مبللاً ،
ولا يشربون المـاء المسكوب (أى المقدم قرباناً) ،
ولا يقبلون الهدايا الملطفة ،
ولا يشبعون حضن المرأة بالسعادة ،
ولا يقبلون الأطفال ... ، العذب ،

وبدأوا بالتفتيش عن « دوموزى » المختبىء ، ولـكنهم لم يتمكنوا من العثـور عليه . فقبضوا على « جيشتينانا » وحالوا إرشاءها لتدلهم على مخبأ « دوموزى » إلا أنها ثبتت على وعدها له .

غير أن « دوموزى » عاد إلى المدينة ، لأنه كان على ما يحتمل يخشى من أن تقتل الشياطين أخته . فقبض عليه الـ « جالا » هناك ووقعوا عليه لـكما ونخساً وضرباً

بالسياط وقيدوا يديه وذراعيه بشدة وتأهبوا لحمله إلى العالم السفلى . فتوجه «دوموزى» عندئذ نحو الإله ـ « أوتو » ـ أخ زوجته « إينانا » وتضرع إليه ليحليه غزالاً كى يستطيع الهرب من الشياطين وينجو بنفسه إلى مكان يعرف باسم « شوبيريلا » ، (لم يحدد موقعه بعد) . أو كما جاء على لسان « دوموزى » نفسه :

يا « أوتو » ، أنت أخو زوجتى ،

وأنا زوج أختك ،

وأنا الذى يحمل الطعام إلى « أى ـ أنا » (معبد إينانا) ،

وفى « الوركاء » أتيت بهدايا الزواج ،

وقبلت الشفتين المقدستين (؟) ،

وربت بلطف (؟) الحضن المقدس ، حضن « إينانا » ؛

فحول يدى إلى يدى غزال ،

وحول قدمى إلى قدمى غزال ،

ودعنى أهرب من شياطينى الـ « جالا »

ودعنى أنجو بروحى إلى « شوبيريلا » ...

واستجاب الإله — الشمس إلى تضرع «دوموزى» أو بعبارات الشاعر نفسه :

تقبل « أوتو » دموعه هدية ،

وكما يفعل رجل رحيم ، أظهر له الرحمة ،

وأحال يديه إلى يدى غزال ،

وأحال قدميه إلى قدمى غزال ،

ونجا من شياطينه الـ « جالا » ،

وحمل نفسه إلى « شوبيريلا » . . . .

ولسوء حظه لحق به الشياطين الذين كانوا يطاردونه مرة أخرى وضربوه وأذاقوه قسوة العذاب كما فعلوا فى المرة السابقة . ولذلك توجه « دوموزى » مرة ثانية إلى « أوتو » بالصلاة ليحيله إلى غزال ، وكان فى هذه المرة يود لو حمل نفسه إلى بيت إلهة تعرف بـ « بيليلى السيدة الحكيمة المسنة » فاستجاب « أوتو » لصلاته ، ووصل « دوموزى » إلى بيت « بيليلى » متضرعاً إليها بقوله :

أيتها السيدة الحكيمة ، أنا لست إنساناً ، أنا زوج إلهة .

من ماء السكيبة ، دعينى أشرب قليلا (؟) ،

من الدقيق الذى رش (بالماء) دعينى آكل قليلا (؟) ،

ولكنه ما كاد ينتهى من تناول الطعام والشراب حتى ظهر الـ (جالا) وبدأوا بضربه وتعذيبه مرة ثالثة ، فأحاله « أوتو » مرة أخرى إلى غزال وهرب إلى حظيرة غنم أخته « جيشتينانا » ، إلا أن كل ذلك لم يجد نفعاً ، إذ دخل خمسة من الـ«جالا» إلى الحظيرة وضربوا « دوموزى » على خده بمسمار وعصا ، ومات « دوموزى » . ولننقل ما ورد حرفياً فى الأسطر الحزينة التى تنتهى بها القصيدة :

دخل « الجالا » الأول إلى الحظيرة ،

وضرب « دوموزى » على خده بمسمار (؟) حاد (؟) ،

ودخل الثانى إلى الحظيرة ،

وضرب « دوموزى » على خده بعصا الراعى ،

ودخل الثالث إلى الحظيرة ،

ومن المخضة المقدسة ، انتزعت القاعدة (؟) ،
ودخل الرابع إلى الحظيرة ،
فسقطت الكأس المتدلية من على وتد ، من الوتد ،
ودخل الخامس إلى الحظيرة ،
فوقعت المخضة المقدسة (مشهمة) فلا يسكب منها لبن ،
ووقعت الكأس (مهشمة) ، ولم يبق « دوموزى » على قيد الحياة ،
لقد سلمت الحظيرة إلى الريح .

وهكذا وصل « دوموزى » إلى نهايته الفجعة ، وراح ضحية لحب « إينانا » وحقدها .

على أن أساطير « إينانا » لا تتصل جميعها بالإله « دوموزى » . فهناك مثلا أسطورة تقص علينا كيف حصلت الإلهة بالخديعة على النواميس الإلهية المعروفة عند السومريين باسم الـ « مى » (me) والتى كانت تتحكم بالإنسان ومؤسساته المختلفة . ولهذه الأسطورة أهمية كبيرة بالنسبة لعلم دراسة الإنسان (انثروبولوجيا) ذلك لأن مؤلفها وجد من المستحسن فيما يتعلق بالقصة أن يقدم جدولا كاملا بالـ « ميات » (أى النواميس الإلهية) وتقسيم المدينة كما كان يفهمها إلى أكثر من مائة عنصر ومقوم حضارى متصل بمؤسسات الإنسان السياسية والدينية والاجتماعية ، وبالفنون والحرف ، وبالموسيقى والآلات الموسيقية وإلى مجموعة متنوعة من نماذج السلوك الفكرية والعاطفية والاجتماعية (انظر ما قيل عن «الميات» فى بداية هذا الفصل) .

وتلخص أحداث هذه الأسطورة التى تكشف عن كثير من الظواهر الحضارية على الوجه التالى :

كانت « إينانا » ملكة السماء وإلهة « الوركاء » الحامية تتوق إلى أن تزيد من

خير مدينتها ورخائها وجعلها مركزاً للمدنية السومرية ، فتعلى بذلك اسمها وشهرتها .
ولذلك اعتزمت الرحيل إلى مدينة « أريدو » — مركز الحضارة السومرية القديم —
حيث كان الإله « أنكى » إله الحكمة « الذى يعرف ما فى قلوب الآلهة » —
يسكن بيته « الآبزو » — أى مياه العمق ، وذلك لأن جميع النواميس الإلهية التى
تعتبر أساسية بالنسبة للحضارة كانت بعهدة « أنكى » . فإذا ما استطاعت
« اينانا » الحصول عليها — بطرق مشروعة أو غير مشروعة — والإتيان بها إلى
« الوركاء » ، فإن مجد « الوركاء » ومجدها سيكونان بكل تأكيد لا نظير لهما .
ولما قاربت « الآبزو » فى « أريدو » ، دعا « أنكى » — وقد أخذ دون شك
بسحرها — رسوله المسمى « أيسموند » وخاطبه على الوجه التالى :

هلم يا رسولى « أيسموند » وأصغ إلى تعليماتى ،
سأقول لك كلمة ، فانتبه لكلمتى ،
إن العذراء قد قصدت « الآبزو » بمفردها ،
« إينانا » — بمفردها توجهت إلى « الآبزو » ،
فادخل العذراء إلى « آبزو » « أريدو » ،
وأعطها كعك الشعير مع الزبد لتأكل ،
واسكب لها الماء البارد الذى ينعش القلب ،
وقدم لها جعة لتشربها فى (كأس) « وجه الأسد » ،
وعلى المائدة المقدسة ، « مائدة السماء »
أنطق بكلمات الترحيب بـ « إينانا »

ففعل « ايسموند » ما أمره به سيده ، وجلست « إينانا » و « أنكى » للاحتفال
وتناول الطعام . وبعد أن انشرح قلباهما بالشراب هتف «أنكى» :

وحق اسم السلطان ، وحق اسم سلطانى ،

لأقدمن النواميس الإلهية لإبنتى « إينانا » المقدسة .

ثم يقدم لها على دفعات متتالية النواميس الإلهيــة التى تزيد على مائة والتى كانت — حسب رأى مؤلفنا — تتحكم بالنموذج الحضارى للمدنية . وكانت « إينانا » سعيدة جداً بقبول الهدايا التى قدمها « أنــكى » الذى لعبت الخمرة بعقله وأخذتها جميعاً وحملتها فى « قاربها السماوى » وغادرت متجهة إلى « الوركاء » مع شحنتها الثمينة . ولــكن « أنــكى » لاحظ بعد أن زالت آثار الوليمة بأن النواميس قد أخذت من موضعها الخاص بها . فالتفت إلى « إيسموند » مستفسراً عنها فأخبره بأنه ، أى «أنــكى» نفسه قد أهداها لأبنته « إينانا » . فقلق « أنــكى » قلقاً عظيماً وندم على سخائه أشد الندم وصمم على منع « قارب السماء » من الوصول إلى « الوركاء » مهما كلف الأمر . وأرسل لذلك رسوله مع مجموعة من وحوش البحر لتتبع أثر « إينانا » وقاربها إلى المرحلة الأولى من مراحل التوقف السبع فى الطريق بين « آبزو » « أريدو » و « الوركاء » . وكان على الوحوش أن يأخذوا « قارب السماء » من « إينانا » ، أما بالنسبة للإلهة فــكان عليها أن تــكون مستعدة لمواصلة رحلتها إلى « الوركاء » مشياً على قدميها .

وفعل « إيسموند » ما أمر به ولحق بـ « إينانا » و « قارب السماء » وأخبرها أن « أنــكى » غير رأيه ، وأنه لابد من استرجاع القارب وحمولته الثمينة وإعادته إلى « أريدو »[1] ، فى حين أن بإمكانها مواصلة السفر إلى « الوركاء » . فوبخت « إينانا » « أنــكى » لأنه نقض كلمته وحنث بقسمه وتلفتت إلى وزيرها الإله « نينشوبور » طالبة العون منه ، فأنقذها الوزير مع القارب من «إيسموند» ووحوش البحر ولــكن «أنــكى» بقى مصراً على رأيه وأرسل المرة بعد الأخرى « إيسموند » مصحوباً بأنواع مختلفة من وحوش البحر للإستيلاء على « قارب السماء » ، غير أن « نينشوبور » ،

---

(١) لقد ورد فى الأصل خطأ اسم « الوركاء » . المترجم .

كان يهب فى كل مرة لنجدة سيدته . ووصلت « إينانا» وقاربها أخيراً إلى «الوركاء» بسلام حيث أنزلت النواميس الإلهية الثمينة من القارب الواحد بعدالآخر وسط تهاليل السكان الفرحين واحتفالهم(١) .

ويلعب فى أسطورة أخرى من أساطير « إينانا » بشرفان دوراً هاماً ، وتجرى أحداث هذه الأسطورة على الوجه التالى : كان يعيش فى يوم من الأيام بستانى اسمه « شوكاليتودا » لم تسفر جهوده المضنية فى الزراعة إلا عن الفشل . فعلى الرغم من عنايته بإرواء أخاديد وأجزاء بستانه ، فإن النباتات كانت تذوى وتموت . وكانت الرياح العاتية تلفح وجهه بـ « غبار الجبال » ، وكل ما كان يرعاه بعناية يتحول إلى أرض مقفرة . وعندئذ رفع عينه شرقاً وغرباً نحو السماوات ذات النجوم ، ودرس علامات الفأل ولاحظ القرارات الإلهية وعرفها . وكنتيجة لهذه الحكمة الجديدة التى نالها من تطلعه إلى السماء غرس شجرة « السرباتو » (التى لم يعرف نوعها حتى الآن)(٢) فى بستانه ، وهى شجرة يبقى ظلها الوارف من شروق الشمس إلى غروبها . وكنتيجة لهذه التجربة البستنيــة القديمة (حماية الزراعة من الشمس) ازدهر بستان « شوكاليتودا » بجميع أنواع النباتات الخضراء اللون .

وفى ذات يوم ، كما تواصل أسطورتنا ، اضطجعت الإلهة « إينانا » بعد عبورها السماء والأرض لتريح جسمها المنهـــوك قرب بستان « شوكاليتودا » . فانتهز «شوكاليتودا» الذى لمحها من حافة بستانه ، فرصة تعبها الشديد وجامعها . ولما أن طلع الصباح وأشرقت الشمس ، نظرت « إينانا » حواليها بجزع وصممت مهما كلف الأمر

---

(١) لاتخلو هذه الأسطورة من إشارات إلى حقيقة تاريخية وهى أن مدينة « أريدو » كانت من أولى المستوطنات فى جنوب العراق ثم أصبحت « الوركاء » فى منتصف الالف الرابع ق . م . مركزاً للحضارة السومرية . فهى إذن تفسر تفسيراً أسطورياً تدهور « أريدو » وازدهار « الوركاء » حضارياً . (المترجم) .

(٢) يقول الأستاذ طه باقر بأنها قد تكون شجرة « الغرب » التى يكثر وجودها على ضفاف الأنهار فى العراق : أنظر : من ألواح سومر ، لمؤلف هــذا الكتاب ، وترجمة الأستاذ طه باقر ص ١٤٥ ملاحظة رقم (١) . (المترجم) .

على القبض على هذا الإنسان الفـــانى الذى أساء إليها إساءة مخجلة . فسلطت من أجل ذلك ثلاثة أوبئة على بلاد سومر . (١) ملأت جميع آبار البلاد بالدم حتى تشبعت بساتين النخيل والكروم بالدماء . (٢) ثانياً سلطت الرياح والعواصف المدمرة على البلاد . أما الوباء الثالث فإن طبيعته غير مؤكدة لأن الأسطر الخاصة به مهشمة جداً ولـكن « إينانا » ، على الرغم من هذه الأوبئة الثلاثة ، لم تتمكن من تحديد مكان من انتهك عرضها ، إذ أن « شوكاليتودا » كان يذهب بعد حلول كل وباء إلى بيت والده ويخبره بالخطر المحدق به ، وكان الأب ينصح ابنه بالتوجه إلى إخوته « ذوى الرؤوس السود » أى سكان بلاد سومر ، وبالبقاء قريباً من مراكز المدن . وكان « شوكاليتودا » يتبع نصيحته وكنتيجة لذلك ، لم تستطع « إينانا » أن تعثر عليه . وبعد إخفاقها الثالث أدركت « إينانا » بمرارة بأنها لا تستطيع أن تثأر للإثم الذى ارتكب بحقها ولذلك عزمت على الذهاب إلى « أريدو » أى إلى بيت « أنكى » ، إله الحكمة السومرى ، لتطلب منه النصح والعون .

وكان الناس ، إذا استثنينا بعض الإشارات إلى البشر جميعهم ، لا يلعبون إلا دوراً ضئيلا فى الأساطير السومرية . فهناك بالإضافة إلى أسطورة « اينانا » — « شوكاليتودا » التى سردت قبل قليل ، أسطورة أخرى واحدة فقط تتناول فرداً من البشـــر الفانى ، وهى قصة الطوفان المعروفة بين الباحثين منذ وقت طويل . وهذه الأسطورة ذات أهمية كبيرة بالنسبة للدراسات التوراتية المقارنة . ولسوء حظ لم يعثر إلى هذا التأريخ إلا على لوح واحد فقط يحتوى على هذه الأسطورة ، ولم يبق من هذا اللوح سليماً إلا ثلثه . أما بداية الأسطورة فقد ثلمت ، وأولى أسطر اللوح الواضحة تتصل بموضوع خلق الإنسـان والنبات والحيوان ، وبالأصل السماوى للملكية ، وبتأسيس خمس مدن وتسميتها فى زمن ما قبل الطوفان ، قدمت لخمسة آلهة حامية .

---

(١) للوقوف على ترجمة حرفية وأولية للأسطورة انظر : كريمر ، من ألواح سومر ، ترجمة الأستاذ طه باقر ، ص ١٤٦ وما بعدها . (المترجم)

ثم نعرف بعد ذلك أن عدداً من الآلهة كان يعيش بالمرارة والأسى بسبب قرار إلهى بإحلال الطوفان وإهلاك البشر . ثم قدم بعدئذ « زيوســودرا » ، النظير السومرى لـ « نوح » الذى ورد فى التوراة ، كملك طاهر يخشى الإله ، ملك كان يتلهف إلى معرفة الوحى الإلهى عن طريق الأحلام . وكان يجلس بجانب جدار منصتاً إلى أحد الآلهة — ربما كان « أنـكى » — وهو يبلغه بالحـكم الذى اتخذ فى مجمع الآلهة بإرسال طوفان و « تدمير بذرة البشر » .

ولا بد أن تـكون الأسطورة قد واصلت الحديث ببيان الإرشادات المفصلة التى بلغها الإله لـ «زيوسودرا» بشأن بناء سفينة عظيمة ينقذ بها نفسه من الهلاك . ولـكن هذا كله ضاع بسبب كسر كبير فى اللوح . وعندما يبدأ النص مرة أخرى بالوضوح نجد أن الطوفان قد حل فعلاً بـكل عنفوانه فى البلاد وظل فى ثورته العارمة سبعة أيام وسبع ليال . وفى نهاية تلك المدة أشرق الإله — الشمس «أوتو» وأضاء الأرض ونشر عليها الدفء ، وخر « زيوسودرا » ساجداً أمامه بخضوع وقدم له القرابين من الثيران والغنم . وتصف السطور الأخيرة الباقية من الأسطورة تأليه «زيوسودرا» : فبعد أن سجد بخضوع أمام الإلهين « آن » و « إنليل » وهب « الحياة كما لو كان إلها » ونقل إلى « دلمون » أرض الجنة الإلهية « الموضع الذى تشرق الشمس فيه » .

وأخيراً هناك أسطورة سومرية تمدنا ، على الرغم من اتصالها بالآلهة فقط بمقدار هام من المعلومات « الأنثربولوجية » عن الشعب الســامى البدوى الذى عرف باسم « مارتو » . تقع أحداث تلك القصة فى مدينة « نيناب » « مدينة المدن — بلاد الإمارة » (مازال موقعها غير محدد فى بلاد ما بين النهرين) . وكان إلهها الخاص فيما يبدو «مارتو»، إله الساميين البدو الذين عاشوا فى المناطق الواقعة إلى الغرب والجنوب الغربى من بلاد سومر . أما تأريخ هذه الأحداث بالنسبة إلى أحداث بلاد سومر فقد وضعت بفقرات خفية المعنى ، فيها طباق وغموض ، على الوجه التالى :

لقد كانت « نيناب » موجودة ، أما « أكتاب » فلم تـكن موجودة ،

وكان التاج المقدس موجوداً ، أما عُصابة الرأس المرصعة فلم تكن موجودة ،
وكانت الحشائش المقدسة موجودة ، أما النيتروم المقدس فلم يكن موجوداً ..

وتبدأ القصة بعزم الإله « مارتو » على الزواج ، فيسأل أمه لتجد له زوجة ، ولكنها تنصحه بالسعى بنفسه للعثور على زوجة وفقاً لرغبته الخاصة . وذات يوم ، كما جاء في القصة ، أقيمت في « نيباب » وليمة فخمة حضرها « نوموشدا » الإله — الحامى لدولة مدينة تقع في شمال بلاد سومر مع زوجته وابنته . وأنجز « مارتو » أثناء هذه الوليمة بعض الأعمال البطولية التى أدخلت السرور إلى قلب « نوموشدا » وكمكافأة على ذلك قدم لـ « مارتو » الفضة وحجر اللازورد . ولكن « مارتو » رفض قبولها ،وطلب يد كريمة « نوموشدا » كمكافأة له ووافق « نوموشدا » بسرور ، كما وافقت كريمته أيضاً على الرغم من محاولة صديقاتها بإقناعها بعدم الزواج من « مارتو » لأنه لم يكن في نظرهن سوى بدوى بربرى يقطن الخيام ويأكل اللحم نيئاً و « لا يدفن عندما يموت » .

الفصل الخامس

الأدب : الأدب السومرى المحض

إن علم الآثار ، ولا سيما دراسة ماضي الإنسان السحيق بالقدم ، كما تكشف عنه التنقيبات الجارية في المدن والقرى التي طمرت منذ زمن طويل ، هو بطبيعته الخاصة أكثر وضوحاً في الآثار المادية للحضارة عادة ، ذلك لأن البقايا الآثارية تتألف بالدرجة الأولى من الآجر والجدران والعدد والأسلحة ، ومن القدور والآنية ، والمجوهرات والحلي ، ومن التماثيل والهياكل الصغيرة ، وباختصار من كل ما أنتجه الإنسان في الفنون والحرف . أما حياته الاجتماعية ، وتنظيماته الاقتصادية والإدارية، وبصورة خاصة رأيه في الكون كما يتضح في معتقداته الدينية ، ومثله الأخلاقية وتطلعاته الروحية — فإن كل هذه يجب أن تستنتج عادة من المصنوعات والبناء وعادات الدفن ، وهذه الاستنتاجات أيضاً لا تكون إلا على شكل تعميمات غامضة ومفككة .

على أن الحالة تختلف بالنسبة لبلاد سومر ، لأن المنقبين هنا أخرجوا من تحت التراب عشرات الألوف من الألواح الطينية المدونة — بكل ما في هذه الكلمة من معنى — فأضافت ما يمكن أن نطلق عليه بعداً في العمق بالنسبة لفهمنا حضارة بلاد سومر القديمة . حقا إن أكثر من تسعين بالمائة من المواد المكتوبة تتألف من وثائق اقتصادية وإدارية ، وإن هذه ، على ماهي عليه من أهمية من وجوه عديدة ، لا تكشف إلا عن القليل من الحياة الروحية لسكان بلاد ما بين النهرين القدامى . ولكن مجموعة من خمسة آلاف لوح وكسرة لوح مدونة بأصناف مختلفة من الأعمال الأدبية قد أكتشفت أيضاً — وهذه تمكننا من النفاذ إلى مدى معين إلى داخل قلوبهم ونفوسهم .

وتتراوح الوثائق السومرية الأدبية في أحجامها بين ألواح كبيرة ذات أثني عشر حقلاً (أو عموداً) كتبت عليها نصوص تضم مئات السطور المتلاحقة وكسر ألواح

صغيرة جداً لا تحتوى على أكثر من بضعة سطور مكسورة وتصل التآليف الأدبية المدونة هذه الألواح والكسر إلى المئات وتختلف أطوالها ، فمنها تراتيل ذات أقل من خمسين سطراً ، ومنها أساطير مؤلفة مما يقرب من ألف سطر . يحتل الأدب السومرى المحض باعتباره نتاجاً أدبياً منزلة عالية بين ابداعات الإنسان المتمدن الفنية ، حتى إن المقارنة بينه وبين الروائع الأغريقية والعبرانية لا تؤدى إلى أحكام لغير صالحة إلى درجة كبيرة . فمثله مثل تلك الروائع يعكس الحياة الزوجية والفكرية لحضارة قديمة ، ولولاه لبقيت هذه الحضارة مجهولة بصورة عامة . ومهما قيل فى أهمية هذا الأدب لتقويم التطور الحضارى والعقلى فى كافة أنحاء الشرق الأدنى القديم بشكل مناسب ، فإنه لا يكون قولاً مبالغاً فيه . فقد أخذ الأكديون والآشوريون والبابليون هذه الأعمال الأدبية بكاملها تقريباً ، وترجم الحثيون والحوريون والكنعانيون بعضاً منها إلى لغاتهم الخاصة ، وقلدوها بلا شك تقليداً واسعاً . وتأثرت صيغة الأعمال الأدبية العبرانية ومحتواها ، بل حتى أعمال قدماء الأغريق تأثرت إلى حد ما تأثراً عميقاً بالأعمال الأدبية السومرية ، وبما أن هذه الأعمال تؤلف عمليا أقدم أدب مدون بكمية كبيرة اكتشف حتى الآن — ولا يوجد أى احتمال بالكشف عن وثائق أدبية أقدم منها خارج بلاد سومر — فإنها تقدم مادة أساسية جديدة وثمينة لم تكن متوقعة لطلبة تأريخ المدنية ، وعلى الأخص لأولئك الذين يعنون بمظاهرها العقلية والروحية . وليس كثيراً توقعنا بأن يثبت اكتشاف واعادة بناء هذا الأدب القديم الذى بقى منسياً فترة طويلة ، فى نهاية الأمر على أنه هبة رئيسة قدمها عصرنا الحاضر إلى العلوم الإنسانية .

على أن إنجاز هذه المهمة إنجازاً كاملاً ليس بالأمر اليسير . فهو يستلزم جهوداً مخلصة من أكثر من باحث واحد فى علم المسماريات خلال السنوات القادمة . لأنه على حين أن أكثر الوثائق قد اكتشفت قبل أكثر من نصف قرن فإن ضم أجزاء المؤلفات المدونة فيها إلى بعضها البعض وترجمتها لم يتقدما إلا تقدما بسيطاً نسبياً خلال العقود التي تلت اكتشافها . فقبل كل شىء كانت الأغلبية العظمى من الألواح التى استخرجت من الأرض مكسرة ومهشمة ، حتى إن جزءاً صغيراً فقط من محتوياتها

الأصلية ظل محفوظاً على كل منها . إلا أن مما يعوض عن هذا النقص هو حقيقة أن الكتاب القدامى كانوا بصورة عامة يعدون أكثر من نسخة واحدة لأى قطعة أدبية معينة . ولهذا فإن الثغرات والفراغات الموجوده فى لوح أو فى كسرة لوح قد يستحصل على كتاباتها فى الغالب من ألواح أخرى مطابقة لها حتى وإن كانت هذ نفسها مهشمة أيضاً . وللإستفادة من هذه النسخ المتطابقة ومن القطع التى أعيدت كتاباتها نتيجة لهذا التطابق استفادة كاملة ، من الضرورى على كل حال وضع أكثر ما يمكن من المادة الأصلية بين يدى الباحثين بشكل منشور . وهذا يستلزم فى كثير من الأحيان استنساخ مئات ومئات من الألواح المدونة باليد استنساخاً دقيقاً ، وهذه مهمة مضنية وتتطلب وقتاً طويلاً . فلا عجب إذا لم يتيسر حتى سنة ١٩٣٥ ، إلا جزء صغير نسبياً من الوثائق الأدبية السومرية على الرغم من الجهود المخلصة التى بذلها عدد من المختصين بالكتابة المسمارية من أمثال : « هيرمن هلبرشت » و « هجورادواو » و « استيفان لانجدون » و « آل . دبليو . كنج » و « هاينرش زيمرن » و « سيريل جاد » « وهنرى دى جنويلاك » و « آرنو پوبل » و « أدوارد كييرا » .

لقد كرست لمعالجة هذه الحالة ، معالجة جزئية على الأقل ، كثيراً من الخمس والعشرين سنة الماضية فى دراسة واستنساخ النصوص الأدبية السومرية غير المنشورة والمبعثرة فى كافة المتاحف فى العالم . ولكنه بمرور السنين بدأ يتضح أكثر فأكثر أن هذا العمل لم يكن مهمة رجل واحد . ولحسن الحظ أظهر فى السنوات العديدة الماضية عدد من الباحثين كثيراً من التحمس والنشاط للتعاون فى هذا الحقل وهم : « ادموند جوردون » الذى فتحت دراسته للأقوال المأثورة والقصص الخرافية السومرية آفاقاً جديدة فى الدراسات المقارنة لأدب الحكمة فى العالم ، و « معزجك » و « هاتيس كيز يلنياى » أمينتا قسم الألواح فى متحف الشرق القديم فى اسطنبول ، و « اينزبيرنهارت » مساعد أمين مجموعة « هلپرشت » فى جامعة « فردريش شيلر » فى « يينا » و « يوجين برجمن » من المعهد البابوى لدراسات الكتاب المقدس فى روما ، و « جورج كاستيلنو » من جامعة روما . وفى نفس الوقت مازال « ج . أى.

ڤان دايك » ، تلميذ سابق من تلامذة « دى لياجر بويل » ، وآدم فلكنشتاين (لقد توفى هـذا العلامة قبل بضع سنين) يعملان على استنساخ ونشر نصوص أدبية سومرية من نصوص المتحف العراقى فى بغداد ، ومن مجموعة « بويل» فى « لايدن » وأهم من هذا كله ، أن عدة مئات من الألواح الأدبية السومرية المكتشفة بين سنة ١٩٢٣ و ١٩٣٤ فى مدينة « أور » ، والتى استنسخها فى غضون عدد من السنين « سيريل جاد » ، ستنشر فى المستقبل القريب . ومن كل ذلك نستطيع القول أن هناك سبباً وجيهاً للأمل بأن العقد القادم سيشهد نشر جزء كبير جداً من الألواح والكسر ذات التآليف الأدبية السومرية التي ما زالت منذ سنين راقدة هنا وهناك فى خزانات المتاحف المختلفة .

ولكن ، كما أظهرت التجربة — وكما يشهد على ذلك أكثر من متخصص واحد باللغة السومرية — حتى إذا أعطى الباحث نصاً كاملا لمؤلف أدبى سومرى ، فإن ترجمته وتحليله يضعان أمامه مهمة شاقة ، وقد تكون فى بعض الأحيان ممزقة للقلب . حقاً إن المشاكل النحوية السومرية لم تعد اليوم مشاكل حادة بالدرجة التى كانت عليها فى الأيام الأولى . ويعزى التقدم المرضى فى هذا الحقل إلى حد كبير إلى الجهود السابقة التى بذلها متخصصون بارزون بعلم المسماريات أمثال « ديلج » ، و «ثيورو—دانجن» و « وزيمرن » و « لاندزبرجر » ، وبصورة خاصة « پوبل » . فكتاب « پوبل » « أساس النحو السومرى »[1] الذى نشر قبل حوالى أربعين سنة ، هو الذى وضع النحو السومرى على قاعدة علمية ، وتبشر ، حتى فى الميدان المعجمى السومرى الصعب والمعقد ، إسهامات علماء من أمثال «فالكنشتاين» و «جاكبسون» و «لاندزبرجر» — مقتصرين على ذكر العمالقة فقط — فى التغلب على بعض أكثر العقبات تثبيطاً للعزم . وفى ضوء كل ذلك يبدو من المحتمل أن يشهد العقد القادم ، كنتيجة للاسهامات المتراكمة المشتركة لعلماء المسماريات فى العالم ، ترجمات موثوقاً بها نسبياً

---

(١) Grundzüge der Sumericheu Grammetik .

لعدد كبير من التآليف الأدبية ذات الأهمية الكبيرة . ومهما سيحصل ، فإننا فى الوقت الحاضر فى موقف يمكننا من إلقاء نظرة جديدة على الأدب السومرى بشكل عام . وهذا هو ما نهدف إلى إنجازه فى الاستعراض العام التالى .

إن الأدب السومرى ، كما يستخدم التعبير فى هذا الفصل ، يقتصر على الأساطير والقصص الملحمية ، والتراتيل والمرثيات والوثائق التاريخية ، وعلى المقالات المطولة والقصيرة ، والإرشادات الأخلاقية والأقوال المأثورة ، وسوف لا يشمل الكتابات النذرية التى لبعضها قيمة أدبية غير قليلة (انظر مثلا نصوص الملك « أينتميفا » فى الملاحق) ، ونصوص « أوروكاجينا » الاصلاحية (أنظر الملاحق) ، والرسائل السياسية التى لبعض منها نكهة أدبية بينة (أنظر الملاحق) . لقد بدأ السومريون على ما يرجح فى تدوين أعمالهم الأدبية حوالى سنة ٢٥٠٠ ق . م . على الرغم من أن أقدم الوثائق الأدبية المكتشفة حتى الآن تعود فى تأريخها إلى حدود سنة ٢٤٠٠ ق.م. فلدينا مثلا من هذا القرن تقريباً إسطوانة طينية صلدة كتب عليها عشرون حقلا لنص يتألف من أسطورة تتعلق بالدرجة الأولى بالإله «أنايل» وأخته « نيننخورساج » وتذكر عدداً من الآلهة السومرية الأخرى المعروفة جيداً مثل « إينانا » و «أنكى» و « نتورتا » . أما رواية هذه الأسطورة فإنها ما زالت غير واضحة ، ولكن المفردات والفقرات والمواضيع الواردة فيها تكشف عن أسلوب وتركيب يشبهان تماماً أسلوب وتركيب الأساطير التى تعود إلى زمن متأخر جداً ، مما يشير إلى وجود تطور أدبى متواصل ودائم فى غضون تلك القرون العديدة . وتأيد هذا بأسطورة أخرى دونت على لوح مهشم يرجع إلى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد ، تتعلق بابن « أنايل » « أشكور » الإله — العاصفة الذى اختفى فى داخل العالم السفلى ، فجمع « أنليل » الحزين « الآنوناكى » لطلب العون منهم ، وكان الثعلب على ما يرجح هو الذى تطوع لإعادة «أشكور» من العالم السفلى — وموضوع الثعلب يعيد إلى الذهن إلى حد ما الموضوع الذى نجده فى أسطورة الجنة (أنظر الفصل الرابع) .

وهناك سبب وجيه يدفعنا على الاعتقاد بأن إنتاج السومريين الأدبى كان ينمو

على مر القرون ، حتى أصبح دون ريب غزيراً حوالى نهاية الألف الثالث ق . م . عندما أصبحت المدرسة السومرية ، الـ « إيدوبا » ، مركزاً مهماً للتربية والتعليم . واستمرت الأعمال الأدبية السومرية دون عائق يقف فى طريقها خلال النصف الأول من الألف الثانى على الرغم من حقيقة أن اللغة الأكدية السامية كانت تحل تدريجاً محل اللغة السومرية كلغة للكلام فى بلاد سومر . ففى المدرسة ، (الأيدوبا) ، التى كانت تعمل خلال فترة سلالة « إيسن » كلها ، بل وحتى فيما بعد تلك الفترة ، كانت الأعمال الأدبية القديمة تدرس وتستنسخ وتنقح بنشاط وتحمس ، وبعناية وتفهم ، حتى إن الأعمال الأدبية التي وصلت إلينا كلها تقريباً لم تعرف إلا من نسخ وتنقيحات أعدت فيما يمكن وصفه بفترة ما بعد الـ « أيدوبا » (أى المدرسة) السومرية . بل إن المعلمين والشعراء والكتاب الناطقين على ما يفترض باللغة الأكدية ، الذين كانوا يؤلفون الهيئة العاملة فى الـ « أيدوبا » ابتدعوا أعمالا أدبية سومرية جديدة على الرغم من أنهم كانوا يحذون فى أعمالهم — وهذا أمر طبيعى جداً — حذو الوثائق القديمة فى الشكل والمحتوى والأسلوب والنموذج .

وكان غالباً ما يفترض بأن الأعمال الأدبية السومرية كلها ذات طابع دينى وأنها كانت تؤلف وتنقح من قبل الكهنة من أجل استعمالها فى الطقوس المعبدية . ولكن إذا استثنينا التراتيل والمرثيات ، يصعب الدفاع عن ذلك الرأى . فلو بدأنا بأكثر الحالات وضوحاً ، فإنه مما ينافى العقل أن نفترض بأن الأقوال المأثورة والإرشادات الخلقية أو المقالات السومرية التى تتعلق بالـ « أيدوبا » ، (أى المدرسة) ، كانت تكتب من قبل الكهنة وللكهنة ، أو أنها كانت ذات صلة بأى شكل من الأشكال مع الطقوس المعبدية . كما لا يوجد أى أساس صحيح للافتراض القائل إن القصص الملحمية التى تحوم حـــول الأبطال « إينمركار » و « لوجال بندا » و « جلجامش » كانت تؤلف من قبل الكهنة وترتل فى المعبد . ولا توجد إشارة حتى بالنسبة للأساطير إلى أنها كانت ترتل فى صلوات المعبد والإحتفالات الدينية . وعلى الأقل لم يحدث هذا خلال الفترات السومرية أو فى فترة مبكرة فيما بعد العهود

السومرية . ويبدو من المعقول فى حالة التراتيل والمرثيات فقط أن نفترض بأنها كانت تؤلف وتنقح لفرض استخدامها فى الطقوس العبدية . ولكن بما أن الألواح التى دونت عليها التراتيل والمرثيات ، كالألواح التى دونت عليها النماذج الأخرى من الأعمال الأدبية ، لم يعثر عليها فى المعابد ، كما نعرف من التنقيبات الحديثة التى أجريت فى مدينة « نفّر » ، وإنما فى الحى الخاص بالكتاب ، فإنها لا بد أن تكون أيضاً قد ألفت فى الـ « أيدوبا » ، (المدرسة) ، من قبل أعضاء هيئتها التدريسية وليس من قبل الكهان . وفى الواقع لم يذكر الكهان فى أى مكان كجزء من هيئة الـ « أيدوبا » التدريسية .

وكان الـ « نار » ، أو المغنى ، الذى يذكر أحياناً فى التراتيل جنباً إلى جنب مع الـ « دوبسار » ، أو الكاتب ، شخصية بارزة فى نمو الأدب السومرى وتطوره ، ولكن علاقته بالـ « أيدوبا » غير واضحة . وعلى أية حال ، كان بعض المتخرجين فى الـ « أيدوبا » ، على ما يحتمل ، يتخصصون بالتآليف الدينية وينخرطون فى خدمة المعبد لتعليم المغنين والموسيقيين التابعين له ، والإشراف على الطقوس الدينية وإدارتها ، بينما كان آخرون يتخصصون بالأساطير والقصص الملحمية وينخرطون فى خدمة القصر لتدريب وتدريس مغنى القصر والقائمين بأعمال الترفيه فيه . بيد أننا لا نملك عملياً حتى الآن أية معلومات عن هذه التفاصيل وما شاكلها . كما لا نعرف أى شىء عن المستمعين أو « الجمهور القارىء » ، الذين كانت الأعمال الأدبية السومرية تهيأ لهم . وكان باستطاعة خريجى الـ « أيدوبا » فقط الكتابة والقراءة ، ولم يمارس حتى « المتعلمون » عملية جمع مكتبات خاصة لمتعتهم وانتفاعهم الشخصى ، وعلى ما يرجح كانت الـ « ايدوبا » فقط تمتلك مكتبة ولو أن المعبد والقصر ربما كانا يمتلكان أيضاً نسخاً من تلك التآليف التى كانت ذات علاقة باحتياجاتهما الخاصة . ولم تبق الأعمال الأدبية السومرية على « رفوف » الـ « أيدوبا » لأغراض تعليمية فقط ، ولابد أن تكون قد استخدمت بطريقة أو أخرى فى اجتماعات عامة سواء عقدت هذه الاجتماعات فى المعبد أو القصر أو فى السوق العامة .

لقد كتبت الأغلبية العظمى من الأعمال الأدبية السومرية بصيغة شعرية . ولم يعرف استخدام الوزن مطلقاً ، ولكن جميع الأساليب والوسائل الأخرى تقريباً ، كالتكرار والطباق والتورية والتشبيه واللازمة والدور ، استخدمت بمهارة وخيال وفعالية كبيرة . والشعر القصصى السومرى — كالأساطير والقصص الملحمية مثلا — ملىء بالنعوت الجامدة والتكرار المطول ، وبالصيغ المعادة وبالأوصاف المفصلة بروية وبالخطب المطولة . ولا يظهر الكتاب السومريون بصورة عامة إلا ميلا ضعيفاً جداً نحو بناء رواية متماسكة ، وتنزع قصصهم إلى التجوال الواسع بلا ترابط وبصورة رتيبة ، مع قدر يسير من التنوع فى التأكيد والنبرة . وفوق كل شىء ، كان ينقص الشعراء السومريين فيما يبدو إحساس بذروة الإنفعال فى قصصهم إذ لا تظهر الأساطير والقصص الملحمية إلا تصعيداً ضعيفاً للعاطفة ولاتدفع القارىء إلى الترقب خلال تطور القصة ، وفى الغالب لاتكون آخر حادثة فيها أكثر تهييجاً وإثارة للقارىء من الحادثة الأولى . كما لاتوجد أية محاولة لإبراز خصائص شخصيات الرواية ووصف حالاتهم النفسية . وهناك ميل نحو إبراز آلهة وأبطال القصص السومرية كنماذج عامة واسعة أكثر من إبرازهم كأفراد بلحم ودم يمكن تمييز شخصياتهم .

وجاءت الأساطير السومرية المكتشفة فى الوقت الحاضر كلها أو أغلبها على الشكل التالى : اثنتان يلعب فيهما الإله « إنليل » الدور الرئيسى وهما « إنليل ونليل : ولادة — الإله — القمر » و « خلق الفأس » ، وأربع أساطير يلعب فيها الإله « أنكى » دور البطولة وهى : « أنكى ونظام الكون : تنظيم الأرض ومقوماتها الحضارية » و « أنكى ونينخورساج : أسطورة جنة سومرية » و « أنكى ونماخ : خلق الإنسان » و « أنكى وأريدو » . وأسطورة واحدة تتعلق بالإله — القمر « نانا —سين » وهى « رحلة نانا—سين إلى نفّـر » ، واثنتان تخصان الإله « ننورتا » وهما « أعمال ومآثر ننورتا » و « عودة ننورتا إلى نفّـر » وخمس تلعب فيها الإلهـة « إينانا » الدور الرئيسى وهى « إينانا وأنكى : حمل فنون المدنية من أريدو إلى

الوركاء » و « إينانا واخضاع جبل ايبيخ » و « إينانا وشوكالتودا : اثم الفلاح المميت » و « نزول إينانا إلى العالم السفلى » و « إينانا وبيلولو » ؛ وأربع يلعب فيها الإله « دوموزى » الدور الرئيسى وهى « دوموزى وإنكيدو : التودد لإينانا » و « دوموزى والجالا (الشياطين) » ، وأسطورة واحدة تتعلق بإله « ألمارتو » ، الساميين البدو الذين يعيشون إلى الغرب من بلاد سومر وهى « زواج مارتو » ، وأسطورة الطوفان ، التى ما زالت هوية الإله (أو الإلهة) الذى كان البطل الرئيسى فيها مشكوكاً فيها . (لخصت أحداث هذه الأساطير جميعها تقريباً فى الفصل الرابع) .

ومن الأمثلة الممتازة التى توضح الخيال الميثولوجى السومرى هو أسطورة (أنكى) ونظام الكون » وهى واحدة من أطول القصائد القصصية السومرية الموجودة وأحسنها من حيث الحفظ لأن جميع محتوياتها أو أغلبها وصلت سليمة . يتألف هذا النص من حوالى ٤٦٦ سطراً ، حفظ منها حوالى ٣٧٥ سطراً بصورة كاملة أو فى جزء كبير منها . وأخطر الثغرات هى الموجودة فى بداية النص ونهايته وفى الفقرة الواقعة بين سطر ١٤٦ و ١٨١ . وجمع النص التيسر الذى قدم هنا لأول مرة باللغة العربية[1] ، من اثنى عشر لوحاً وكسرة لوح وأهم هذه كلها — وهى القطعة التى دلت على أنها أساسية لإعادة بناء القصيدة — لوى مكون من ثمانية حقول دون عليه فى الأصل نص الأسطورة بأكمله . ولسوء الحظ وجد هذا اللوى مشطوراً إلى جزئين عندما استخرج من التراب فى تنقيبات « نفّر » القديمة ، واستقر نصف فى متحف الجامعة فى جامعة بنسلفانيا فى فلادلفيا والنصف الآخر فى مجموعة « هلبرشت » فى جامعة « فردريش شيلر » فى « يينا » . إن نص الجزء الأخير لم يتيسر للباحثين إلا فى عهد قريب جداً وأصبحت إعادة كتابة الأسطورة الحالية ممكنة كنتيجة لربط نص القطعتين اللتين ظلتا متباعدتين زمناً طويلا .

---

(١) الأصل باللغة الانجليزية . (المترجم) .

يبدأ الشاعر بترتيلة حمد موجهة إلى الإله « أنكى » أصاب التلف قسما منها مما جعلها غير مفهومة ، ولكن إذا تكلمنا بصورة عامة ، تبدو بأنها تمجد «أنكى» بصفته الإله الذى يرقب الكون وموكل بخصوبة الحقل والمزرعة ، والسرب والقطيع، ثم تعقب ذلك أنشودة فى تمجيد الذات وضعت على لسان « أنكى » ، وتتعلق بصورة رئيسة بعلاقته بآلهة المجمع الإلهى الرئيسة « آن » و « أنليل » و « ننتو » ، وبالآلهة الأقل شأناً المعروفة بمجموعها بالـ « آنوناكى » وبعد فقرة مختصرة مكونة من خمسة أسطر تتحدث عن ولاء الـ « آنوناكى » لـ « أنكى » ينطق « أنكى » مرة ثانية بأنشودة تمجيد لذاته . فيبدأ بتمجيد قوة كلمته وأمره فى تزويد الأرض بالرخاء والخير العميم ، ثم يصف روعة معبده « الآبزو » وينتهى بوصف رحلته المسرة فى الأهوار فى قاربه الـ « ماجور » « وعل الآبزو » ، تلك الرحلة التى أرسلت بعدها بلدان « ماجان » و « دلمون » و « ملوخا » سفنها المثقلة بشحنة من الهدايا الثمينة للإله « أنايل » . وبعد انتهاء هذه الفقرة ، يقدم « الآنوناكى » مرة أخرى الطاعة لـ « أنكى » ولا سيما بوصفه الإله الذى « يستحوذ » على الـ « ميات » (نواميس الآلهة وقواعدها) .

ويقدم الشاعر الآن وصفاً للشعائر والطقوس المتنوعة التى كان يؤديها بعض من أهم الكهنة والزعماء الروحيين فى بلاد سومر فى « آبزو » ، معبد «أنكى» . (لسوء الحظ أصاب التلف جميع النصف الثانى من الفقرة تقريباً) . وبعد فقرة أخرى لا يمكن التأكد من محتوياتها لأنها مهشمة ، نجد « أنكى » فى قاربه مرة أخرى . وبقيام مخلوقات البحر بتقديم الولاء له ، وانتشار الخير العميم فى الكون أصبح « أنكى » مستعداً « لتقدير المصائر » مبتدئاً ، كما كان منتظراً ، ببلاد سومر نفسها ، فرفع أولا من قدرها كبلاد مختارة مقدسة بـ «ميات» (أى نواميس) «سامية» و « لا تمس » ، بلاد اتخذت الآلهة مساكنها فيها ، وبارك أسرابها وقطعانها ومعابدها ومزاراتها . ثم انتقل من سومر إلى « أور » التى مجدها بلغة رفيعة فيها كثير من المجاز ، وأنعم عليها بالرخاء والسيادة ثم توجه نحو « ملوخا » وأنعم عليها بسخاء عظيم بالأشجار

والقصب والثيران والطيور والذهب والقصدير والبرونز . ثم بدأ بتزويد « دلمون » ببعض احتياجاتها . أما بالنسبة لبلادى « عيلام » و « مرخاشى » ، وهما بلدان معاديان ، فقد تصرف أزاءها تصرفاً غير ودى وشرع بتدميرها وأخذ كل ثرواتهما ، بينما « قدم » من الناحية الأخرى إلى الـ « مارتو » البدو « ماشية كهدية » .

وترك الآن « أنكى » تقدير مصائر البلدان المختلفة التى كانت تؤلف العالم السومرى المأهول وأنجز سلسلة كاملة من الأعمال الحيوية بالنسبة لخصوبة الأرض وقدرتها على الإنتاج ، فأتجه أولا إلى معالمها الطبيعية وبدأ بملء دجلة بالماء النمير الرائق الذى يهب الحياة — أو كما ورد فى خيال شاعرنا المجازى الصرف . من أن أنكى » ثور هائج يضاجع النهر الذى تخيله كبقرة وحشية . ثم ، ليتأكد من أن دجلة والفرات سيقومان بمهمتهما ، عين الإله « إينبيلولو » « مفتش القناة » مسؤولا عنهما . و «يدعو» « أنكى » بعد ذلك منطقة الأهوار وأجمة القصب ويمدها بالأسماك والقصب ويعين إلهاً « يحب السمك » ، إسمه غير واضح ، مسؤولا عنهما . ثم اتجه نحو البحر وشيد هناك مزاره المقدس ، ووضع الإلهة « نانشه » « سيدة سيرارا » مشرفة عليه . وأخيراً « دعا » المطر واهب الحياة ، وجعله يسقط على الأرض وعهد به إلى الإله — العاصفة « أشكور » .

وتوجه الآن « أنكى » نحو الأرض واحتياجاتها وأولى عنايته بالمحراث والفدان والحقل وعين فلاح « أنليل » « أنكيمدو » ، إلهاً لها . و « دعا » بعد ذلك الحقل المزروع وخلق حبوبه وخضرواته المتنوعة وأوكل شئونها إلى إلهة القمح « أشنان » ونظر إلى المعول وقالب الآجر ، وعين إله الآجر « كولا » مشرفاً عليهما . ثم وضع الأسس وصفّ الآجر وشيد « البيت » وعين « موشداما » ، بنّاء (أنليل) العظيم ، مشرفاً عليه .

وبعد أن ترك المزرعة والحقل والبيت توجه « أنكى » نحو السهل العالى وغطاه بنباتات خضراء ، وضاعف ماشيته وجعل « سوموجان » « ملك الجبال » مشرفاً

عليها . ثم أقام بعد ذلك مرابط وحظائر الغنم ، وأمدها بأحسن السمن واللبن . وعين الإله — الراعى « دوموزى » مشرفاً عليها . ثم حدد « أنكى » « الحدود » — التى كانت على ما يفترض حدود المدن والدول — وأقام أحجار الحدود[1] ووكل الإله — الشمس « أوتو » « بالـكون كله » . وأخيراً التفت « أنكى » بعناية إلى « ذلك الذى هو من عمل المرأة » وخاصة حياكة الملابس ، وجعل « أوتو » إلهة النسيج مسؤولة عن ذلك .

وتأخذ الأسطورة الآن اتجاهاً لم يكن متوقعاً ، وذلك عندما يقدم الشاعر الإلهة « إينانا » الطموحة المغامرة التي كانت تشعر بأنها قد أهملت وتركت دون أن تـكون لها سلطات وامتيازات خاصة بها ، وتشتـكى « إينانا » بمرارة من أن أخت « أنليل » « آرورو » (المعروفة بـ « ننيو ») وأخواتها (أى أخوات « إينانا ») الإلهات « ننسنا » و « ننموج » و « نيدابا » ، و « نانشه » قدتسلمن جميعهن سلطاتهن والشارات الخاصة بكل واحدة منهن ، ولـكنها هى « إينانا » قد خصت بمعاملة تتصف بالإهمال وعدم المراعاة لمشاعرها . ويبدو أن « أنكى » وضع فى موقف المدافع أمام شـكوى « إينانا » فحاول إرضاءها بالاشارة إلى أنها كانت تمتلك فى الواقع عدداً كبيراً من الشارات والإمتيازات الخاصة — وهى «العصا والصولجان وعصا الرعوية » ، والقدرة على التنبؤ عن طريق الوحى بالنسبة للحرب والمعركة ، وحياكة الملابس وصناعتها ، والقدرة على تدمير « ما هو غير قابل للتدمير » وإهلاك « ما هو غير قابل للهلاك » ، بالإضافة إلى ما أنعم عليها من نعمة خاصة . وبعد جواب « أنـكى » لـ « إينانا » ، تنتهى القصيدة على ما يرجح بترتيلة مكونة من فقرة ذات أربعة سطور موجهة لـ « أنكى » .

ونقدم الآن ترجمة لنص القصيدة الموجودة (تاركين ، على كل حال ، الخمسين سطراً الأولى المهشمة والغامضة) .

---

(١) أنظر هامش ص ٩ . (المترجم)

عندما يظهر الأب « أنكى » فى الأرض التى بذرت فيها البذور ، فإنها تنتج بذوراً كثيرة الثمر ،

وعندما يظهر « نوديمود » إلى شاتى الولودة ، فإنها تلد الحمل ،

وعندما يظهر إلى بقرتى « حاملة البذرة » ، فإنها تلد العجل المخصب ،

وعندما يظهر إلى عنزتى الولود ، فإنها تلد الجدى المخصب ،

وعندما تذهب إلى الحقل ، إلى الحقل المزروع ،

فإنك تكدس أكواماً وتلالا من الغلة فوق السهل العالى ،

(أنت) ... الـ ... من الأرض اليابسة (؟) .

« أنكى » ، ملك الآبزو » ، الذى لا يقاوم (؟) فى جلاله ، يتكلم بثقة :

« أبى ، ملك الكون ،

قد أتى بىَ إلى الوجود فى الكون ،

سلفى ، ملك البلدان كلها ،

جمع الـ « ميات » كلها ، ووضع الـ « ميات » بيدى .

من « ايكور »[1] ، بيت « إنليل » ،

جلبت المهارة الفنية إلى « الآبزو » ، بيتى فى « أريدو » .

أنا البذرة المنتجة ، ولدنى الثور الوحشى العظيم ؛ أنا أبن « آن » البكر .

أنا الـ « عاصفة العظيمة » التى تنطق من « الأسفل العظيم »(أى الأعماق) ،

أنا سيد البلاد .

---

(١) « ايكور » معبد « انليل » فى مدينة « نفر » ويعنى الإسم حرفياً « البيت الجبل » (اى — كور) . المترجم

أنا « جوجال » الزعماء ، أنا والد البلدان كلها ،
أنا الـ « أخ الكبير » للآلهة ، أنا الذى يأتى بالرخاء الكامل ،
أنا أمين سجل السماء والأرض ،
أنا أذن وعقل (؟) البلدان جميعها ،
أنا الذى يدبر شؤون العدل مع الملك « آن » على منصة « آن » ،
أنا الذى يقدر المصائر مع « إنليل » فى « جبل الحكمة » ،
لقد وضع بيدى تقدير مصائر (الموضع الذى تشرق الشمس فيه) ،
أنا الذى تقدم له « ننتو » الطاعة الواجبة ،
أنا الذى سمى باسم حسن من قبل الإلهة « نينخورساج » ،
أنا زعيم « الآنوناكى » ،
أنا الذى ولدت كأبن بكر لـ « آن » المقدس ،

بعد أن نطق (؟) الرب بتمجيد (ذاته) ،
وبعد أن أعلن السيد العظيم الثناء (على نفسه) ،
حضر « الآنوناكى » أمامه متضرعين متوسلين :
أيها الرب الذى يدير شؤون المهارات الفنية ،
والذى يقرر القرارات ، أيها المبجل ، يا « أنكى » حمداً لك ! »

ومرة ثانية ، بسبب فرحه العظيم ،
« أنكى » ملك « الآبزو » ، بجلاله ، يتكلم بثقة :
« أنا الرب ، الذى أمره لا يعارض ، أنا الأول فى الأمور كلها ،

بأمرى شيدت الإصطبلات ، وسوِّرت الحظائر

وعندما اقتربت من السماء هطل على الأرض مطر الخير من السماء

وعندما اقتربت من الأرض حصل فيضان عظيم ،

وعندما اقتربت من مروجها الخضراء ،

تكدست أكوام وتلال (من الغلة) بأمرى .

لقد شيدت [بيتى] ، وهو مزار ، فى موضع طاهر ، وأطلقت عليه اسماً حسناً .

شيدت « الآبزو » ، وهو مزار ، فى ... ، وقدرت له مصيراً حسناً .

إن ظل بيتى [يمتد] فوق هور « الحية » ،

... بيتى يلتحى بلحية بين (؟) نباتات « العسل » (؟) ،

الأسماك تهز الذيل له فى (؟) [قصب — الجيزى الصغير] ،

وتزقزق العصافير فى ... ها ،

حامل السلاح ... ،

جاء إلىَّ ، إلى « أنكى » ،

« الأبجال » ،

... [إلى] ... [ى] ...

« الأنكوم » و الـ [نينكوم] ... ،

وملأت الأغانى المقدسة والرق « الآبزو » (بيتى) .

قاربى « الماجور » ، التاج ، « وعل آبزو » —

عمَّ فى وسطه سرور عظيم ،

أرض الأهوار العظيمة ، مكانى المفضل ،

تمد لى ذراعيها ، وتحنى (؟) لى رقبتها ،

كان « الكارا » يجذبون (؟) المجاديف بانسجام ،

ويغنون أغانى عذبة ، تجعل النهر ينشرح ،

« نيمجيرسيج » رئيس [قاربى — الما] جور ،

[حمل] الصولجان الذهبى [من أجلى] ،

أنا ، « أنكى » [...] القارب « وعل الآبزو »

أنا ، الرب ...

أنا ، « أنكى » ، ...

(أصاب التلف هنا حوالى خمسين سطراً)

أريد أن أشرف على أرزها الأخضر (؟) ؟

بلا [د] « ماجان » و « دلمون » ،

رفعتا بصريهما إلى ، « أ[نـكى] »

أوثق (؟) سفينة « دلمون » بالأرض (؟)

وحمل سفينة « ماجان » إلى علو السماء .

أما سفينة « ملوخا » « الماجيلوم » ،

فتنقل الذهب والفضة ،

وتأتى بهما إلى « نفـر » لـ « إنليل » [ملك] البلدان كلها » ،

له ، للذى ليست له مدينة ، للذى لا يملك فرساً ،

لـ « لمارتو » قد[م] « أنكى » الماشية كهدية ،

إلى الأمير [العظيم] ، الذى ظهر فى [بلاد] ه ،

تقدم « الآنوناكى » بالطاعة الواجبة (قائلين) :

« أيها الرب الذى يحتفظ بـ « الميات » العظيمة ، « الميات » الطاهرة ،

ومن هو موكل بالكون الواسع ،

من تسلم « قرص الشمس » الرفيع فى « أريدو » ، الموضع الطاهر ،

أغ[لى] موضع ،

يا « أنكى » ، يارب الكون ، حمداً لك ! »

للأمير العظيم الذى يظهر فى أرضه ،

السادة جميعهم ، والزعماء جميعهم ،

وكهنة التعزيم فى « أريدو »

و « لابسو الكتان » فى بلاد سومر

يقيمون شعائر التعزيم الخاصة بـ « الابزو »

وإلى (؟) الأب « أنكى » فى (؟) المكان المقدس ... يوجهون خطاهم ،

وفى صالة النوم ، البيت الأميرى ... ،

وفى المواقف ينادون أسم[ه] ،

فى (؟) المزار الرفيع « الآبزو » [هم] ... ،

(أصيبت فى هذا الموضع ستة وثلاثون سطراً بتلف كبير)

كان « نيمجير سيج » ، رئيس سفينة « االماجور »

يـ[مسك] بالصولجان المقدس لسيده ،

وأدى « لاخاما » البحر الخمسون الطا[عة له] ،

« الكارا » ... مثل طير ... السماء .

من أجل الملك ، الأب « أنـكى » ، الواقف باعتزاز فى البلاد ،

الأمير العظيم الذى ظهر فى بلاده ،

عم الرخاء فى العالم .

« إنكى » يقدر المصير :

« يا سومر ، يا « أيها الجبل » العظيم « يا بلد العالم » » ،

أنت مغمور بالنور الثابت ، يا من توزع « الميات » (أى نواميس الآلهة)،

من شروق الشمس إلى غروبها (؟) على الناس ،

إن نواميسك نواميس سامية ، لا يمكن إدراكها ،

وقلبك عميق ، لا يسبر غوره .

... الثابت ، مكانك حيث تلد الآلهة ، لا يمس كالسماء .

المولود ملـكاً ، الذى يضع التاج الأبدى على رأسه ،

المولود سيداً ، الذى يضع التاج على رأسه ،

سيدك سيد مبجل ، إنه يجلس مع الملك « آن » على عرش « آن » ،

وملـكك — هو « الجبل العظيم » ، الأب « أنليل » ،

قد ... لك من قبل (؟) الـ ... كشجرة أرز — أبو الأقطار جميعها ،

و « الآنوناكى » — الآلهة العظيمة ،

اتخذت مواطنها فى وسطك ،

وتأكل (طعامها) فى « جيجونا » ك المشجرة ،

أيها البيت — ياسومر — عسى أن تشيد حظائرك العديدة . وعسى أن تتضاعف أبقارك .

وعسى أن تشيد حظائر أغنامك العديدة ، وعسى ألا تعد أغنامك ،
وعسى أن ترتفع « جيجونا » لك إلى السماء .
وعسى أن تقدر « الآنوناكى » المصائر فى وسطك » .

وتابع رحلته إلى المزار « أور » .
« أنكى » ملك « الآبزو » يقرر مصيرها :
أيتها المدينة ، التى تمتلك كل ماهو لائق ، المطهرة بالماء ، أيها الثور الواقف بثبات ،
يامنصة خير الجبال ، أيتها الركب المفتوحة[1] ، أنت خضراء كالجبل ،
أنت بستان « خاشور » الوارف الظل ، إن من هو جليل بسبب قوته (؟)
قد أدار نواميسك المثالية ،
« إنليل » الجبل العظيم قد أعلن اسمك السامى فى الكون .

يا « أور » يامن هى مزار ، عسى أن ترتفعى إلى عنان السماء » .
وتابع رحلته إلى بلاد « ملوخا » .
«أنكى» ملك « الآبزو » [يقدر] قدرها :
أيتها الأرض السوداء ، عسى أن تكون أشجارك أشجاراً كبيرة ، [عسى أن تكون] أشجار [الجبل] ،
و [عسى] أن [تملأ] عروشها[2] القصر الملكى ،
وعسى أن يكون قصبك قصباً كبيراً ، [عسى أن يكون] قصب [الجبل] ،

(١) إن المقصود من هذا الوصف غير واضح . (المترجم) .
(٢) يعود الضمير إلى الاشجار ، ويقصد بذلك ما يصنع من الخشب ويستخدم فى القصور الملكية . (المترجم)

وعسى الأبطال فى ساحة المعركة [يستخدمون] [أسلحتهم بمهارة] ،
وعسى أن تكون ثيرانك ثيراناً كبيرة ، [عسى أن تكون] ثيران [الجبل] ،
وعسى أن تكون صيحتها صيحة ثيران [الجبل] المتوحشة ،
وعسى أن تح[سن] نواميس الآلهة العظيمة [لك] .
و [عسى أن تلتحى] طيور — « الدارا » الجبلية كلها بلحى من [العقيق] ،
و [عسى] أن يكون طيرك طير الـ « خايا » ،
و (عسى) أن تملأ تغريداته القصر الملكى ،
عسى أن تكون فضتك ذهباً ،
وعسى أن يكون نحاسك قصديراً وبرونزاً
وعسى أن [يتضاعف] سكانك ،
وعسى أن ينطلق .. لك كثور الى ... »
... مدينة ...
عاملها (؟) كما .... ،
ونظف ، وظهر [أرض دلـ] ون] ،
وعين « نينسيكيلا » مسؤولة عنها ،
أعطى .. كما .. وهو يأكل سمكها الـ .. ،
وأعطى .. كحقل مزروع (؟) وهو يأكل (تمـ)ـر(ها)
... عيلام ومرخاش ...
قد (قدر لهما) أن يبتلعا كسمك الـ .. ،

الملك (وهو «أنكى على مايفترض) الذى وهبه « إنليل » القوة ،
دمر بيوتهما ، وهدم أسوارها .
ونقل معدنهما (الثمين) وحجر اللازورد (ومحتويات) عنابرها .
إلى « نفّـر » من أجل « إنليل » — ملك الأقطار جميعها .

له ، لمن لايشيد مدينة ، ولا يبنى (بيتاً) ،
لـ « مارتو » — قدم «أنكى» الماشية كهدية ،
وبعد أن ألقى ببصره من تلك البقعة ،
بعد أن رفعه الأب «أنكى» فوق نهر الفرات ،
نهض باعتزاز كثور هائج ،
ورفع قضيبه واستمنى ،
وملأ دجلة بالماء النمير ،
البقرة المتوحشة ، التى تخور من أجل عجلها فى المراعى ، والأسطبل (الملىء) بالعقارب ،
د[جلة] استس[لمت] له ، كما (لو تستسلم) لثور هائج .
ورفع القضيب ، وأتى بهدية العرس ،
ومنح نهر دجلة السرور ، وكثور متوحش كبير (ابتهج (؟)) به عند ما أنجب ،
إن الماء الذى جاء به ماء نمير ، و « نبيذ » حلو المذاق ،
والغلة التى جلبها ، الناس يأكلون حبوبها المختلفة الألوان ،
لقد [ملأ] « الأيكور » ، بيت « إنليل » بالممتلكات ،

« إنليل » يبتهج بـ « أنـكى » و « نفَّـر » [تبتهج] .

وضع الرب تاج السيادة على رأسه ،
و[لبس] العُـصابة الملـكية الثابتة ،
ووطأ الأرض على جانبه الأيسر ،
فخرج الرخاء من الأرض لأجله .
بعد أن حمل الصولجان بيده اليمنى ،
ولـكى يجعل دجلة والفرات « يأكلان معاً » ،
هو من ينطق بكلمة ... وفقاً لـ ... ،
السيد الذى يقرر المصير ، « أنـكى » ملك « الآبزو » ،
عين « أنبيلولو » ، مفتش القنوات ،
مسؤولا عنهما ، (أى دجلة والفرات) .

ثم د [عا الأهوار] ، ووضع فيها سمك الشبوط[1] (و) سمك الـ ..
ود [عاجة القصب] . ووضع فيها قصب الـ ... (و) القصب الأخضر ،
(فقد سطران)
ثم [أصدر] تحد [ياً ...] .
هو ، من لا تنجو من (شبكته) سمكة ،
ومن لا ينجو من مصيدته ...
ومن لا ينجو طير من فخه ،
... ابن ...
... (إله) يحب السمك ،

(١) نوع من السمك يكثر فى دجلة والفرات وخاصة فى القسم الجنوبى من العراق. (المترجم)

عينه « انــكى » مسؤولا عنها (أى عن الأهوار وأجمة القصب) .

الرب شيد مزاراً (؟) مزاراً مقدساً — قلبه عميق ،

شيد مزاراً (؟) فى البحر ، مزاراً مقدساً ، قلبه عميق

المزار — وسطه ... ، لا يعرفه أحد ،

الـ [المزار] — موقعه برج الـ .. « أيـكو » ... ،

الـ [المزار] السامى ، فى الأعالى (؟) يقع موقعه (؟) إلى جانب برج «العربة» ،

الـ ... من الرجفة .. (ميلامها) ... ،

جاء « الآنوناكى » بالصلاة والتضرع ،

[وأقاموا] لـ « أنـكى » فى « أى — انجورا » منصة عظيمة

للسيد ... ،

الأمير العظيم ... و [لـ ...] .

طير الـ « أو » .. ،

(فقدت ثلاثة أسطر تقريباً فى هذا الموضع).

هى التى فيضان العمق العظيم ،

التى .. طير — « الإزى » وسمك « إيل » ... التى ... ،

التى تخرج من « زيباج » ، التى ... ،

سيدة سير [االأم نانشة] .

على البحر ومواضعه الـ ...

عينها « أنـكى » مشرفة .

ثم دعا المطرتين ، مياه السماء ،

وصفهما كغيوم عائمة ،

ووجه (؟) نسمة [حيات] ها (؟) نحو الأفق ،

وحول (؟) الأرض الجبلية إلى حقول ،

هو ، من يمتطى العاصفة العظيمة ، ومن يهاجم بالبرق (؟) ،

ومن يوصد المزلاج المقدس فى « قلب » السماء ،

ابن « آن » « جوجال » العالم ،

« إشكور » . . . . ابن « آن » ،

عينه « أنكى » مسؤولاً عنهما (أى عن الطارتين) ،

ووجه المحراث وفدان الـ ... ،

الأمير العظيم « أنكى »وضع « الثور المقرن » فى الـ ... ،

وفتح الأخاديد المقدسة ،

وجعل الغلة تنمو فى الحقل المزروع .

السيد الذى يلبس التاج ، زينة السهل المرتفع ،

القوى ، فلاح « إنليل » ،

« أنكيمدو » ، رجل القناة والسد ،

عينه « أنكى » مسؤولا (أى عن المحراث والفدان والحقل).

ودعا الرب الحقل المزروع ، ووضع هناك الغلة المتعددة الألوان

وكوم ... غلتها ذات الألوان المتعددة ، قمح ـ « الإينوبا» أكواماً ،

وضاعف « أنكى » الأكوام والتلال ،

ومع « إنليل » نشر الخير فى البلاد .

هى ، من رأسها وجانبها مرقطان ، ومن وجهها مغطى بالعسل ،

السيدة ، الولودة ، قوة البلا و « حياة » « ذوى الرؤوس السود » . (أى الشعب السومرى) .

« أشنان » ، الخبز المغذى ، خبز الجميع ،

عينها « أنكى » مشرفة على شئونها (أى أكداس القمح) :

الأمير العظيم وضع « الشبكة » فوق الفأس ثم وجه قالب (الآجر) ،

وأخصب الـ « أجارين » ، الزبدة اللذيذة ،

هو ، من سنه يشبه الفأس المكسر ، حية تبتلع الأجداث

. . . . ،

من قالبه الـ . . يأمر ... ،

« كولا » صانع آجر (؟) البلاد ،

عينه « أنكى » مسؤولا عنهما (أى عن الفأس وقالب الآجر) .

لقد شيد الإسطبلات ، ووجه شعائر التطهير ،

وشيد حظائر الأغنام ، ووضع فيها أجود السمن واللبن ،

وجلب السرور إلى قاعات طعام الآلهة ،

فى السهل الشبيه بالنبات ، نشر الرخاء ،

ممول معبد « أى — أنا » الموثوق به ، « صديق الإله آن » ،

الصهر المحبوب للإله « سين » المقدام ، وبعل « إينانا » المقدسة ،

السيدة ، ملكة « النواميس الإلهية » العظيمة كلها ،

الذى ، مرة بعد أخرى يشرف على ولادة الـ . . فى « كولاب »

« دوموزى » « اشو مجال السماء » الإلهى « صديق آن » ،

عينه « أنـكى » [مسؤولاً] عنها . (أى عن حظائر الأغنام ومنتجاتها) .
وملأ « إيكور » ، بيت « إنليل » ، بالممتلـكات ،
وابتهج « إنليل » بـ « أنـكى » ، وكانت « نفّر » مبتهجة ،
وثبت الحدود ، وحددها بأحجار الحدود ،
« أنـكى » ، شيد لـ « آنوناكى » ،
مساكن فى المدن ،
وأقام الحقول فى الريف لهم ،
البطل ، الثور الذى ينطلق من (غابة) « حاشور » ، ومن يزأر كالأسد ،
البطل « أوتو » الثور الذى يقف آمناً — الذى يستعرض قوته بفخر ،
والد المدينة العظيمة ، الموضع الذى تشرق الشمس فيه ، [رسول] « آن »
المقدس العظ[يم]
القاضى ، صانع قرارات الآلهة ،
الذى يلتحى بلحية من حجر اللازورد ، ومن ينطلق من السماء المقدسة ،
سماء الـ ... ،
« أوتو » ، الإبن الذى أنجبه [ننجا]ل ،
عينه « أنـكى » ليشرف على شئون الـكون كله .
ونسج نسيج « الموج » ، وأدار منطقة المعابد المقدسة ،
وحسن « أنـكى » كثيراً كل ما هو من عمل المرأة ،
لـ « أنـكى » ، الناس (....) كساء الـ ... ،
تاج (؟) القصر ، وجوهرة الملك ،
« أوتو » — المرأة المؤتمنة ، الجذلة (؟) ،

عينها « أنكى » لتدبير تلك الشئون .

بعدئذ بعفر [دها] ، بعد أن تخلت عن الصولجان الملكى ،
المرأة ... العذراء « إينانا » ، بعد أن تخلت عن الصولجان الملكى .
« إينانا » تد [خل] البيت إلى [ابيها] « أنكى » ،
باكية بتذ [لل] وتعلن عن شكواها (؟) (التالية) :
« إن مصير « الآنوناكى » ، الآلهة العظيمة —
وضعه « إنليل » بيدك ،
وأنا ، المرأة ، [رلتم] عاملتنى بعاملة مختلفة ؟
أنا — « إينانا » المقدسة — أين هى [امتيا] زاتى ؟
إن « آرورو » [أخت انليل] ،
و [ننتو] ، ملكة الجبا[ل] ،
[حصلت لنفسها] ... المقدس الخاص بالسيادة ،
وأخذت لنفسها ... وكراثا ،
وحصلت لنفسها على إناء السيلا المطعّم المصنوع بين حجر اللازورد ، وحملت لنفسها إناء « آلا » المقدس ،
لقد أصبحت مولدة البلاد ،
وفى يدها وضعت الملك الوليد ، والسيد الوليد ،
وأختى تلك نسنا » المقدسة ،
أخذت لنفسها «أونو» اللماع ، وأصبحت أمة فى خدمة « آن» ،
وأسكنت نفسها قرب (؟) « آن » ، وتنطق بالكلمة التى تملأ (؟) السماء .
وأختى تلك « نينموج » المقدسة ،

قد أخذت لنفسها المنحت الذهبي والمطرقة (؟) الفضية ،
وأصبحت عاملة المعادن في البلاد ،
ووضعت الملك (المولود) ، الذى يلبس التاج الدائم ،
والسيد المولود الذى يضع التاج على رأسه ، [بيدها] .
وأما أختى تلك — « نيدابا » المقدسة ،
فقد حصلت لنفسها على قصبة المقاييس ،
وربطت سلسلة من حجر اللازورد (؟) على ذراعها ،
وتعلن عن النواميس العظيمة جميعها ،
وتثبّت الحدود ، وتضع علامات حدود التخوم — وأصبحت كاتبة البلاد ،
ووضعت بيدها طعام الآلهة .
وأما « نانشه » السيدة ، فقد وقع . . المقدس على قدميها ،
لقد أصبحت مفتشة مصائد السمك في الـ [بحر] (؟) .
سمكا لذيذاً (و) . . .
تقدمه لـ [أبيها] « إنليل » .
أنا (المرأة) ، لم عاملتنى بعاملة مختلفة ؟
أنا « إينانا » المقدسة ، أين هى إمتيازاتى ؟
(حوالى ثلاثة أسطر مفقودة)
و . . . و . . .[1]
قد زين (؟) لك . . .
وترتدين هناك الكساء (؟) المسمى « قوة الشباب » ،

---

(١) هنا يبدأ جواب « أنكى » على شكوى « إينانا » . (المترجم)

وأنت وضعت الـكلمات التى ينطق بها (الشاب) .
وأشرفت على عصا الـكاهن والصولجان وعصا الرعوية ،
أيتها العذراء « إينانا » ، ماذا ، ماذا نزيد لك على ذلك .
الحروب (و) الهجمات — أنت تجيبين عن تساؤلات وسطاء الوحى بشأنها ،
فى وسطهم ، أنت التى لست طير — «أرابو» ، تجيبين (؟) بجواب لا يرضى (؟) ،
وتفتلين الخيط المستقيم ،
أيتها العذراء « إينانا » ، أنت جعلت الخيط الملفة [ول] مستقيما ،
وأعطيت الأكسية أشكالها ، وأنت تلبسين الحلل ،
وأنت التى نسجت نسيج — « الموج » ، وملأت المغزل بالخيط ،
فى . . لك قد صبغت (؟) خيط الـ . . ذا الألوان المتعددة .
يا « إينانا » أنت قد ...
يا « إينانا » أنت حطمت ماهو غير قابل للتحطيم ، وأهلكت ماهو غير قابل للهلاك ،
وأنت أسكت (؟) الـ . . « دف النواح » .
أيتها العذراء « إينانا » أنت أعدت تراتيل — «التيجى» وتراتيل « أدب »
إلى بيتها ،
أنت التى لا يكل المعجبون بها من النظر اليها ،
أيتها العذراء «إينانا» أنت التى لا تعرفين الآبار البعيدة ؟ وحبال (؟)
الشد .
أنظرى ! الفيضان ، أتى ، وعادت البلاد إلى الحياة ،
فيضان « أنليل » قد أتى ، وعادت البلاد إلى الحياة .
(لقد أصاب التلف التسعة عشر سطراً الباقية) .

وبانتقالنا من الأسطورة إلى الملحمة ، نجد أن السومريين كانوا بلا أدنى شك أول من أوجد وطوّر الأدب الملحمي المؤلف من روايات قصصية بطولية وضعت في صيغ شعرية . ومر السومريون كما مر الأغريق والهندوس والتيوتونيون القدامى ، في تاريخهم المبكر خلال عصر بطولي تتكشف روحه ومزاجه في تقاليدهم الملحمية . وبدافع تعطشهم للشهرة والصيت ، ذلك الدافع الذي هو من خصائص الطبقة الحاكمة المميزة خلال أي عصر بطولي ، كان الملوك والأمراء يأمرون المنشدين والمغنين الملحقين بالقصر بارتجال قصائد أو أغنيات قصصية تمجد مغامراتهم وإنجازاتهم . وكانت هذه الأناشيد الملحمية ، التي كان هدفها الرئيسي تسلية المدعوين في ولائم القصر والأعياد المتعددة ، تنشد على ما يرجح مصحوبة بالعزف على القيثارة أو على آلة موسيقية أخرى شبيهة بها .

ولم يصل إلينا أي من الأناشيد البطولية الأولى بصيغته الأصلية لأنها نظمت في وقت كانت الكتابة فيه إما غير معروفة تماماً ، أو إذا كانت معروفة ، لم تثر إهتمام المنشدين الذين كانوا من الذين لا يكتبون . إن ملاحم العصور البطولية الأغريقية والهندية والتيوتونية المدونة تعود في تأريخها إلى أزمان متأخرة جداً عن الأزمان السومرية ، وتتكون من نسخ أدبية منقحة ومعقدة جداً ولا يدخل ضمنها إلا عدد مختار فقط من الأناشيد القديمة علاوة على أنها جاءت في صيغة معدلة ومفصلة إلى حد كبير . وهناك سبب وجيه يدفع على الإعتقاد بأن بعضاً من الأناشيد البطولية الأولى في بلاد سومر كتبت لأول مرة على ألواح الطين بعد نهاية العصر البطولي بخمسمائة إلى ستمائة سنة ، وبعد أن حصلت فيها تغييرات كبيرة تمت على يد الكهنة والكتاب .

وتظهر ملاحم العصور الهندية — أوروبية الثلاثة عدداً من العناصر المتشابهة الملفتة للنظر في الصيغة والمحتوى . فقبل كل شيء تتصل جميع القصائد بصورة رئيسة بالأفراد . فأعمال البطل الفرد ومآثره هي التي تكون موضع عناية الشاعر الرئيسة وليس مصير أو مجد الدولة أو المجتمع . وعلى حين لا يوجد أدنى شك بأنه كان لبعض

المغامرات التي تحدث في القصائد أساس تاريخي ، فإن الشاعر لايتردد بتقديم مواضيع وتقاليد غير تاريخية ، كالأفكار المبالغ بها عن قوى البطل وأحلامه المنذرة بالشؤم وجود المخلوقات الإلهيــة . ومن ناحية الأسلوب ، تمتلىء القصائد الملحمية بالنعوت الجامدة ، والمكررات المطولة ، والصيغ المعادة ، والأوصاف التي تنحو نحو التطويل الذي لا ضرورة له ، والتفصيلات غير الاعتيادية . ومما هو جدير بالملاحظة بشكل خاص هو حقيقة أن جميع الملاحم كانت تخصص مكاناً كبيراً للخطب . ويشبه الشعر السومري البطولي في هـــذه النواحي جميعها نماذج الأدب الملحمي الأغريقية والهندية والتيوتونية .

حقاً إن هناك عدداً من الاختلافات البارزة بين المادة الملحمية السومرية والمادة الإغريقية والهندية والتيوتونية . فمثلا تتألف القصائد الملحمية السومرية من قصص فردية لا تتصل ببعضها وذات أطوال مختلفة ، وتقتصر كل منها على حادثة واحدة . ولا توجد محاولة لتوضيح هذه الأحداث ودمجها في وحدة كبيرة . ولا يوجد في المادة السومرية إلا القليل نسبياً من محاولات إظهار الخصائص الشخصية والنفاذ في النفس الانسانية . فكان الكتاب ينحون نحو جعل الأبطال نماذج واسعة دون تمييز تقريباً عن بعضهم البعض ، أكثر من جعلهم أفراداً ذوي شخصيات متميزة بوضوح . أضف إلى ذلك أن مواضيع الأحـــداث والرواية تتصل ببعضها بإسلوب جامد ووفقاً لقواعد بالأحرى ثابتة ، فلا يوجد إلا قليل من تلك الحركة التشكيلية المعبرة التي تميز قصائد كإلياذة « هومر » و « أوديسه » . ولا تلعب النساء من غير الإلهات أي دور في الأدب الملحمي السومري ، بينما لهن دور بارز في الأدب الملحمي الهندي — أوروبي . وأخيراً ، في موضوع الأسلوب الفني يحصل الشاعر السومري على تأثيراته الايقاعية بصورة رئيسة من التنويع في نماذج التكرار . فهو لا يستخدم بأي شكل من الأشكال الأوزان أو البيت المنسق الذي هو من خصائص الملاحم الهندية — أوروبية المميزة الهامة . وعلى الرغم من كل هذه الاختلافات ، فإنه لايحتمل أن تكون صيغة أدبية متميزة الأسلوب والطريقة إلى هذا الحد كالشعر القصصي قد خلقت

وطورت بصورة مستقلة وفى فترات متباعدة ومختلفة فى كل من بلاد سومر واليونان والهند وشمال أوروبا . ولما كان شعر السومريين القصصى من جميع الوجوه أقدم الأربعة فإنه ليس مستحيلا أن يكون الأسلوب الملحمى قد نشأ أولا فى بلاد سومر، ثم انتشر من هناك إلى البلدان المجاورة .

ونستطيع الآن أن نعرف تسع قصص ملحمية سومرية، تتراوح فى أطوالها بين أكثر من مائة سطر بقليل وما يزيد على ستمائة سطر . وتدور اثنتان منهما حول البطل « إينمركار »، ومن الجائز أن تعنـــونا بـ « إينمركار وبلاد أراتا » و « إينمركار وإينسكوسيرانا » . وتتركز اثنتان حول البطل « لوجال بندا »، على الرغم من أن « إينمركار » يلعب دوراً بارزاً فى كلتيهما . ويمكن أن تعنون هاتان القصتان بـ « لوجال بندا وإينمركار » و « لوجال بندا وجبل حوروم »، وتدور الخمس الباقية حول أكثر الأبطال السومريين شهرة، البطل، الذى لا مثيل له فى الشرق الأدنى القديم كله، « جلجامش » . لقد وصلت اثنتان منهما وهما « جلجامش » وثور السماء « و « موت جلجامش » . مهشمتين إلى درجة كبيرة . أما الثلاث الباقية فقد وصلت كاملة تقريباً، وهى « جلجامش وآجا حاكم مدينة كيش »، التى تمجد « جلجامش » كوطنى مخلص وكـ « حامى المملكة » و « جلجامش » وأرض الأحيـــاء » حيث يلعب « جلجامش » دور قاتل التنين . وهذا ما يجعله يبـدو وكأنه أول (جورج قديس) عند الإنسان، وقصة « جلجامش وأنكيدو والعالم السفلى » التى تصفه كشخص معقد إلى درجة تدعو إلى الدهشة، فهو فارس شهم، وجرىء ومسـتبد ومخلص، وكئيب، ومتنبىء، وفضولى .

إن قصيدة « جلجامش وآجا » أقصر من جميع القصص الملحمية السومرية، فهى تتألف مما لا يزيد على مائة وخمسة عشر سطراً، بيد أنها على قصرها هذا ذات أهمية فى الواقع غير اعتيادية . فروايتها تتعامل مع أفراد من البشر فقط، وخلافاً لـكل القصص الملحمية السومرية الأخرى لاتقدم مواضيع ميثولوجية تمس أياً من الآلهة السومرية . والقصيدة هامة من الناحية التاريخية . فهى تلقى ضوء جديداً

كاشفا عن نضال دول — المدن السومرية المبكر . وأخيراً تسجل هذه القصة اجتماع أول (برلمان) سياسى للانسان ، وهو « برلمان » مزدوج (أى مكون من مجلسين) ، حصل على ما يفهم قبل خمسة آلاف سنة تقريباً .

وكانت بلاد سومر كما يتضح من تاريخها الذى أجمل فى الفصل الثانى ، تتألف ، كاليونان فى تأريخ متأخر جداً ، من عدد من دويلات — المدن المتنازعة من أجل تحقيق السيادة فى البلاد كلها . وكانت دولة كيش واحدة من أهم هذه الدويلات ، و « كيش » مدينة تسلمت ، بمقتضى ما ورد فى الأسطورة السومرية ، « الملكية » من السماء بعد الطوفان مباشرة . ولكن بمرور الزمن ، كانت دولة — مدينة أخرى ، وهى دولة « الوركاء » ، تواصل سعيها فى كسب النفوذ والسلطة حتى أصبحت تهدد سيادة « كيش » فى بلاد سومر . وأدرك « آجا » آخر حكام سلالة « كيش » الخطر وأرسل إنذاراً نهائياً إلى « الوركاء » حيث كان « جلجامش » « سيداً » ، يطلب منه الخضوع لدولة « كيش » أو تحمل عواقب الرفض . وتبدأ قصيدتنا بوصول رسل « آجا » وهم يحملون إنذاره إلى « جلجامش » وسكان « الوركاء » .

أما « جلجامش » فقد صمم على القتال بدلا من الإستسلام لـ « آجا » ، ولكن كان لابد له من الحصول أولا على موافقة مواطنى « الوركاء » . ولذلك نراه يقصد « مجلس شيوخ مدينته المنعقد » ويقدم رجاء ملحاً على عدم الإستسلام لـ « كيش » وعلى حمل السلاح والقتال من أجل تحقيق النصر . بيد أنه كان لـ « لشيوخ » رأيهم المختلف ، إذ كانوا يفضلون التنازل لـ « كيش » والتمتع بالسلام . وكان هذا القرار مخيباً لأمل « جلجامش » ، فذهب إلى « مجلس شباب مدينته المنعقد » وكرر عليهم طلبه الداعى إلى الحرب . وفى تصريح طويل — يختتم بمديح لـ « جلجامش » ، وبكلمات مشجعة عن النصر ، يعلن مجلس « الرجال » الحرب والإستقلال . فسر « جلجامش » لذلك سروراً عظيما ، وبدا فى كلة وجهها لخادمه الأمين ومرافقه الدائم « أنكيدو » على ثقة تامة من الانتصار على « آجا » .

بيد أنه بعد فترة قصيرة جداً — أو كما ورد فى كلمات الشاعر نفسه « لم تكن الأيام خمسة ، لم تكن الأيام عشرة » — حاصر « آجا » مدينة « الوركاء » وارتبك سكانها على الرغم من كلماتهم التى تنم عن الشجاعة . وعندئذ توجه « جلجامش » نحو « أبطال » الوركاء وطلب متطوعاً ليذهب لمقابلة « آجا » ، فتطوع واحد منهم اسمه « بيرخورتورى » بسرعة ، لأنه كان واثقاً من قدرته على دحض رأى « آجا » .

ولكن ما كاد « بيرخورتورى » يجتاز بوابات المدينة حتى أسر وضرب ، واقتيد إلى « آجا » . فبدأ بمخاطبة « آجا » ، ولكن قبل أن ينتهى من كلامه تسلق السور بطل آخر ، هو « زابارد يبونوجا » ، فلما رآه « آجا » سأل « بيرخورتورى » فيما إذا كان هذا هو ملكه « جلجامش » . وعندما أجاب «بيرخورتورى» بالنفى ، لم يكن لهذا الجواب أى أثر فى نفس « آجا » ورجاله وواصلوا حصارهم لـ « لوركاء » وتعذيب « بيرخورتورى » .

بيد أن « جلجامش » نفسه تسلق السور لمقابلة « آجا » وجهاً لوجه ، وأصيب سكان « الوركاء » بالهلع . ولما عرف « آجا » من « بيرخورتورى » أن هذا أخيراً هو ملكه ، تأثر فى الحال وتخلى عن حصار المدينة . وعندئذ أعلن « جلجامش » عن شكره الحار لـ « آجا » على موقفه الكريم ، وتنتهى القصيدة بتسبيحة حمد لـ « جلجامش » كمنقذ لـ « وركاء » .

ونقدم فيما يأتى ترجمة أولية لهذه القصة الملحمية لأن كثيراً منها ما زال مشكوكاً فيه وغامضاً ، ولكن هذا أفضل ما يمكن عمله فى هذا الوقت :

إن رسل « آجا » بن « اينمباراجيس » ،

شرعوا بالسفر من « كيش » إلى « جلجامش » فى « الوركاء » ،

فوضع السيد « جلجامش » أمام شيوخ مدينته ،

الأمر طلباً لكلمتهم .

« لنكمل الآبار ، لنكمل آبار البلاد جميعها ،
لنكمل الآبار ، تجاويف الأرض الصغيرة ؛
لنحفر الآبار ، ولننجز شد الحبال —
علينا ألا نستسلم لبيت « كيش » ، ولنضربه بالسلاح » .
فأجاب مجلس كبار مدينته المنعقد
« جلجامش » :
« لنكمل الآبار ، لنكمل آبار البلاد جميعها
لنكمل الآبار ، تجاويف الأرض الصغيرة ،
لنحفر الآبار ، لننجز شد الحبال —
ولنذعن لبيت « كيش » ، ولا نضربه بالسلاح » .
ولم يقتنع « جلجامش » سيد « كولاب » ،
الذى أنجز أعمالا بطولية للإلهة « إينانا »
بكلمات شيوخ مدينته قناعة قلبية .
مرة أخرى . « جلجامش » سيد « كولاب »
عرض الأمر على « رجال »[1] مدينته وطلب كلمتهم ، (وقال) :
لنكمل الآبار . لنكمل آبار البلاد كلها .
لنكمل الآبار . تجاويف الأرض الصغيرة .
لنحفر الآبار ولننجز شد الحبال
ولا تخضعوا لبيت « كيش » ولنضربه بالسلاح » .

(١) المقصود هنا مجلس الشباب ممن يحملون السلاح . (المترجم)

فرد مجلس « رجال » مدينته المنعقد على « جلجامش » :

من بين أولئك الذين يقفون ، ومن بين أولئك الذين يجلسون ،

من بين أولئك الذين ترعرعوا مع أبناء الملوك ،

ومن بين أولئك الذين يضغطون على ورك الحمار ،

من له روحهم !

لاتذعن لبيت « كيش » ولنضربه بالسلاح .

إن الوركاء من صنع يد الآلهة .

و « أى — أنا » ، البيت النازل من السماء .

الإلهة العظيمة هى التى صاغت أجزاءها —

وتلامس أسوارها الشاهقة الغيوم ،

وموقع سكنها الشاهق الذى أسسه (الإله) « آن »

لقد عنيت أنت بها — أنت الملك والبطل ،

الفاتح والأمير الذى يحبه « آن » .

كيف لك أن تخاف من قدومه !

ذلك الجيش جيش صغير ومؤخرته تترنح .

ورجاله لايرفعون أبصارهم عالياً » .

عندئذ سرّ « جلجامش » — سيدُ « كولاب » ،

بكلمات «رجال» مدينته ، وابتهجت روحه ،

وقال لخادمه « أنكيدو » :

« لتوضع الآن إذن عُـــدة (السلام) جانباً ، وليحل محلها عنفوان المعركة ،

لتُـعد أسلحة المعركة إلى جانبك ،
ولتسبب الفزع والرعب،
فهو ، عند ما يأتى ، سيسقط عليه رعبى العظيم ،
وسيدحض حكمه ، وتتبدد خطته » .

ولم تكن الأيام خمسة ، ولم تكن الأيام عشرة[1]
(حتى) حاصر « آجا » بن « اينمبارجيسى » « الوركاء »
ودحض حكم « الوركاء » .

فقال « جلجامش » « سيد » كولاب »
لابطاله :
« يا أبطالى ذوى الوجوه السوداء ،
من له قلب ، ليقم أريد أن أبعثه إلى « آجا » .
« بيرخورتورى » — الزعيم ، للملكه ،
للملكه نطق بالحمد :
سأذهب إلى « آجا »
وسيدحض حكمه ، وتتهدد خطته »

وخرج « بيرخونورى » من بوابة المدينة —
ولما أن خرج « بيرخوتورى » من بوابة المدينة .
أسروه عند منافذ بوابة المدينة .

---

(١) أى بعد مدة قصيرة لم تتجاوز عشرة أيام . (المترجم) .

وسحقوا لحم « بيرخورتورى » —
إلى حضرة « آجا » جاؤا به .
وكلمه « آجا » .

ولم يكد ينتهى من كلماته حتى تسلق السور « زابار ديبونوجا »
فرآه « آجا » .
وقال لـ « بيرخورتورى » :
« أيها العبد . أهذا الرجل ملـكك ؟ »

« إن ذلك الرجل ليس ملـكى .
« إن ذلك الرجل كان ملـكى ،
لـكان ذلك الجبين جبينه القوى ،
ولـكان ذلك الوجه وجهه الذى يشبه الثور
ولـكانت تلك اللحية لحيته التى تشبه حجر اللازورد

ولـكانت تلك الأصابع أصابعه الفاتنة » .
إن الجموع لم تنهض ، ولم تغادر ،
ولم تتمرغ الجموع بالرغام .
إن الأجانب ، الـكثير منهم ، لم يشعروا بوقوعهم تحت تأثيره ،
ولم يأ كل المواطنون التراب ،
ولم تقطع قياديم السفن الطويلة .
أن « آجا » ملك « كيش » . لم يكبح جماح قواته .
فصفعوه ، وضربوه ،

وسحقوا لحم « بيرخورتورى » .

وبعد « زبارد يبونوجا » تسلق « جلجامش » السور ،

وحل الفزع بصغار « كولاب » وكبارها ،

وعند منافذ بوابة المدينة — تجمعوا .

وخرج « أنكيدو » من بوابة المدينة .

وأطل « جلجامش » من على السور ،

فرآه « آجا » (وقال) :

« أيها العبد أذلك الرجل ملكك ؟ »

« حقاً إن ذلك الرجل ملكى » .

ولم يكد ينطق بهذا ،

حتى نهضت الجموع ، وغادرت الجموع ،

وتمرغت الجموع فى الرغام .

لقد شعر الأجانب ، الكثير منهم بوقوعهم ، تحت تأثيره ،

والتهم المواطنون التراب ،

وقطعت قياديم السفن الطويلة .

وقال « جلجامش » ، سيد « كولاب » ،

لـ « آجا » يا ضابطى ، يا « آجا » يا قائدى ،

يا « آجا » ، يا جنرال جيشى ،

يا « آجا » ، يا من أشبعت بالقمح الطير الطائر ،

يا « آجا » يا من وهبتنى نفسى ، أنت وهبتنى الحياة .

يا « آجا » أنت وضعت اللاجئ في حضنك .

« الوركاء » ، صنع يد الآلهة [1] ،
الأسوار الشاهقة التي تلامس السماء ،
السكن الشامخ الذي أسسه « آن » ،
أنت قد عنيت بها ، أنت الملك البطل ،
والفاتح ، والأمير الذي يحبه الإله « آن »
لقد أطلق « آجا » سراحك من أجل « كيش » ،
وفي حضرة الإله « أوتو » ، أعاد إليك فضل الأيام السالفة ،
يا « جلجامش » ، يا سيد « كولاب » ،
إن الحمد لك حسن !

إن الموضوع المحرك في الملحمة الثانية من قصصنا الملحمية عن « جلجامش » ، وهي « جلجامش وأرض الأحياء » ، هو موضوع قلق الإنسان من الموت ، ثم التسامي بهذا الموضوع حتى وصل إلى فكرة بناء الإسم الخالد بعد الموت . وبنيت رواية القصة حول مواضيع وأحداث وثيقة الصلة بمزاجها المليء في غالبته بإثارة المشاعر. أما من الناحية الأسلوبية فإنه كان يحتفظ بنبرتها الكئيبة وترفع حدتها باختيار الكاتب البارع لنماذج متنوعة من التكرار والطباق . إن عدداً من فقرات تلك القصة مازال غامضاً ، إلا أن من الممكن أن تعاد كتابة أحداثها في الوقت الحاضر على الشكل التالي :

كان السيد « جلجامش » مهموماً وحزيناً بسبب فكرة الموت. وكان قلبه يمتلىء

---

(١) يبدأ هنا خطاب أهل « الوركاء » لـ « جلجامش » بعد ان استطاع إقناع « آجا » بفك الحصار عن المدينة . (المترجم)

بالألم وروحه ترهق بالهم كلما رأى رجالا يموتون ويهلكون فى « الوركاء » فقد كانت جثث الموتى عائمة فى النهر » . ولما كان يدرك بمرارة بأنه ككل البشر الفانين لا بد أن يموت أيضاً إن عاجلاً أو آجلاً ، فقد عزم على الأقل على تكوين شهرة كبيرة له قبل نهايته المحتومة . فقرر بناءً على ذلك القيام برحلة إلى « أرض الأحياء » النائية ليقطع أشجار أرزها الشهير وجلب أخشابها إلى « الوركاء » .

وبعد أن عزم على ذلك أطلع « جلجامش » خادمه الأمين « أنكيدو » على مشروعه الذى فكر به . ولكن « إنكيدو » نصحه باطلاع « أوتو » الإله ـ الشمس ، أولا على خطته ، لأن « أوتو » كان هو الموكل بشؤون «أرض الأحياء» فقدم «جلجامش» عملاً بهذه النصيحة ، القرابين إلى « أوتو » وطلب تأييده فى هذه الرحلة المقترحة .

وأبدى « أوتو » فى أول الأمر شكوكه بمؤهلات « جلجامش » ، بيد أن « جلجامش » كان مصرًّا وكرر طلبه بلغة أكثر إقناعاً . فعطف عندئذ « أوتو » عليه ووعده بشل حركة شياطين الجو السبعة الذين ربما كانوا خطراً يهدد «جلجامش» فى رحلته إذا لم توقف قدراتهم على الحركة . فجمع « جلجامش » وهو مفعم بالسرور خمسين متطوعاً من « الوركاء » — من الرجال الذين لا تربطهم رابطة بأحد ، ولا يملكون « بيتاً » ، وليس « لهم أم » ، والذين كانوا على استعداد للسير وراءه إلى حيث يتوجه . وبعد أن أتم تهيئة أسلحة من البرونز والخشب له ولأتباعه ، خرج وأياهم من « الوركاء » متجهين نحو « أرض الأحياء » .

واجتازوا خلال رحلتهم سبعة جبال ، إلا أن « جلجامش » لم يجد « أرزقلبه » إلا بعد أن اجتازوا الجبل السابع . فبدأبقطع الأشجار بفأسه ، وقام «إنكيدو» بقص أغصانها ، بينما كان اتباعه يضعونها فوق بعضها على هيئة تل ، ولكن هذا العمل أثار وأزعج « هواوا » ، الوحش الموكل بشؤون « أرض الأحياء » ونجح فى ايقاع «جلجامش» فى سبات عميق أوفى إغفاءة لم يستفيظ منها إلا بعد وقت وجهد كبيرين .

وأقسم « جلجامش » وهو فى حالة هياج شديد ، بسبب تأخره غير المتوقع ،

بأمه الإلهة « ننسون » ، وبأبيه البطل الإلهى « لوجال بندا » ألا يعود إلى «الوكاء» إلا بعد القضاء على ذلك الوحش « هواوا » سواء أكان رجلا أم إلهاً ، وتوسل إليه « أنكيدو » بأن يعود أدراجه لأنه قد رأى هذا الوحش المرعب ، وهو واثق من أنه ليس بمقدور أحد الوقوف أمام هجمته . إلا أن « جلجامش » رفض هذا التحذير ،وطلب من « أنكيدو » أن يطرد الخوف ويتقدم بصحبته ، لأنه كان واثقاً بأن الأذى لن يصيبهما إذا ما وقفا جنباً إلى جنب .

بيد أن الوحش كان يرقبهما من بيته المشيد من خشب الأرز ، وبذل جهوداً مسعورة لطرد « جلجامش » . ولكن « جلجامش » رفض الوقوع تحت تأثير الخوف وكان فيما يبدو يحاول تطمين « هواوا » بقوله الخدّاع من أنه جلب إليه الهدايا وعلى أية حال ، نجد « جلجامش » وهو يقطع الأشجار السبع التى كانت تسد الطريق إلى صالة « هواوا » الداخلية ، بينما كان أتباعه يقصون أغصانها ويضعونها على شكل حزم عند قاعدة الجبل .

واقترب « جلجامش » حتى أصبح وجهاً لوجه مع « هواوا » ، وربت على خده بلطف ، وألقى عليه حلقة أنف ثم شده بحبل حول جسمه . عندئذ توجه « هواوا » بالتضرع والبكاء نحو الإله — الشمس « أوتو » وبدأ بالتذلل أمام « جلجامش » فى محاولة لإستعادة حريته ، ورق له فى الواقع قلب « جلجامش » . وبعبارات أشبه ما تكون بالألغاز اقترح على « أنكيدو » أن يطلق سراح « هواوا » . ولكن « أنكيدو » حذره من عواقب تصرف كريم كهذا لا ينطوى على الحكمة لأنه محفوف بالمخاطر . ولما رد « هواوا » الناقم بإجابة مهينة لـ « أنكيدو » ، أسرع هذا بقطع رقبته .

وحمل البطلان رأس « هواوا » المقطوع إلى حضرة « أنليل » ملك الآلهة وهما يتوقان بلا شك إلى إستحسانه وإلى مكافأة إلهية . ولكن « أنليل » نطق عندما رأى رأس « هواوا » بلعنة قضت على ما يبدو عليهما بالطواف الأبدى فوق الجبل والسهل ، تسعفهما خلاله الشمس المحرقة . ثم قدم « أنليل » لـ « جلجامش »

ما يحتمل أن يكون سبعة أشعة إلهية يعرف كل شعاع منها عند السومريين باسم « ميلام » ، وذلك ربما كحماية له من الجبال والغابات والحيوانات المتوحشة التي تجوب فيها . وعند هذه الملاحظة الشديدة الغموض والتي تحتمل معنيين متناقضين تصل القصيدة إلى نهايتها . وفيما يلي ترجمة لهذه القصيدة :

لقد وجه السيد فكره نحو « أرض الأحياء » ،
السيد « جلجامش » وجه فكره نحو « أرض الأحياء » ،
فقال لخادمه « أنكيدو » :
« يا « أنكيدو » ، إن الآجرة والختم لم يجلبا بعد النهاية المقدرة ،[1]
أريد أن أدخل « الأرض » وأريد أن أخلد اسمي ،
في مواضعها[2] التي أقيمت فيها الأسماء ، أريد أن أقيم اسمي ،
وفي مواضعها التي لم تقم فيها الأسماء ، أريد أن أقيم أسماء الآلهة » .

فأجابه خادمه « أنكيدو » :
« سيدي ، لو أزمعت على دخول الأرض ، فأطلع « أوتو » ،
أطلع « أوتو » — البطل « أوتو » ،
فإن « الأرض » في عهدة « أوتو » ،
إن أرض الأرز المقطوع ، هي في عهدة « أوتو » المقدام ،
فأطلع « أوتو » . » .

---

(١) يقصد بذلك أن (النهاية المقررة) المكتوبة على الآجر والختم لم يحن أوانها بعد . (المترجم)

(٢) يعود الضمير إلى « أرض الأحياء » ويقصد بالاسم الصيت والشهرة أو الاسم الخالد . (المترجم)

فأمسك « جلجامش » بيده جدياً أبيض اللون ،
وضم على صدره جدياً أرقط (ليقدمه) قربانا ؛
ووضع في يده صولجان إمرته الفضى :
وقال مخاطباً « أوتو » السماوى :
« يا « أوتو » ، أريد أن أدخل « الأرض » فكن حليفى ،
أريد أن أدخل أرض الأرز المقطوع ، فكن حليفى » .
فقال له « أوتو » السماوى :
« حقاً إنك لمحارب أميرى ، ولكن ما أنت بالنسبة لتلك الـ « أرض » ؟
يا « أوتو » كلمة أود أن أقولها لك ، فاصغ لكلمتى !
أريد بها أن تصل إليك ، فاصغ لها !
فى مدينتى يموت الرجل وهو محزون القلب ،
ويهلك الرجل ، والقلب مثقل بالهموم ،
لقد أنعمت النظر من فوق السور ،
فرأيت الأجداث عائمة فوق مياه النهر ،
أما بالنسبة لى ، فأنى سأعامل بمثل هذا ، وهذا هو ما سيقع بكل تأكيد !
فمهما طال الرجل ؛ لا يستطيع بلوغ السماء ؛
ومهما عرض الرجل ؛ لا يستطيع تغطية الأرض .
وما دامت الآجرة والختم لم يأتيا بعد بالنهاية المقررة ؛[1]
فإنى أريد أن أدخل الـ « أرض » ؛ وأريد أن أقيم اسمى ؛

---

(١) أى مادام قدرى المكتوب لم يحن بعد . (المترجم)

في مواضعها حيث أقيمت الأسماء ؛ أود أن أرفع إسمى ؛
وفى مواضعها التى لم ترفع فيها الأسماء ؛ أريد أن أرفع أسماء الآلهة » .

فتقبل « أوتو » دموعه كقربان ،
وكرجل رحيم ، أظهر له الرحمة ،
أبطال الجو السبعة ، أبناء أم واحدة ،
أدخلهم كهوف الجبل .[1]

إن من اقتلع الأرز ؛ كان يغمره السرور ؛
السيد « جلجامش » غمره السرور ؛
وعبأ (رجال) مدينته كرجل واحد ؛
وحشد (رجالها) كرفيقين توأميين ؛
« من كان يملك بيتاً ؛ فليعد إلى بيته !
ومن كان له أم ؛ فإلى أمه !
وليقف الذكور من العزاب الذين سيفعلون ما أفعل إلى جنبى ! »

من كان يملك بيتاً ؛ (عاد) إلى بيته !
ومن كان له أم ؛ (عاد) إلى أمه !
ووقف خمسون من العزاب من الذين كانوا سيفعلون ما يفعل إلى جانبه .

ووجه خطاه إلى بيت صناع المعادن ؛

(١) أى حبس الشياطين فى الكهوف حتى لاتتدخل فى رحلة « جلجامش » . (المترجم)

وصاغ السيف — وصنع الفأس المهشم ؛ « قوة السماء » العائدة له ،
ثم وجه خطاه نحو غابات السهل السوداء ،
واقتلع هناك شجرة الصفصاف ؛ والتفاح ، والبقس ،
وتناولها أبناء مدينته الذين رافقوه ؛ بأيديهم ،
وأدخل شياطين الجو السبعة فى كهوف الجبل .

لقد اجتازوا الجبل الأول ،
ولم يجد أرز قلبه[1]،
وبعد أن اجتازوا الجبل السابع ،
وجد أرز قلبه .

(لقد أصاب التلف عدداً من الأسطر فى هذا الموضع ، ولم يكن واضحاً ما حدث بالضبط ، وربما تنبه « هواوا » بما كان يجرى من اقتلاع للشجر فأوقع «جلجامش» فى سبات عميق . وعلى أية حال ، نجد عندما يصبح النص واضحاً مرة أخرى أحد الأشخاص ، ربما « أنكيدو » ، يحاول إيقاظ « جلجامش » من سباته) :

لقد لمسه ، إلا أنه لا يستيقظ
وكلمه ، إلا أنه لا يجيب
« أيها النائم ، أيها النائم » ،
يا « جلجامش » ، أيها السيد ، يا ابن « كولاب » ،
إلى متى ستظل نائماً ؟

---

(٢) يعود الضمير إلى « جلجامش » والمقصود أنه لم يعثر على الأرز المناسب الذى كان يبحث عنه . (المترجم)

لقد اظلمت الأرض ، وامتلأت بالأشباح ،

وجاء الغسق بضوئه (الخافت) ،

وذهب « أوتو » (الشمس) مرفوع الرأس إلى أمه « ننجال » .

أيا « جلجامش » ، حتى مَ ستظل نائماً !

لا تترك أبناء مدينتك الذين رافقوك

يقفون بانتظارك عند سفح الجبل ،

لا تدع أمك التي ولدتك

تُطرد إلى ميدان المدينة .

فأنتبه وأصغى باهتمام ،

وغطى نفسه « بكلمته البطولية » كما لو كانت رداء ،

ولف حول صدره حلته التي (تزن) ثلاثين « شيقلا » ، وكان يحملها بيده .

ونهض قائماً على الـ « أرض العظيمة » كأنه « ثور » .

وعض التراب ، وعفر أسنانه (وأقسم) :

« بحياة « ننسون » أمي التي ولدتني .

من أبي « لوجال بندا » المقدس ،

عسى أن أصبح كمن يجلس على ركبة « ننسون » التي ولدتني ،

ليعجب بي الناس . »

ثم قال له بالإضافة إلى ذلك مرة ثانية :

« بحياة « ننسون » . أمي التي ولدتني ،

من أبي « لوجال بندا » المقدس ،

إلى أن أقضى على ذلك « الند » إن كان رجلا ،

إلى أن أقضى عليه ، وإن كان إلها ؛

لن أحول نحو المدينة خطاى التى وجهتها نحو تلك « الأرض » .

فناشده الخادم الأمين ؛ وهو متعلق بالحياة .

وأجاب سيده :

« يا سيدى ؛ أنت لم تر ذلك « الرجل » ولهذا لم ترتعب ،

أنا الذى رأيت ذلك « الرجل » واستولى علىّ الرعب ؛

إن المحارب ؛ أسنانه أسنان تنين ؛

ووجهه وجه أسد ؛

وزئيره مياه الطوفان الهادرة ،

من جبينه الذى يلتهم القصب ، لا ينجو أحد ،

فياسيدى ، أرحل أنت إلى « الأرض »

أما أنا فسأرحل إلى المدينة [1]

وسأحدث أمك عن مجدك ،

وأجعلها تضحك عاليا (من السرور) ،

ثم سأخبرها بموتك ،

وأدعها تذرف الدموع المريرة »

« ما من أحد سيموت من أجلى [2] ،

---

(١) أى المدينة « الوركاء » التى بدأت منها الرحلة . (المترجم)

(٢) يبدأ هنا رد « جلجامش » على تحذيرات « أنكيدو » ومخاوفه . (المترجم)

والقارب المحمل لن يغرق ،

والثوب ذو الطيات الثلاث لن يُقص ،

وعلى السور لن يُقهر أحد ،

والنار لن تدمر البيت والكوخ ،

فإن أنت نصرتني ، سأنصرك ،

فما عسى أن يقع لنا !

بعد أن غرقت بعد أن غرقت ،

بعد أن غرقت سفينة « ماجان » ،

بعد أن غرقت السفينة « قوة — ماجيلوم » ،

الأحياء جميعهم يقيمون في « سفينة الأحياء » ،

هيا ، لنتقدم ، وسوف نرشقه بالنظرات !

فإذا حل بنا الخوف عندما نتقدم ،

(إذا) حل بنا الخوف ، فعد راجعاً ! »

(فأجابه أنكيدو) :

« كما يتمنى قلبك ! هيا بنا نتقدم ! »

وعندما لم يكونا قد وصلا إلى مسافة ربع ميل ،

بقى « هواوا » بالقرب من بيته (المشيد) من الأرز ،

وركز نظرته عليه ، وهي نظرة الموت ،

وألقى برأسه فجأة عليه ذلك الرأس المغطى بالإثم ،

وصرخ به صرخة تثير الرعب .

فارتعشت أعصاب « جلجامش » وقدماه ،

فقد حل به الخوف ،

إلا أنه لم يعد أدراجه على الجادة المطروقة .

ووقف « هواوا » على قدميه ذاتي المخالب الهائلة ،

وراح ينتقل من مكان إلى مكان (قائلا) .

« يا كثيف الشعر ، يامن يرتدى كساء » « أو لوحًا » ،

يامن هو أميرى ، يابهجة الآلهة ،

أيها الثور المتهيج ، يا وطيد العزم فى المعركة ،

يامن جعلت أمك التى ولدتك نخورة (بك) ،

يا من جعلت المربية التى أرضعتك ، طفلا فى الحجر ، نخورة (بك) ،

لا تخف ، ضع يداً على الأرض .

إلا أن « جلجامش » لم يضع يداً على الأرض ، وقال :

بحياة « ننسون » أمى التى ولدتنى ،

من أبى « لوجال بندا » المقدس ،

أنت تعرف حق المعرفة من يعيش فى الـ « أرض » ،

لقدميك الصغيرتين ، صنعت حذاءً صغيراً .

واقتلع « جلجامش » نفسه (الشجرة) الأولى ،

وقطع أبناء مدينته الذين رافقوه ،

الأغصان ، وجعلوها حزماً ،

ووضعوها عند سفح الجبل

وبعد أن أتم (إقتلاع الشجرة) السابعة ، اقترب من حجرته ،[1]

---

(١) أى الى حجرة « هواوا » . (المترجم)

ودفعه إلى جدار كأنه حية « مرفأ الخمر » ،

وربّـت على خده كما لو كان يضع قبلة عليه ،

وعلق حلقة — أنف، على أنفه (فأصبح) كأنه ثور مأسور ،

وربط ذراعيه . بحبل (فأصبح) كأنه محارب مأسور .

فأصطكت أسنان « هواوا » ،

وأمسك السيد « جلجامش » من يده (قائلا) :

« أود أن أقول كلمة لـ « أوتو » ،

يا « أوتو » ، إنني لا أعرف الأم التي ولدتني ،

ولا أعرف الأب الذي رباني ؛

إن الـ « أرض » ، ولدتني ، وأنت ربيتني »

واستحلف « جلجامش » بالسماء والأرض والعالم السفلي ،

وأخذه بيده ؛ وانبطح على الأرض (تذللاً) أمامه .

عندئذ رق قلب « جلجامش » الأميري له ،

وقال لخادمه « أنكيدو » ،

« يا أنكيدو دع الطير الحبيس يرجع إلى بيته ،

دع الفارس المأسور يرجع إلى صدر أمه » .

فأجاب « أنكيدو » « جلجامش » :

« إن أطول الناس إذا لم يحسن التقدير ،

سيلتهمه القدر — القدر الذي لا يميز بين الناس .

لو ذهب الطير الحبيس إلى بيته
وعاد الفارس الأسير إلى صدر أمه ،
فإنك لن تعود إلى مدينة أمك التى ولدتك .
فقال « هواوا » لـ « أنكيدو » :
« أيها الرجل المستأجر ، أيها الجائع والعطشان والخنوع ،
لم تحدثت إليه بالسوء عنى ! »

ولما نطق بهذا ؛
قطع « أنكيدو » ؛ من غضبه رأسه ،
ورماه فى كيس تحمل باليد ،
وجلباه إلى حضرة « أنليل » ،
وفتحا الكيس ؛ وأخرجا رأسه (المقطوع) ،
ووضعاه أمام « انليل » .

فنظر « أنايل » إلى رأس « هواوا » ؛
وغضب لكلمات « جلجامش » (وقال) :
« لماذا تصرفتما هكذا !
لأنكما وضعتما أيديكم عليه ،
ودمرتما اسمه ،
عسى ان يُسفع وجها كما ،
وعسى أن تلتهم النار الطعام الذى تأكلانه .

وعسى أن تشرب النار المـاء الذى تشربانه » ·

ثم يعقب ذلك تقديم الـ « ميلامات » (أى الأشـعة الإلهية) السبع من قبل « انليل » لـ « جلجامش » وتنتهى القصيدة بفقرة مكونة من ثلاثة أسطر غامضة) ·

وفى القصة الثالثة من قصصنا الملحمية « جلجامش وانـكيدو والعالم السفلى » ، وصف البطل بدوره كفارس شهم ، ومستأسد معتد ، ومنتحب يائس ، وحكيم ناصح وكسيد وفى ، وكبشر حزين تواق لمعرفة شىء ما عن الحياة فى العالم السفلى · ولعب خادمه « أنـكيدو » دور الصـديق الأمين الشجاع ؛ بيد أنه لم ينجح فى إيقاف لوم سيده له فى لحظة حرجة ، وفقد حياته نتيجة لذلك · ووقفت وراء ذلك « إينانا » ؛ « أفردويت » السومرية ، بدموعها التى لا تقاوم ، وهداياها المنحوسة الملطخـة بالموت ·

تبدأ القصيدة بمقدمة تتألف من فقرتين مختصرتين لا علاقة لها بـ «جلجامش» وأحداث القصة · فالفقرة الأولى تتصل بأعمال الخلق الإلهية ؛ بما فى ذلك فصل السماء عن الأرض ؛ وهى لذلك ذات أهميـة كبيرة فى نظرية نشأة الـكون وعلم الـكونيات عند السومريين · أما الفقرة الثانية من المقدمة فتصف الصراع بين الإله « أنـكى » ؛ « بوزيدون »[1] السومرى ؛ والعـالم السفلى الذى تقمص شخصية تنين متوحش ، وحدث هذا الصراع فيما يبدو بعد فصل السماء عن الأرض بوقت قصير ، وذلك بعـد أن أختطفت الإلهة « إيرشكيجال » بالقوة إلى العـالم السفلى — وتذكرنا هـذه الحادثة بأسطورة إغتصاب « بيرسفونة » الإغريقية[2] · أما بالنسبة لنتيجة المعركة

---

(١) إله البحر عند الإغريق . (المترجم) .

(٢) « بيرسفونة » ابنة إلهة الذرة « ديميتر » التى اختطفت إلى العالم السفلى ، وأكلت هناك الرمان مما أدى إلى قضائها وقتاً من الزمن فى كل عام هناك حتى بعد أن ساعد الإله زيوس على اعادتها إلى العالم العلوى ، وربما كان لهذه القصة علاقة بالدورة الزراعية . (المترجم)

فإن الشاعر يتركنا فى ظلام لأنه كان على مايبدو متلهفاً للبدء بقصته عن « جلجامش » التى بقدر ما يفهم منها فى الوقت الحاضر ، تجرى على الوجه التالى :

فى قديم الزمان ، اقتلعت الرياح الجنوبيــة شجرة « الخولوپو » (لعلهــا شجرة الصفصاف) ، التى غرست على ضفة نهر الفرات وترعرعت على مياهه ، وجرفتها بعيداً على مياه هذا النهر . وهناك رأتها الإلهة « إينانا » التى كانت تتمشى فى منطقة مجاورة فى حالة من الرعب — لسبب غير مذكور — بـ «أمر» « آن » و «إنليل» ، الإلهين القائدين فى مجمع الآلهة السومرى . فتناولت « إينانا » الشجرة بيدها وأتت بها إلى مدينتها « الوركاء » حيث غرستها فى بستانها المثمر وتعهدتها بالرعاية على أمل أن تصنع من خشبها عرشاً وسريراً بعد نموها .

ومرت السنون ونمت تلك الشجرة وكبر حجمها ، إلا أن جذعها بقى أجرد بلا غصون وأوراق ، وذلك لأن الحية التى لا تؤثر فيها التعاويذ قد بنت عشها فى قاعدتها ، ووضع طير « الأمدوجود» المفترس صغاره على رأسها ، وشيدت فى وسطها « ليليت » ، مصاصة الدماء مسكنها . وهكذا ذرفت عينا « إينانا » ، وهى الإلهة التى لم تعرف الهم والحزن ، دموعاً مريرة .

ولما انبثق الفجر ، وأشرق أخوها الإله — الشمس «أوتو» من «حقله الأميرى» أخبرته « إينانا » وهى باكية بما حل بشجرتها « الخولوپو » . ولكن « أوتو » لم يشأ أن يفعل شيئاً لمساعدتها .

وأعادت « اينانا » عندئذ شكواها لـ « أخيها » « جلجامش » الذى صمم على الوقوف إلى جانبها . فتمنطق بدرعه الذى يزن خمسين «منا»[1] ، وتناول بيده «فأس الطريق» وذبح الحية ، التى لا تؤثر فيها التعاويذ ، عند قاعدة الشجرة . ولما رأى : « أمدوجود » ماجرى للحية طار هارباً مع صغاره إلى الجبال النائية ، وهدمت

(١) تعادل الـ « منا » الواحد ٥٠٠ غرام تقريباً (المترجم)

« ليليت » مسكنها الذى كان فى وسط الشجرة وهربت إلى خرائبها المقفرة وقطع « جلجامش » ورجال « الوركاء » الذين رافقوه عندئذ الشجرة وقدمها لـ « إينانا » لتصنع منها عرشها وسريرها .

فما صنعت « إينانا » ؟ لقد صنعت من قاعدة الشجرة « پوكّو » (ولعله كان طبلا) ، ومن أعلاها صنعت « ميكّو » (ولعله كان مضرب الطبل) وقدمت كلا منهما إلى « جلجامش » . بيد أن « جلجامش » استخدمهما فى اضطهاد مواطنى « الوركاء » ، وعلى الأخص باستخدامهما ، فيما يبدو ، فى دعوة الشباب إلى الحرب، مرملا بذلك نساءهم . وعلى أية حال سقط، « بسبب استغاثة العذارى الصغار » كما يقول الشاعر نفسه ، الـ « پوكّو » والـ « ميكّو » فى « السكن العظيم » ، أى فى العالم السفلى . وبذل « جلجامش » كل ما فى وسعه من جهود لإستعادتهما ولكنه لم ينجح فى تحقيق ذلك . وهكذا جلس « جلجامش » عند الـ « جنزير »[1] ، التى وصفت بأنها « عين » العالم السفلى ، وبدأ ينوح على ماحلت به من خسارة .

ولما رأى « أنكيدو » خادم « جلجامش » حزن سيده ، تطوع بشجاعة للنزول إلى العالم السفلى لإخراج الـ « پوكّو » والـ « ميكّو » . فحذره « جلجامش » . عندئذ من محرمات العالم السفلى التى كان عليه أن يحترس منها حتى لا تمسك به بشدة « صيحة العالم السفلى » ، خاصة الصيحة التى تطلق من أجل أم الإله الموكل بالشفاء ، « ننازو » ، التي كانت تغط بالنوم عارية وبلا غطاء ، فى العالم السفلى . ولكن « أنكيدو » لم يلتزم بنصيحة سيده ، فأمسك به العالم السفلى بقوة ، ولم يعد بإمكانه الصعود مرة أخرى إلى الأرض .

وشرع « جلجامش » وهو على أشد ما يكون من الاضطراب بسبب محنته الجديدة ، بالسفر حالا إلى مدينه « نفّر » ، موطن « إنليل » ملك الإلهة ، وأخبره

---

(١) تلفظ الجيم كافاً فارسية ويقصد بها على مايرجح باب العالم السفلى . (المترجم)

وهو يذرف الدموع بما حل بـ « أنـكيدو » · بيد أن « أنليل » لم يتأثر بذلك وأبى أن يقدم العون له ·

فتوجه « جلجامش » عندئذ إلى مدينة « أريدو » ، موطن « أنـكى » إله الحـكمة وأعاد عليه شـكواه ، فصمم « أنـكى » على مساعدة « جلجامش » بقدر ما كان مستطاعاً على الأقل فى مثل تلك الظروف . وبأمر منه ، فتح الإله — الشمس « أوتو » فتحة فى العالم السفلى صعد من خلالها شبح « أنـكيدو » ـ لأن هذا هو كل ماتبقى منه الآن — إلى الأرض . وتعانق السيد والخادم ، أو بالأحرى السيد وشبح الخادم ثم بدأ « جلجامش » يسأل « أنـكيدو » عما رآه فى المناطق السفلى · وبهذا الحديث المحزن تأتى القصيدة ، التى بدأت بأيام الخلق السعيدة ، إلى نهاية أبعد ما تـكون عن السعادة · وفيما يلى ترجمة لنص القصيدة المتيسر فى الوقت الحاضر :

فى سالف الأيام ، فى الأيام الخوالى القديمة ،
فى الليالى الخوالى ، فى الليالى الخوالى القديمة ،
فى الأيام الخوالى ، فى الأيام الخوالى القديمة ،

بعد أن خُلق فى سالف الأيام كل ما هو ضرورى من الأشياء ،
وبعد أن أُمر فى الأيام الخوالى بخلق كل ماهو مفيد من الأشياء ،
وبعد أن تُذوق الخبز فى مزارات البلاد ،
وبعد أن خُبز الخبز فى مخابز البلاد ،
وبعد أن فُصلت السماء عن الأرض ،
وبعد أن فُصلت الأرض عن السماء ،
وبعد أن ثُبت اسم الإنسان ،

وبعد أن أخذ « آن » السماء ،

وبعد أن أخذ « أنليل » الأرض ،

وبعد أن حُملت « إرشكيجال » إلى العالم السفلى كجائزة له —

بعد أن أبحر ، بعد أن أبحر ،

بعد أن أبحر الأب إلى العالم السفلى ،

على الملك كانت الصغيرة[1] يرمى

وعلى « أنكى » ، كانت الكبيرة ترشق ،

أحجاره الكبيرة[2] حجارة اليد ،

وأحجاره الكبيرة أحجار القصب الراقص ،

تقهرها عارضة سفينة « أنكى » ،

فى المعركة كأنها عاصفة مهاجمة ،

ضد الملك (الماء) على مقدمة السفينة ،

يلتهم كأنه ذئب ،

ضد « أنكى » الماء على مؤخرة السفينة

يضرب كأنه أسد[3] .

(١) المقصود هنا الحجارة الصغيرة والحجارة الكبيرة (المترجم) :

(٢) الضمير يعود إلى العالم السفلي (المترجم):

(٣) إن هذا المقطع المؤلف من اثنى عشر سطراً غير واضح المعنى . وفى كتاب سابق أشار المؤلف نفسه إلى عدم الوضوح هذا حتى أنه أهمل ترجمته . انظر : كتاب « من ألواح سومر » ، ص ٣٢٦ لنفس المؤلف ، وترجمة الاستاذ طه باقر . (المترجم)

فى قديم الزمان ، شجرة « خولوپو » ، شجرة ،
غُرست على ضفة نهر الفرات ،
وكانت تروى بماء الفرات —
عنف الرياح الجنوبية إقتلعها من جذورها ،
وقطع تاجها ،
وحملها (نهر) الفرات بعيداً على مياهه ،

وكانت المرأة تتمشى هنا وهناك خوفاً من كلمة « آن » ،
إنها تجوب المكان هنا وهناك خوفا من كلمة « إنليل » ،
وتناولت بيدها الشجرة ، وإلى « الوركاء » أتت بها :
« سآخذها إلى بستان « إينانا » المثمر الطاهر »

وكانت الامرأة ترعى الشجرة بيدها ، ووضعتها بالقرب من قدمها ،
« إينانا » بيدها رعت الشجرة ، وبالقــرب من قدمها وضعتها (لتكون على مقربة منها) ،
وقالت « متى ستصبح لى عرشاً مثمراً لأجلس عليه ؟ »

ونمت الشجرة ولكن جذعها لم يورق ،
لأن الحية التى لا تعرف التعاويذ بنت عشها فى جذورها ،
وعلى رأسها وضع طير « الأمدوجود » صغاره ،
وفى وسطها بنت الفتاة « ليليت » بيتها ،

الفتاة الضحوك ،الفرحة على الدوام ،
الفتاة « إينانا » — يالشدة بكائها !

وما إن انبثق النور ، وما أن أضيء الأفق ،
وما أن خرج « أوتو » (الشمس) من « الحقل الأميرى » ،
أخته ، « إينانا » المقدسة ،
قالت لأخيها « اوتو » :
« يا أخى ، بعد أن قُدرت المصائر فى الأيام الخوالى ،
وبعد أن أشبعت الوفرة الأرض ،
وبعد أن أخذ « آن » السماء ،
وبعد أن أخذ « إنليل » الأرض ،
وبعد أن نُقلت « ايرشيكجال » إلى العالم السفلى كجائزة له —

بعد أن أبحر ، بعد أن أبحر ،
بعد أن أبحر الأب إلى العالم السفلى ٠٠٠ ،
(تعيد « إينانا » هنا الفقرة كلها وتنتهى بالاسطر التالية :)

العذراء الضحوك ، الفرحة على الدوام ،
أنا العذراء « إينانا » ، يالشدة بكائى !

إن أخاها ، البطل « أوتو » المقدام ،
لم يقف إلى جانبها فى هذه المشكلة ٠

وما أن انبثق النور ، وما أن أضيء الأفق ،

عندما خرج « أوتو » (الشمس) من « الحقل الأميرى »

أخته ، « إينانا » المقدسة ،

خاطبت البطل « جلجامش » :

« يا أخى ، بعد أن قُدرت المصائر فى الأيام الخوالى ،

وبعد أن امتلأت الأرض بالخير ،

وبعد أن أخذ « آن » السماء ،

وبعد أن أخذ « أنليل » الأرض ،

وبعد أن حُملت « إيرشيكيجال » إلى العالم السفلى كجائزة له —

وبعد أن أبحر ، بعد أن أبحر ،

وبعد أن أبحر الأب إلى العالم السفلى . . . ،

(تعيد « إينانا » مرة أخرى الفقرة بكاملها ، منتهية بالأسطر التالية :)

العذراء الضحوك ، الفرحة على الدوام ،

أنا العذراء « إينانا » يا لشدة بكائى !

فوقف أخوها ، البطل « جلجامش » ، إلى جانبها فى هذه المشكلة ،

وتمنطق بدرع يزن خمسين « منا » —

خمسون « منا » حملها وكأنها ثلاثون « شيقلا »[1] —

وحمل « فأس الطريق » العائدة له —

---

(١) يعادل « الشيقل » $\frac{1}{60}$ من « المنا » التى تعادل ٥٠٠ غرام تقريباً .

(التي يزن) سبع « تلنتات »[1] وسبع « منات » ، بيده ،

وعند جذورها (أى الشجرة) قتل الحية التي لا تعرف التعاويذ ،

ومن على رأسها حمل طير « الأمدوجود » صغاره ، وطار هارباً إلى الجبال ،

وفي وسطها ، هدمت الفتاة « ليليت » بيتها ، وهربت إلى القفار ·

واقتلع الشجرة من جذورها ، وقطع تاجها ،

وقطع أبناء المدينة الذين رافقوه أغصانها ،

وقدمها لـ « إينانا » المقدسة لتصنع منها عرشاً لها ،

وقدمها لها لتصنع منها سريراً لها ،

وصنعت هي من جذورها « پوكّو » له ، (أي لجلجامش) ،

ومن تاجها صنعت « ميكّو » ،

« پوكّو » الدعوة للإجتماع — جعل الـ « پوكّو » يدوى في الشوارع والطرقات

وقرع الطبل العالى — جعل أصداء القرع تتجاوب في الشوارع والطرقات ،

كان شباب المدينة ينادى عليهم (بقرع) الـ « پوكّو » ،

وكانت المرارة والبلاء — وكان هو بلوى أراملهم[2] ،

وكن يندبن « يا قريبى ، ويا زوجى »

من كان له أم — كانت تجلب الخبز لإبنها ،

ومن كان له أخت — كانت تجلب الماء لأخيها .

---

(١) التلنت يساوى ٦٠ « منا » أى حوالى ٣٠ كيلو غرام . (المترجم)

(٢) إشارة إلى دعوة « جلجامش » الشباب إلى الحرب بقرع الطبل مما سبب الحزن والألم لنسائهم . (المترجم)

وبعد أن اختفت نجمة السماء ،

وحدد الأماكن التى كان (يضع) فيها الـ « پوكّـو » ،

حمل الـ « پوكّـو » أمامه وأتى به إلى بيته ٠

وعند الفجر ، (لم يجد الپوكّـو) فى الأماكن التى حددها ، فيا للأسى ويا للأسف!

أسرى ! وموتى ! وأرامل !

ومن أجل العذارى الصغار ،

سقط الـ « پوكّـو » ، والـ « ميكّـو » فى « السكن العظيم » ٠

فأدخل يده ، ولـكنه لم يستطع الوصول إليهما ،

وأدخل قدمه ، ولـكنه لم يستطع الوصول إليهما ،

فجلس عند البوابة العظيمة « جنزير » « عين » العالم السفلى .

وبكى « جلجامش » ، وشحب لون وجهه ٠

« يا لـ « پوكّ » ، ويا لـ « ميكّ » ،

إن « پوك » فتنته لا تقاوم ، وإيقاعه لا يقاوم —

آه لو كان « پوكّ » فى بيت النجار ،

ياليته كان عند زوجة النجار ، التى كانت كالأم التى ولدتنى ،

آه لو كان عند إبنة النجار التى كانت كأختى الصغيرة —

آه يا « پوكّ » ، من ذا الذى سيخرجه من العالم السفلى !

ويا « ميكّ » ، من ذا الذى سيعيده من العالم السفلى ! »

فقال له خادمه « أنـكيدو » :

« يا سيدى — علام تبكى ،

وعلام حل المرض الشديد بقلبك !

إن « پوكك » ، هو ذا سأخرجه من العالم السفلى ،

و « ميكك » سأخرجه لك من خلال « عين » العالم السفلى !

فقال « جلجامش » لـ « أنكيدو » :

إذا ما هبطت إلى العالم السفلى ،

سأقول لك كلمة ، فاستمع لكلمتى ،

وسأقدم لك النصح ، فخذ بنصيحتى :

لا تلبس ثياباً نظيفة ،

لئلا يهجم عليك أصحاب السلطة كأنهم أعداء ،

ولا تمسح جسمك بالزيت الطيب من الإناء ،

مخافة أن يتجمعوا عليك عند شم رائحته ،

ولا ترم عصا الرماية فى العالم السفلى ،

لئلا يتجمع عليك من تصيبهم بعصا الرماية ،

ولا تحمل عصا بيدك ،

لئلا تهيج الأشباح من حولك

ولا تلبس نعلا فى قدميك ،

ولا تحدث صوتاً فى العالم السفلى ،

لا تقبل الزوجة التى تحبها ،

ولا تصفع الزوجة التى تكرهها ،

لا تقبل الإبن الذى تحبه ،
ولا تضرب الإبن الذى تكرهه ،
لئلا يمسك بك صراخ العالم السفلى —
ذلك الصراخ من أجلها ، من أجل تلك النائمة ، تلك النائمة ،
من أجل أم « نناز » ، النائمة ،
التى لا يغطى جسمها المقدس رداء ،
والتى لا يغطى قدميها المقدس كساء » .

هبط « أنكيدو » إلى العالم السفلى ،
إلا أنه لم يلتزم بكلمات سيده —
ولبس ثياباً نظيفة ،
فهجم أصحاب السلطة عليه كأنهم أعداء ،
ومسح جسمه بزيت الكأس العذب ،
فتجمعوا من حوله من جراء رائحته ،
ورمى عصا الرماية فى العالم السفلى ،
فأحدق به أولئك الذين أصيبوا بها ،
وحمل عصا بيده ،
فاضطربت أشباح الموتى من حوله ،
ولبس نعلا فى قدميه ،
وأحدث صوتاً فى العالم السفلى ،
وقبّل الزوجة التى أحبها ،

وصفع الزوجة التى كرهها ،

وقبل الإبن الذى أحبه ،

وصفع الإبن الذى كرهه ،

فأمسكت به صيحة العالم السفلى بقوة —

لقد كانت الصيحة من أجل تلك الناءعة ، تلك الناءعة ،

من أجل أم « نناز » ، الناءعة

من لا يغطى جسدها المقدس رداء ،

ومن لا يغطى ثديها المقدس كساء .

ولم يستطع « أنـكيدو » الصعود من العالم السفلى —

إن من يمسك به بقوة ليس المصير ،

ولا يمسك به المرض بقوة .

إن العالم السفلى هو الذى يمسك به بقوة .

ليس الشيطان « نرجال » ، عديم الرحمة ، من يمسك به بقوة ،

إن العالم السفلى هو الذى يمسك به بقوة .

إنه لم يسقط فى المعركة « مكان الرجولة » ،

إن العالم السفلى هو الذى يمسك به بقوة .

وعندئذ قصد « جلجامش » مدينة « نفر » ،

وصعد وحيداً إلى « أنليل » فى نفّـر » ، وبكى :

« أيها الأب « أنليل » ، إن « پوكّـى » سقط فى العالم السفلى ،

وسقط « ميكّـى » فى « جنزير » (عين العالم السفلى) ،

فأرسلت « أنكيدو » لأخراجهما ،
ولكن العالم السفلى أمسك به بقوة .
إن من أمسك به بقوة ليس المصير ،
وليس المرض هو الذى أمسك به بقوة .
إن العالم السفلى هو الذى أمسك به بقوة .
لم يكن الشيطان « نرجال » ، عديم الرحمة ، من أمسك به بقوة ،
إن العالم السفلى هو الذى أمسك به بقوة .
ولم يقع فى المعركة « مكان الرجولة » ،
إن العالم السفلى هو الذى أمسك به بقوة .

ولكن الأب « أنايل » لم يقف إلى جانبه فى هذه القضية ،
فذهب إلى مدينة « أريدو » .
وصعد وحيداً إلى « أنكى » فى « أريدو » ، وبكى :
« أيها الأب « أنكى » إن « پوكىّ » سقط فى العالم السفلى ،
و « ميكّىّ » سقط فى « جنزير » (عين العالم السفلى) ،
وأرسلتُ « أنكيدو » لاستخراجهما ،
فأمسك به العالم السفلى بقوة ،
إن الذى أمسك به بقوة ليس المصير ،
ولم يمسك به المرض بقوة ،
إن الذى أمسك به بقوة هو العالم السفلى
إن الشيطان « نرجال » ، عديم الرحمة ، لم يمسك به بقوة ،

إن العالم السفلى هو الذى أمسك به بقوة .

إنه لم يقع فى المعركة « مكان الرجولة » ،

إن العالم السفلى هو الذى أمسك به بقوة .

ووقف الأب « أنكى » إلى جانبه فى هذه القضية ،

وقال للبطل « أوتو » المقدام (الإله — الشمس) ،

الإبن الذى ولدته « ننجال » :

« إفتح فتحة العالم السفلى ،

وأخرج شبح « أنكيدو » من العالم السفلى » .

ففتح فتحة فى العالم السفلى ،

وأخرج شبح « أنكيدو » من العالم السفلى .

فتعانقا وقبل كل منهما الآخر ،

وتنهدا وتشاورا :

« حدثنى ، ما الذى رأيته فى العالم السفلى ؟ »

« سأحدثك يا صديقى ، سأحدثك .

وتنتهى القصيدة بحوار ، وصل الينا بحالة سيئة ، مكون من أسئلة وأجوبة بين الصديقين تتعلق بالمعاملة التى يعامل بها الأموات فى العالم السفلى .

وبانتقالنا من الملحمة إلى الترتيلة ، نجد أن صياغة التراتيل فى بلاد سومر كانت فناً يرعى بعناية ، وكان مصقولا إلى درجة عالية . ووصلت إلينا عشرات التراتيل التى تتراوح فى أطوالها بين أقل من خمسين سطراً وما يقرب من أربعمائة سطر . وهناك

سبب وجيه يدفعنا على الإعتقاد بأن ما وصل إلينا لم يكن سوى جزء يسير من التراتيل التي ألفت في بلاد سومر في غضون قرون عديدة . ويمكن تقسيم التراتيل السومرية المتيسرة في الوقت الحاضر ، استناداً إلى محتوياتها ، إلى أربعة أصناف رئيسة : (١) التراتيل التي ألفت لتمجيد الآلهة ، (٢) التراتيل التي تمجد الملوك (٣) الأدعية الترتيلية التي تحتوي على أناشيد الحمد للآلهة موشاة بتبريكات وصلوات من أجل الملوك (٤) التراتيل التي كتبت تمجيداً للمعابد السومريه .

وجاءت التراتيل الإلهية أما على صورة خطاب موجه من الشاعر إلى الإله أو على شكل تمجيد للإله وإنجازاته بصيغة الشخص الغائب . ومن بين أطولها وأهمها التراتيل التالية : (١) ترتيلة لـ« إنليل » جديرة بالاهتمام بسبب تلخيصها الشعري لما تدين به المدنية لأحسانه ، (٢) ترتيلة للإله « ننورتا » لم توجه إليه باسمه هذا فقط ، وإنما باسمي « باجيلساج » و « نينجرسو » أيضا ، (٣) ترتيلة للإلهة « إينانا » من قبل « إنهيدوانا » التي عرفت منذ مدة طويلة بأنها كانت ابنة « سرجون » العظيم ، (٤) ترتيلة « إينانا » بوصفها كوكب الزهرة وهذه الترتيلة جديرة بالملاحظة لوصفها احتفال الزواج المقدس الذي أقيم احتفاء بزواج الإلهة والملك « ايدين — داجان » ملك « إيسن » في عيد رأس السنة الجديدة ، (٥) ترتيلة « اينانا » كإلهة الحرب والغضب (٦) ترتيلة « أوتو » بوصفه إله العدالة الذي يضع قواعد الكون ويشرف على نظامه ، (٧) ترتيلة للإلهة « نانشه » بوصفها وصية على أخلاق ومعنويات البشر الفاني ، (٨) ترتيلة لـ « هندورساج » وزير « نانشه » المنتخب بشكل خاص والموكل المسؤول بالحكم على حسنات وسيئات الإنسان ، (٩) ترتيلة للإلهة « ننسينا » بوصفها « طبيبة ذوي الرؤوس السود المعظمة »، الإلهة الحامية لفن الدواء والعلاج ، (١٠) ترتيلة « ننكاسي » بوصفها إلهة المشروبات المسكرة ، (١١) ترتيلة « نيدابا » بوصفها إلهة الكتابة وفن تدوين الحسابات والحكمة ، (١٢) ترتيلة للإله « سوموجان » بوصفه « سيد القصر » وكقاضي ذوي « الرؤوس السود » وحاميهم .

وأهم مجموعة من الترتيل التي تمجد الملوك هي المجموعة العائدة إلى الملك « شولجي » ثاني ملوك سلالة أور الثالثة ، ويمكننا في الوقت الحاضر إعادة بناء خمس منها إلى مثل ما كانت عليه كلياً أو جزئياً . وتغنى ترتيلتان بحمد والد « شولجي » الملك « أور — نامو » . ويوجد عدد كبير من التراتيل التي تخلد حكام سلالة « إيسن » التي أعقبت سلالة أور الثالثة وبصورة خاصة « إيدين — داجان » و « أشمي — داجان » و « لبت — عشتار » . وكانت أغلب التراتيل الملكية عبارة عن مديح مبالغ فيه للذات ، وهناك ما يفيد على أن الملوك أنفسهم كانوا ينشدون أناشيد في تمجيد الذات طنانة ومليئة بالغرور ، دون تردد أو تمنع . إن هذا السلوك الملكي غير الاعتيادي ، والذي من وجهة نظرنا لا يليق كثيراً بملك ، لم يكن بلا أهمية من الناحية النفسية ، لأنه كان يتفق مع سعيهم الدائب من أجل الشهرة والرفعة ، ذلك السعي الذي كان سمة متميزة من سمات الملوك السومريين (أنظر الفصل السابع) .

ومن النماذج المفضلة كثيراً عند مؤلفي التراتيل السومريين نموذج من التأليف تظهر فيه الأناشيد الموجهة للآلهة ممزوجة بالتبريكات والأدعية من أجل خير الملوك . وكانت الآلهة الرئيسة جميعها تقريباً ، باستثناء الإلهة الأم « نينخور ساج » ، وهذا أمر لم يكن بالأحرى متوقعاً ، ممثلة في هذا الصنف من التراتيل ، وهم : « آن » و « أنليل » « أنكي » و « نانا » ، و « أوتو » ، و « ننورتا » و « نرجال » و « إينانا » و « باو » و « ننسنا » . أما بالنسبة للملوك الذين كانت البركات تطلب لهم ويصلى من أجلهم فهم حكام سلالة « أور » الثالثة جميعهم ، وأوائل حكام سلالة « إيسن » الأولى . لقد وجهت واحدة من هذه التراتيل إلى الإلهة « باو » بوصفها صديقة « أيانا تم » ملك « لجش » وحاميته ، مما يشير بشكل قاطع الى أن هذا النموذج من التراتيل كان سائداً بالفعل في بلاد سومر في العصر الذي سبق العهد السرجوني .

وأخيراً ، فإن تراتيل المعبد ممثلة بأغنية حمد لـ « أيكور » ، معبد « أنليل » في « نفّر » ، وبترتيله موجهة لمعبد الإلهة « نينخو ساج » في مدينة « كش » (1)

---

(1) مدينة « كش » (Kesh) هي غير مدينة « كيش » المشهورة . المترجم

وأفضل هذه التراتيل كلها هى الترتيلة الممثلة بقطعة تتـكون من أكثر من أربعمائة سطر تضم تراتيل مختصرة موجهة إلى جميع معابد سومر وأكد المهمة . وأكثر تراتيل المعبد الموجودة جدارة بالإهتمام هى تلك الترتيلة المدونة على إسطوانات «جوديا» المعروفة منذ مدة طويلة ، والمؤلفة مما يقرب من أربعمائة وألف سطر من الـكتابة ألفت أحتفاء بأعادة بناء معبد « أينينو » فى مدينة « لجش » .

وإذا تحولنا الى مظـاهر المؤلفات الترتيلية الشـكلية ، فاننا نجـد مما يسترعى الإنتباه هو أن كتابة التراتيل قـد أصبحت فناً أدبياً مصقولا فى بلاد سومر بحيث كانت مصنفة إلى أصناف متنوعة من قبل الشعراء القدامى أنفسهم ، وألحق كثير من التراتيل الموجودة بمجموعاتها المناسبة بملاحظة تأتى على شكل تذييل خاص يكتب فى نهاية القطعة . وكانت الـكلمة السومرية الشائعة التى تعبر عن التراتيل هى «سير» التى قد ترتبط أولا ترتبط بالـكلمة العبرية «شير» . وكانت من أصناف الـ « سير » الـ « سير — خامون » ولعلها كانت « تراتيل الإيقاع ، و « سير — نامنار » ، « تراتيل موسيقية » ، و « سير — نامجـالا » ، « تراتيل خاصة بوظيفة الجالا » ، و « سير نامورساجا » ، « تراتيل البطولة » ، و « سير ناميسباد — إينانا كا » ، « تراتيـل رعوية الإلهة اينانا » ، والمقصود فى هـذه الحالة بلا شك الإله الراعى «دوموزى » (زوج إينانا) . أما الأصناف الترتيلية التى يبـدو أنها سميت بأسماء الآلات الموسيقية التى تصاحبها عندما تنشد ، فهى « تيجى » ولعلها كانت ترتيلة تصطحب بقيثارة ، و « إرشما » ، ولعلها كانت ترتيلة تصطحب بطبل ، و « أداب » وهى ترتيلة تصطحب بآلة من الآلات الموسيقية الوترية ، مازالت حتى الآن مجهولة . وكانت تراتيل الـ « تيجى » والـ « أداب » مقسمة من قبل الشعراء القدامى إلى أقسام تحمل الملاحظتين « ساجارا » و « ساجيدا » — ويبدو أن معنى الأولى الحرفى هو « مجموعة الأوتار (؟) » ، ومعنى الثانية « الأوتار الطويلة » ، وهذا دليل آخر على أن هذه التراتيل كانت تصطحب بالآلات الموسيقية . وتشمل تراتيل الـ «أداب» أيضاً أجزاء خاصة تحمل الملاحظتين « بأرسود » و « شاباتوكو » اللتين مازال معناها غير معروف ، وتختتم هذه التراتيل عادة بدعاء من أجل خير الملك مكون من

ثلاثة أسطر ، يطلق عليه إسم « أورونيم » ، وهو عنوان مازال معناه مشكوكاً فيه . ويستخدم كل من صنفي الـ « أداب » والـ « تيجي » أيضاً ترنيمة تجاوبية ، تتألف من سطر إلى أربعة أسطر ، وهي شيء شبيه بالدور الذي تردده مجموعة المنشدين ، وتحمل أيضاً ملاحظة مازالت غامضة المعنى يمكن قراءتها مبدئياً بـ « أزكيج » . وأخيراً يوجد عدد من التراتيل المقسمة إلى مقاطع شعرية مع ملاحظة « كيروجو » أي « ثني الركبة » ، التي تعقبها غالباً قطعة تشبه الدور تسمى « أزكيج » .

وتتألف المناحات السومرية بصورة رئيسة من صنفين : تلك التي تبكي على تدمير المدن السومرية ، وتلك التي تنوح على موت الإله « دوموزي » أو على واحد من نظرائه . وتتصل اثنتان من أحسن ما وصل إلينا من النوع الأول بتدمير مدينة « أور » . بينما تتصل ثالثة بتدمير مدينة « نفّر » ، وتبدأ هذه كمرثية ولكنها تنتهي بملاحظة تنم عن السرور بإعادة بناء المدينة من قبل « أشمي — داجان » ملك « إيسن » . أما بالنسبة للمناحات على « دوموزي » فإنها تتراوح في أحجامها بين تآليف طويلة ذات أكثر من مائتي سطر إلى مراث مقتضبة ذات أقل من خمسين سطراً . ولقد نشر عدد لا بأس به من نصوص « دوموزي » هذه حتى هذا التأريخ إلا أن عدداً كبيراً منها مازال بلا ترجمة يعتمد عليها ؛ وعلى الأخص تلك النصوص المدونة بطريقة لفظية وليس بالأسلوب التاريخي ، مما جعل حتى تقسيم الكلمات أمراً غير مؤكد ، ناهيك عن المعنى والتفسير .

ويتصل الرثاء ، أو أناشيد الدفن بأدب المناحاة والبكاء ، وكان هذا الضرب من الأدب السومري مجهولا تماماً حتى سنة ١٩٥٧ عندما عثرتُ خلال زيارة إلى الإتحاد السوفياتي على لوح في متحف « بوشكين » (في موسكو) دونت عليه مرثيتان من هـــذا الضرب الأدبي ، وقمتُ بإعداد نسخة مفصلة من النص بمعاونة متحف « بوشكين » نشرت في سنة ١٩٦٠ . وقد استند ملخص محتويات هاتين القصيدتين والترجمة المقدمة هنا على تلك الدراسة .

لقد كان اللوح ، الذى دون بلا ريب فى مدينة « نفّـر » القديمة فى حدود سنة ١٧٠٠ ق ٠ م ٠ — ومن الجائز طبعاً أن يـكون قد ألف لأول مرة قبل هذا التأريخ بوقت طويل — مقسما من قبل الـكاتب القديم إلى أربعة حقول (أو أعمدة) ٠ ويحتوى هذا اللوح على قطعتين بحجمين مختلفين يفصل بينهما خط مستقيم ٠ وتتألف أولى القطعتين وأطولها من ١١٢ سطراً من الـكتابة ، بينما تتألف الثانية من ٦٦ سطراً فقط . ويعقب نص القطعتين ، بعد فاصل مكون من خطين ، تذييل مؤلف من ثلاثة أسطر يعطى عنوانى القطعتين مع عدد الأسطر الذى تحتوى عليه كل قطعة على انفراد ومجموع الأسطر فى كليهما معاً . ويتألف الجزء الأكبر من كلا القطعتين من ترنيات جنائزية كانت تنشد من قبل شخص يسمى « لودينجيرا » . فى الأولى نجـد « لودينجيرا » يندب على موت أبيه « نانا » ، الذى، إذا كان فهمى للقطعة المتعلقة بالموضوع صحيحاً ، توفى من جروح أصيب بها فى نوع من أنواع الصراع الجسدى . وفى الترنيمة الثانية نجد « لودينجيرا » نفسه ينوح على وفاة زوجته الطيبة المحبوبة « ناويرتوم » ، التى ماتت فيما يبدو ميتة طبيعية ٠

وسبقت الترنيمتين فى كلا القطعتين مقدمات الغرض منها تهيئة المشهد ٠ وكانت مقدمة الترنيمة الأولى تتألف من عشرين سطراً ، ولذلك تعتبر مختصرة نسبياً إذا ما قورنت ببقية القطعة . أما مقدمة الترنيمة الثانية فتتألف من ٤٧ سطراً وهى على هذا أطول من بقية القصيدة بحوالى مرتين ونصف . ومن ناحية الأسلوب تستخدم كلا القطعتين أسلوباً شعرياً رفيعاً يتميز بنماذج متنوعة من التـكرار والطباق والأدوار التى ترددها مجموعة المنشدين ، والتشبيهات والإستعارات ٠ وكانت أعمال المتوفى وحسناته ، وما ألم بأولئك الذين تركوا وراءه من الحزن والألم ، تذكر إنشاداً بعبارات طنانة مليئة بالزهو . على أن هذا الأسلوب (أى الإطناب بفضائل الموتى) مظهر مفهوم من مظاهر الأناشيد والخطب الجنائزية فى كل مكان وزمان ٠

إن مقدمة القطعة الأولى تبدأ بعبارة نثرية مكونة من سطرين تبين ، على ما يبدو أن أحد أبناء المتوفى كان قد رحل إلى أرض نائية وإنه استدعى إلى « نفّـر » حيث

كان أبوه يرقد مريضاً بعلة لا شفاء منها . ويعقب تلك العبارة ستة أسطر يصف كل سطر منها الأب بعبارات من الإطراء الكبير وتنتهى بالدور القائل « لقد أصابه المرض » ثم تلى هذه السطور فقرة تصف شدة مرض ومعاناة الأب وموته الذى كان أمراً لابد منه . ووصلت أنباء المصيبة إلى الإبن الذى كان فى « رحلة بعيدة » فعاد بعدئذ — كما يمكننا أن نفترض — إلى « نفَّر » وألف بعد أن غمره الأسى المرثية التى ستأتى فيما بعد .

تبدأ الترنيمة نفسها بوصف الحزن الشديد الذى ألم بزوجة المتوفى التى كانت ، على ما يفترض ، أم « لودينجيرا » ، وبكاهنة من صنف « لوكور » من كاهنات الإله « ننورتا » لم يذكر اسمها ، وحزن كاهنة من صنف (إن en أنْ من كاهنات الإله « نوسكو » لم يذكر اسمها أيضاً ، وحزن أولاد المتوفى ، وتواصل الترنيمة وصفها للحداد على المتوفى الذى أُعلن من قبل بناته ، وكبار وكبيرات مدينته « نفَّر » وعبيده . وعند هذه النقطة ، وبصورة تدعو بالأحرى إلى الإستغراب ، يدخل فى الوسط ما يبدو بأنه دعاء مكون من سطر واحد يتعلق بابن المتوفى الأكبر . وتأتى بعد هذا الدعاء فقرة تحتوى على عدد من اللعنات على قاتل « نانا » وعلى ذريته . ثم تنتهى الترنيمة بسلسلة من الأدعية : فهناك دعاء من أجل خير المتوفى فى العالم السفلى وآخر يدعو له بالمعاملة الحسنة على يد إلهه الشخصى وإله مدينته ، ودعاء من أجل رخاء زوجته وأولاده وذوى قرباه .

وتحتل مقدمة المرثية الثانية ، كما ذكرنا سابقا ، الجزء الأكبر من القصيدة ، فهى تبدأ بالإعلان عن وفاة « ناويرتوم » فى سلسلة من التشبيهات الموضوعة فى صيغة طباق ، والإستعارات ، وتواصل وصف الحزن الذى ألم بعد ذلك بسكان « نفَّر » . وبعد فقرتين شديدتى الغموض — تصف أُولاهما على مايبدو توقف بعض الشعائر الدينية المهمة فى « نفَّر » نتيجة لوفاة « ناورتوم » — يظهر على المسرح « لودينجيرا » ليتلو مرثيته . ومن الممكن تقسيم الترنيمة نفسها إلى قسمين : نواح مرير على فقد

« لودينجيرا » لزوجته يتألف من سلسلة من المتطابقات يعقب كل منها دورة شابه ، وسلسلة من الأدعية من أجل خير المتوفاة وخير زوجها وأبنائها وأهل بيتها .

أما بالنسبة لأهمية الرثيتين ودلالتهما ، فإننا لسنا بحاجة إلى القول بإن لها فضيلة حقيقية كبيرة كجهد أدبي ، فهما تحاولان — فى صغية شعرية خيالية ، نقل مشاعر الإنسان وعواطفه العميقة التى تولدها الخسارة المحزنة بالموت الذى لا بد منه ، لأقرب الأقرباء وأعزهم . وتمثلان من وجهة نظر تأريخ الأدب أولى أمثلتنا الثمينة من أدب الرثاء — فهما أسبق بعدة قرون من الترنيمات الداوودية من أجل « شاؤول » و« يوناثان »[1] ، والمرثيات الهومرية من أجل « هيكتور »[2] التى تختتم الألياذة بعبارة محزنة جداً — وعلى ذلك لا بد أن يبرهنا على أن لها قيمة لا تقدر بالنسبة لأغراض الدراسة المقارنة . إن أولى القصيدتين ذات أهمية أيضاً بالنسبة لفهمنا للنظرية الكونية السومرية ، لأننا نعرف منها أن الحكماء السومريين ، أو على الأقل بعضاً منهم — كانوا يعتقدون بأن الشمس تواصل بعد الغروب ، رحلتها خلال العالم السفلى فى الليل ، وأن الإله — القمر « نانا » كان يقضى « يوم سباته » . أى آخر يوم من كل شهر فى العالم السفلى .

وأهم من هذا كله ، إن القصيدتين ، وعلى الأخص الأولى منهما ، تلقيان ضوءاً جديداً قويا على أفكار السومريين عن الحياة فى العالم السفلى . وعلى هذا ، مثلا ، نعرف الآن لأول مرة عن « مقاضاة الموتى » وإن الإله — الشمس « أوتو » قاضى البشر بلا منازع — كما هو المتوقع ، هو الذى كان يقرر القررات ، ونعرف أيضاً

---

(١) كان « يوناثان » بن شاؤول صديق داوود . (المترجم)

(٢) كان « هيكتور » فى الميثولوجيا الإغريقية أكبر أبناء الملك ابن « بريام » ملك طروادة ، وأشجع أبطال هذه المدينة . وكانت شخصيته على ما يرجح من ابداع « هومر » إذ ظهر فى الإلياذة كقائد يقود الطروادين إلى المعركة . ولكنه قتل على يد « خيليس » الذى ربط جثته بعربته وجرها إلى السفينة . واصبح « هيكتور » موضوع طقس فى أماكن مختلفة وخاصة فى طراودة وطيبة ، ويعتقد ان عظامه نقلت إلى المدينة الأخيرة بمعجزة . (المترجم) :

بأن الإله — القمر « نانا » ، كان بطريقة ما ، « يقرر مصير » الأموات فى اليوم الذى كان يزور فيه العالم السفلى .

أما بالنسبة لمؤلف الترنيمتين والدوافع التى كانت وراء تأليفهما ، فليس هناك أدنى شك بأن كاتب القصيدتين كان واحداً من الـ «أومايا» ؛ أى خريجى المدرسة الذين كانوا يعملون ويدرسون فى « أيدوبا » ، (أى المدرسة) السومرية وأن نفس القطعتين كانتا تستخدمان كنصوص لتدرس وتستنسخ من قبل طلاب الـ «أيدوبا» . وعثر فى الواقع حديثاً على سطر واحد من أسطر المرثية الأولى مكتوبا بخط المعلم والطالب على لوح صغير من الألواح الذى كان يستخدم فى التمرن على الكتابة وجد فى مدينة « نفّر » . وكان المؤلف فى ظاهر الأمر يكتب كما لو كان يقوم بمجرد تأليف مقدمتين للقصدتين ، بينما قدمت الترانيم نفسها ، على ما يفترض ، كما لو كانت فى الحقيقة من كلمات « لودينجيرا » أضف إلى ذلك أن المؤلف ينص ، فى الترنيمة الأولى على الأقل ، على أن «لودينجيرا» قد كتب مرثيته ، مما يدعو إلى الإفتراض ضمنا بأنه كانت أمام المؤلف فى الواقع نسخة من ترنيمى «لودينجيرا» . ولكن ذلك كله لا يبدو بالأحرى محتملا ، خاصة فى ضوء وحدة الأسلوب التى تميز المقدمتين والترنيمتين . وأهم من كل ذلك أن المرء يترك مع الإحساس بأن الرثيتين لم يكونا سوى جهود تخيلية خلاقة من جانب شاعر هزه حافز جمالى إلى تأليف أنشودة جنائزية باينة ومؤثرة ، كما لو كان قد دفع مثلا إلى تأليف قصيدة ميثولوجية أو ملحمية .

ونقدم فيما يأتى ترجمة حرفية للمرثيتين مع كل ما يرافقها من علامات الاستفهام والثغرات على ما فى هذا من إرباك للقارىء وذلك لأن أجزاء من النص لسوء الحظ معقدة وغامضة جداً .

المرثية الأولى

لقد بعث [و لد] (رسولا) إلى مكان بعيد فى طلب ابنه ،

ذلك الإبن الذى كان قد رحل إلى المكان النائى لم [يهمل] إرشادات

« تلـكم الأيام ».

إن الأب الذى يقطن المدينة قد مرض ،

اللامع الغالى ، الذى لاوجود له (إلا) فى الجبال النائية ، قد مرض ،

من كان وسيماً (و) جذاباً (؟) فى كلامه ، من ... قد مرض ،

من كان له جسم جذاب (؟) ورأس (جذاب) ، قد مرض ،

من كان حكيما فى تخطيطه ، ومؤهلا جداً (لعضوية) المجمع ، قد مرض ،

من كان رجل صدق ، ويخشى الإله ، قد مرض ،

لقد مرض ، ولم يأكل — لقد كان يضنى (؟) ،

بفمه (؟) المطبق تماماً ، لم يتذوق طعاماً ، فهو يضطجع جائعاً ،

كالوح (مائى) (؟) ، كجدْى (؟) ، إنه ... ،

البطل ، القائد (؟) ، لا [يحرك (؟)] قدماً (؟) ،

من (؟) .. المريض ، كان يذوى من النحـ[ـيب (؟)] من أجل (؟) أبنائه (؟) ،

القلب مكروب ، [يرتجف (؟)] من النواح ،

لقد مات العلاّمة فى « نفّـر » (من جروح أصابته) فى هجوم (؟) ،

ووصل (نبأ) هذا الأمر إلى ابنه وهو على سفر بعيد ،

وكابن لم ينفصل (؟) عن أبيه ،

لم يرجع (؟) الرداء (؟) الذى أرسل (.) إليه ،

لقد ذرف الابن الدموع ، وألقى بنفسه فى الرغام وأنشد من أجله « ترتيلة

نُشيد » ،

وألف « لوديغجيرا » من قلبه المحترق (؟) مرثية :

« أيا أبتى — يامن مات فى هجوم (؟) ،

أيا « نانا »[1] — يامن أُخذ إلى العالم السفلى بالشر الذى خطط ضده ،

امرأتك — ياللعجب ! فقد كانت سابقاً (؟) امرأته ، (ولكن) هى الآن أرملة —

تدور (؟) حواليك كأنها دوامة هوائية ··· ، لأن الفرح ··· ،

وكأنها ··· هى تعمل من أجلك ، (نعم) من أجلك ـ لقد فقدت صوابها ،

وأطلقت [صرخة ألم] كما لو كانت على وشك أن تلد ،

تحول الـ ··· ، [تئن (؟)] كأنها بقرة ،

··· أطلقت صرخة (ألم) ، وتذرف الدموع ،

وغطت (؟) ··· ها ، و (؟) أخذت (؟) ماهو حق (؟) ،

··· فى الظلام (؟) ··· ؛

من يجمع (؟) ··· ،

ويلمسك ، الـ (؟) قلب ··· مهموم (؟) .

« من (؟) ·· ينزغ (؟) ·· عند الفجر (؟) ،

من بين الـ ·· التى تستوطن فى ·· ، كاهنة [الإله ننورتا] (؟) من صنف « لوكور » ،

من الـ ·· قد ألقت نفسها [فى التراب (؟)] ،

---

(١) اسم الأب المتوفى . (المترجم)

كإله حزين (؟) هى . . . ،

صيحاتها (؟) (من الحزن) . . شرير ،

فى (؟) وسط (؟) المعبد (؟) هى (؟) . . . ، . . . ،

قد جعلت (؟) الـ[ناس المنتشرين انتشاراً] واسعاً (؟) . . القمح والمـاء (؟) .

« فوضى (؟) المعارك (؟) كاهنة (الإله نوسكو) (من صنف) الـ « أنْ » ،

. . . مزقت (؟) من أجلك (؟) — لأنك . . ها (؟) . . ، . . ،

. . . . . ،

. . . . من حجرك ،

. . . . . ،

. . . . . ،

« أبناؤك [الذين « ؟ »] كانوا يُعاملون (؟) كما يعامل أبناء ملك ،

مهما هم (؟) يأكلون . . . ،

مهما هم (؟) يشربون ... ،

عسل (و) سمن هم (؟) ... ،

المائدة (؟) يملأونها (؟) بالدهن لك ،

الدموع التى ذرفوها من أجله دموع تثير الشفقة (؟) ،

وحدادهم (؟) من أجله هو (حداد) (أناس) محبين (وذوى) قلوب نقية،

وكالقمح الذابل أنهم ...

فراخ الطيور تعود (؟) ... ، رفعت (؟) ... ،

وعرائس (؟) أبنائك اللواتى قلن : « أين (آه) أين هو الآن ؟ » —

لقد وقع (؟) عليهن (؟) ... ك ،

وفى ... قد أسكت (؟) من أجلك ... ،

وفى أحضان (أعضاء) البيت (؟) ... من أجلك .

... لك ... أصوات عذبة ... ينام ... ،

مثل ... قد كان ... ،

نواح الـ ... من أجلك (؟) لا ينقطع .

« يا أبتى ، [عسى أن يطمئن قلبك] ،

أيا « نانا » (عسى أن تسعد) روحك ،

الرؤساء والحكام ...

[عسى (؟)] أولئك الذين تخلصوا من يد الموت ... ،

إن يد الموت كانت ... فى (؟) ... هم (؟) ، و (لا) أحد ... ،

الموت منه ... (؟) الآلهة ، الموضع الذى يقرر فية المصير ...

عسى ذريتك ... ركبتك (؟) .

بناتك قد ... من أجلك فى ... هن (؟)

كبار مدينتك [أقاموا (؟)] الحداد (؟) (من أجلك) ،

سيدات مدينتك قد ... من أجلك ،

العبيد [عند (؟)] حجر الرحى — [ذرفوا (؟)] ... الدموع من أجلك ،

المنزل حيث (؟) وضع (؟) — .

عنده — فضة (؟) ، وحصل على القمح ، و [تضاعفت (؟)] ممتلكاته ،

« عسى الأبن الأكبر [أن يؤسس (؟)]لك — أسسا ثابتة » ،
« الرجل الذى قتلك ، [الذى(؟)] كامرىء ... القلب ... ،
من هجم (؟) عليك (نعم) عليك ، بقوة قاسية ...
الثأر المؤكد (؟) يعود للملك (؟) ، الراعى ، إلهك (الشخصى) ،
المشورة الصادقة (؟) تعود لـ « أوتو » —
ذلك الرجل [عسا] ه أن يكون رجلا ملعونا ، والموت [سيكون نصيبه] ،
[و [عسى ألا يدفن] أحد عظامه ،
وذريته ، [عسى أن يمحى] (؟) اسمها ،
وعسى ممتلكاتهم كعصافير... طائرة (؟) ...
وعسى ... البلاد (؟) ...
يجلبون (؟) كلماتك المرضية ... عسى أن يجعلوك مرتاح البال ،
أيا « نانا » عسى أن تسعد روحك (؟) وعسى أن يرتاح قلبك ،
إن « أوتو » ... سيد مثوى الأموات العظيم ،
بعد أن يضىء الأماكن المظلمة ، سيقضى فى قضيتك (لصالحك) ،
وعسى أن يقرر « نانا »[1] مصيرك (بشكل مرضٍ) ،
و [عسى] « نرجال » ، « أنليل » العالم السفلى[2] ... قبله (؟) ،

---

(١) المقصود هنا الإله — القمر « نانا » وليس « نانا » الرجل المتوفى . (المترجم)

(٢) يقصد بهذه العبارة أن الإله « نرجال » يتمتع بنفس صلاحيات الإله العظيم « أنليل » الإله — العاصفة فى العالم السفلى . (المترجم)

وعسى أن ينطق الأبطال (؟) آكلو الخبز باسمك .. ، ... طعام ،

و [عسى] ... ، العالم الأسفل .. عطف ... ،

وعسى (؟) شاربو الـ ... [أن يطفئوا « ؟ »] ظمأك بالماء العذب ،

[عسى « ؟ »] ... ،

و [عسى « ؟ »] « جلجامش » .. قلبك (؟) ، بنوة ،

و [عسى] أن يكون « نيدو Nedu »(١) و « إيتانا » حليفين لك ،

آلهة العالم الأسفل سوف [تقرأ (؟)] الأدعية من أجلك ،

وعسى أن يقول إلهك (الشخصى) « كفى ! » وعسى أن [يقرر (؟)] مصيرك بصورة ودية ،

وعسى إله مدينتك .. من أجلك ، قلب ... ،

وعسى أن [يلغى] لك وعود (ك) (؟) وديونـ(ك) ،

وعسى أن (يمحو) إثم الأسرة [من] التقارير (؟) ،

و [عسى أن يجر إلى العدم] الشر المخطط ضدك .. ،

وعسى أن يسعد أولئك الذين تركهم وراءك ، (عسى) .. ،

وعسى الـ .. يأخذ (؟) ... ،

وعسى الأرواح (الخيرة) (و) الجن [أن تحمى (؟)] .. ك ،

وعسى أن يكتب (؟) للأبناء الذين أنجبتهم الزعا [مـة « ؟ »] .

وعسى أن تتزوج (جميع) بناتك ،

وعسى أن تبقى امرأتك بخير ، عسى أن يتضاعف (عدد) أقربائك ،

---

(١) يرد أحياناً (نيتىNite) وهو رئيس حراس «جبل اللازورد» فى العالم السفلى . (المترجم)

عسى أن يغمرهم الرخاء والخير (؟) يوما بعد يوم ،
فى . . . ك عسى ألا تنقطع قط الجعة والخمرة (وكل) الطيبات أبداً .
وعسى أن يكون ابتهال (؟) أسرتك إلى الأبد (كأنه) ابتهال (؟) إلمك (الشخصى) ! »

المرثية الثانية

لقد [حل « ؟ »] يوم مشؤوم بالسيدة فى (. ؟) . . . ها (؟) .
وعلى السيدة الوسيمة ، السيدة المفضلة . [وقعت (؟)] العين الشريرة .
و [وقعت] على الطيرة الصغيرة الخارجية ، (؟) من عشها الشبكة (؟) ،
لقد [قبض] على الأم الولود ، أم الأبناء العديدين « [بقوة] » من قبل فخ (؟) ،
إن البقرة الودودة الملونة ، البقرة الوحشية الخصبة (؟) ، [تنام مهشمة (؟) ،]
كأنها أناء من من نوع « (جاكول) » .
« (ناويرتوم) » ، البقرة الوحشية المخصبة (؟) [تنام مهشمة (؟)]
كأنها أناء من نوع « (جاكول) »
هى التى لم تقل (قط) « إننى مريضة ؟ » لم يعن بها ،
هى التى لم . . (قط) لم . . إله المكان (؟) ،
كأنه مكان راحتهم (؟) . . هم المقذوف (؟) لم يكن . .

« نفر » ملبدة بالغيوم (؟) ، وفى المدينة . . . ،
على الجموع وقعت صرخة (؟) بلاء (؟) . . . ،

... ،

... ،

وغمرتهم الشفقة على تلك التى انتهت حياتها (؟) ،

وعلى كونها طرحت (؟) كتمثال ذهبى ، إنهم (؟) مصابون بالكرب (؟) —

إن الذى ينظر إليها ، (كيف) لا يحزن (؟) ؟

النساء الباكيات ... ،

إن أحسن (؟) أناشيد المنشدين (؟) ذات الكلمات العذبة ،

تحولت فى كل مكان إلى عويل (و) أنات (؟) .

لأن (؟) ... قد عاد (؟) [أنشدو] ها (؟) كانشودة من أجلها .

لأن (؟) من .. ها الصغير ،

الـ .. الحجرى ... ،

لأن (؟) أيامها فى حجر زوجها لم تكن طويلة لذلك ينقطع البكاء ،

ولأن (؟) من .... ه لم يرجع (؟) « ندورتا » الصبيحة المليئة بالفرح ،

لأن (؟) كاهنة « أن » المحبوبة لم تدخل الـ « جيبار » ،

الجمارة التى أختيرت كزوجة (؟) لم تقبل (؟) كقربان (؟) ،

لأن (؟) .. قد انهى (؟) بجانبه ،

أنه (؟) ينهض (؟) بعظمة (و) عطف ، ويلقى مرثية من أجلها ،

لأمها (؟) التى أنجبتها (؟) هو ٠٠ ، هو ٠٠ من أجلها ،
حصصهم (؟) يحولها من أجلها إلى (؟) ٠٠٠
وأرواحهم (؟) خرجت أمامها (؟) وأجسامهم (؟) الشريرة (؟) تمزقت
(؟) أربا (؟)
٠٠٠ بهم (؟) عمالهم (؟) و ذو القربى ... ، بهم (؟) .
لأن (؟) ٠٠ من الركبة (؟) — ،
أنهم لـ (؟) يقفوا — ،
(جميع) حسناتهم كن ٠٠٠ ،
—— ، ( )
كرجال حانقين ، الأحجار . ٠٠ مريض (؟) ،
فى مدينتها (؟) النور من أعلى . ٠ لم يتزايد يزداد (؟) .

عندئذ زوجها [الحب] بمفرده . . ،
فى مدينته ، فى « نـفَّر » ، المدينة (؟) .
« لودينجيرا ، زوجها [الحبيب] [وحيدا] ٠ ،
فى مدينته ، فى « نـفَّر » ، المدينة (؟) ٠ ٠ ،
دنا منها بقلب معذب (؟) [فى (؟)] ٠ ٠ مكان السكن العظيم ،
أخذوا (؟) يده (؟) وقلوبهم مفعمة [بالحزن] (؟)
٠٠ ، قطع [؟] من الغذاء ، وكان نفسه كان مختلفاً [؟] ،
ذلك الذى لم ثياب الـ ٠ ٠ [؟] ٠
وأطلق الإناث [؟] كأنه بقرة ٠

ويرتدى . . [؟] إنه ينتحب أمامها [ويقول] :

« آه أين الآن .. أريد أن أصرخ لك ،

أين الآن [الإلهة] « ميمى » [و] الجنى ، الفتان [؟] إريد أن أصرخ لك ،

أين الفم [؟] [الجميل « ؟ » [الفم الجذاب [؟] الفم المهذب [؟] أريد أن أصرخ لك ،

أين سلاحى [؟] الجذاب [؟] ، الكنانة المصنوعة [؟] بفخامة [؟] ، أريد أن أصرخ لك

أين ذلك الذى يجعل الوجه [؟] مشرقاً مستشارتى الأميرية أريد أن أصرخ لك ،

أين . . العائد لى ، ماستى المتألقة أريد أن أصرخ لك ،

أين أغانىّ العذبة التي تفرح القلب ! أريد أن أصرخ لك ،

أين سلاحى [؟] الجذاب [؟] الكنانة الذهبية التى تضىء الروح ! أريد أن أصرخ لك ،

أين رقصى ، رقص « رفع اليد » والسعر [؟] ، أريد أن أصرخ لك ،

« عسى أن لا تنمحى طريقتك (فى الحياة) (من الذاكرة) ، وعسى أن ينطق باسمك (فى الأيام القادمة) ،

وعسى أن يمحى ذنب أسرتك ، وعسى أن تلغى ديونك ،

وعسى أن يبقى زوجك بخير ، وعسى أن يوفق كرجل شجاعة وكشيخ (؟) ،

وعسى أن يبقى زوجك بخير ، وعسى أن يوفق كرجل شجاعة وكشيخ (؟) ،

وعسى يبشر أبناؤك بالخير ، وعسى أن يكون مصيرهم (مصيراً) سعيداً ،

وعسى أن تتقدم أسرتك إلى الأمام ، وعسى أن يكون مستقبلها (مستقبلا) حيــاً ،

وعسى أن يجلب « أوتو » ضياء لك من العالم السفلى — هو الذى ٠٠٠
لأن العاصفة العاتية قد تحولت (؟) ضدك ، عسى أن يردها الأفق على عقبها٠
إن الشيطان الذى جعل يده ضدك — عسى أن تعلن (؟) لعنه قاسية عليه ،
ولأن السيدة الكريمة تنام كأنها ثور فى أبهتها (؟) — إن النواح مرير
من أجلك ! »

إن التدوين التأريخى[1] — كما سبق أن أشرنا إلى ذلك فى هذا الكتاب ، لم يكن من الصيغ الأدبية المحببة بين الأدباء ، السومريين ، ولا يمكن ، تصنيف المؤلفات التى سنذكرها بعد قليل على أنها « تدوين تاريخى » إلاَّ بالتساهل فى توسيع المعنى المقبول لهذا المصطلح ٠ إن أطول المؤلفات (التاريخية) السومرية وأحسنها من ناحية سلامة نصوصها ووصولها إلينا بحالة جيدة هى « لعنة مدنية أجادة ٠ أيكور يثأر[2] » التى تحاول توضيح أسباب تدمير المدينة المفجع على يد جموع « الجوتيين » البرابرة (أنظر الفصل الثانى) ٠ وتدور وثيقة أخرى وصلت إلينا فى حالة جيدة حول هزيمة هؤلاء « الجواتيين » أنفسهم على يد « منقذ » بلاد سومر « أوتو حيجال » وتتعلق وثيقة ثالثة مختصرة جداً ، ولكنها ذات أهمية كبيرة من الناحية التاريخية ، وبصورة رئيسة بالأصلاحات المتعاقبة التى أجريت فى الـ « تومال » مزار الإلهة « ننليل » فى مدينة « نفّر » ، (أنظر الفصل الثانى) ٠ وهنالك أيضاً ألواح وكسر ألواح تشير إلى وجود سلسلة قصص أسطورية تتصل بشخصية الملك « سرجون » العظيم ومآثره — وعلى الأخص ما يتصل منها بمعاصريه « أور — زبابا » و « لوجال زاجيرى » ، ولكن لم يكتشف حتى الآن من هذه المادة ما يكفى لأعطائنا صورة واضحة عن محتوياتها٠

---

(١) Historigraphy

(٢) « إجادة » اهى عاصمة الدولة الأكدية وجاءت بصيغة « أكد » أما « إيكور » فهو معبد الآلهة العظيم « انليل » فى مدينة « نفر » ، ويبدو أن أحد الملوك الأكديين قد أساء الى هذا المعهد فحلت — حسب رأى مؤلف الوثيقة المشار إليها — الكارثة بالدولة الأكدية .

وأخيراً ، توجدقطعة تهتم بحياة الملك « أور — نامو » فى العالم السفلى التى ربما ألفت بدوافع تاريخية (أنظر الفصل الثالث) ·

إن آخر مجموعة من الوثائق الأدبية السومرية التي سنأخذها بنظر الاعتبارفى هذا الفصل هى مؤلفات « الحكمة » المكونة من مناظرات ومقالات مطولة وقصيرة ، ومن مجموعة من الإرشادات الأخلاقية والأقوال المأثورة · لقد كانت المناظرة ، وهى من الأمور المحببة جداً عندالكتاب السومريين ، النموذج الأول وسلف الضرب الأدبى المعروف بـ « شعر المجادلة » الذى كان شائعاً فى أوروبا فى نهاية العصور القديمة وفى العصور الوسطى . وتتكون المناظرة بصورة رئيسة من جدل ، أو معركة كلامية بين بطلين متخاصمين فى القصة ، يشخصان عادة أزواجاً متغايرة من الحيوانات أو النباتات أو المعادن ، أو المهن أو فصول السنة ، أو حتى الآلات والعدد التى يصنعها الإنسان · ويتألف الحوار ، الذى ينتقل من مجادل إلى آخر مرات عديدة ، بالدرجة الأولى من « الإعلاء » من شأن قيمة الشخص وأهميته ، بأكثر التعابير إطراء ، أو التقليل من شأن قيمة الخصم وأهميته،بيد أن كل ذلك كان يدون بأسلوب شعرى ، لأن الكتاب السومريين كانوا الورثة المباشرين لمنشدى العصور القديمة الذين كانوا يجهلون الكتابة والقراءة ، ولأن الشعر وصل إليهم بصورة طبيعية غير معقدة على عكس النثر الذى كان يصعب حفظه · وكان التأليف الجدلى غالباً ما يبدأ بمقدمة ميثولوجية مناسبة تتحدث عن خلق بطلى القصة ، وينتهى بخاتمة ملائمة يحسم فيها الجدل بقرار إلهى لصالح هذا أو ذاك من المتخاصمين ·

وعرفت سبع من هذه المناظرات حتى هذا التأريخ ، وهى : « المناظرة بين الصيف والشتاء » ، و (٢) » المناظرة بين الماشية والغلة و (٣) — « المناظرة بين الطير والسمك » و (٤) المناظرة بين الشجرة والقصبة » و (٥) « المناظرة بين الفضة والنحاس الجبار » و (٦) « المناظرة بين الفأس والمحراث » و (٧) « المناظرة بين الرحى وحجرة الـ « جوجال » · وتتراوح هذه المؤلفات فى طولها ، باستثناء المناظرة الأخيرة بين ما يقرب من مائتى سطر وما يزيد على ثلثمائة سطر بقليل · وأطول

مناظرتين وأحسنهما حفظاً هما « المناظرة بين الصيف والشتاء و « المناظرة بين الماشية والغلة » وفيما يلي نقدم ملخصاً لمحتوياتها يوضح أسلوب وصياغة هذا الضرب الأدبي ولهجته وصفته الغالبة .

تبدأ « المناظرة بين الصيف والشتاء » بمقدمة (ميثولوجية) تخبرنا بأن «أنليل» الإله القائد فى مجمع الآلهة السومرى قد عزم على خلق جميع أصناف الأشجار والحبوب وتعميم الخير والرخاء فى البلاد ، فخلق تحقيقاً لهذا الغرض مخلوقين شبيهين بالآلهة ، وهما الأخوان « أيمش » أى « الصيف » و« أينتن » أى الشتاء » . ثم عين «أنليل» لكل منهما وظائفه الخاصة به التى أنجزاها على الوجه التالى :

لقد جعل « أينتن » جعل النعجة تلد الحمل ، والعنزة تلد الجدى ،
(وجعل) البقرة والعجل تتضاعف أعدادهما ، وكثر السمن واللبن ،
وفى السهل أفرح قلب المعز البرى والغنم والحمار ،
وطيور السماء — جعلها تبنى أعشاشها فى الأرض الواسعة ،
وجعل أسماك البحر — جعلها تضع بيضها فى أحراش القصب ،
وفى بساتين النخيل والكروم والعسل والخمر ،
والأشجار ، أينما غرست ، جعلها تحمل الثمر ،
وزين البساتين بالخضرة ، وجعل نباتها وفيراً ،
وكثر الغلة فى الحقول ،
ومثل « أشنان » (إلهة الغلة) ، العذراء الرحيمة ، جعلها تنمو بوفرة .
أما «أيمش» (أى الصيف) فانه خلف الأشجار والحقول ووسع الاسطبلات وحظائر الغنم .
وضاعف فى الحقول النتائج ، وزين الأرض .... ،

وجعل الحصاد الوفير يجلب إلى البيوت ، وتعلو أكدسة فى الصوامع ،

وجعل المدن ومواطنى السكن تشاد ، والبيوت تبنى فى البلاد ،

وترتفع المعابد كالجبال »

وبعد أن أنجزنا مهمتهما ، قرر الاخوان أن يذهبا إلى « نفّر » إلى « بيت الحياة » وجلبا قرابين الشكر إلى أبيهما « أنليل » فجلب « إيمش » أنواعاً عديدة من الحيوانات البرية والمدجنة ، والطيور والنباتات كهدية منه لـ « أنليل » ، فى حين أن « إينتن » اختار المعادن الثمينة والأحجار والأشجار والأسماك كقربان منه لـ « أنليل » . ولكنهما ما إن وصلا « بيت الحياة » حتى بدأ « إينتن » الغيور خصاماً مع أخيه . واشتد الجدل بينهما حتى بلغ الأمر أخيراً إلى درجة تحدى معها « أيمش » دعوى « إينتن » بكونه « فلاح الآلهة » . وقصدا أخيراً معبد « أنليل » العظيم « أيكور » وبدأ كل منهما بعرض قضيته . فقدم « إينتن » شكواه لـ « أنليل على الوجه الآتى :

« يا أبتى « أنليل » ، قد عهدت إلى بشؤون القنوات ،

فجلبت مياه الخير ،

وجعلت الحقل تلو الحقل — وملأت صوامع الحبوب

وأكثرت الغلة فى المزارع ،

ومثل « أشنان » ، العذراء الرحيمة ، جعلتها تنمو بغزارة ،

ولكن « أيمش » . . الـ ... ، الذى لا يفهم شيئاً فى زراعة الحقول ،

قد زاحمنى ... بالمرفق ... والمنكب ،

وفى قصر الملك ... ،

أما رواية « أيمش » عن النزاع التى تبدأ بعبارات الإطراء بخبث إلى « أنليل »

يجيب « أناليل » « إيمش » و « إينتن » ،

« مياه كل البلدان المنتجة للحياة — (اينتن) موكل بها ،

إنه فلاح الآلهة — إنه ينتج كل شيء

« إينمش » ، يابنى كيف تقارن نفسك باخيك « إينتن » !

(هذه هى) كلمة « أنليل » السامية ، بمعناها العميق ،

« انليل » الذى حكمه لا يبدل ، فمن ذا الذى يجرأ على تخطيه ؟

فثنى « إينمش » ركبته أمام « إينتن » ، وصلى له ،

وإلى بيته جلب رحيقاً ونبيذاً وجعة ،

واشبعا نفسيهما بالرحيق والنبيذ والجعة المفرحة للقلب ،

وأهدى « إينمش » « اينتن » الذهب والفضة وحجر اللازورد ،

وسكبا سكائب مفرحة وهما على أتم ما يكون من الأخوة والعودة ... ،

وفى الجدل بين « إينمش » و « اينتن »

انتصر « اينتن » فلاح الآلهة الأمين على « اينمش » ،

... الأب « أنليل » حمداً له !

وفى « المناظرة بين الماشية والغلة » كانت المتجارلتان إلهة الماشية « لهار » وأختها « أشنان » إلهة الغلة ، أن هاتين الإلهتين خلقتا ، وفقاً لما ورد فى أسطورتنا ، فى صالة الخلق الخاصة بالآلهة لكى يحصل « الآنوناكى » ابناء الإله — السماء « آن » على طعام يأكلونه ولباس يرتدونه . ولكن « الآنوناكى » لم يتمكنوا من الأستفادة استفادة كبيرة من الماشية والغلة إلا بعد أن خلق الإنسان . إن هذا كله ورد فى فقرة جاءت كمقدمة تقرأ على الوجه التالى :

بعد أن عمل « آن » (إله السماء) وهو على جبال السماء والأرض ،

على ولادة « الآنوناكى » (أتباعه)

ولأن اسم « أشنان » لم يكن قد ولد ، ولم يكن قد خلق ،

ولأن « أوتو » (إلهة الملابس) لم تكن قد خلقت ،

ولأن المعبد لم يكن قد شيد لـ « أوتو » ،

ولم تكن هناك النعجة ، فلم يولد حمل ،

ولم تكن هناك المعزة ، فلم يولد جدى ،

ولم تلد النعجة حمليها ،

ولم تلد المعزة جدييها الثلاثة ،

ولأن إسم « أشنان » ، الحكيمة ، (إسم) « لهار » ،

لم يعرفهما « الأنوناكى » الآلهة العظيمة

ولم يكن هناك وجود لغلة « ال « ششى » ذات الثلاثين يوماً ،

ولم يكن هناك وجود للغلات الصغيرة ، وغلة ، وغلة الأحياء الطاهرة ،

ولأن « أوتو » لم تكن قد ولدت ، ولأن تاج (النبات) لم يرفع ،

ولأن الرب ... لم يولد ،

ولأن « سوموجان » إله السهل ، لم يأت إلى الوجود ،

مثل البشر لما خلقوا لأول مرة ،

لم يعرف « الآنوناكى » أكل الخبز ،

ولم يعرفوا ارتداء الحلل ،

وكانوا يأكلون النبات بأفواههم كالأغنام ،

ويشربون الماء من الجدول .

فى تلك الأيام ، فى صالة الخلق الخاصة بالآلهة ،

فى بيتهم المسمى « دوكو » خلقت « لهار » و « أشنان » ،
فتاج « لهار » و « أشنان » ،
أكله « الآنوناكى » فى الـ « دوكو » ، ولـكنهم ولم يشبعوا ،
وفى حظائر أغنامهم الطاهرة شرب « الآنونا كى » فى الـ« دوكو » لبن
« شوم » الطيب ،
ولـكنه لم يرتووا ،
ومن أجل حظائر أغنامهم الطاهرة ، الطيبة ،
منح الإنسان نفس (الحياة) ، (أى ولد الإنسان) ،

وتصف الفقرة التى تلى المقدمة نزول الإلهتين « لهار » و « أشنان » من السماء إلى الأرض والمنافع الحضارية التى انعمتا بها على البشر :

فى تلك الأيام قال « أنـكى » لـ « أنليل » :
« يا ابتى » «أنليل » ، إن « لهار » و «أشنان » ،
وهما اللتان خلقتا فى الـ « دوكو » ،
لتدعهما تهبطان من الـ « دوكو » .

وبكلمة « أنـكى » و « أنليل » الطاهرة ،
هبطت « لهار » و « أشنان » من الـ « دوكو » ،
وشيدا (أى أنليل وأنـكى) لـ « لهار » حظيرة الغنم ،
وقدما لها النباتات والأعشاب الوفيرة .

وأقاما لـ « أشنان » بيتاً ،

وقدما لها المحراث والنير ،
وتقف « لهار » فى حظيرة — غنمها .
فهى راعية تزيد محصول حظيرة الغنم ،
وتقف « أشنان » بين الغلات ،
فهى عذراء رحيمة وسخية .

إن الخير الوفير الذى يأتى من السماء ،
كانت « لهار » و « أشنان » تظهر أنه (فى الأرض) .
وكانتا تجلبان الخير الوفير فى المجمع ،
وفى البلاد أحلتا نفس الحياة ،
ووجهتا « ميات » (أى نواميس) الإله ،
وضاعفتا محتويات المستودعات
وملأتا المخازن .

وفى بيت الفقير ، الذى يعانق التراب ،
دخلنا وجلبتا الخير العميم ،
كلتاهما ، حيثما وقفتا ،
تجلبان إلى البيت الخير الوفير ،
وتشبعان المكان الذى تقفان فيه ، وتزودان المكان الذى تجلسان فيه (بالغذاء) ،

ولكن « لهار » و « أشنان » شربتا بعد ذلك كثيراً من الخمر وبدأ النزاع من

جراء ذلك يدب بينهما فى المزارع والحقول . وكانت كل إلهة تمجد فى النقاش الذى حدث بينهما إنجازاتها الخاصة بينما تحط من شأن إنجازات الإلهة الأخرى . وأخيراً تدخل « أنليل » و « أنـكى » بينهما وحكما للإلهة « اشنان » بالنصر .

وتوجد أربعة مؤلفات من صنف المناظرات الجدلية تتصل بطريقة أو أخرى بالمدوسة السومرية وهيئتها التدريسية والطلبة المتخرجين فيها . إن اثنتين منها ، وهما المناظرة بين« انـكيانسى » و « كيرنيشاج » و « الحوار بين « أوجولا » وكاتب» ، قد بحثنا بالتفصيل فى الفصل السادس الخاص بالتربية والتعليم ، ويمكننا أن نضيف إليهما هنا «المناظرة بين « إينـكيتالو » و« إنـكيجيجال» و « المناظرة بين متخرجين فى المدرسة » .

تبدأ المناظرة بين « إينـكيتالو » و « إنـكيجيجال » ، التى تتألف من حوالى ٢٥٠ سطراً . بفقرة تدعـــو فى الواقع إلى الدهشة ، وهى : « أيها الرفاق ، اليوم لا نعمل ! » ثم تواصل بسلسلة من حوالى عشرين فقرة يتراوح طول أغلبها بين أربعة وخمسة أسطر ، طافحة بالشتائم والتوبيخات المهنية التى يوجهها المتخاصمان أحـــدهما للآخر . فنجد هنا ، مثلا ، أحدهما يقول للآخر بسخرية لاذعة .

أين هو ، أين هو (ذلك الشخص) الذى يقارن نسبه بنسبى ! فلا من جهة الأم ولا من جهة الأب يستطيـع هو مقارنة نسبه بنسبى ، ولا من جهة السيادة ولا من جهة العبودية يشبه نسبك نسبى .

ويرد الآخر على هذا القول :

تمهل ، لا تتباهَ هكذا ، فأنت لا مستقبل لك ،

فلا يضيف هذا الجواب إلى النار إلا وقوداً :

ماذا تعنى (بقولك) لا مستقبل لى ! إن مستقبلى من كل الوجوه كمستقبلك ،

فمن ناحية الثراء ، أو من ناحية النسب ، فى كلتا الناحيتين مستقبلى حسن كمستقبلك .

أو لنأخذ هذه الفقرة اللاذعة التى يسخر فيها أحدهما من الآخر لأنه لم يكن يعرف الموسيقى مطلقاً :

إنك تملك قيثارة ، ولكنك تجهل الموسيقى .
أنت يا من هو « خادم ماء » لرفاقك[1]
إن حنجرتك (؟) لا تستطيع إخراج نغمة ،
أنت يا من تفأفئ بلغتك السومرية ولا تقدر على إلقاء خطبة صحيحة .
ولا تستطيع إنشاء ترتيلة وتعجز عن فتح فمك .
(وفوق ذلك تدعى) أنك شخص ضليع !

وأخيراً ، وبعد أن شهر أحد المتخاصمين بأفراد عائلة خصمه ، قررا الذهاب إلى « مدينتهما » ووضع الأمر أمام رفاقهما للفصل فى الأمر بينهما . إلا أنهما ، إذا كان فهمى للنص الذى هو بالأحرى غامض وغير واضح عند هذه النقطة فهماً صحيحاً ، ينصحان بالذهاب إلى الـ « أوجولا » ، أى « المشرف فى الـ « ايدوبا » (المدرسة)، وإنه هو ، أى الـ « أوجولا » ، الذى قرر بأن كلا منهما كان على خطأ وبخهما على إضاعة وقتهما فى المنازعات والجدل .

إن « المناظرة بين المتخرجين فى المدرسة » عبارة عن قطعة مؤلفة من حوالى مائة وأربعين سطراً ، تبدأ بخطاب لأحد المتخاصمين ملىء بالتباهى قدم إليه بجملة « هلم أيها المتخرج القديم ، دعنا نتناظر » . فيجيبه الخصم بجواب مناسب وتتقاذف الشتائم بينهما مراراً حتى نهاية القطعة التى تختتم بتهجم عنيف من قبل أحد المتخاصمين يتألف من ثمانية وعشرين سطراً مفعمة بالإهانات اللاذعة .

(١) أى لا يليق الا لخدمة رفاقه فى حمل الماء لهم . (المترجم)

وأخيراً توجد مناظرة بين سيدتين لم يذكر أسماها . (إن هذه المناظرة لم تكتب باللهجة السومرية الرئيسية — وإنما بلهجة الـ «أيماسال Emesal ،وهي لهجة وصلت إلينا في النصوص الأدبية السومرية الخاصة بالأناث من كل أصناف الحيوانات) . وتشابه هذه المناظرة إلى درجة كبيرة تلك المناظرة التي جرت بين طالبي المدرسة المتخاصمين من حيث أنها مليئة بالذم والقدح المسموم. وتتألف هذه المناظرة من أكثر من مائتي سطر مقسمة إلى حوالى ٢٥ فقرة مليئة بالأهانات الساخرة ، والهزء التهكمي البذيء .

أما المقالة فقد كان ميل الأدباء السومريين إليها ضعيفاً جداً ، على عكس فن المناظرات ، ولذلك لا نمتلك ، في الوقت الحاضر على الأقل ، سوى بضعة مقطوعات يمكننا أن نضعها ضمن صنف المقالات . فهناك الوثيقة الشعرية الشبيهة بقصة « أيوب » التي تتصل بعذاب البشر واستسلامهم ، ومقالتان ، جاء جزء منهما على شكل حوار ، تتعلقان بالحياة في الـ « أيدوبا » (أي المدرسة) وبقيمة التعليم (لقد عولجت كلتاهما بالتفصيل في الفصل السادس) ومقالة قصيرة جداً كتبت على لوح موجود في مجموعة « هلبرشت » في « يينا » (في المانيا الشرقية) تصف على ما يبدو رجلا شريراً بغيضاً أسمه « تاني » كان يمارس العنف ويكره العدل والصدق وكا يتحكم في المجمع ، ويتصرف في الواقع تصرفاً مقيتاً في كل ناحية من من النواحي . وهناك أيضاً فيما يحتمل عدد من المقالات المقتضبة جداً في مواضع متعددة ولكننا لا نستطيع في هذه اللحظة أن نقول شيئاً عن طبيعة محتوياتها الحقيقية .

وتوجد ثلاث مجاميع سومرية من النصائح الخلقية والتوجيهات وهي « تقويم الفلاح » (أنظر الملحق ط) و « إرشادات شوروباك لابنه زيوسودرا » التي تتكون من نصائح عملية في السلوك الحكيم الصالح ، وثالثة يبدو أنها تتألف من نصائح روحية وخلقية على الرغم من أنها وصلت بحالة سيئة . وتثير المجموعة الثانية

من هذه المجاميع ، وهى « إرشادات شوروپاك لإبنه زيوسودرا » كثيراً من الاهتمام من جراء ابتكارها الأسلوبى فى نسبة مجموعة الحكمة كلها إلى حكام من الماضى البعيد كانوا متعمقين — على ما يفترض — بالحكمة ، وهذا الأسلوب من الصفات المميزة لسفر الأمثال فى التوراة ، وذلك لأنه على الرغم من أن هذه الوصايا الأخلاقية كتبت على ما يرجح فى وقت ما حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م ، فإنها نسبت إلى الملك « شوروپاك » والد « زيوسودرا » ، « نوح » السومرى ، الذى كان مرشحاً كما هو واضح ليحتل مقام الحكيم الذى لا منازع له . وتتجلى النكهة التوراتية لهذه القطعة حتى فى أسطرها الأولى التى يمكن قراءتها جزئياً على الوجه الآتى :

لقد قدم «شوروپاك» الإرشادات لإبنه ،

«شوروپاك» بن « أوبارتوتو » ،

قدم الإرشادات لإبنه « زيوسودرا » :

يابنى ، سأرشدك ، فأصغ لإرشادى ،

يا « زيوسودرا » ، سأقول لك كلمة ، فاصغ لها ،

ولا تهمل إرشادى ،

ولا تخالف الكلمة التى نطقت بها ،

نفذ إرشاد الوالد ، الإرشاد القيم بإتقان » .

وهكذا نصل إلى آخر نموذج من التأليف فى أدب الحكمة ، وهو المثل السائر . إن مجموع مادة الأمثال السومرية المتيسرة فى الوقت الحاضر تتألف من حوالى سبعمائة لوح وكسرة لوح تقريباً ، إلا أن القسم الأعظم منها لم يعرف حتى سنة ١٩٥٣ . وكان قسم لا بأس به من تلك الألواح يضم فى الأصل مجموعات كاملة من الأمثال أو مقتطفات كثيرة من مجموعات كهذه ، أما البقية منها فكانت ألواح تمارين مدرسية تحتوى على

مقتطفات قصيرة جداً من المجاميع السابقة ، أو ، كما هو الحال فى الغالب ، على مثل واحد فقط ، وقام « أدموند جوردون » ، تلميذى ومساعدى السابق ، بدراسة مادة الأمثال المتيسرة كلها دراسة دقيقة ، وخلص إلى أن الكتاب السومريين القدامى قد أنتجوا خمسة عشر إلى عشرين مؤلفاً على الأقل فى الأمثال المختلفة ، التى يمكن الآن إعادة كتابة أجزاء كبيرة من حوالى عشر إلى إثنى عشر مؤلفاً منها ، وتحتوى هذه جميعها على أكثر من ألف مثل . وقسمت هذه الأمثال فى نصف المؤلفات إلى مجموعات وفقاً للعلامات الكتابية التى تبدأ بها . أما فى النصف الآخر منها فلم تقسم الأمثال إلى مجموعات استناداً إلى الكلمات الرئيسية — وعلى الرغم من ظهور أمثال ذات مواضيع متشابهة جنباً إلى جنب أحياناً ، فإن المعيار فى وضع التقسيم ليس واضحاً . ومهما يكن الأمر ، فإن الأمثال السومرية تكشف عن تقييم ، إذا لم يكن جذاباً دائماً ، فإنه تقييم رائع للمشاهد البشرية وللحوافز والبواعث ، والآمال والرغبات العارمة ، والمتناقضات والاختلافات المنتشرة فيها . ونقدم فيما يأتى بضعة أمثال وحكم مختارة من تلك التى يمكن أن تفهم بشكل أحسن من غيرها وذلك كما ترجمها على الأغلب « ادموند جوردون » :

(١) ليبق ماهو لى بلا استعمال ، ولكن دعنى استعمل ما هو لك — إن هذا (القول) لايحبب الرجل من أسرة صديقه .

(٢) إنك لا تخبرنى بما وجدت ،
ولكنك تخبرنى بما أضعت ،

(٣) المقتنيات عصافير طائرة لاتستطيع أن تجد مكاناً لتحط عليه .

(٤) لاتقطفها الآن ، وستحمل الثمر فيما بعد .

(٥) إن من يأكل كثيراً لايستطيع أن ينام .

(٦) القلب لا يقود إلى العداوة ، إن اللسان هو الذى يقود إلى العداوة .

(٧) إكذب مرة واحدة ، ومن ثم إذا قلت الحقيقة ستعتبر أكذوبة .

(٨) فى فم مفتوح ، تدخل ذبابة .

(٩) المسافر (الآتى) من أماكن نائية كذاب دائماً .

(١٠) شيد كأنك سيد — تعش كأنك عبد ،

وشيد كأنك عبد — تعش كأنك سيد[1] !

(١١) يد إلى يد ، يشيد بيت المرء ، ومعدة إلى معدة يخرب بيت المرء !

(١٢) من أكل قليلا — عاش بأبهة !

(١٣) إذا ما مشيت ، انتظر ! ثبت قدميك على الأرض !

(١٤) الصداقة تدوم يوماً ، أما القرابة فتبقى إلى الأبد !

(١٥) إن من يملك كثيراً من الفضة قد يكون سعيداً ، ومن يملك كثيراً من الغلة قد يكون مسروراً ، ولكن من لا يملك شيئاً يستطيع أن ينام[2] .

(١٦) الكلمة الحلوة صديقة كل إنسان .

(١٧) القلب الحنون يبنى البيت ، أما القلب الحقود فيهدم البيت .

(١٨) مزادة الصحراء حياة الرجل ،

والنعل عين الرجل ،

والزوجة مستقبل الرجل ،

والإبن ملاذ الرجل ،

والبنت خلاص الرجل ،

أما الكنة فشيطان الرجل .

---

(١) أى من قلد من هو أغنى منه عاش بائساً ومن قلد من هو أدنى منه عاش سيد نفسه . (المترجم) .

(٢) المفلس مع القافلة أمين . (المترجم) .

(١٩) تزوج امرأة حسب اختيارك ،

فتنجب طفلا كما يشتهي قلبك .

(٢٠) «الإبن الجائع» ، كان على أمه ألا تلده قط ، وكان على إلهه ألا يخلقه .

(٢١) كاتب لايعرف (اللغة) السومرية ، أي كاتب هو ؟

(٢٢) كاتب تتحرك يده بسرعة ، لهو كاتب لك .

(٢٣) مغن صوته ليس عذباً ، لهو حقاً مغن ضعيف .

(٢٤) مدينة بلا كلاب (حارسة) يكون الثعاب هو المشرف عليها .

(٢٥) داس الثعلب على ظلف ثور وحشي قائلا « ألم يؤلمك » ؟

(٢٦) القطة — من أجل أفكارها !

والنمس . من أجل أفعاله !

وفي الختام لابد أن نقول كلمة قصيرة عن الفهارس الأدبية السومرية القديمة التي ظهرت بلا شك بسبب الحاجة إلى معالجة وحفظ الألوف من الألواح ذات الأشكال والأحجام المتنوعة التي كتبت عليها مئات التآليف الأدبية . لقد اكتشفت حتى هذا التأريخ سبعة فهارس يعود تأريخها إلى الألف الثاني ق . م . وتوجد الآن في الأماكن التالية : واحد منها في المتحف العراقي في بغداد ، وواحد في متحف اللوفر (في باريس) ، وواحد في متحف الجامعة التابع لجامعة بنسلڤانيا (في الولايات المتحدة الأمريكية) ، وواحد في متحف برلين ، واثنان مع مجموعة « هلپرشت » في جامعة « فردريش — شيلر » في « يينا » (في ألمانيا الشرقية) ، وواحد في المتحف البريطاني على سبيل الإعارة المؤقتة . وأهم من هذا كله هو أن هذه الفهارس السبعة تدرج عناوين أكثر من مائتي مؤلف أو « كتاب » سومري ، ويتكون العنوان عادة من الجزء الأول من السطر الأول في القطعة . وتقتصر محتويات اثنين من الفهارس على التراتيل ، أما الخمسة الباقية فليست محددة بمواضيع معينة ، وإنما

تضم عناوين نماذج متنوعة من التآليف . أما المبادىء التى سار بموجبها كتاب هذه الفهارس فليست واضحة بأى شكل من الأشكال وربما يتوقع المرء بالبداهة أن تكون طبيعة محتويات التآليف هى المعيار الذى يقرر تنظيم ذلك الفهرس ، ولكن هذه الحالة كانت نادرة . ونص أحد الفهارس ، وهو الموجود حالياً فى المتحف العراقى ، بشكل خاص على أنه جدول ألواح جمعت فى خزانات معينة ، ولعل هذا كان يصدق أيضاً على عدد من الفهارس الأخرى .

وعرف قبل فترة قصيرة فقط فهرس أدبى ثامن من صنف يختلف بالأحرى عن الفهارس السبعة الأخرى من قبل القائمين على تحرير القاموس الآشورى الصادر فى معهد الدراسات الشرقية فى جامعة شيكاغو ، كما أنهم قاموا أيضاً بترجمة بضعة أسطر منه . إن هذا ذو أهمية خاصة لأنه ، يعود فى تأريخه إلى فترة سلالة « أور » الثالثة ، وذلك استنتاجا من خطه ، وهى فترة لم تكتشف منها تقريباً أية وثائق أدبية حتى هذا التأريخ . إن ترجمة النص لسوء الخط صعبة جداً ، وذلك لعدم وجود نص مشابه له من فترة متأخرة (للاستفادة من المقارنة بين النصين) ، وينبغى أن ينظر إلى الترجمة التالية التى يعود الفضل فيها إلى درجة كبيرة إلى مساعدى « ميشيل سيفيل » ، على انها مجرد جهد رائد وأولى .

(الترجمة):

من اللوح الأول (من المؤلف المعنون) « صعد أنكى إلى صاله الطعام » إلى (اللوح الذى يبدأ بالكلمات) « سمت السماء » (الألواح الأربعة التالية التى تبدأ بالكلمات) :

من يعرف الكسوف والخسوف ، أم من يعرف التعاويذ ؟

عند أحراش القصب المتمايل ،

ال ... آلهة المعركة ،

التوأمان المعاديان المتخاصمان ،

(لقد كتبت هذه الألواح) بأجزاء متتالية من (المؤلف المعنون) « صعد أنكى إلى صالة الطعام » (ووجدت) داخل « بئر » .

ومن اللوح الأول (من التآليف المعنونة) « الإله ليليا » إلى (اللوح الذى يبدأ بالكلمات) « ... الرحلة هى سبعة » (توجد الألواح الثلاثة التالية التى تبدأ بالكلمات):

فى الـ ... السبعة جعلته يدخل ،

لتوثق ذراع الشاب بشدة ،

الـ ... ، ... العظيمة .

(لقد كتبت جميع هذه الألواح) بأجزاء متتالية من (المؤلف المعنون) « الإله ليليا » (ووجدت) داخل « بئر » .

(أما بالنسبة للقطعة المعنونة) « قدما الرجل ذى الكلمات الموثوق بها الذى... » (الألواح التى كتبت عليها) الأجزاء المتتالية من (القطعة المعنونة) « من ينطلق ضد المدينة المعادية » .

(انتهت الترجمة)

ومن الممكن أن يكون هذا الفهرس بالذات قد أعد لبيان الألواح التى استخرجت من آبار أخفيت فيها على ما يحتمل لسبب أو آخر . أما القول بالقرب من نهاية النص بأنه لم يعثر على التآليف ، فإنه يؤيد على مايبدو هذا الحدس إذا كان التفسير صحيحاً . أما بالنسبة للسطرين الآخرين فإنهما على مايبدو تركا دون توضيح ، ولا توجد وسيلة لمعرفة ماذا كان يعنى الكتبة القدامى بهذه الملاحظة .

الفصل السادس

التربية والتعليم: المدرسة السومرية

إن أبرز إنجازات بلاد سومر من وجهة نظر تاريخ المدنية هو تطوير نظام الكتابة المسمارية ونظام التعليم المنتظم الذي كان نتيجة مباشرة لتطوير الكتابة . وليس من المبالغة القول بأنه لولا جهود العلماء والمعلمين السومريين المجهولي الهوية من ذوي الاتجاه العملي الذين عاشوا في أوائل الألف الثالث ق . م . وقدرتهم الإبداعية ودأبهم المتواصل لما كان بالإمكان تحقيق إنجازات العهود الحديثة العقلية والعملية . فمن بلاد سومر انتشرت الكتابة والتعليم في كافة ارجاء العالم . حقاً ، لم يتوقع مخترعو أقدم العلامات والصور الكتابية السومرية أن يتطور النظام المدرسي إلى ما تطور إليه في العهود المتأخرة ، ولكننا نجد حتى بين أقدم الوثائق المدونة المعروفة في الوقت الحاضر — وهي التي وجدت في « الوركاء » — والمكونة من أكثر من ألف لوح صغير من الطين منقوش بالكتابة الصورية التي يحتوي أكثرها على أجزاء من مذكرات اقتصادية وإدارية جملة ألواح تشتمل على جداول بمفردات لغوية دونت لغرض الدرس والتمرين . أي إن بعض الكتبة كانوا يفكرون في زمن موغل في القدم يعود إلى ٣٠٠٠ ق . م . بعقلية التدريس والتعليم . لقد كان التقدم في العصور التي أعقبت ذلك التأريخ بطيئاً ، ولكن في حوالي منتصف الألف الثالث ق . م . ظهر بكل تأكيد عدد من المدارس في كافة أنحاء بلاد سومر حيث كانت الكتابة تدرّس تدريساً منتظماً . ففي «شوروپاك»[1] القديمة موطن «نوح» السومري، وعثر خلال التنقيبات التي تمت قبل أكثر من خمسين سنة[2] على عدد كبير من « الكتب المدرسية » التي يرجع تأريخها إلى حوالي سنة ٢٥٠٠ ق . م . تتألف من جداول بأسماء آلهة وحيوانات ومصنوعات دقيقة ومجموعة متنوعة من الكلمات والعبارات .

---

(١) مدينة قديمة بالقرب من مدينة « الوركاء » تعرف خرائبها اليوم باسم « فارة » ويعتقد السومريون بأن الطوفان بدأ فيها .

(٢) لقد جرت هذه التنقيبات ما بين ١٩٠٢ — ١٩٠٣ . (المترجم)

ومهما كان الأمر ، فإن النظام المدرسى السومرى قد نضج وأزدهر خلال النصف الأخير من الألف الثالث · فمن هذا العهد اكتشفت عشرات الألوف من ألواح الكتابة الطينية وليس هناك أدنى شك فى أن مئات الألوف من الألواح الأخرى لاتزال مطمورة فى الأرض تنتظر منقب المستقبل · والغالبية العظمى من هذه الألواح ذات طابع إدارى وتشمل جميع أوجه الحياة الاقتصادية عند السومريين · ونعرف من هذه الألواح بأن عدد الكتبة الذين كانوا يمارسون مهنتهم خلال تلك السنين بلغ الألوف وأنه كان هناك مبتدئون وكتبة « متقدمون » وكتبة ملكيون ، وكتبة للمعابد ، وكتبة من ذوى التخصص العالى فى نواحٍ خاصة بالأعمال الإدارية ، وكتبة صاروا موظفين فى الدولة والحكومة · وعلى هذا فإن هناك أسباباً وجيهة للإفتراض بأن عدداً من المدارس المهمة والكبيرة التى كانت تعد الكتبة ، قد ازدهر فى جميع أرجاء البلاد ·

على أنه ليس من بين هذه الألواح القديمة مايتصل مباشرة بنظام المدرسة السومرية وإدارتها وطريقة العمل فيها · ولكى نحصل على هذه المعلومات يجب علينا أن نوجه اهتمامنا إلى النصف الأول من الألف الثانى ق · م · فمن هذه الفترة المتأخرة اكتشف المنقبون مئات من الألواح الدراسية المليئة بمختلف أنواع التمارين المدرسية التى كانت تهيأ من جانب الطلاب أنفسهم كجزء من واجباتهم المدرسية اليومية · وتختلف خطوط هذه الألواح من حيث الجودة ، فمنها ماهو ردىء جداً كتبها طلاب «مبتدئون» وبعضها خطوط نُقشت بأناقة من جانب الطالب المتقدم الذى كان على وشك أن يصبح « خريجا » . وتمدنا هذه النسخ القديمة عن طريق الاستنتاج بمعلومات غير قليلة عن طرق التعليم التى كانت متبعة فى المدرسة السومرية وعن طبيعة مناهج التدريس فيها . وأفضل من ذلك كله أن الاساتذة والمدرسين القدامى كانوا يحبون الكتابة وقد اكتشف عدد من مقالاتهم فى هذا الموضوع وإن كانت ناقصة ، وأصبح بإمكاننا أن نحصل من كل هذه المصادر على صورة للمدرسة السومرية ، عن أغراضها وأهدافها ، عن طلابها وهيئة التدريس فيها ، عن مناهجها وأساليب التعليم ، وهذا أمر فريد فى بابه بالنسبة إلى مثل هذا العهد المبكر من تاريخ الإنسان ·

لقد كانت المدرسة السومرية تعرف بكلمة « أيدوبا » أى « بيت الألواح »، وكان هدفها الأساسى ما يصح أن نسميه بـ « التخصص المهنى » أى إنها أسست فى بادئ الأمر لغرض تدريب الكتبة الذين كان يحتاج إليهم لسد متطلبات البلاد الاقتصادية والإدارية ، ولا سيما ما يتصل بالطبع بأغراض المعبدوالقصر . وقد استمر هذا الغرض هدفا أساسياً للمدرسة السومرية خلال وجودها كله . على أن المدرسة أصبحت خلال نموها وتطورها وعلى الأخص كنتيجة للتوسع المستمر فى مناهجها ، مركز الثقافة والمعرفة فى بلاد سومر . فقد ازدهر بين جدرانها العالم الباحث ، ذلك الرجل الذى كان يدرس ما كان معروفا فى زمانه من فروع المعرفة اللاهوتية والنباتية والحيوانية والجغرافية والرياضية والنحوية واللغوية ، والذى كان فى بعض الحالات يسهم فى الإضافة إلى هذه المعرفة .

أضف إلى ذلك أن المدرسة السومرية كانت ، على خلاف معاهد التعليم الحديثة ، مراكز أيضاً لما يمكن تسميته بالتأليف الإبداعى . فهنا كانت مبتكرات الماضى الأدبية تدرس وتستنسخ ، وهنا أيضاً كانت توضع المؤلفات الجديدة . ومع أن معظم المتخرجين فى المدارس السومرية كان مصيرهم فى الواقع أن يعملوا كتبة فى خدمة المعبد والقصر وصاروا من بين الأغنياء والمتنفذين فى البلاد ، إلا أنه كان من بينهم من كرسوا حياتهم للتدريس وتحصيل العلم ، وكان العديد من هؤلاء العلماء القدامى يعتمدون فى معيشتهم ، كأساتذة الجامعات فى الوقت الحاضر ، على رواتبهم من مهنة التدريس ، وكانوا يكرسون أنفسهم للبحث والكتابة فى أوقات فراغهم. وأصبحت المدرسة السومرية التى ربما بدأت كملحق للمعبد مع مرور الزمن مؤسسة دنيوية ، وكان يدفع للمدرسين على ما يبدو لنا من الأجور الدراسية التى كانت تجمع من الطلاب . وأصبحت أيضاً مناهج تدريسها بصورة عامة دنيوية .

ولم يكن التعليم بالطبع عاما ولا إلزامياً ، وجاء معظم الطلبة من الأسر الثرية . أما الفقراء فكان من الصعب عليهم توفير المال والوقت اللذين تتطلبهما دراسة طويلة الأمد . وإلى زمن قريب كان هذا الرأى فى التعليم يفترض بالبداهة ، ولكن قبل حوالى عقد

واحد من السنين برهن على صحته بشكل بارع عالم فى علم السماريات من لكسمبورغ وهو « نيقولاس شنايدر » (Nikolaus Schneider) من المصادر القديمة المعاصرة. ففى آلاف من الوثائق الاقتصادية والإدارية المنشورة التى يرجع تأريخها إلى حوالى ٢٠٠٠ ق. م. دوّن حوالى خمسمائة شخص أسماءهم على أنهم من الكتبة. ولزيادة التعريف أضاف العديد منهم أسماء آبائهم ومهنهم. وجمع « شنايدر » ثبتا بهذه الحقائق فوجد أن آباء الكتبة، أى خريجى المدرسة، كانوا من الحكام ومن « وجهاء المدينة » ومن السفراء والمشرفين على إدارة المعبد ومن ضباط الجيش والضباط البحريين ومن كبار موظفى الضرائب ومن طبقات الكهنة المختلفة، والمشرفين ومن رؤساء العمال ومن الكتبة الموكلين بادارة دور السجلات ومن المحاسبين.

وخلاصة القول كان جميع آباء الكتبة من أغنى مواطنى مجتمع المدينة. وبما أنه لم تذكر فى الوثائق إلا امرأة واحدة ككاتبة، فان قوام طلاب المدرسة كان على ما يرجح إذن من الذكور فقط.

كان مدير المدرسة السومرية يدعى «أوميّا» أى «خبيراً» أو «أستاذاً». وكان يلقب أيضاً « أبا المدرسة » بينما كان التلميذ يسمى « إبن المدرسة » والعضو المتخرج « إبن المدرسة فى الأيام الماضية ». وكان الأستاذ المساعد يسمى « الأخ الكبير »، وكانت من بين واجباته كتابة الألواح الجديدة ليستنسخها الطلبة، وفحص نسخ التلاميذ والاستماع إليهم وهم يستظهرون دروسهم من الذاكرة. وكان من أعضاء هيئة التدريس الآخرين مثلا « الرجل المشرف على الرسم » و « الرجل المشرف على اللغة السومرية »، كما كان هناك مراقبون يشرفون على حضور الطلبة، ومراقبون يشرفون بصورة خاصة على النظام. ونحن لا نعرف شيئاً عن درجات أعضاء هيئة التدريس بالنسبة إلى بعضهم البعض، ما عدا بالطبع أن مدير المدرسة كان يسمى « أبا المدرسة ».

وإذا انتقلنا إلى مناهج المدرسة السومرية، فإن فى متناول أيدينا مادة غزيرة من المعلومات جاءتنا من المدارس نفسها، وهذا فى الواقع أمر فريد فى تاريخ الإنسان

القديم . لأنه فى مثل هذه الحالة لا توجد حاجة إلى الاعتماد على الأقوال التى صدرت عن القدماء أو على الاستنتاج من معلومات جزئية مشتتة ، إذ نمتلك نفس الأعمال المدونة من قبل طلاب المدارس أنفسهم ابتداء من أولى محاولات المبتدىء إلى نسخ الطالب المتقدم التى كانت تعد إعدادا متقنا إلى درجة يصعب معها تمييزها من تلك التى كان يعدها الأستاذ نفسه . ومن هذا الإنتاج المدرسى ندرك بأن منهج الدراسة فى المدرسة السومرية كان مكوناً من مجموعتين رئيسيتين ، المجموعة الأولى يمكن وصفها بأنها شبه علمية وقائمة على البحث العلمى والثانية بأنها أدبية وخلاقة .

وإذا تناولنا المجموعة الأولى من المواضيع ، أو المجموعة الشبه علمية — فإن من المهم التأكيد على أنها لم تنبعث عما يمكن أن نسميه بالحافز العلمى ، أى البحث عن الحقيقة من أجل الحقيقة نفسها ، إنها بالأحرى نشأت وتطورت من هدف المدرسة الأساسى نفسه الذى كان عبارة عن تعليم الكاتب كيفية كتابة اللغة السومرية لأنه من أجل سد هذه الحاجة فى فن التعليم أوجد معلمو الكتابة السومريون طريقة فى التعليم كانت تقوم بالدرجة الأولى على التصنيف اللغوى ، أى إنهم صنفوا اللغة السومرية إلى مجموعات من الكلمات والعبارات ذات الصلة ببعضها وكان الطلاب يجبرون على استظهارها واستنساخها إلى أن يصبحوا قادرين على استعادتها بسهولة. وأصبحت هذه الكتب المدرسية خلال الألف الثالث ق . م أكثر تكاملا ونمت تدريجاً حتى أصبحت تقريباً قوالب ثابتة وقياسية تتبع فى جميع المدارس السومرية . ونجد من بينها أثباتاً مطولة بأسماء الأشجار والأقصاب وبأسماء أصناف كثيرة من الحيوانات (بما فى ذلك الحشرات والطيور) وبأسماء الأقطار والمدن والقرى ، وبأسماء أصناف كثيرة من الأحجار والمعادن . وفى مجملها تكشف لنا هذه المجموعات عن معرفة واسعة بما يمكن التعبير عنه بمعارف عامة نباتية ومعدنية ، وهى حقيقة لم يبدأ مؤرخو العلوم إدراك أهميتها إلا فى الوقت الحاضر .

وهيأ مدرسونا أيضاً أصنافاً متنوعة من الجداول الرياضية وعدداً كبيراً من المسائل المطولة مع حلولها . ونجد فى حقل اللغة دراسة نحو اللغة السومرية ممثلة تمثيلا

جيداً ، إذ نرى عدداً من الألواح المدرسية وقد كتبت عليها أثبات مطولة من المركبات الإسمية والصيغ الفعلية مما يدل على وجود طريقة حاذقة جداً فى دراسة النحو . أضف إلى ذلك أنه كان لتغلب الأكديين الساميين التدريجى على السومريين فى الربع الأخير من الألف الثالث ق . م أثر فى قيام أساتذتنا القدامى بتهيئة ما يعتبر من جميع الوجوه أقدم المعاجم اللغوية المعروفة لدى الإنسان ، ذلك لأن الفاتحين الساميين لم يقتصروا على استعارة الخط السومرى فحسب ، وإنما كانوا أيضاً يعتزون بالتآليف الأدبية السومرية اعتزازاً كبيراً فتدارسوها وقلدوها حتى بعد مضى مدة طويلة على اندثار السومرية كلغة يتحدث بها الناس . ومن هنا نشأت الحاجة التعليمية إلى القواميس التى كانت تترجم الكلمات والعبارات السومرية إلى اللغة الأكدية (انظر الشكل التالى) .

المعنى العربى	الترجمة الأكدية	العلامة المسمارية	الكلمة السومرية
عصا الرماية	ti-il-pa-nu		il-ar
عرض	ru-up-šum		ta-al
مدق (هاون)	e-si-tum		na-gá
تكسير إلى قطع صغيرة	pa-ḫa-su-um		ga-az
القتل	da-a-ku-um		"
ثور	mi-i-rum		nin-da
مقياس	pa-ar-si-ik-tum		"
قمع لتمرير البذور من المحراث إلى الأرض	it-tu-ú-um		"

شكل ٥ — جزء من قاموس سومرى — أكدى

أما بالنسبة إلى مظاهر المنهج السومرى الأدبية والإبداعية فقد كانت تتألف بالدرجة الأولى من دراسة واستنساخ وتقليد مجموعة التآليف الأدبية الكبيرة والمتنوعة

التى لا بد أن تكون قد نشأت وتطورت بصورة رئيسية فى النصف الأخير من الألف الثالث ق · م · ويبلغ عدد هذه التآليف القديمة المئات ، وكانت غالبيتها العظمى شعرية الصيغة وتتراوح فى أطوالها من قطعة قوامها ألف سطر تقريباً إلى قطعة تتألف من أقل من خمسين سطراً · ويعتقد بأن ما اكتشف منها حتى الآن تشتمل غالبيته على المواضيع التاليـــة : والملاحم التى جاءت فى صيغ قصصية تشيد بأعمال ومآثر آلهة السومريين ، وأبطالهم والتراتيل التى تمجد الآلهة والملوك ، والمراثى ، وهى قصائد فى ندب الدمار الذى كثيراً ما كان يحل بالمدن السومرية ، وتآليف الحكمة بما فى ذلك الأمثال والقصص الخرافية والمقالات · ويوجد بين الألواح والكسر ، التى يقرب عددها من الخمسة آلاف لوح وكسرة التى كشف عنها فى خرائب بلاد سومر ، عدد غير قليـل مدون بخط المبتدئين من الطلاب القدامى أنفسهم ·

ولا يعرف حتى الآن إلا النزر القليـل عن طرق ووسائل التعليم التى كانت تتبع فى المدرسة السومرية . ففى الصباح ، عند ما يصل الطالب إلى المدرسة ، كان يبدأ بدراسة اللوح الذى أعده فى اليوم السابق · وبعد هذا يقوم « الأخ الكبير » ، أى الأستاذ المساعد بتهيئة لوح جديد يشرع طالب باستنساخه ودراسته ، ويقوم على ما يرجح كل من « الأخ الكبير » و « أبى المدرسة » بفحص استنساخه ليتأكدا من صحته ·

ومما لا شك فيه أن الاستظهار كان له دور كبير جداً فى سير دراسة الطالب · وكان المدرس والمساعدون بعد ذلك يضيفون أيضاً إلى الأثبات والجداول المجردة والنصوص الأدبية التى يقوم الطالب باستنساخها ودرسها مادة توضيحية وتفسيرات شفهية كثيرة · ولكن هذه « المحاضرات » ، التى لا تقدر قيمتها بالنسبة لفهمنا للفكر العلمى والدينى والأدبى عند السومريين ، لم تدون على ما يرجح وبذلك ضاعت منا إلى الأبد ·

وبينما لم تكن المدرسة السومرية بأى شكل من الأشكال « موسوعة » بما

يمكننا تسميته بالتعليم التقدمى ، فإن المنهج كان موجهاً إلى درجة ما على الأقل توجيهاً تعليمياً . وعلى هذا ، كان المبتدئ يبدأ دراساته بتمارين ذات مقاطع لفظية بسيطة جداً مثل تو — آ — تى ، ونو — نا — نى — وبو — با — بى — وزو — زا — زى ، . . . إلخ . وكانت هذه تعقب بدراسة جدول علامات يحتوى على ما يقرب من ٩٠٠ مادة تقدم كل منها علامات مفردة مع تلفظها والتمرن على كتابتها ، ثم تأتى جداول تحتوى على مئات الـكلمات التى أصبحت لا تـكتب بعلامة واحدة وإنما لسبب أو آخر بمجموعة من علامتين أو أكثر . وكان يعقب هذه مجموعات تحتوى على آلاف الـكلمات والتعابير التى رتبت وفقاً لمعانيها . ففى حقل « العلوم الطبيعية » مثلا كانت هناك جداول بأجزاء الجسم الحيوانى والبشرى ، والحيوانات البرية والداجنة والطيور والأسماك والأشجار والنباتات ، والأحجار والنجوم . أما قوائم المصنوعات اليدوية فـكانت تشمل المصنوعات الخشبية ، وهناك أكثر من ألف وخمسمائة مادة تبدأ من قطع الخشب الخام إلى صناعة السفن والعربات ثم الأشياء المصنوعة من البردى والجلد المدبوغ وغير المدبوغ والمعـدن كما يشمـل أصنافاً متنوعة من الفخار والملابس والأطعمة والمشروبات . وكانت هناك مجموعة خاصة من هذه الجداول التى تذكر أسماء الأماكن — كالأقطار والمدن والقرى ، بالإضافة إلى الأنهار والقنوات والحقول الزراعية . وأدخلت فى الدراسة أيضاً مجموعة من أكثر التعابير شيوعاً وهى التعابير التى كانت تستعمل فى الوثائق الإدارية والقانونيـة كما أدخل جدول يحتوى على حوالى ثمانمائة كلمـة تبين المهن وعـلاقات القرابة ، وعاهات الجسم البشرى . . . الخ .

وبعد أن يلم الطالب ألماما جيداً بكتابة المفردات يبدأ باستنساخ وحفظ جمل قصيرة وأقوال مأثورة وقصص خرافية ، وكذلك مجموعات من نماذج العقود ، وكانت هذه النماذج ضرورية لتنقيح الوثائق القانونية التى كان لها دور كبير فى حياة بلاد سومر الاقتصادية . ويُعطى الطالب أيضاً ، إلى جانب هذا التدريب اللغوى ، تعليما فى الرياضيات كان على شـكل دراسة واستنساخ الجداول الفلـكية ، ومقاييس الطاقة

والطول والوزن بالإضافة إلى جداول الضرب وجداول المتداولات لأغراض حسابية . ويطلب من الطالب بعد ذلك حل مسائل عملية تتصل بالإجور وحفر القنوات وأعمال البناء .

أما مسألة النظام فإنه كان على ما يبدو ، وكما سنرى فيما يأتى ، مشكلة رئيسة فى المدرسة السومرية حتى إن المدرس كان لا يتردد أبداً باستخدام العصا ففى الوقت الذى كان فيه المدرسون ، بلا شك ، يشجعون طلابهم على إنجاز عملهم إنجازاً متقناً عن طريق المديح والإطراء فإنهم كانوا يعتمدون بالدرجة الأولى على عصيهم فى تقويم أخطاء الطلاب وأعمالهم غير الصحيحة . ولم تكن الدراسة بالنسبة للطالب أمراً يسيراً . فقد كان يحضر إلى المدرسة يوميا من شروق الشمس إلى غروبها . كان دون ريب يتمتع بعطلة ما أثناء سنة ال ، بيد أننا لا نعرف عن هذا الأمر شيئاً . وكان يخصص سنوات عديدة لدراساته المدرسية إذ كان يلازم المدرسة من صباه إلى أن يصبح رجلا شاباً ، هذا وسيكون من الممتع جداً لو أننا عرفنا فيما إذا كان ينتظر من الطلاب التخصص فى فرع أو آخر — ومتى يبدأ ذلك التخصص وإلى أى مدى يذهب فيه ، ولكن مصادرنا تخيب آمالنا فى هذا الأمر ، كما تخيبها فى الواقع فى أمور أخرى كثيرة تتصل بالنشاط المدرسى .

وفى الختام ، نود أن نقول كلمة موجزة عن بناية المدرسة . لقد اكتشفت أثناء التنقيبات العديدة فى بلاد ما بين النهرين مبانٍ قيل عنها لسبب أو آخر بأنها ربما كانت بيوتا مدرسية ، فقد عثر على واحد منها فى مدينة « نفَّر » وعثر على آخر فى مدينة « سيبار »[1] ، وعلى بيت ثالث فى مدينة « أور » . ولكن إذا استثنينا حقيقة أن عدداً كبيراً من الألواح وجد فى غرفها ، فإننا لا نجد فى هذه الغرف على ما يبدو إلا القليل مما يميزها عن حجرات البيوت الاعتيادية ، وعلى هذا فقد يكون القول بأنها كانت أبنية مدارس قولا خاطئاً ، بيد أن الفرنسيين الذين كانوا ينقبون قبل خمس

---

(١) تقع خرائب هذه المدينة التى تعرف فى الوقت الحاضر باسم « أبو حبة » بالقرب من مدينة المحمودية القريبة من بغداد . (المترجم)

وعشرين سنة تقريباً فى مدينة « مارى »[٢] التى تقع على مسافة بعيدة إلى الغرب من « نفّر » اكتشفوا حجرتين يبدو عليهما بلا شك بأنهما تكشفان عن خصائص مادية يمكن أن توصف بأنها خصائص حجرات المدرسة ، ولاسيما أنهما تشتملان على عدة صفوف من مقاعد للجلوس مشيـــدة بالآجر تتسع لجلوس طالب أو طالبين أو أربعة طلاب .

ولعل هناك إشارة إلى شكل بناية المدرسة وهيئتها فى أحجية مبهمة ابتدعها أستاذ سومرى قديم ، تقرأ كما يأتى :

(ماهو :)

بيت كالسماء له محراث

يغطى بالثياب كأنه إبريق من النحاس

والذى يقف على قاعدة كأنه أوزة ،

يدخل فيه من عيناه مسدودتان

ويخرج منه من عيناه مفتحتان !

حله : إنه المدرسة .

ومع أن القسم الأول من هذه الأحجية ، التى وجدت على لوح مازال غير منشور عثر عليه فى مدينة « أور » واستنسخه « سيريل جى . جاد » الذى كان يعمل فى المتحف البريطانى ، مبهم تماماً ، فإن السطرين الأخيرين يلخصان بشكل بارع هدف المدرسة ، وهو تحويل الجاهل والأمى إلى رجل حكمة ومعرفة .

وكما ذكرنا سابقاً ، يوجد تحت تصرفنا عدد لا بأس به من المقالات التى تتصل

---

(٢) تعرف خرائبها باسم تل الحريرى وتقع على نهر الفرات فى الأراضى السورية . وقـــد اشتهرت فى الألف الثالث والثانى ق . م . (المترجم) .

بالتعليم أعدها رجال المدرسة القدامى أنفسهم لغرض تثقيف تلامذتهم . وتمدنا هذه المقالات بصورة كتابية وحية بوجوه متنوعة من الحياة المدرسية ، بما فى ذلك العلاقات الداخلية بين أعضاء الهيئة التدريسية والطلاب والآباء والمتخرجين من المدرسة . وفيما يأتى أربع من أحسن المقالات حفظاً ، التى يجوز ، استناداً إلى محتوياتها أن نضع لها العناوين التالية : (١) « أيام المدرسة » ، (٢) « المشاكسون فى المدرسة (النزاع بين إينكيمانسى وجيرينشاج) » (٣) « كاتب وابنه الضال » (٤) « حوار بين أجولا وكاتب . »

إن المقالة المعنونة « أيام المدرسة » ، التى تصف فعاليات الطلاب اليومية كما أعاد سردها فيما بعد « خريج قديم » بشىء من التفصيل الملىء بالحنين إلى الماضى الذى يشبه ما يردده المتخرج الحديث فى اللقاءات مع أعضاء صفه القدامى ، تعتبر واحدة من أكثر الوثائق المكتشفة فى الشرق الأدنى القديم اتصالا بالطبيعة البشرية . لقد ألف المقالة فى الأصل مدرس مدرسة مجهول الإسم عاش حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م وتكشف لنا كلماتها البسيطة والصريحة عن قلة ما تغير فعلا فى الطبيعة البشرية خلال الألوف من السنين ، فنحن نجد تلميذنا القديم ، كمثيله الحديث ، يخشى خشية شديدة من الوصول متأخراً إلى المدرسة « مخافة أن يضربه المعلم بالعصا » . فعندما يستيقظ صباحا يحث على الاستعجال فى تهيئة طعام غدائه . وكان يتصرف فى المدرسة أحيانا تصرفاً شائنا فيضربه المعلم ومساعدوه بالعصا أكثر من مرة . ونحن على ثقة تامة من معنى العبارة التى ترجمت بـ « يضرب بالعصا » لأن العلامة السومرية التى تؤدى هذا المعنى مركبة من « عصا » و « لحم » . أما بالنسبة للمعلم ، فقد كان مكسبه فى ذلك الوقت ضئيلا على ما يبدو كمكسب نظيره فى الوقت الحاضر ، وكان على الأقل يسعده جداً الحصول على « زيادة قليلة » من الآباء ليضيف شيئاً إلى مكسبه المحدود .

وتبدأ القطعة ، التى كانت من ابتكار أحد الـ « أوميا » (أى أحد المدرسين) فى « الأيدوبا » ، (أى المدرسة) ، بسؤال يوجه لطالب من المتخرجين القدامى على الوجه التالى : « أيها المتخرج القديم ، إلى أين كنت تذهب (عندما كنت صغيراً) ؟

فيجيب المتخرج « كنت أذهب إلى المدرسة » ، ثم يسأله الأستاذ المؤلف : « وماذا كنت تفعل فى المدرسة » ؟ . وكان هذا التساؤل بالنسبة للمتخرج القديم تلميحا للاستغراق فى ذكرياته عن فعالياته فى المدرسة على الصورة التالية :

« كنت أقرأ لوحى ، وآكل طعام غدائى ، وأهيىء لوحى (الجديد) ، كنت أكتبه وأكمله . ثم تجلب الألواح النموذجية إلى . وبعد الظهر تجلب إلىّ الألواح التى أتمرن عليها ، وعندما تنصرف المدرسة أذهب إلى البيت وأدخل الدار . وكنت أجد أبى جالساً هناك ، فأشرح (؟) ألواح التمارين لوالدى (؟) وأتلو ما فى اللوح عليه . وكان يسر بذلك . (وكان سروره عظيما إلى درجة) أقوم معها على خدمته (بكل سرور) .

ويحول المؤلف الآن طالب المدرسة نحو خدم البيت (الذى كان كما هو واضح بيت ثراء) بالكلمات التالية :

« إننى عطشان ناولنى ماء لأشرب ، إننى جائع ناولنى خبزا لآكل ، إغسل قدمى ، وهيىء لى سرير(ى) إننى أريد أن أنام . أيقظنى مبكراً فى الصباح ، إذ يجب على ألا أتأخر كى لا يضربنى المعلم بالعصا .

وكان كل ذلك ينجز على ما يفترض ، لأننا نجد فيما يأتى طالبنا يقول : « عندما استيقظ فى الصباح الباكر ، كنت أواجه أمى وأقول لها : إعطينى طعام غدائى ، أريد الذهاب إلى المدرسة ، وكانت أمى تزودنى برغيفين وأشرع بالذهاب . لقد أعطتنى أمى رغيفين وذهبت إلى المدرسة . وفى المدرسة قال لى الشخص الموكل بالنظام : لمَ أنت متأخر ؟ ودخلت خائفاً وبقلب يخفق على معلمى وأديت له التحية باحترام » .

ولكن سواء قدم له التحية باحترام أم لم يقدمها ، فقد كان ذلك اليوم سيئاً بالنسبة لطالبنا القديم — أو على الأقل كما كان يتذكره المتخرج القديم بحنين شديد — فقد تلقى الضرب بالعصا من قبل عدة أعضاء من هيئة التدريس فى المدرسة ، أو بكلمات المؤلف التى وضعها على لسان المتخرج :

لقد قرأ مدير مدرستى لوحى وقال :

« هناك شىء غير موجود » وضربنى بالعصا .

(يعقب هذا السطر سطران غير واضحين)

وقال الشخص المشرف على الأناقة :

« لقد تسكعت فى الطريق ولم تنظم (؟) ملابسك (؟) » ، وضربنى بالعصا .

(يلى هذا خمسة أسطر غير واضحة)

قال الشخص المسؤول عن السكون (أثناء التدريس) :

« لمَ تـكلمت بلا إذن » ، وضربنى بالعصا .

وقال الشخص الموكل بالأصطفاف :

« لم استرخيت بالوقوف بلا إذن ؟ « وضربنى بالعصا .

وقال المسؤول عن حسن السلوك :

« لمَ نهضت بلا إذن ؟ » وضربنى بالعصا .

وقال مراقب البوابة :

« لمَ خرجت (من البوابة) بلا إذن ؟ » وضربنى بالعصا .

وقال المسؤول عن السوط :

« لماذا أخذت . . . بلا إذن ؟ » وضربنى بالعصا .

وقال المسؤول عن اللغة السومرية :

« لماذا لم تتكلم باللغة السومرية (الصحيحة) ؟ وضربنى بالعصا .

وقال معلمى الـ « أميا » :

« خط يدك سيىء لا يرضى » وضربنى بالعصا .

(وعلى هذا) (بدأت) أكره فن الـكتابة . (وبدأت) أهمل فن الـكتابة .

إن معلمي لم يُسر بي (حتى أنه) [أوقف تعليمي] مهارته في فن الـكتابة . ولم يبذل أي جهد في القضايا (الجوهرية) بالنسبة لفن (تـكويني) « كاتباً صغيراً » (أو) لفن (تـكويني) « أخا كبيرا » .

وفي يأس ، يتوجه الطالب ، وفقاً لقول متخرجنا القديم ، نحو والده قائلا :

أعطه زيادة قليلة في مرتبه ، (و) دعه يصبح أكثر عطفاً (؟) ، دعه يتحرر (لفترة ما) من الحساب[1] ، (وعندما) يفـكر بشؤون الطابة المدرسية ، دعه يفكر بي (أيضاً كطالب من بينهم ، أي ربما لا تدعه يهملني بعد الآن) .

ومن هذه النقطة فصاعدا ، يتناول المؤلف نفسه الموضوع ويصف الحوادث كما لو كان هو هناك وشاهدها شخصيا على الوجه التالي :

لقد استمع الأب لما قاله تلميذ المدرسة ، وجاء بالمدرس من المدرسة ، وبعـد أن دخل البيت أجلس على « كرسي كبير » . وحضر تلميذ المدرسة وقام على خدمته ، ثم كشف لوالده عن كل ما تعلمه من فن الـكتابة . عندئذ امتلأ قلب الأب فرحا وقال بسرور لمدير المدرسة : « لقد فتح ولدي الصغير يده (بشـكل واسع) ووضعت أنت الحـكمة فيها ، لقـــد بينت له جميع النقاط الحسنة في الـكتابة ، وجعلته يرى حلول (المسائل) الرياضية والحسابية ، و (علمته كيف) يعمق (؟) الخط المسماري (يا)

ثم يحول المؤلف الأب نحو خدم بيته قائلا لهم :

اسكبوا زيت — « أردا » ، وأجلبوه له إلى المائدة . واجعلوا الزيت المعطر يسيل كالماء على بطنه وظهره ، وأريد أن أكسيه بحلة وأعطيه مرتباً إضافياً وأضـع خاتما في إصبعه .

---

(۱) يقصد بذلك التحرر من التفـكير المتواصل بتـكاليف معيشته . وربما كانت هذه أول محاولة رشوة مدونة في التاريخ . (المترجم)

ويدجز الخدم ما أمروا به . ويخاطب المعلم عندئذ التلميذ :

أيها الشاب ، (لأنك) لم تكره كلماتى ، ولم تهملها (عسى) أن تتقن فن الكتابة من بدايته إلى نهايته . ولأنك أعطيتنى كل شىء بلا قيد ودفعت لى مرتباً أكبر مما (تستحق) جهودى (و) كرمتنى ، عسى أن تكون الإلهة « نيدابا » ، ملكة الملائكة الحامية ، ملاكا حامياً لك ، وعسى قلمك المدبب أن يكتب لك كتابة حسنة وعسى أن تخلو تمارينك من الأخطاء . وبين إخوتك ، عسى أن تكون القائد ، وبين أصدقائك ، عسى أن تكون الرئيس . وعسى أن تكون منزلتك بين الطلاب أعلى منزلة ، وترضى (؟) كل من يمشى (؟) إلى القصور ويخرج منها (؟) . أيها الشاب أنت « تعرف » (منزلة) أبيك وأنا أجىء بعده مباشرة (فى المنزلة) إن تأدية الطاعة لك ومباركتك ، عسى أن يحققهما لك إله والدك بيدنا بتة . إنه سيؤدى الصلاة والابتهال لـ « نيدابا » ، ملكتك كما لو كان هو إلهك . وبهذا عندما تضع يداً عطوفة على الـ . . . (المائدة) للمعلم ، (و) على جبين « الأخ الكبير » ، عندئذ (؟) سيظهر أصحابك الشباب تأييدهم لك . لقد أجدت فى إنجاز أعمالك المدرسية . إنك رجل معرفة . لقد مجدت « نيدابا » ، ملكة المعرفة : أيا « نيدابا » الحمد لك !

وليس من السهل أن نقرر مما ورد فى المقالة السابقة فيما إذا كانت هيئة التدريس فى المدرسة السومرية مكونة من أشخاص يتلذذون عادة بالتعذيب أو أن هيئة الطلبة تتكون من مجموعة مشاغبين يتصفون بالفضاضة . ومن الجائز أن يكون الرأى الأخير هو الحقيقة ، جزئيا على الأقل ، لأنه على ما يبدو مؤيد بالمقالة الثانية من مقالاتنا المعنونة « النزاع بين إينكيماسى وجيرينشاج » ، فوفقا لهذه الوثيقة ، كان رجال التعليم القدامى على ما يبدو منهمكين فى محاولاتهم للسيطرة على الطلاب الذين كانوا يتلذذون بالتدافع وبإحداث الضجيج والنزاع وشتم أحدهما الآخر .

إن هذه المقالة السومرية المؤلفة من مائة وستين سطراً لم توضع أجزاؤها سوية

بعد جمعها من سبعة ألواح وكسر إلا حديثاً من قبل « سيريل · جي . جاد » وهو أستاذ شرف فى معهد الدراسات الشرقية والإفريقية فى جامعة لندن ، ومن قبل مؤلف هذا الكتاب . فقد عثر على لوحتين من هذه الألواح فى مدينة « أور » من قبل السير « ليونارد وولى » قبل (أكثر) من خمس وعشرين سنة ، ونشر جزءاً منها البروفسور « جاد » فى سنة ١٩٥٦ تحت عنوان « المعلمون والطلبة فى أقدم المدارس » على شكل محاضرة ألقيت فى حفل افتتاح معهد الدراسات الشرقية والإفريقية. ولكن هذين اللوحين كانا يشتملان على بداية المقالة ونهايتها فقط ، ويوجد فى حوزتنا فى الوقت الحاضر نص أكثر تكاملا كنتيجة لتعريف خمس قطع وجدت فى مدينة « نفّر » دلت قطعة منها ، وهى عبارة عن لوح كبير فيه ثمانية حقول تضم مجموعة المقالات السومرية كلها ، على أنها ذات أهمية خاصة بالنسبة لإعادة كتابة نص مقالاتنا · إن هذه القطعة التى اكتشفت قبل (أكثر) من ستين سنة ، توجد فى الوقت الحاضر ضمن مجموعة « هلبرشت » فى جامعة « فريدريش — شيلر » فى « يينا » فى ألمانيا الشرقية ، ولم تتيسر محتوياتها للباحثين إلا فى وقت قريب . بيد أنه يجب التأكيد على أنه بالرغم من وجود النص الكامل فى الوقت الحاضر فإن الكثير من معنى المقالة الحرفى وغير قليل من معانيها الضمنية لا يزال أمراً مشكوكا فيه جداً ، لأنه لم يبق من عدد كبير من الفقرات سوى أجزاء قليلة · ولذلك يجب أن ينظر إلى الملخص المقدم هنا على أنه أولى ومبدئى ، ومن الجائز أن تؤدى اكتشافات أخرى فى المستقبل إلى تعديل التفسير تعديلا كبيراً ·

ويتصل جزء قليل من المعلومات الخاصة بالدراسة الحضارية المقارنة التى تمدنا بها مقالتنا ، وهو أمر لم يكن بالأحرى متوقعاً كما لم يكن بلا أهمية خاصة ، بالمعنى الحرفى وبمعانى الإزدراء الضمنية للكلمة الانكليزية (سوفومور) التى يعرف بأنها استخدمت لأول مرة كتعبير انكليزى فى كمبردج سنة ١٦٨٨ · وهناك سبب يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الكلمة ، أى « سوفومور » ، هى صيغة انكليزية من كلمة اغريقية مركبة من « سوفوس — موروس » التى تعنى حرفياً « الماهر — الأحمق » . والآن ،

كما أشار إلى ذلك الأستاذ « جاد » لأول مرة ، نجد مقالتنا السومرية تحتوى على مثيل يقابل تماما « سوفوس — موروس » اليونانية . ففى أثناء المناقشات الحادة المهينة التى دارت بين متنافسين فى المدرسة والتى تكون الجزء الرئيسى من تلك المقالة ، سخر أحدهما بالآخر لأنه كان « جالام — حورو » (galam - huru) وهى كلمة سومرية مركبة تعنى حرفياً « ماهراً — أحمق » أى « سوفومور » . إن هـذه المقالة تتكون بالدرجة الأولى من نزاع كلامى حاد وقع بين طالبين فى صف واحـــد ، اسم الأول « إينكيماسى » والثانى « جيرينشاج » وكان كلاهما قد وصل إلى مرحلة دراسـية متقدمة ، بل وربما كان « جيرينشاج » قد وصل فى الواقع إلى منزلة « أخ كبير » أى مساعد معلم فى المدرسة . وفى أثناء النقاش كان كل منهما يتبجح بفضائله وقدراته بتعابير مفعمة بالإنفعال ، ويسخر من فضائل خصمه بألفاظ ساخرة مهلكة وشتائم مهينة . ففى مكان قريب من بداية الوثيقة مثلا خاطب أحـد هذين الفاضلين الآخر بما يأتى :

أنت أبله مغفل ، حشرة مدرسة مؤذية ، أنت أمىّ . أنت سومرى جهول ، يدك فضيعة ، إنها لا تقدر حتى على الإمساك بالقلم بصورة صحيحة . إنها لاتصلح للكتابة ، ولا تقدر على كتابة إملاء ، (وتدعى مع كل ذلك) بأنك كاتب مثلى .

ويجيب الفاضل الآخر على هذا الكلام :

ماذا تقصد (بقولك) إننى لست كاتباً مثلك ؟ إنك حينما تكتب وثيقة لا يفهم منها شىء . وعندما تكتب رسالة ، لا يمكن قراءتها (؟) . إنك تذهب لتقسيم مقاطعة زراعية غير أنك تعجز عن تقسيم المقاطعة ، لأنك عندما تذهب لقياس الحقل لا تقدر على الإمساك بحبل القياس . إنك تعجز حتى عن الإمساك بمسمار بيدك ، فأنت لاعقل لك ، إنك لا تعرف كيف تحكم بين متخاصمين ، بل إنك تزيد اشتعال النزاع بين الإخوة . أنت واحد من أقل كتاب الألواح كفاءة . فلأى ، لأى شىء أنت تصلح ، أيستطيع أحد القول (؟) ؟

ويرد خصمه على هذا :

ما تقول ! إننى كفء فى كل شىء . فإذا ذهبت لتقسيم مقاطعة — اقسم المقاطعة ، وإذا ذهبت لمسح الحقل ، فإننى أعرف كيف أمسك بحبل القياس . وأعرف كيف أحكم بين المتخاصمين . وأعرف كيف أهدىء النزاع بين الإخوة وألطف مشاعرهم . ولكنك أنت أكسل (؟) الكتاب وأكثر الرجال إهمالا (؟) . إذا مارست عمليات الضرب ، فانها تكون مليئة بالأخطاء (؟) . . . وفى مجالات (الحساب) تخلط بين الطول والعرض ، وتعالج المربعات والمثلثات والدوائر (؟) والمقاطع بلا فهم كما لو . . . أنت مهذار وغد ، وساخر متذمر ، كيف (تجرأ على القول) بأنك أنت « قلب » الهيئة الطلابية !

ثم بدأ خصمه ، متخذاً من الجملة الأخيرة حجة للتساؤل : « ماذا تعنى بقولك بأننى لست « قلب » الهيئة الطلابية ؟ » ويستمر بعد ذلك فى وصف قدراته فى عمله كأمين للحسابات حتى ينتهى بالأسطر التالية :

إننى رُبيت على السومرية ، أنا ابن كاتب . أما أنت فعامل أخرق ومدعٍ . إذا حاولت عمل لوح طينى للكتابة فانك لا تقدر حتى على تنعيم (؟) الطين (؟) . وإذا حاولت كتابة سطر واحد فإن يدك لاتستطيع مداراة (؟) اللوح ... إنك «سوفومور» . غط أذنيك ، غط أذنيك ! (ومع هذا أنت (تدعى معرفة) اللغة السومرية مثلى !

وعند هذه النقطة تأتى فقرة طويلة فى حالة سيئة إلى درجة أصبح من الصعب معها متابعة حتى تتابع المتكلمين . وأخيراً ، نجد شخصاً (لعله كان الـ « أوجولا » أى أحد المشرفين على الطلاب) قد استاء من أحد الطالبين ، وهو « أنكيماسى » — بحيث أوشك على حبسه وتقييده بالسلاسل ، وذلك استنتاجاً من الفقرة التالية الواردة فى نهاية النص ، والتى ترجمت ترجمة مبدئية على الوجه الآتى :

لِمَ تسلكان سلوكا كهذا ! لِمَ أنتما تتدافعان ويشتم أحدكما الآخر ، ويهين أحدكما

الآخر ! لم تعملان اضطراباً فى المدرسة ! . . . (تأتى أربعة أسطر غير واضحة) . الفوضى بلغته ! لِمَ أنتما متغطرسان (؟) ومهملان (؟) . (لِمَ أنت) تلعن وتلقى بالإهانات على من هو « أخوك الكبير » ومن علمك فن الكتابة من أجل نفسك(؟) حتى الـ « أوميا » (أى الأستاذ) العارف بكل شىء هز رأسه بشدة (؟) (قائلا) : « افعل به ماتشاء » لو أننى (حقا) فعلت بك ماأشاء — بشخص تصرف كما تصرفت (و) كان مهملا (؟) لـ « أخيه الكبير » — لضربتك (أولا) بعصا غليظة — يالها من عصا خشبية (إذا ما حان وقت الضرب) — (و) بعد أن أقيد قدميك بسلاسل نحاسية ، أحبسك فى البيت ولم أسمح لك بالخروج من (بناية) المدرسة لمدة شهرين .

وتنتهى القطعة ، بعد أربعة أسطر غير واضحة ، بالكلمات التالية : فى النزاع بين « جيرنسياج » و « انكيمانسى » أصدر الـ «أوميا » أى (الأستاذ) حكمه .

وكانت المدرسة كما يمكن أن يستنتج من المقالتين السابقتين مخيفة مرعبة وغير جذابة ، وكان منهج الدراسة « شاقا » وطرق التدريس رتيبة ، والعقوبة قاسية . فلا عجب إذا كان بعض الطلبة على الأقل يتهربون من أداء واجباتهم إذا ماأتيح لهم ذلك وصاروا « مشكلة » بالنسبة لمعلميهم وآبائهم . ويقودنا هذا الافتراض إلى مقالتنا المدرسية الثالثة المعنونة « كاتب وابنه الضال » وهى نص جمع من أكثر من عشرين لوحا وكسرة لوح . وهذه المقالة جديرة بالاهتمام باعتبارها واحدة من أولى الوثائق فى تاريخ الإنسان التى استخدمت فيها عبارة « إنسانية » (ناملولو فى اللغة السومرية) لا لدالة على البشر فقط وإنما بمعنى التصرف والسلوك الذى يناسب المخلوقات البشرية .

تبدأ هذه القطعة ، التى يبلغ طولها حوالى مائة وثمانين سطراً بمقدمة مؤلفة من حوار ودى إلى حد ما بين « والد وولده » ، ينصح فيه الأب ابنه بالذهاب إلى المدرسة والعمل بجد والعودة إلى البيت بلا تسكع فى الطرقات . ولغرض التأكد من أن الإبن قد أصغى باهتمام شديد جعله الأب يردد ماقاله له كلمة كلمة .

وتصبح المقالة من هذه النقطة فصاعداً حديثاً من جانب الوالد فقط . فهى تبدأ بسلسلة من الإرشادات العملية لتساعد على تكوين رجل من ابنه : فقد كان عليه أن لايتسكع هنا وهناك فى الطرقات والشوارع : وأن يتواضع أمام المشرف عليه ، وأن يذهب إلى المدرسة ويتعلم من تجارب الرجل (أى المشرف) الماضية . ثم يلى ذلك توبيخ شديد موجه للإبن المشاكس الذى كما يدعى والده — قد سبب له مرضاً مهلكا لمخاوفه المستمرة عليه وسلوكه اللاإنسانى ، ويقول بأن الوالد قد أصيب بخيبة أمل شديدة بسبب جحود ابنه ، على الرغم من أنه لم يضطره على العمل قط خلف محراث أو ثور ، كما لم يطالب إليه قط جلب الأخشاب للإشعال ، أو لأعالته كما يدفع آباء آخرون أبناءهم على فعل ذلك . ومع ذلك فقد أصبح ابنه أقل رجولة من الآخرين .

وكالعديد من الآباء فى الوقت الحاضر الذين تخيب آمالهم بأبنائهم ، كان الأب على مايبدو متألما بصورة خاصة لأن ابنه رفض السير على نفس خطواته المهنية ليصبح كاتبا كأبيه . فنصحه بأن يحاكى رفاقه وأخوته وأصدقاءه وأن يسير فى مهنة أبيه ، وهى فن الكتابة ، على الرغم من حقيقة كونها أصعب كل المهن التى فكر بها إله الفنون والحرف وأخرجها إلى الوجود . ويواصل الأب نقاشه بقوله إن الكتابة نافعة جدا لنقل خبرات الإنسان بشكل شعرى . ثم يستمر بقوله إن الإله « أنليل » ، ملك الآلهة جميعها ، هو الذى على أى حال فرض على الإبن أن يتبع مهنة أبيه .

وبعد توبيخ الإبن توبيخا شديداً أخيراً بسبب سيره فى الطريق التى كانت تقود إلى النجاح المادى بدلا من السير فى طريق المساعى الإنسانية ، يصبح النص غامضا ويبدو بأنه يتألف من أقوال مختصرة بليغة أريد بها على مايحتمل ، أن تقود الإبن على طريق الحكمة الحقيقية . وعلى أية حال ، تنتهى المقالة بملاحظة سعيدة ، يبارك فيها الوالد ابنه ويدعو له بأن يجد قبولا فى عينى إلهه الشخصى الإله — القمر « نانا » وزوجته الإلهة « ننجال » .

ونقدم فيما يلى ترجمة حرفية ، وإن كانت أولية ، للأجزاء الواضحة من المقالة ، تاركين فقط هنا وهناك عبارة غامضة أو سطراً مكسوراً . يبدأ الأب بسؤال ابنه :

« إلى أين ذهبت ؟ »

« لم أذهب إلى أى مكان » .

« فإذا لم تذهب إلى أى مكان لِمَ تقضى وقتك متكاسلا ؟ اذهب إلى المدرسة وقف أمام « والد مدرستك » ، (أى الأستاذ) واقرأ واجبك . وافتح محفظتك المدرسية ، وأكتب لوحك ، ودع « أخاك الأكبر » يكتب لك لوحك الجديد . وبعد أن تنهى واجبك وترفع تقريرك إلى المشرف عليك ، عد إلىّ ، ولا تتسكع فى الطريق ، اسمع ، هل تعرف ماذا قلت ؟

« اعرفه ، وسأتلوه عليك » .

« ابدأ وأعد لى (ما قلت) » .

« سأعيد قوله لك » .

« هلم اخبرنى به » .

« لقد قلت لى بأن اذهب إلى المدرسة ، واقرأ واجبى وافتح محفظتى المدرسية ، واكتب لوحى ، بينما يقوم « أخى الكبير » بكتابة لوحى الجديد . وبعد الانتهاء من واجبى علىّ أن أبدأ عملى وأعود إليك بعد أن أكون قد رفعت تقريرا إلى المشرف علىّ . هذا ما قلته لى » .

« انتبه ، كن رجلا ، ولا تقف فى الميدان العام أو تتسكع فى الشارع . وإذا مشيت فى الطريق لا تنظر هنا وهناك . كن متواضعا واظهر الخوف أمام المشرف عليك . فإذا أظهرت الخوف فإن المشرف سيحبك » .

(لقد أصيب حوالى خمسة عشر سطراً بالتلف) .

« أنت يا من تتسكع فى الميدان العام ، هل تريد أن تحقق النجاح ؟ إذن فاقصد

الأجيال الأولى . اذهب إلى المدرسة . إنها ستكون ذات نفع لك . يا بنيّ ، اذهب إلى الأجيال الأولى واستفسر منها .

« شخص ضال أقف مراقبا عليه — لن أكون رجلا إذا لم أراقب ابنى — لقد كلمت أقربائى ، وضاهيت (بينك وبين) رجالهم ، ولكننى لم أجد بينهم واحداً مثلك » .

« إن ما سأرويه لك بعد قليل يحيل الأحمق إلى رجل حكيم ، يمسك الحية كما لو كان يمسكها بفعل الرقى ، وسوف يمنعك عن تقبل العبارات الكاذبة .

« لأن قلبى قد امتلأ بالمتاعب منك ، ابتعدت عنك ، ولم أعر اهتماماً إلى مخاوفك وتذمرك . كنت حانقا عليك — نعم كنت حانقا عليك . ولأنك لا تنظر إلى إنسانيتك ، اختطفت قلبى كما لو اختطفته ريح شريرة . إن تذمرك وضع نهايتى ، لقد أوصلتنى إلى نقطة الهلاك .

« أنا لم أدفعك قط طول حياتى إلى حمل الأقصاب إلى أجمة القصب ، وحزم البردى التى يحملها الصغير والكبير ، أنت لم تحملها فى حياتك قط . إننى لم أقل لك أبداً سر وراء عرباتى ، ولم أرسلك للعمل ، وحرث حقلى ، إننى لم أرسلك للعمل فى حفر حقلى ، ولم أرسلك للعمل كعامل . ولم أقل لك قط فى حياتى اذهب واعمل وساعدنى فى معيشتى ؟ .

« إن آخرين مثلك يعيلون آباءهم بالعمل . فلو كلمت أقرباءك وقدرتهم ، لكنت مثلهم . إن كلا منهم يقدم ١٠ « جور » من الشعير — وحتى الصغار يمد كل منهم أباه بـ ١٠ « جور » . إنهم يضاعفون الشعير لآبائهم ويساعدونهم دائماً بالشعير والزيت والصوف . أما أنت ، فإنك رجل عندما يصل الأمر إلى العقوق — ولكنك إذا قورنت بهم فإنك لست برجل أبدا . فإنك بكل تأكيد لا تتعب نفسك مثلهم — إنهم أبناء آباء يدفعون أبناءهم إلى العمل . أما أنا فلم أدفعك إلى العمل مثلهم .

« إننى أقاسى العذاب بسببك أثناء الليل والنهار أنت ضائع فى الملذات ليلا ونهارا .

لقد جمعت كثيراً من المال ، وتوسعت طولا وعرضا ، لقد سمنت ، وكبرت وعرضت وقويت وانتفخت ، إلا أن أقرباءك ينتظرون مصيرك السيء وسيفرحون بسوء مصيرك لأنك لم تنظر إلى إنسانيتك » .

(وتأتي هنا فقرة غامضة مؤلفة من واحد وأربعين سطراً تبدو أنها مكونة من أقوال مأثورة وأمثال قديمة . ثم تختم المقالة بدعاء الوالد الذى جاء بصيغة شعرية) .

عسى أن ينقذك « نانا » ، إلهك ، من ذلك الذى يخاصمك .
وعسى أن ينقذك « نانا » إلهك ، من ذلك الذى يهاجمك .
وعسى أن تجد الرضا فى حضرة إلهك ،
وعسى أن ترفعك إنسانيتك ، رقبة وصدرا ،
وعسى أن تكون رئيس حكماء مدينتك ،
وعسى أن تنطق مدينتك باسمك فى الأماكن المفضلة ،
وعسى أن يناديك إلهك باسم حسن ،
وعسى أن تجد الرضا فى حضرة إلهك « نانا » .
وعسى أن ينظر إليك بعطف من قبل الإلهة « ننجال » .

وعلى الرغم من منهاج الدراسة الصعب والبعيد كل البعد عن الإثارة ، وعقوبات المعلمين الصارمة والخصومة المريرة من قبل أقران صفه الإعتدائيين ، فإن الطالب الطموح المثابر كان يوفق فى التخرج من المدرسة ، وكانت هناك إمكانيات عمل عديدة مفتحة أمامه ، فقد كان بإمكانه مثلا الدخول فى خدمة القصر أو المعبد ، أو كان بإمكانه أن يصير كاتب أدارة ومحاسبا فى إحدى المقاطعات الكبرى التى كانت تنتشر فى البلاد . وفى المقالة الرابعة من المقالات المدرسية المعنونة « حوار بين أوجولا وكاتب» نجد خريج الـ « أيدوبا » (أى المدرسة) ، وقد أصبح الآن كاتبا قديراً فى إحدى

هذه المقاطعات ، فى نقاش مع الـ « أوجولا » ، (لعله كان المشرف على المقاطعة) ، الذى كان نفسه من خريجى الـ « أيدوبا » . لقد جُمعت القطعة المؤلفة من ثمانية وسبعين سطرا من اثنى عشر لوحاً وكسرة لوح ، تبدأ بخطاب من قبل الـ « أوجولا » هذا نصه :

أيها المتخرج القديم ، تعال إلى ودعنى أخبرك بما أخبرنى به الـ « أوميا » (أستاذى) المسؤول عن المدرسة .

لقد كنت أيضاً مرة مثلك شاباً صغيراً وكان لىَ « أخ كبير » وكان الـ « أوميا » يحدد لى عملا (وكان ذلك العمل فى الواقع كثيراً جدا حتى بالنسبة لرجل كبير) .

(ولكنى) كنت أندفع كسهم من قصب وأستغرق فى العمل ، ولم أهمل كلمات الـ « أوميا » (أستاذى) ، ولم أتصرف وفقاً لـ (أهوائى الأنانية) . وكنتيجة لذلك كان « الأخ الكبير » يفرح بإنجازى .

لقد كان يبتهج لأننى كنت أقف أمامه بتواضع وكان يتكلم (؟) بما فيه صالحى (؟) .

ومهما خطط لى أنجزته . لقد كنت أضع كل شىء فى موضعه — (حتى) الأحمق كان باستطاعته أن يتبع (؟) إرشاداته بسهولة (؟) .

كان يقود يدى على (لوح) الطين ويرينى كيف أتصرف تصرفاً مناسباً و « كان يفتح » فمى بالكلمات ، ويسدى النصيحة الحسنة ، ، ويركز (؟) عينى على القواعد التى تهدى الرجل الذى ينجز الأعمال . الجد هو جوهر (حرفيا : قدر) الانجاز الحقيقى وإضاعة الوقت محرمة ، والشخص الذى يتسكع هنا وهناك (و) يضيع وقت عمله يقصر فى عمل واجبه .

إنه (أى « الأخ الكبير ») لم يتبجح بمعرفته ، وكانت كلماته متحفظة — فلو تبجح بمعرفته « لجحظت » العيون .

(ولذلك) كنت أحضر إليه قبل شروق الشمس وقبل أن ينتهى الليل ؛ لا تطرد السعادة المتأتية من كونك إلى جانب « الأخ الكبير » ، وبعد أن تقترب من « المتقدمين الكبار » ستحترم كلماتك .

إنه (أى « الأخ الكبير ») لم يحول مرة ثانية العيون المركزة . . . لقد وضع حول عنقك إكليل زهر (؟) (مكوناً) من مجاملة الرجل واحترامه (؟) .

إن قلب المصاب (؟) بعد أن يهدأ يتحرر من الذنب .

الرجل (الذى يأتى بـ) قرابين من اللبن (؟) كان يجعل هديته مناسبة (؟) ، الرجل الثرى قد ضم طفله ذا الركبة المثنية إلى صدره — لذلك (؟) يجب أن تكون للرجل ، والمراقب ، ويجب أن تجعل قلوبهم راضية .

ونكتفى بهذا القدر من كلام الـ « أوجولا » المسهب الذى يحتوى على لفّ ودوران مطولين ، وبعد مقدمة مكونة من سطر واحد يقرأ بالصورة التالية : « الكاتب المتعلم يجيب « أوجلا » بتواضع ، يواصل النص بما يبدو أنه أبعد ما يكون عن الإجابة المتواضعة :

لقد تلوت علىّ . . مثل . . (ولكنى) سأدعك الآن تسمع جواب ذلك فأما بالنسبة لحوارك الشبيه بخوار الثور ، فإنك تحيلنى إلى رجل جاهل بما فى ذلك الحوار من عدم التفهم — وسأجيب عنه بشكل كامل (؟) (لعل هذه العبارة تعنى حرفيا ، « ستين مرة ») .

كأنك جرو عيناك متباعدتان عن بعضهما (؟) (حتى لو) تصرفت كبشر .

لم تضع القواعد لى كما لو كنت مهملا ؟

لو سمعك أى إنسان لأسقطت (؟) يديه يائسا (؟) .

دعنى أوضح لك بدقة (حرفياً « دعنى أضع بيدك ») فن الصيرورة كاتباً لأنك (؟) ذكرت ذلك .

لقد وضعتنى مسؤولا عن بيتك ولم أدعك أبداً ترانى متراخياً .

لقد أبقيت الإماء والعبيد (وبقية) أعضاء بيتك فى أعمالهم ، وتأكدت من أنهم كانوا يستمتعون بخبزهم وكسائهم وسمنهم وهم يعملون بشكل مناسب (حرفياً « كما هى طريقتهم ») .

ولم تكن (مضطراً) على تتبع عبدك فى بيت سيدك ، فقد قمت أنا بالعمل (؟) القبيح (؟) وتتبعته كما لو كان نعجة .

لقد تلوت يوميا صلوات له (؟) أمرت أنت بها ، أما أغنامك (و) ثيرانك فإنها تبعث السرور وتجلب الحبور إلى إلهك ، وفى اليوم الذى رسا فيه قارب إلهك ، وضعوا (أى الكهنة) أيديهم عليك (ليباركوك) . لقد حددت لى صدر الحقل (أى ربما الجزء المرتفع الذى لا يمكن سقيه) فجعلت الرجال يعملون هناك — إنها مهمة فيها تحدٍ ولا تسمح بالنوم أثناء الليل أو فى حرارة النهار .

(ومع ذلك) كل الـ . . (و) (؟) أبناء الفلاحين يومئون (؟) بالموافقة (؟) .

لقد استخدمت اليد الرقيقة فى حقلك وامتدحنى الناس ، وجعلت الثور يأتى بما ملأ (؟) طريقك (؟) وجعلته يحمل (؟) أحماله من أجلك .

لقد ربيتنى من أيام شبابى وراقبت سلوكى ، وعاملتنى بلطف كأننى فضة جيدة ، ولم . . (لذلك أبعدت) (؟) عنك ذلك الذى « لا يمشى بعظمة » كأنه شىء محرم عليك ، لقد أبعدت عنك « الرياح الصغيرة » ولم أسمح بالوجود لها من أجلك .

إرفع الآن رأسك عالياً — أنت الذى كنت فيما مضى شخصاً صغيراً تستطيع (الآن) أن ترفع يدك (؟) ضد أى رجل (ولذلك) تصرَّف بما يليق بك .

ولعل جواب الكاتب ينتهى عند هذه النقطة . على الرغم من عدم وجود سطر يشير إلى بدء متكلم آخر . وكان جواب الـ « أوجولا » غير المنتظر ، جواباً ودياً يقرأ على الوجه التالى :

أنت يا من أديت الطاعة (؟) لى ، ويا من باركتنى (؟) وأدخلت النصح فى جسمى كما لو كان لبنا وسمنا قابلين للأكل — لأنك لم تتسكع عاطلا حصلت على طيبات الأرض ولم أصب بمصائبها . الـ « أوميا » (الأساتذة) « عارفو — الـكلمة » يشيرون بالموافقة (؟) ويتحدثون (؟) بـكل ما يخصك فى بيوتهم (؟) وحيثما يكونون (؟) وينطق باسمك للخير (فقط) وأوامرك تستقبل استقبالا حسناً (؟) . لقد [أنهى] سائقو الثيران (؟) نزاعهم بأغنياتك العذبة ، وسيوقف (؟) المتخاصمون (؟) [نزاعهم] بأغنياتك العذبة . الـ « أوميا » يؤدى لك الطاعة بقلب سعيد (قائلا) : « أنت يا من جلست كشاب تستمع لـكلماتى وأدخلت السرور إلى قلبى — لقد وضعت « نيدابا » (إلهة المدرسة الحامية) فى يدك شرف (كونك) « أوميا » ، أنت مكرس من قبل « نيدابا » فعسى أن تعلو علو السماء ، وعسى أن تبارك بقلب ملىء بالحبور ، ولا [تعانى] من ألم القلب . عسى أن [تجيد (؟)] فى كل شىء فى الـ « أيدوبا » ، بيت المعرفة ، عسى [أن تعطيك (؟)] « نيدابا » المعظمة سعادة [لا مثيل] لها (؟) . بحكمتك العطوفة [سينتهى (؟)] الخصام . وسيوقف (؟) الصغار [خصامهم (؟) فى] . . . . وسيلهج الصغار [باسمك إلى الأبد] الـ . . . سيرددون . . . [ك] فى الشارع الذى تتردد فيه أصداء الأغنية (؟) ، الشارع حيث . . . ، أنت جلبت « الميات » (أى النواميس الإلهية) التى لا مثيل لها . وتمكنت (؟) من إدارة السلوك المتناسق (؟) » .

وتأتى بعد هذه الفقرة العبارة الختامية النموذجية « أيا نيدابا ، الحمد لك » وهى عبارة ربما كان على الأستاذ الحديث أن يستجيب لها بقوله « آمين » وهى كلمة تحمل فى طياتها الـكآبة بسبب واقعنا المؤلم وحسداً لأولئك الأقدمين .

الفصل السابع

الحوافز والبواعث والقيم

إن الدراسات المخصصة للحضارة والمدنية السومريتين تعالج فى الغالب موضوعها من وجهة النظر الوصفية فقط . فهى تبدأ عادة بتجزئة الحضارة السومرية إلى مظاهرها المتنوعة ؛ الإجتماعية والسياسية والاقتصادية والإدارية والقانونية والدينية والتقنية والفنية والأدبية . ثم يوصف كل مظهر من هذه المظاهر بقدر ما تسمح به المعلومات المتيسرة من تفصيل وبقدر ما يستدعى الغرض الخاص من الدراسة . ونادراً ما ينظر إلى الحضارة السومرية من وجهة النظر النفسية ، أى الأخذ بنظر الاعتبار لشخصية الشعب الذى ابتدعها وخلقه ولأجل ملء هده الفجوة ، كرست سلسلة من الدراسات خلال السنوات العديدة الماضية لبحث المظاهر النفسية فى المدنية السـومرية ، وعلى الأخص ، كما يكشف عنها فى وثائقها الأدبية . ففى مقالة معنونة « التنافس والتفوق : سمتان بارزتان فى النموذج الحضارى السومرى [1] . » حاولت أن أعزل وأصف إحدى القوى المحركة الرئيسة فى السلوك السومرى ، ألا وهى الاندفاع من أجل التفوق والبروز مع ما فى ذلك الإندفاع من تأكيد شديد على التنافس والنجاح . وفى مقالة معنونة « حب وبغض وخوف : مظاهر نفسية فى الحضارة السومرية » لخصت دور الحب والكره والخوف كدوافع عاطفية محركة فى السلوك السومرى . وسأحاول فى هذا الفصل تلخيص نتائج هاتين الدراستين . ولا يمكننا إلا التأكيد بما فيه الكفاية على أن النتائج المقدمة هنا ما هى إلا نتائج أولية ومبدأية بطبيعتها ، إذ لا يمكن فهم حتى الوثائق الأدبية ذات النصوص الكاملة فهماً تاماً ناهيك عن تلك الوثائق التى مازالت فيها فجوات وثغرات عديدة — وهذه هى التى تمثل أغلبية النصوص — ومع كل ذلك ، يمكننا القول باطمئنان بأن من الممكن الاعتماد إلى درجة معقولة على قسم من النتائج المقدمة فى هذا الفصل على الأقل ، وأن هذه النتائج ستقف أمام اختبار الزمن .

---

(١) Selected Paperes of the Fifth international Congerss of Anthroplogical and Ethnological Science (1960). pp. 287-91.

ولنبدأ بالدوافع العاطفية الثلاثة التي تعمل على تكوين قيم غير قليلة عندالإنسان ، وهي الحب والكره والخوف . إن الكلمة السومرية التي تعبر عن معنى الحب «عبارة عن فعل مركب يبدو بأنه يعني حرفياً « قياس الأرض » و « تحديد مكان ما » ، أما كيف تطور هذا إلى معنى « الحب » فإنه أمر مشكوك فيه .

وكما هو صحيح بالنسبة لكل البشر ، كان الحب عند السومريين عاطفة متنوعة بطبيعتها وشدتها . فهناك الحب المشبوب بالعاطفة والإحساس بين الرجل والمرأة ، الذي كان يتوج عادة بالزواج ، والحب بين الزوج والزوجة ، وبين الآباء والأبناء والحب بين مختلف أفراد العائلة، والحب بين الأصدقاء والمتآلفين والحب بين الآلهة والملوك والناس. ومن الجائز أن نبدأ ملخصنا عن الحب في بلاد سومر بالحب الطبيعي العاطفي بين « الرجل والمرأة » .

من المعروف جيداً أن الزواج في بلاد سومر القديمة ، وبالتأكيد في الشرق الأدنى القديم بصورة عامة ، كان في العادة عبارة عن ترتيب عملي يكون فيه للفضة الموزونة بدقة اهتمام أكثر مما يتطلبه الحب العارم. وعلى الرغم من ذلك يوجد لدينا دليل جدير بالاعتبار على أنه كانت هناك فترة تودد وأحاديث عن الغرام غير قليلة قبل الزواج . وكان أكثرها يجري دون ريب في الخفاء مما يجعلها أكثر حلاوة عند المحبين . ومن الوثائق التي تمدنا بمثل يوضح ذلك توضيحاً كبيراً قصيدة مدونة على لوح من مجموعة « هلبرشت » في جامعة فردريش — شيلر في « يينا » التي يجوز أن تعنون بـ « الحب يجد طريقاً » أو « الأم المخادعة » . أما بطلا الرواية في القصيدة فهما الإلهة « إينانا » « ملكة السماء » ، فينوس السومرية ، والإله « دوموزي » ، حبيبها أولا وزوجها فيما بعد . وتنقسم القصيدة التي سميت من قبل الكاتب القديم بـ « تيجي » (tigi) ولعلها كانت أغنية تنشد بمصاحبة القيثارة ، إلى مقطعين ، يبدأ المقطع الأول بمناجاة من قبل « إينانا » تقص فيها بأنه في يوم من الأيام وبينما كانت تغني وترقص ببراءة هنا وهناك في السماء ، قابلها « دوموزي » وأمسك يدها وعانقها . وبدأت تتوسل إليه ليتركها

وشأنها لأنها لا تعرف كيف ستخفى خبر هذا الحب السرّى عن أمها « ننجال » زوجة الإله — القمر « سين » ، فاقترح « دوموزى » عليها بأن تخدع أمها بالقول لها إنها قضت الساعات مع صديقة لها فى ميدان المدينة العام • وبهـذا القول الذى هيىء كعذر يبدآن بتعاطى الحب فى ضوء القمر • وفيما يأتى كلمات الشاعر نفسه :

البارحة ، بينما كنت أنا الملكة أشع مشرقة ،
البارحة ، بينما كنت أنا ملكة السماء أشع مشرقة ،
بينما كنت أشع مشرقة ، وأرقص هنا وهناك ،
وبينما كنت أغنى تغلب (؟) الضوء المشع على الليل •

قابلنى ، قابلنى —
السيد « كولى — أنا » « دوموزى » قابلنى ،
ووضع السيد يده بيدى ،
« أوشوموجال — أنا » أى «دوموزى» •

ثم يعقب ذلك حديث جذاب ورقيق وغرامى بين الحبيبين وجها لوجه تتوسل فيه « إينانا » (بقولها) :

هلم (؟) دعنى الآن (؟) وشأنى ، يجب أن أعود إلى البيت •
يا « كولى — أنليل » أى « دوموزى » اتركنى ، يجب أن أعود إلى البيت ،
ماذا أستطيع أن أقول لتضليل أمى !
ماذا أستطيع أن أقول لتضليل أمى « ننجال » !

بيد أن هذا التوسل لا يردع « دوموزى » الذى كان لديه جواب حاضر !

سأخبرك ، سأخبرك

يا « إينانا » ، ياأحلى النساء ، سأخبرك ،

(قولى) « صديقتى أخذتنى معها إلى الميدان العام ،

وهناك منعنا لاعب (؟) برقصه ،

أغنيته العذبة ، غناها لنا ،

وبسرور عظيم أنهى لنا الوقت ·

هكذا قفى فى وجه أمك مخادعة إياها ،

فى حين أننا نتمتع بحبنا كاملا فى ضوء القمر ،

وسأهىء لك (؟) سريراً طاهراً ، وحلواً ومهيبا ·

وسيحقق لك اليوم الجميل أمراً مفرحاً ·

ويتألف المقطع الثانى من مناجاة مبهجة تتحدث بها « إينانا » مع نفسها ، ولا عجب فى ذلك ، لأن « دوموزى » على مايبدو قد وافق على الزواج منها بعد ليلتهما السعيدة · ولسوء الحظ أصاب التلف الجزء الأول من المقطع ، وعندما يتضح النص مرة ثانية ، نجد « إينانا » تعلن عن نبأ سار وهو أن « دوموزى » كان على وشك أن يكلم أمها بشأن طلب يدها على ما يفترض للزواج ·

وتنتهى القصيدة ، وهذا أمر طبيعى جداً ، بمديح « إينانا » الوجدانى لزوج المستقبل وضحية غضبها الرهيب فيما بعد .

أنا « إينانا » قد جئت إلى بوابة أمى ،

ماشية يغمرنى السرور ،

لقد جئت إلى بوابة « ننجال » ،

ماشية يغمرنى السرور ،

سيقول « دوموزى » لأمى الكلمة ،

وسيرش الأرض بزيت السرو ،

هو الذى بيته معطر .

والذى كلمته تجلب كلمعة الفرح .

سيدى ذو الأطراف الطاهرة الجذابة ،

« أما — أوشوجال — أنا » صهر « سين » .

سيدى حلوة غلتك .

نباتاتك وأعشابك فى السهل حلوة المذاق .

« آما — أوشومجال — أنا » حلوة غلتك .

نباتاتك وأعشابك فى السهل لذيذة المذاق .

وعلى الرغم من أن « إينانا » و « دوموزى » ، وفقاً لما ورد فى هذه القصيدة كانا يحتفظان بحبهما سراً وكانا على استعداد حتى لتضليل أم « إينانا » ، فإن هناك رواية أخرى عن هذه العلاقة الغرامية جاء فيها إن « دوموزى » كان يتودد لعروسه علناً وبموافقة أمها . فقد كان « دوموزى » الراعى وفقاً لهذه الأسطورة يقصد بيت « إينانا » ويطلب السماح له بالدخول . وكانت « إينانا » بنصيحة من أمها ، تستحم وتمسح نفسها بالزيت ، وترتدى الحلل الملكية وتتزين بالأحجار الكريمة ثم تفتح لـ « دوموزى » الباب ويتعانقان بغبطة ولعلهما كانا يمارسان الاتصال الجنسى .

وفى رواية أخرى عن غرام « دوموزى » و « إينانا » وزواجهما ، يبدو أن موافقة والد « إينانا » ، الإله — القمر « سين » ، كانت شرطاً أساسياً ، وكانت « إينانا » ، وفقاً لهذه القصيدة التى تتألف من مقطعين شعريين ، تلتقى بعد أن تزين أجزاء جسمها المختلفة بحلىٍّ من المعادن والأحجار الكريمة مع « دوموزى » فى الـ « جيپار » ، معبد « أى—أنا » فى «الوركاء» . وكانت « إينانا » تشتاق للذهاب معه إلى الفراش بسرعة إلا أنها تجد ، على ما يبدو ، أن من المستصوب الحصول على موافقة والدها ، وعلى أية حال ، نجـــدها ترسل رسولا إلى أبيها طالبة السماح لـ « دوموزى » بمغازلتها .

وعلى حين يبدو وفقاً للروايات الثلاث التى لخصت أعلاه أن حب « إينانا » لـ « دوموزى » كان متقداً ومشبوباً بالعاطفة بقدر ما كان حب « دوموزى » لها تماما — بل كان أكثر حدة من بعض الوجوه — فإننا نحصل على صورة مختلفة تماماً من قصيدة سومرية أخرى تعود إلى صنف المجادلات من التآليف الأدبية . إن « إينانا » وفقاً لهذه الأسطورة التى جاءت على شكل مسرحية قصيرة ، كانت تعشق فى الواقع الفلاح « أنكيمدو » وليس الراعى « دوموزى » . وعلى الرغم من جهود أخيها الإله — الشمس « أوتو » التى بذلها لإقناعها على تغيير رأيها فإن « إينانا » رفضت فى أول الأمر « دوموزى » رفضا باتا ولم تحد عن رأيها إلا بعد كلمة مليئة بالغضب والتهجم تفوه بها « دوموزى » وأكد فيها على تفوق ما كان له من ممتلكات على ممتلكات « أنكيمدو » . وكان « دوموزى » فى الواقع مضطرباً من تفضيل « إينانا » لـ (لفلاح) حتى إنه حاول الدخول فى قتال مع غريمه « أنكيمدو » ، ولم تهدأ هذه الخصومة بين الإثنين إلا بعد تهدئة الفلاح له بكلمات ووعود تنطوى على الود والصداقة .

ولم يكن « دوموزى » و « إينانا » الإلهين الوحيدين اللذين سبقت زواجهما علاقات غرامية مليئة بالعاطفة ، فـ « إنليل » الإله القائد فى مجمع الآلهة «السومرى» فتى « نفَّر » عشق من أول نظرة « ننليل » عذراء « نفَّر نيبور الشابة » عندما لمحها

على ضفة مجرى ماء ، اسمه « نونبيردو » فى مدينة «نفّر » بعد أن استحمت فى « مياهه النقية » . ولما رفضت الاستسلام لعروضه الملتهبة ، أمر رسوله « نوسكو » بجلب سفينة اغتصبها فيها وحبّلها ببذرة الإله — القمر « نانا » وبسبب فعلته الشنيعة هذه عوقب من قبل الآلهة الخمسين العظام بالنفى إلى العالم السفلى ، ولكن « ننليل » المخلصة لحقت به وأنجبت منه هناك ثلاثة أطفال . ولابد أن يكون الزواج قد تم بينهما فى وقت ما بعد ذلك لأن « ننليل » تظهر فى كل النصوص الأدبية السومرية كزوجة فاضلة ومحترمة للإله « إنليل » .

ومن الناحية الأخرى لم تكن هناك ضرورة لإله البدو « مارتو » لاغتصاب فتاته التى اختارها ، وهى « أدنيجكيشار » ، ابنة « نوموشدا » إله مدينة « كزالو » الحامى ، لأنه عندما عبر « مارتو » فى وليمة إلهية فى مدينة « أكتاب » عن رغبته فى أن تصبح زوجة له ، قبلت « ادنيجكيشار » بكل سرور على الرغم من محاولة صديقتها الشديدة لاقناعها بالعدول عن ذلك لأن « مارتو » كان مشهوراً بأنه :

ساكن خيمة [تعصف بها (؟)] الريح والمطر ، [وإنه لا يعرف (؟)] الصلوات وبالسلاح [يجعل] الجبل مسكنه

ومثير للنزاع إلى درجة غير معقولة ، ويتحول (؟) ضد الأقطار التى عرفت بعدم ثنى الركبة .

ويأكل اللحم نيئاً .

ولا يمتلك بيتاً طول حياته .

ولا يدفن حين يموت .

وأخيراً ، قد يستنتج الدور الهام الذى كان العشق والجنس يلعبانه فى الفترة التى تسبق الزواج فى بعض الحالات على الأقل من أغانى الحب التى يفهم منها بأنها كانت تغنى من قبل كاهنات ينتخبن كعرائس للملك فى مناسبة احتفالات الزواج المقدس

الذى كان يحتفل به في يوم عيد رأس السنة . فقد وصلت إلينا أغنيتان من هذا النوع تكشفان عن حب عنيف ونشوة جنسية . فهنا مثلا بإحدى هاتين القصيدتين التى كانت موجهة إلى الملك « شو — سين » من قبل « عروسه » المحبوبة .

يا عريس ، يا من هو حبيب قلبي
جمالك فتان ، حلو كالشهد
أيها الأسد ، ياحبيب قلبي ،
جمالك فتان ، حلو كالشهد .
لقد أسرتني ، فدعني أقف مرتجفة بين يديك .

أيها العريس ، بودى لو أحمل من قبلك إلى حجرة النوم ،
لقد أسرتني ، فدعني أقف مرتجفة بين يديك .
أيها الأسد ، بودى لو أحمل من قبلك إلى حجرات النوم .
ياعريس ، دعني أداعبك ،
إن مداعبتى الغالية ألذ مذاقا من العسل ،
فى حجرة النوم ، الملآى بالعسل ،
دعني استمتع بجمالك الباهر ،
إن مداعبتى الغالية ألذ مذاقاً من الشهد ،

ياعريس ، لقد استمتعت بى ،
فاخبر أمى ، وستقدم لك ماطاب من الطعام ،

وسيقدم لك أبى الهدايا .

أماروحك ، فإننى أعرف أين أدخل السرور إلى روحك ،

أيها العريس ، نم فى بيتنا حتى الفجر .

وأما قلبك ، فإننى أعرف أين أدخل السرور إلى قلبك ،

أيها الأسد نم فى بيتنا حتى الفجر .

وأنت ، فلأنك تهوانى ،

هبنى بحقك شيئاً من ملاطفتك ،

يا سيدى الإله ، يا سيدى الحامى ،

يا « شو — سين » — الذى يدخل البهجة فى قاب « إنليل » ،

هبنى بحقك شيئاً من ملاطفتك .

إن موضعك حلو كالشهد ، ضع بحقك يد (لـ) عليه

قرب يد (لـ) عليه كرداء الـ « جيشبان » ،

غطه بيد (لـ) كرداء « جيشبان — سيكين » .

وهكذا فإن هناك سببا يدعو إلى الاعتقاد بأن الزيجات لم تكن جميعها لمنافع عملية بل كانت ، فى بعض الحالات على الأقل بدافع الحب والهيام . وليس من المستغرب إذن أن نجد أحد الأمثال السومرية يقول :

تزوج زوجة وفقا لاختيارك ،

وأنجب طفلا كما يشتهى قلبك .

ومما لا شك فيه لم يكن الزواج حملا خفيفا بالنسبة للسومرى كما هو واضح من المثل السائر :

من لم يُعِل زوجة أو طفلا

لم يحمــــل مقودا

أضف إلى ذلك أن الزوج السومرى غالباً ما يجد نفسه مهملا من قبل زوجته ، أو كما يضع أحدهم ذلك بقوله :

زوجتى فى المزار الخاوى ،

وأمى هناك على النهر ،

وهنا أنا أمـوت جوعا ٠

وفى الواقع ، كان الرجل السومرى ، فى بعض الأحيان على الأقل ، يأسف لزواجه ، كما يمكن أن يلاحظ من القول التالى :

من أجــــل متعته — زواج ،

وعند إعادة النظر فيه — طلاق .

وسواء أكان هناك عشق قبل الزواج أم لم يكن ، فقد كان الزوجان يستقران بعد الزواج مباشرة فى حياة يومية رتيبة يتراجع فيها الحب إلى الوراء أكثر فأكثر ٠ ومع ذلك فإن الحب بعد الزواج لم يكن أمرا غير معروف تماما ٠ وكثيراً ما تتردد عبارات مثل « الزوج الحبيب » و « الزوجة الحبيبة » فى النصوص السومرية ٠ وعلى هذا نجد « جلجامش » مثلا فى قصيدة « جلجامش وأنكيدو والعالم السفلى » ينصح خادمه المخلص « أنكيدو » ، الذى كان على وشك النزول إلى العالم السفلى لإخراج الـ (پوكّو) والـ (مكّو) العائدين لـ « جلجامش » ، بما يأتى :

لا تقبّل زوجتــك التي تحبهـا ،

ولا تضرب زوجتك التى تكرهها ،

ولا تقبّل ابنك الذى تحبــه ،

ولا تضرب ابنك الذى تـكرهه .

أو عندما لا يجد الملك « أور — نامو » ، بعد وفاته ورحيله إلى العالم السفلى ، الراحة فيقيم مناحة طويلة ومريرة من أجل زوجته التى لم يعد قادرا ، بعد الآن على ضمها إلى صدره وابنه الذى لم يعد قادرا على مداعبته وهو فى حجره . وكان الملك يسمى دائماً بـ « زوج ابنانا المحبوب » . وكان الزوج دائماً يشمل فى كتاباته النذرية زوجته وأولاده — أى إنه كان لا يكرس شيئا إلى الإله من أجل حياته فقط وإنما من أجل حياة زوجته وأبنائه أيضاً .

ويقودنا هذا إلى الأسرة ، الوحدة الأساسية فى المجتمع السومرى . وتتضح حقيقة ترابط أفراد العائلة مع بعضهم ترابطاً قوياً بالحب والاحترام والواجبات العائلية المشتركة فى المثل السائر التالى :

حافظة الماء فى الصحراء حياة الرجل ، والحذاء عين الرجل والزوجة مستقبل الرجل ، والولد ملاذ الرجل ، والبنت خلاص الرجل ، أما زوجة الابن فشيطان الرجل ،

وفى فقرة تأبينية تقول :

العاصفة لا تعرف الأم ، العاصفة لا تعرف الأب ،
العاصفة لا تعرف الزوجة ، العاصفة لا تعرف الابن الصغير .
العاصفة لا تعرف الأخت ، العاصفة لا تعرف الأخ ،
العاصفة لا تعرف الصديق ، العاصفة لا تعرف الصديقة .

وفى الفقرة التالية التى تصف الأحوال المحزنة التى كانت على وشك الوقوع فى مدينة « أور » وفقا لقرار اتخذته الآلهة الحانقة :

الأم لن تهتم بابنها ،

ولن يصيح الأب ، أيا زوجتى ،
والمحضية لن تبتهج فى الحجر ،
لن يربت على ركب الأطفال .

ويشابه هذا ، عندما أصيب « أيوب » السومرى بعناء وألم مبرحين ، دعا باكياً إلهه الشخصى ، و « ملاكه الحامى » ، الأب الذى أنجبه ، كما لو أنه كان يدعو أفراد عائلته ويندبهم للوقوف إلى جانبه :

انظر! لاتدعْ أمى التى حملتنى توقف البكاء علىَّ فى حضرتك ،
ولا تدعْ أختى تغنى الأغنية والأنشودة السعيدتين ،
بل دعها تنطق باكية بمصائبى فى حضرتك ،
ودعْ زوجتى تعلن عن معاناتى ،
ودعْ المغنى الماهر ينوح على مصيرى المرير .

من الأمور التى تكشف لنا عن الكثير فى هذه الناحية هو وصف الـ « جالا » وهم شياطين العالم السفلى القساة اللا إنسانيون والذين لايحبون أحداً كمخلوقات :

تخطف الزوجة من حضن الرجل ،
وتخطف الطفل من ثدى مربيته .

أو وصفهم بشكل أكثر شمولا بأنهم :

لا يملأون حضن الزوجة بالسعادة ،
ولا يقبلون الأطفال الحسنى التغذية ،
يخطفون ابن الرجل من على ركبته ،
ويأخذون زوجة الإبن من بيت والد زوجها .

وبانتقالنا من الأسرة ككل إلى علاقة الآباء بأبنائهم ، فإن من الواضح من الفقرات التى ورد ذكرها قبل قليل بأن حب الأبناء والعناية بهم كانا من الأمور العادية بالنسبة للآباء السومريين ، كما كان أيضاً من الأمور المألوفة بالنسبة للأبناء أن يحبوا آباءهم ويصغوا إلى نصائحهم . ففى مقالات الـ « إيدوبا » (أى المدرسة) ، التى تعالج شؤون المدارس السومرية ورجال التعليم ، تكشف العلاقة بين الأب والإبن بصورة خاصة على أنها كانت علاقة وثيقة وودية ومليئة بالتفهم . ونجد الإرشاد والنصح من قبل الآباء لخير ورخاء أبنائهم شائعين فى الأساطير السومرية وتأتى على نمط ثابت ، وكانت الإلهة « ننماخ » ، أم الإله — العاصفة ، « ننورتا » مليئة بالعطف على ابنها الذى أنجز أعمالا خطيرة وبطولية فى كفاحه ضد وحوش « كور » إلى حد أنها لم تكن قادرة على الراحة والنوم حتى سافرت إلى « كور » على الرغم من « الخوف والرعب من المعركة » التى كانت محتدمة فى كل مكان . بل نظر حتى إلى الحيوانات على أنها محبة لأطفالها حباً عارماً . فالحب بين البقرة وعجلها كان يضرب به المثل فى كافة الآداب ، وحب الكلبة لجروها يعبر عنه تعبيراً يثير الإعجاب فى المثل البليغ التالى :

هذا ما . . . (؟) تقوله الكلبة ، « سواء أولدتهم باون الضبى أم ولدتهم بلون رمادى مخطط ، فإننى أحب صغارى ! »

وحتى طير الـ « أمد وجود » المهول وزوجته صرخا بمرارة لما وصلا إلى عشهما ولم يجدا صغارهما .

وفى الحالات العادية أيضاً كانت هناك بلا شك علاقة وثيقة وحارة بين الأخ وأخته إلى جانب العلاقة بين الآباء والأبناء . وكان الأخ على ما يبدو بصورة خاصة ، يحتل مكان الأب فى بعض الحالات . فـ « إينانا » ، مثلا ، اتجهت نحو أخيها «أوتو» طلبا للمساعدة عندما أعتدى على شجرتها المقدسة فى « الوركاء » من قبل الحية ، وطير الـ « أمد وجود » و « ليليث » المتوحشة . وعندما آن الأوان لـ « إينانا »

لاختيار زوج لها ، فإن أخاها « أوتو » هو الذى كان يحاول التدخـل فى اختيارها واقناعها بالزواج من الراعى « دوموزى » بدلا من الفلاح « أنـكيمدو » لأنه رأى فى ذلك مصلحة لها . وعندما حاول البستانى « شوكاليتودا » الهرب من غضب « إينانا » أخذ بنصيحة والده القائلة بأن « يبقى بالقرب من مدن أخوته » ! وعلى حين تشير هنا الـكلمة « أخوة » إلى الناس « ذوى الرؤوس السود » كـكل ، (أى إلى السومريين) فالحقيقة هى أن « شوكاليتودا » كان يشعر بالسلامة والأمان بالقرب منهم لأنه كان ينظر إليهم كـ « إخوة » . وحينما حوصر « أينمركار » من قبل « مارتو » فى مدينته « الوركاء » أرسل « لوجال بندا » لـ « أخته » « إينانا » فى « أراتا » طلبا للنجدة . ولـما قبضت الشياطين على « دوموزى » تضرع للإله « أوتو » لاحالته إلى غزال حتى « يلجأ بروحه » إلى أخته الإلهه « جيشتينانا » التى كانت تحبه بشدة وبحنان . وعندما مرض « أنـكى » وبدأت « نينخورساج » الهادئة بعلاجه ، كانت تتساءل باستمرار وبحنو : « يا أخى ، ما الذى يؤلمك ؟ »

ويستدل من المثل القائل « تبقى الصداقة يوماً وتبقى القرابة إلى الأبد » بأن الحب بين الأصدقاء لم يكن بقوة وديمومة الحب بين ذوى القربى ، ومع ذلك فإن الصداقة والإخلاص كانا يحضيان بتقدير كبير فى بلاد سومر . فكانت الصداقة بين «جلجامش» و « أنكيدو » أسطورية ويضرب بها المثل فى كافة أنحاء الشرق الأدنى القـديم . وكان أصدقاء « لوجال بندا » قلقين قلقاً شـديداً من رحلته المتوقعة إلى « أراتا » التى كانت تشمل عبور جبال عالية ونهر « كور » المرعب . وعندما أصيب « لوجال بندا » خلال الزحف الذى قام به سكان « الوركاء » ضد « أراتا » بمرض مميت وهو فوق جبل « حوروم » ، لم يتخل عنه أصدقاؤه المفجوعون إلا بعد أن حاولوا إعادته إلى الحياة بكل الوسائل الممكنة وتأكدوا بأن كل أمل قد ضاع — ومع ذلك قطعوا عهداً على أنفسهم بالتقاط جثمانه وحمله إلى « الوركاء » عند عودتهم . وترجع معاناة « أيوب » السومرى ومرارته إلى حد كبير إلى حقيقة أنه وجد نفسه وقد غرر به من قبل أصدقائه ورفاقه .

أما بالنسبة للحب الإلهى ، أى حب الله للإنسان ، فإنه ينبغى أن نضع فى الأذهان بأن علماء اللاهوت السومريين ، من الناحية النظرية على الأقل ، كانوا يعلمون الناس بأن الآلهة قد خلقت الإنسان لغرض خدمتها والقيام بشؤونها فقط. ولذلك كانت علاقة الإله بالإنسان ، على ما يفترض ، تقابل علاقة السيد بالعبد. ولكن الإتجاهات والممارسات الدينية نادراً ماتتفق مع النظرية والفكر اللاهوتيين ، وكان حب الإله ، على نمط الحب بين الآباء والأبناء ، والحب بين الزوج والزوجة ، ظاهرة متكررة فى الوثائق السومرية . وأول ما نبدأ به هو أنه كانت هناك عقيدة بوجود الإله الشخصى ، أى يعبر عنه المتعبد بعبارة « إلهى » الذى كان يفكر به كأب أو أم له . وكان حب « إينانا » لـ « وركاء » وسكانها هو الذى دفعها إلى الذهاب إلى مدينة « أريدو » ونقلها الـ « ميات » أى « النواميس الإلهية » فى « سفينة السماء » على ما كان فى ذلك العمل من خطورة . وفى أدب المناحات ، تكشف الآلهة مرة بعد أخرى عن حبها وعاطفتها . فتوصف مثلا ، « ننجال » زوجة الإله — القمر من قبل مؤلفى « النواح على دمار أور » كمستجدية ومتضرعة وباكية بين يدى الإلهين « آن » و « أنليل » حتى لا يدمرا مدينتها وسكانها . ووفقاً لمرثية أخرى على « أور » ، كان « نانا » نفسه هو الذى يتوسل إلى « أنليل » لإنقاذ مدينته وسكانها . وعندما تقرر حدوث الطوفان ، بكت « ننتو » وأقامت « إينانا » مناحة من أجل الناس ، حتى الإله « أنليل » ، على ما هو عليه من عدم المبالاة ، وما فيه من إثارة للرعب ، كان يتصور فى الأذهان كإله رحيم وأبوى .

وكانت الآلهة من حين لآخر تعامل البشر الأفذاذ بحب وعاطفة وحنان . فكان كل من « آن » و « إنليل » يعتزان ببطل الطوفان « زيوسودرا » ومنحاه الخلود ونقلاه ليسكن بين الآلهة فى « الموضع الذى تشرق الشمس فيه » . وعندما حوصر « أينمر » فى « الوركاء » من قبل « مارتو » ، أرسل « لوجال بندا » مع طلب النجدة إلى « أخته » « إينانا » فى « أراتا » يقول فى قسم منه :

إذا كانت « إينانا » تحب المدينة « الوركاء » ولكنها تبغضنى ،

فلم تربط بين المدينة وبينى ؟
وإذا كانت (من الناحية الأخرى) تكره المدينة وتحبنى ،
فلم تربط بينى وبين المدينة ؟

ورفع « لوجال بندا » ، وهو مريض على حافة الموت بعد أن تخلى عنه رفاقه وتركوه على جبل « حوروم » نظره إلى السماء وبكى أمام الآلهة « أوتو » و « إينانا » و « سين » ، وفى كل حالة — حتى فى حالة الإلهة « إينانا » — يقول الشاعر بأنه بكى أمام الإله وكأنه كان أباه الذى أنجبه . وعندما قدم «جلجامش» قرباناً لـ «أوتو» وتوسل إليه من أجل تأييده عندما كان على وشك السير إلى « أرض الأحياء » ، يكتب الشاعر :

تقبل « أوتو » دموعه كقربان ،
وكأنه «رجل رحمة» أظهر له الرحمة .

وكان « جلجامش » وفقاً لقصيدة أخرى « الأمير محبوب آن » وكان « جوديا » الرجل « الذى يحبه نينجرسو » يتضرع إلى الإلهة « جاتومدوج » (بقوله) :

لا أم لى ، أنت أمى ،
ولا أب لى ، أنت أبى .

وكان الملك « شولجى » حبيب الإله « أنليل » ، وكان ابنه « شو — سين » « حبيب قلبه » . وأخيراً كان ملوك بلاد سومر يعرفون بأنهم « أزواج «إينانا» المحبوبون » فى كافة النصوص السومرية من عهد « أينمركار » حتى عهود ما بعد الفترة السومرية ، لأنهم على ما يبدو كانوا يعرّفون رمزياً بـ« دوموزى » ، وهو ملك قديم مؤله فى مدينة « الوركاء » ، تزوج ، وفقاً لآراء كتاب الأساطير السومريين ،

فعلا بـ « إينانا » ، ثم سلم ، حسب رواية واحدة على الأقل ، من قبلها إلى الشياطين الذين حملوه إلى العالم السفلي .

وكانت الوطنية ، أى حب البلاد، وعلى الأخص حب المدينة الخاصة ، قوة محركة قوية فى الفكر والعمل السومريين . ومن الطبيعى أن حب دولة — المدينة هو الذى بدأ أولا ، ولم يحل محله حب بلاد سومر ككل أبداً . وكان سكان أية مدينة يعرفون بـ « أبناء » ها وكانوا يعتبرون وحدة قوية التماسك والتداخل . وكانوا عادة يفخرون بمدينتهم وإلههم وحاكمهم ، وكانوا دائماً على استعداد لحمل السلاح من أجلهم . وكان النزاع بين دويلات المدن ، الذى برهن من بعض النواحى على أنه كان سبب خراب بلاد سومر ، مريراً وبلا انقطاع ، وكانت المدن ترفض التخلى عن استقلالها بكل عناد . أما متى بدأت بلاد سومر تفكر بنفسها كشخصية سياسية مؤلفة من بلاد مجزأة إلى عدد كبير من دويلات المدن ، فإنه أمر مازال غير مؤكد ، على أن هذا التفكير لا بد أن يكون قد ظهر قبل عام ٢٥٠٠ ق . م . ببضعة قرون . وكما تظهر التراتيل الملكية ، كان واجب الملك المقدس والوطنى الدفاع عن البلاد ضد الأعداء وتحقيق الأمان والرفاه « للبلاد » ، كما كان يشار فى الغالب إلى سومر . وكان السومريون « أبناء سومر » من أيام سلالة « أور » الثالثة على الأقل يعرفون بـ « الرؤوس السود » و « الإخوة » . ويكشف حب الناس لمدينتهم ودولتهم عن نفسه بشكل خاص فى المراثى المريرة المحزنة التي كان الشعراء ينوحون فيها على تدمير كل من المدينة والدولة .

وحيثما يوجد الحب يوجد الكره ، ولم تشذ بلاد سومر فى هذه الناحية . فـ « جلجامش » يقابل بين الزوجة المحبوبة والزوجة المكروهة ، وبين الإبن المحبوب والإبن المكروه فى الأسطر التالية التى سبق ذكرها .

لا تقبل زوجتك التى تحبها ،

ولا تقبل ابنك الذى تحبه ،

لا تضرب زوجتك التى تكرهها ،
ولا تضرب ابنك الذى تكرهه .

ويقابل « أينمركار » بين الحب والكره بواقعة معبرة فى تضرعه إلى « إينانا » الذى ذكر سلفاً . وكان الإله « هندورساج » ملكا « يحب العدالة » ولكنه « يكره العنف » . حقاً ، لقد كان الكره يلعب ، إذا لم أكن على خطأ ، دوراً بارزاً فى السلوك السومرى . وكما سترى فيما بعد ، كانت المؤسسات السومرية السياسية والاقتصادية والتعليمية مصبوغة بعمق بالمنافسة العدوانية وبالإندفاع نحو تحقيق الشهرة والبروز اللذين لا بد أنهما أوحيا بمقدار كبير من الكره والإزدراء والاحتقار .

وكانت الآلهة أيضاً ، وبصورة متكررة تظهر الكره والغضب . فـ « أنليل » نفسه بـ «جبين مقطب» يميت سكان « كيش» (ويسحق بيوت « الوركاء » حتى يحيلها إلى تراب) ثم ، لأن « يكور » (أى معبده) فى « نفـّر » قد نهب ودنس ، جلب « أنليل » « الطوفانَ العارم الذى لامثيل له » الدمارَ الكامل تقريباً على بلاد سومر كلها وذلك بالإتيان بالـ «جوتيين » البرابرة من جبالهم . ولم يكن بالإمكان زحزحة الآلهة الأربعة المعظمة « آن » و « أنليل » و « أنكى » و «ننتو» عن قرارها لتدمير « أور » وسومر فى حكم الملك « أبى — سين » وأما « نينخورساج » فقد أعلنت بحنق لعنة موت على « أنكى » الذى أكل النباتات الثمانى اللواتى خلقتهن . ويلعن « ننورتا » بغضب الأحجار التى تصرفت نحوه تصرفاً عدائياً فى نضاله مع الشيطان « آساج » وأما «ايريشكيجال » ، ملكة العالم السفلى فقد « عضت وركها وكان الغضب يستولى عليها » عندما أعلن رئيس حجابها « نيتى » عن وصول أختها « إينانا » إلى « قصر العالم السفلى » .

ولكن التى كانت تصور فى الثيولوجيا السومرية على أنها تكره بعنف ، كانت

تصور أيضاً ، كما يتوقع ، كأعظم العاشقات ألا وهي « إينانا » التي كانت قاسية طموحة مغامرة ، بيد أنها كانت كما هو واضح جذابة أيضاً . فعندما « ارتدى دوموزى حلة فخمة » و « تربع على كرسيه » بدلا من التذلل أمام زوجته « إينانا » ، بعد صعودها من العالم السفلى بقليل تملكها الغضب وسلمته إلى شياطين العالم السفلى السبعة الذين كانوا يرافقونها ، أو كما وضع الشاعر ذلك :

لقد حملقت بعينها فيه ، عين الموت ،

ونطقت بالكلمة ضده ، كلمة الموت ، .

وأطلقت الصيحة ضده صيحة الجريمة

وعندما استغل البستانى « شوكاليتودا » تعب « إينانا » المنهوكة وقام باغتصابها غضبت غضباً شديداً حتى إنها أرسلت ثلاثة أوبئة مدمرة على بلاد سومر فى محاولة يائسة للعثور على مكان المعتدى عليها : ولما رفض « جلجامش » اقتراحات « إينانا » فى الحب ، أنزلت « ثور السماء المتوحش » لتدمير « الوركاء » مدينة « جلجامش » . حتى فى الأدب الخاص بالترانيم ، كانت « إينانا » توصف فى بعض الأحيان بأنها إلهة غضب شديد ودمار عنيف .

وكان الخوف ، كالكره يفضى إلى صبغ أسلوب الحياة السومرية بالعتمة العميقة . فمن المهد إلى اللحد كان للسومرى من حين لآخر سبب يدفعه إلى الخوف من والديه ومن معاميه ومن أصدقائه ورفاقه المواطنين ، ومن رؤسائه وحكامه ومن العدو الأجنبى ، ومن عنف الطبيعة ، ومن الحيوانات المتوحشة ، ومن الوحوش والشياطين الشريرة ، ومن المرض والموت ومن نسيان الناس له . فلا عجب إذن إذا كان التحرر من الخوف أهم مظهر من مظاهر العصر الذهبى للإنسان حسب رأى المفكرين السومريين ، أو كما ورد على لسان الشاعر :

فى يوم من الأيام لم توجد هناك حية ولم توجد عقرب ،

لم يوجد ضبع ، ولم يوجد أسد ،
ولم يوجد كلب متوحش ولا ذئب ،
ولم يوجد هناك خوف ، ولا رعب ،
ولم يكن للإنسان منازع .

ولننتقل الآن من الدوافع والحوافز العاطفية إلى القيم التى عمت الحياة السومرية ونبدأ بما هو أساسى وجوهرى فى كل الحضارات وهى الحياة نفسها ، والأهمية التى أعطيت لها . لقد كان حب الحياة يعم المدنية السومرية فى كل أشكالها ومظاهرها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية . وكان السومريون يكتبون بصراحة وبشكل معبر على الهدايا النذرية العديدة التى كانت تقدم لإله أو آخر بأنهم كانوا يفعلون ذلك من أجل مدّ أمد حياتهم الخاصة ومن أجل حياة أولئك المقربين إليهم ، كما أن الصلوات الترنيمية الملكية طافحة بأدعية خاصة من أجل حياة الملك الطويلة . وكان البحث العقيم والحزن عن الحياة الخالدة من المواضيع المحببة فى الملحمة العراقية . وعلى حين كانت الشعوب والحضارات جميعها تعتز بالحياة وتقدرها تقديرا كبيراً إلا أن السومريين تعلقوا بها تعلقا شديداً بسبب اعتقادهم الدينى بأن الروح الضعيفة تهبط بعد الوفاة إلى العالم السفلى المظلم والمخيف ، حيث لم تكن الحياة هناك فى أحسن حالتها سوى انعكاس كئيب بائس للحياة على الأرض . هذا ولم يكن هناك أمل بحياة فى جنة يشد من القلب ويهدىء الروح ، على الرغم من وجود إشارات إلى أنه كان للصالح والمستحق مصير أكثر سعادة من مصير المؤذى والشرير ، على مافى هذا من تناقض واضح مع معتقدات السومريين الدينية .

وكانت القيمة التى توضع للرخاء والخير الماديين ترتبط ارتباطا وثيقا مع حب الحياة . فقد كان السومريون يقدرون تقديراً كبيرا الثروة والممتلكات ومواسم الحصاد الغنية . وأهراء الحبوب المليئة والحظائر والمرابط التى تعج بالماشية كبيرها وصغيرها ، والصيد الناجح فى البر وصيد السمك الموفق فى البحر . وكان الملوك يفخرون دائما فى ترانيمهم

بجلبهم الرخاء والخير إلى البلاد وأهلها . وتطفح النصوص الخاصة بالمجادلات ، كتلك التى تتصل بـ « أيمش » و « أينتن » ، و « لاهار » و « أشنان » بالفقرات التى تمجد الزراعة وتربية الماشية . وفى المراثى ، كان الشعراء باستمرار ، وفى تعابير لاشك فيها ، ينوحون على خسارة الممتلكات المادية . ونقدم هنا مثلا واحداً فى فقرات معبرة من مرثية ألفت بعد دمار مدينة « أور » :

لقد سلبت ممتلكاتى كما لو كان « سالبها » جراداً كثيفاً زاحفا ،

آه ، يالممتلكاتى ، سأقول ،

ممتلكاتى ، من جاء من الأراضى السفلى ، أخذها إلى الأراضى السفلى ،

آه ، يالممتلكاتى ، سأقول ،

ممتلكاتى ، من جاء من الأراضى العليا ، أخذها إلى الأراضى العليا ،

آه ، يالممتلكاتى ، سأقول .

معدنى وحجرى الثمين وحجرى اللازوردى قد بعثرت هنا وهناك ،

آه ، يا لممتلكاتى ، سأقول .

وتحتوى الأمثال السومرية على العديد من الأقوال التى تهزأ بضعف الفقير وعجزه وتعاسته ، فمثلا !

إذا مامات رجل فقير لا تحاول إعادته إلى الحياة ،

فهو إذا امتلك الخبز عُدم الملح ، وإذا امتلك الملح عَدم الخبز فإذا كان لديه اللحم ، لم يكن لديه البهار وإذا كان لديه البهار عُدم اللحم . الثراء صعب المنال ، ولكن الفقر معنا على الدوام .

ليس للفقير سلطة .

ما أحط الرجل الفقير ، جافة التنور مطحنته

رداؤه ، الممزق يبقى بلا رتق ، وما يفقده لا يفتش عنه أحد

ولا يوجد على ما يبدو أى أثر لوعود تغرى الفقير السومرى مثل (الوعد بـ وراثة الأرض) فى وقت ما خلال آلاف السنين القادمة ، أو (بوجود) « فطيرة فى السماء » كما تقول العبارة الأمريكية ولذلك من الجائز أن نخلص إلى أن اللهثة وراء الثروة كانت تلعب بلا شك دوراً مهماً فى الحياة السومرية .

وأخيراً ، على المستوى الخلق والروحى ، تكشف الوثائق على أن السومريين كانوا يقدرون ويعتزون بالخير والصدق والقانون والنظام والعدل والحرية والحكمة والمعرفة والإخلاص ، وباختصار ، كانوا يقدرون جميع الفضائل والسجايا التى يرغب فيها الإنسان أكثر من كل شىء آخر . وكان يعتز حتى بالرحمة والعطف ، إذ يمارسان على الأقل فى حالة عدم التقيد بالقانون ، وذلك استنتاجاً من الإشارات العديدة إلى معاملة الأرامل واليتامى واللاجئين والفقراء والمظلومين بمعاملة خاصة من شأنها أن توفر لهم الحمـــاية مما قد يتعرضون له من سوء معاملة الآخرين ، ومن الصعب أن نتتبع تطور هذه القيم الخلقية الذى تم خطوة بعد خطوة فى الحضارة السومرية كما يصعب أيضاً تتبع مثل هذا التطور فى حضارتنا الراهنة . ولا بد أن تكون تلك القيم قد نشأت فى جزء منها على الأقل من امتداد عاطفة الحب الذى يشعر به الفرد نحو عائلته المباشرة إلى المجتمع بصـورة عامة ، بل حتى إلى الإنسانية ككل وذلك لأن السومريين أو « الرؤوس السود » ، كما أصبحوا يعرفون ، قد أدركوا بكل وضوح بأنهم ليسوا إلا جزءاً من مجتمع بشرى أكبر كان يستوطن الـ « أوبدا » الأربع ، أى المناطق الأربع التى قسموا إليها العالم كله . وفى الواقع ، أصبحت الكلمة السومرية « ناملولو » التى تعبر عن معنى « بشرية » ، كما أشار إلى ذلك حديثاً باحث شاب ، وهو « ڤان دايك » (J. J. A. Van Dijk) لا تعبر فى اللغـة السومرية عن البشر بالمعنى الكلى فقط ، وإنما تعبر ، كالكلمة الإنكليزية التى تعنى « بشرية » ،

عن كل التصرفات والسلوك المميز للبشرية والجدير (للاطلاع على الأفكار السومرية عن العالم الذى يحيط بهم أنظر الفصل الثامن) وعلى هذا، مثلا، يوبخ الأب ابنه فى مقالة الـ «أيدوبا» (أى المدرسة) التى نقلت فى أعلاه، وهى «كاتب وابنه الضال»، ليس فقط بسبب العقوق الذى يصدم النفس، أو بسبب فشله فى السير على نفس الطريق الذى سار فيه الأب ليصبح كاتباً، وإنما بسبب أفعال ارتكبها لا تليق بانسانيته.

ولكنه على الرغم من مثلهم العالية وأخلاقياتهم السامية، فإنه ربما لم يكن بمقدور السومريين أبداً الوصول إلى هذا المدى من التطور، أو إنجاز هذا القدر، مادياً وروحياً، لو لم يكن هناك حافز نفس خاص جداً حرك كثيراً من سلوكهم وصبغ بعمق أسلوب حياتهم، وهو الحافز إلى البروز والشهرة، إلى الانتصار والنجاح، الحافز الذى كان ينطوى على الطموح والتنافس والمغامرة وكان على ما يبدو بعيداً كل البعد عن المثل الخلقية. لقد توصلت لأول مرة إلى فكرة أن إرادة التفوق، أى الطموح الدافع إلى الانتصار على منافس ما، كانت مصدراً مهماً للحوافز فى السلوك السومرى خلال جمع وترجمة القصائد والمقالات السومرية التى صنفها الكتاب الأقدمون أنفسهم بـ «منازعات» أو «محادلات». فقد وصل إلينا عدد كبير من هذه المجادلات الأدبية التى لا تتقيد بشىء والتى تتصف بروح المخاصمة، وتشير شعبيتها بصورة خاصة إلى أنها تعكس نمطاً من السلوك كان معروفاً عند السومريين حق المعرفة وموافقاً عليه من قبلهم. ولنورد بضعة أمثلة نموذجية فقط من الأسلوب المستخدم فى محاورات النزاع هذه، إذ نقدم هنا أولا جزءاً من أكثر الأجزاء وضوحاً من خطاب موجه معدن النحاس إلى معدن الفضة فى الجدل بين «النحاس والفضة»:

أيها الفضة[1] أنت لا تجد مكاناً إلا فى القصر فقط، هذا هو المكان الذى خصصت له، ولو لم يكن القصر موجوداً، لما وجد لك مكان، ولزال ما كان يمكن أن يكون مكاناً لك. . . . (أربعة أسطر لا يمكن فهمها).

---

(١) تخاطب الفضة فى النص بصيغة المذكر لأنها قد شخصت. (المترجم)

. . . . فى البيت (العادى) أنت تدفن فى أكثر أماكنه ظلاماً ، فى مقابره ، فى « أماكن الهروب » (من هذا العالم) . وإذا حان وقت الإرواء ، أنت لا تمد الإنسان بالمعول النحاسى الذى يكسر جذامات النبات ، وهذا هو سبب عدم اهتمام أحد بك ! وإذا حان موسم الزرع ، أنت لاتمد الرجل بالفأس النحاسى صانع الحرث ، هذا هو سبب عدم اهتمام أحد بك ! وإذا حل الشتاء أنت لاتمد الرجل بالفأس النحاسى الذى يقطع خشب النار ، هذا هو سبب عدم اهتمام أحدبك ! وإذا حان موسم الحصاد، أنت لاتمد الرجل بالمنجل النحاسى الذى يحصد القمح ، هذا هو سبب عدم اهتمام أحد بك ! . . . (أربعة أسطر لا تقرأ) . أيها الفضة لو لم يكن هناك قصر لما كان لك موضع ولا سكن ، وسيكون القبر فقط « مكان الهروب » موطناً لك . أيها الفضة لو لم تكن هذه القصور ، لما كان لك مكان تخصص له ! . . . (سطر ونصف لايمكن قراءتها) . . . كأنك إله لاتضع يدك فى أى عمل (نافع) كيف تجرأ إذن بالهجوم(؟) علىَّ كأنك ذئب (؟)؟ ادخل إلى هيا كلك المظلمة (؟) ونم فى قبرك !

بهذا تنتهى كلمات النحاس ، ثم يواصل المؤلف قوله :

إن الاهانات التى ألقى بها النحاس الجبار عليه (أى على الفضة) جعلته يشعر بالبؤس ؛ هـذه الإهانات المليئة بالخزى (؟) والمرارة جعلته يستشعر بالألم (؟) والحطة (؟) كما لو كانت ماء من بئر مالحة . . . (سطر لا يقرأ) . . . ثم أجاب الفضة النحاس الجبار : . . . (يأتى خطاب الفضة الشديد اللهجة للنحاس الذى لايمكن قراءة أكثره فى الوقت الحاضر) .

أو لنأخذ فقرة من « الجدل بين الصيف والشتاء » :

ثم رد الصيف على الشتاء ، الذى ألقى باهاناته عليه : « أيها الشتاء لا تتباه ؛ بقوتك غـير العادية ! إننى أعرف مخبأك (؟) . دعنى أخبرك أين « تتجحر » فى المدينة ، إنك لا تستطيع أن تجد غطاء كافيا (؟) . أنت شخص سقيم (؟) وضعيف الإرادة ! الموقد (؟) حافة النار ذاتها ، التنور ، هذا هو جبلك (؟) !

رعاتك ورعاة القطيع مع (قطعانهم) الكثيفة من النعاج والخراف ، ضعاف الإرادة ، يركضون أمامك كأغنام تهرب من موقد (؟) إلى تنور ، ومن تنور إلى موقد (؟) . وخلال ذروة العاصفة أنت تحكم عليهم بالسعال المستمر (؟) .

بسببك ، تصطك أسنان أهل المدينة على الدوام ، وخلال الأيام المبللة بالمياه (؟) لا يمشى أحد فى الطرقات . العبد يفرح بوقد النار (؟) ويقضى أيامه داخل البيت . والأمة لا تخرج إلى حيث يهطل المطر ، وتقضى وقتها مع الملابس . خلال الشتاء لا تزرع الحقول ولا يقوم أحد على شؤون أخاديدها . . . (ثلاثة أسطر لا تفهم) . . . لا تتباه بقوتك غير العادية ، دعنى أخبرك بالقواعد والأنظمة (التى تتحكم فيك) .

وأخيراً يوجد نموذج من خطاب مباهاة قدمه الإله ، الراعى « دوموزى » الذى رفضت الإلهة « إينانا » طلبه للزواج منها تفضيلا للإله — الفلاح « أنكيمدو » .

ولعب حافز التنافس من أجل التفوق والبروز دوراً كبيراً فى التعليم المنتظم عند السومريين ، الذى كان يستغرق سنوات عديدة من المواضبة على المدرسة والدراسة ، وكان يستفاد من هذا الحافز ، مع ما يرافقه من الضرب بالسوط والعصا ، بشكل مقصود من قبل الآباء والمعلمين جميعهم لدفع الطالب إلى إجهاد نفسه إلى أقصى ما يمكن للإلمام بمنهاج دراسة معقد ، وأبعد ما يكون عن الاثارة ، وذلك لأجل أن يصبح كاتبا ناجحا ، وباحثا خبيراً ذا معرفة . فمثلا نجد فى مقالة « أيام المدرسة » التى بحثت فى الفصل السادس ، المعلم يشجع الطالب الطموح بكلمات الإقناع التالية : « من بين إخوتك عسى أن تكون قائدهم ، ومن بين رفاقك عسى أن تكون زعيمهم ، وعسى أن تبلغ أعلى مرتبة بين طلاب المدرسة » . أو ، لنأخذ المقالة « الجدال بين أنكيمانسى وجيرينشاج » ، حيث نجد كلمات الطالبين المتخاصمين تعج بشتائم مهينة ومليئة بالذم مثل « أبله » و « مغفل » و « وباء » و « أمى » و « عامل أخرق » ، و « كيس هواء » الخ . أضف إلى ذلك أن هذه المقالة بالذات تنتهى بجملة تثير حدساً محيراً ولكنه حدس موضح يتصل بمظهر هام آخر من مظاهر الحضارة السومرية ، ألا وهو

التأكيد على القانون والقانونية والولع بسن الشرائع وكتابة الوثائق القانونية الذى انتبه إليه منذ زمن طويل على أنه مظهر سائد فى الحيـــاة الاقتصادية والاجتماعية. إن هذه الجملة تقرأ على الوجه التالى : « فى الجدل بين أنـكيمانسى وجير ينشاج المعلم يصدر الحـكم » . إن الـكلمة السومرية المستعملة هنا بمعنى « حكم » هى نفس التعبير المستعمل للأحكام فى مرافعات المحاكم . وليس بوسع المرء أن يكبح فـكرة أن الأهمية غير العادية التى ربطها السومريون بالقانون والضوابط القضائية تعود جزئيا على الأقل ، إلى ذلك النمط من السلوك المثير للمشاكسة والمغامرة الذى كان يميز حضارتهم .

وإذا انتقلنا إلى المسرح السياسى ، نجد فى حوزتنا فى الوقت الحاضر قصتين ملحميتين على الأقل تمجدان انتصار رئيس دولة — المدينة السومرية فى « الوركاء » على خصم وقح كان يحكم دولة — مدينة « أرتا » التى لم تـكن واقعة فى بلاد سومر ، وإنما على ما يحتمل ، فى مكان ما بالقرب من بحر قزوين . ونجد استنتاجاً من محتويات هاتين القصيدتين ، طموح كل من هذين الحاكمين هو أن يضعف روح خصمه المعنوية بنوع من « حرب الأعصاب » ، وبهذا يجعل منه ومن رعيته أتباعا خاضعين له . إن القصتين طافحتان بالشتائم ، والتهديدات التى كانت تنقل جيئة وذهابا من قبل الرسل والسفراء ، بالإضافة إلى التحديات والمنازعات . وأخيراً يبرز سيد مدينة « الوركاء » كمنتصر يقدم له ، حسب رواية إحدى القصيدتين ، خصمه المهزوم سيد مدينة « أراتا » الخضوع المهين فى هذه الـكلمات التى تفصح كل الافصاح عن ذلك :

أنت محبوب الإلهة « إينانا » ، أنت وحدك ممجد ،

حقاً ، لقد اختارتك « إينانا » لحجرها المقدس ،

من (الأقطار) السفلى ، إلى (الأقطار) العليا ، أنت سيدها ،

وما أنا إلاّ بعدك .

من (لحظة) الحمل ، لم أكن قريبا منك أنت « الأخ الـكبير » .

ولا يمكن مقارنتى بك قط !

ومن الأمور التى تكشف أيضا بالنسبة للدوافع التى تدفع السومريين للعمل من أجل تحقيق الجبهة السياسية هو العدد الكبير من الترانيم الملكية فى تمجيد الذات التى يعدد فيها الملك السومرى فضائله وإنجازاته الشخصية دون خجل وبلا حدود ، بلغة تتسم بالأحرى بالغلو والمبالغة .

وهكذا يتضح تمام الوضوح بأن الحافز إلى التفوق والشهرة قد طبع بعمق النظرة السومرية إلى الحياة ولعب دوراً هاماً فى تعليمهم وسياساتهم واقتصادياتهم . ويوحى هذا بنظرية مبدأية مفادهاأن الولع الملىء بالمغامرة نحو النزاع والحركةالطموحة من أجل البروز كان يمد السومريين بشكل لا يختلف عما فى الحضارة الأمريكية الحديثة من تأكيد شديد على المنافسة والنجاح ، وكان ذلك بحافز نفسى قوى يوقد ويغذى التطورات المادية والحضارية التى اشتهر بها السومريون بحق : مثل تعميم الرى ، والاختراع التقنى والمبانى الضخمة وتطوير نظام الكتابة والتعليم . ومن المحزن القول بأن حب المنافسة والبروز حمل فى طياته بذرة تدمير النفس وساعد على إثارة الحروب الدموية المصحوبة بالكوارث بين دول ـ المدن وعرقلة توحيد البلاد بكاملها ، وبهذا تعرضت بلاد سومر للهجمات الخارجية التى قضت عليها فى نهاية الأمر . وكل هذا يمدنا بمثل تاريخى آخر على متناقضات القدر اللاذعة المتأصلة فى الإنسان ومصيره .

الفصل الثامن

تراث سومر

إذا افترضنا بأن للمدنية قيمة ما بالنسبة للإنسان فإن للسومريين الذين انقرضوا منذ زمن طويل أن يشيروا باعتزاز « بعيد عن الكبرياء » إلى الإبداعات والاختراعات والمؤسسات العديدة التي ساعدوا على تأسيسها . حقاً ، قد يقال بأن هذه الإنجازات كانت ستخرج إلى الوجود على أية حال سواء أوجد السومريون أم لم يوجدوا ، ولكن هـذا القول ليس فى صميم الموضوع — لأن السومريين كانوا الأوائل فى هذه الميادين وليس من العدل أن يعطى الفضل إلى من لايستحقه . ومهما يكن الأمر، فإننى سأحاول فى هذا الفصل أن أصف باختصار وبتأن بعضاً من إسهاماتهم الأكثر وضوحاً وأهمية فى حضارة الإنسان . بيد أنه قبل أن نتحول إلى تراث سومر للأجيال المتأخرة — دعنا نلق نظرة على الأخذ والعطاء اللذين تحققا بين السومريين وجيرانهم القريبين والبعيدين فى العهود التى كانوا فيها أحياء وصناعاً للتاريخ بدلا من أن يصبحوا أنفسهم مادة تاريخية . ولنبدأ بـ « أراتا » وهى مدينة بعيدة كانت تقع على ما يحتمل فى شمال غرب إيران على مسافة قريبة من بحر قزوين ، لا تدين بشهرتها واسمها إلى إنجازاتها الخاصة ، ولو أن هذه كانت على ما يبدو إنجازات لا بأس بها ، وإنما إلى منشدى بلاد سومر وشعرائها الذين كانوا لسبب ما زال مجهولا حتى الآن ، يتغنون بمعادنها وأحجارها وبصناعها وعمالها المهرة وبحاكمها المتحدى بوقاحة وبـ « مشماشها »[1] الواثق بنفسه إلى درجة التباهى وبإلهتها المحبوبة ، التى تبدو بأنها لم تكن سوى « إينانا » إلهة بلاد سومر .

فقد نشرت فى سنة ١٩٥٢ قصيدة سومرية بعنوان « إينمركار وسيد أراتا : قصة ملحمية سومرية من العراق وإيران » ، وتتألف القصة من أكثر من ستمائة سطر ، جاءت بحالة حسنة نسبياً ، جمعت من عشرين لوحاً وكسرة لوح توجد فى

---

(١) صنف من أصناف الكهنة (المترجم)

الوقت الحاضر فى متحف الشرق القديم فى اسطنبول وفى متحف الجامعة التابع لجامعة بنسلفانيا فى الولايات المتحدة الأمريكية . إن بطلى هذه القصة الملحمية الرئيسين هما « إينموكار » ، وهو حاكم كهنوتى — أو (أنْ en) ، إذا استعملنا الكلمة السومرية نفسها ، فى « الوركاء » وهى مدينة سومرية قديمة نقب فيها الألمان على فترات متقطعة خلال الثلاثين سنة الماضية ، وحاكم (أنْ) ، مجهول الإسم فى «أراتا» ، وهى دولة — مدينة هامة ولكن موقعها ما زال غير محدد فى إيران القديمة . وتسير محتويات هذه القصة الملحمية السومرية التى ستقدم باختصار على الوجه التالى :

فى قديم الزمان ، بعد أن عزم « إينمركار » ، ابن الإله — الشمس « أوتو » على جعل « أراتا » دولة تابعة له ، ناشد أخته « إينانا » ، إلهة الحب والحرب السومرية القوية لتحمل سكان « أراتا » على جلب الذهب والفضة وحجر اللازورد والأحجار الكريمة والقيام بتشييد المزارات والمعابد المختلفة له ، ولا سيما معبد البحر الخاص بالإله « أنكى » فى مدينة « أريدو » .

ونصحت « إينانا » « إينمركار » ، بعد أن استجابت إلى التماسه باختيار رسول لائق ليعبر جبال « أنشان » العظيمة وأكدت له بأن سكان « أراتا » سيذعنون له وينجزون أعمال البناء التى يريدها . فاختار « إينمركار » رسوله وبعث به إلى سيد « أراتا » مع رسالة تتضمن تهديداً بتدمير مدينته وتحويلها إلى أرض مقفرة ما لم يجلب هو ورعاياه الفضة والذهب ويشيدوا ويزينوا له معبد الإله « أنكى » . ولكى يكون التأثير فيه أكثر عمقاً ، أوصى « إينمركار » رسوله بأن يتلو عليه «رقية أنكى» التى تتحدث عن الكيفية التى وضع بها الإله « أنكى » نهاية « عصر » الإنسان « الذهبى » تحت حكم الإله « أنليل » العام على الأرض وسكانها .

ووصل الرسول ، بعد عبور سبعة جبال ، إلى « أراتا » وأعاد كلمات سيده على مسامع حاكمها على الوجه الأكمل وطلب منه جواباً على ذلك . بيد أن هذا رفض الإذعان لـ « أينمركار » ، مدعياً بأنه محمى من قبل « إينانا » وإنها هى التى أتت به

إلى « أراتا » ليكون حاكما عليها . فأخبره عندئذ الرسول بأن « إينمركار » قد جلب « إينانا » إلى « الوركاء » وأقامها ملكة فى معبدها « أى — أنا » وأن الإلهة نفسها قد وعدت « إينمركار » بخضوع مدينة « أراتا » له .

وصعق سيد « أراتا » بهذا النبأ ، وكتب جواباً سلمه إلى الرسول ليعود به إلى ملكه « إينمركار » محذراً فيه إياه من اللجوء إلى السلاح وقال بأنه يفضل القيام بـ « مبارزة » ، أى قتال بين بطلين يختاران لذلك . ثم استرسل بقوله ، لأن « إينانا » أصبحت عدوة له ، فإنه على استعداد للإذعان إلى « إينمركار » بشرط أن يبعث له بمقادير كبيرة من القمح . وعاد الرسول إلى « الوركاء » بأقصى ما يمكن من السرعة وسلم الرسالة إلى « إينمركار » فى ساحة باحة قاعة الاجتماع .

وقبل أن يخطو « إينمركار » خطوته التالية ، أنجز عدداً من الأعمال التى كانت على ما يبدو ذات طبيعة تعبدية . فقد استشار أولا « نيدابا » إلهة الحكمة السومرية . ثم أمر بتحميل حيوانات النقل بالحبوب ، وسار بها إلى « أراتا » الرسول الذى كان عليه أن يسلم الحاكم رسالة تنطوى على الإشادة بصولجان « إينمركار » فأمر الحاكم بإرسال حجر العقيق واللازورد إليه . وكدس الرسول عند وصوله الحبوب فى الباحة وسلم رسالته وأظهر الناس ، بعدأن فرحوا برؤية القمح ، استعدادهم لإعطاء « إينمركار » ما كان يرغب فيه من العقيق (ولم يذكر شيء كما يبدو عن حجر اللازورد) وقيام « كبار المدينة » ببناء بيته الطاهر له . ولكن حاكم « أراتا » الذى فقد أعصابه رفض ذلك وأصر ، بعد الإشادة بصولجانه بكلمات مطابقة لكلمات « إينمركار » ، على أن على الأخير أن يرسل إليه حجر العقيق واللازورد .

وعند عودة الرسول إلى « الوركاء » قام « إينمركار » على مايبدو باستخارة الفأل ، وعلى الأخص الفأل الذى يتصل بقصبة من نوع « سوشينا » أخذ ينقلها من « الضوء إلى الظل » ومن « الظل إلى الضوء » إلى أن قطعها أخيراً « بعد مضى خمس سنوات وعشر سنوات » . وبعث بالرسول مرة أخرى إلى « أراتا » مكتفياً فى هذه المرة بمجرد

وضع الصولجان بيده دون أن يرسل رسالة معه . ويبدو أن منظر الصولجان أثار الرعب عند سيد « أراتا » فالتفت إلى « شاتامه » وبعد أن تكلم بمرارة عن المأزق الذى وقعت فيه المدينة كنتيجة لغضب « إينانا » يبدو أنه أصبح على استعداد للإذعان إلى « إينمركار » ولكنه مع ذلك تحدى « إينمركار » مرة أخرى . فقد طلب فى هذه المرة من « إينمركار » أن يختار واحداً من « رجاله المحاربين » كممثل له ليدخل مبارزة واحدة مع واحد من « رجاله المحاربين » وعندئذ سيُعرف الأقوى . وكان هذا التحدى ، الذى جاء فى تعابير تشبه اللغز ، يشترط بألا يكون التابع المنتخب أسود ولا أبيض ولا أسمر أو أصفر ولا مرقطاً — وهى صفات تبدو كلها عديمة المعنى إذا كان المقصود بذلك إنساناً .

وعند وصول الرسول إلى « الوركاء » بهذا التحدى الجديد ، أمره « إينمركار » بالعودة إلى « أراتا » مع رسالة من ثلاثة أجزاء : (١) إنه (أى إينمركار) قبل تحدى سيد « أراتا » وإنه على استعداد لإرسال أحد أتباعه ليقاتل ممثله حتى الموت ، (٢) الطلب من سيد «أراتا» بأن يكدس الذهب والفضة والأحجار الكريمة للإلهة « إينانا » فى « الوركاء » ، (٣) وتهديد « أراتا » مرة أخرى بالتدمير الشامل مالم يجلب سيدها وأهلها « أحجار الجبل » لبناء معبد « أريدو » وتزيينه له .

إن كلمات « إينمركار » فى الجزء الأول من الرسالة توضح على ما يبدو تعابير سيد « أراتا » الشبيهة باللغز حول لون التابع الذى سينتخب للمنازلة . فـ « إينمركار » وضع كلمة « رداء » عوضاً عن كلمة « رجل محارب » وكان يقصد بالألوان على مايفترض الإشارة إلى ألوان الملابس التى يرتديها المتحاربان وليس إلى ألوان أجسامهم .

وتأتى بعد ذلك جملة جديرة بالملاحظة تخبرنا ، إذا صح تفسيرها ، بأن « إينمركار » كان ، فى رأى الشاعر ، أول من كتب على الألواح الطينية وأنه فعـــل ذلك لأن رسوله كان « ثقيل الكلام » وعاجزاً عن ترديد الرسالة شفوياً ، وذلك بسبب طولها على مايحتمل . وسلم الرسول اللوح المكتوب إلى سيد « أراتا » وانتظر منه جواباً عن ذلك . ولكن العون على ما يبدو قد جاء إلى الحاكم من جهة غير متوقعة . فقد

جلب إله المطر والزوابع السومرى « إشكور » لـ « أراتا » قمحاً وفولا بريين ووضعمها أكداسا أمام الحاكم . وعند رؤية القمح تشجع الحاكم وأبلغ رسول « إينمركار » بعد أن استعاد ثقته بنفسه ، بأن « إينانا » لم تتخل عن مدينة « أراتا » أو عن بيتها وتخدعها هناك أبداً .

ويصبح النص من بعد هذه الجملة مهشماً إلى درجة يصعب معها متابعة سياق الكلام ، باستثناء القول بأن أهل « أراتا » قد جلبوا الذهب والفضة وحجر اللازورد إلى « الوركاء » ووضعوها أكداسا فى باحة معبد « أى — أنا » للإلهة « إينانا » .

وفى قصيدة ملحمية سومرية أخرى مؤلفة من حوالى ثلثمائة سطر ، لم تنشر حتى هذا التأريخ إلا جزئياً ، نجد « إينمركار » سيد « الوركاء » مرة أخرى فى نزاع مرير مع حاكم فى مدينة « أراتا » كان فى هذه الحالة يحمل الإسم السومرى الأصيل « إينسوكوشسيرانَّا » . إن أحداث هذه القصة إذا ما وضعت باختصار تجرى على الوجه التالى :

فى الأيام التى كان فيها شخص باسم « إينا ميبراجا — أوتو » ماسكا على إمبراطورية كانت تشمل على مايفترض بلاد سومر وأجزاء من إيران القديمة ، وجه « إينسوكوشسيرانا » سيد « أراتا » تحدياً إلى « إينمركار » سيد « الوركاء » يطالب فيه الاعتراف به كسيد له وجلب الإلهة « إينانا » إلى « أراتا » . ولكن « إينمركار » قابل هذا التحدى بالازدراء وأعلن فى خطاب مطول وصف فيه نفسه بكونه هو المفضل عند الإلهة ، بأن « إينانا » ستبقى فى « الوركاء » وطلب « إينسوكوشسيرانا » أن يكون تابعاله . وجمع « إينسوكوشسيرانا » أعضاء مجلس الشورى وطلب إليهم إبداء النصيحة فأشاروا عليه بالخضوع لـ « إينمركار » ولكنه رفض قبول هذه النصيحة بسخط . وعندئذ تقدم كاهن « المشماش » فى « أراتا » لنصرته مدعيا بأنه سيخضع « الوركاء » — بل سيخضع فى الواقع جميع الأقطار « العليا والسفلى الممتدة من البحر إلى جبل الأرز » — بفعل قوته السحرية ، فسر

« إينسوكوشسيرانا » بذلك ومنحه خمس «مانات » من الذهب وخمس « مانات » من الفضة بالإضافة إلى اللوازم الضرورية الأخرى ووصل «المشماش» إلى «الوركاء» فى الوقت المناسب ، ولكنه غلب على أمره من قبل راعيين للإلهة « نيدابا » وعجوز حكيمة تحمل اسم « إساجبورو » الذين تمكنوا من قتله أخيراً وإلقاء جثته فى نهر الفرات . ولما سمع « إينسوكوشسيرانا » بما حل بـ « مشماشه » بعث على عجل برسول إلى « إينمركار » ليعلن عن استسلامه استسلاماً تاما وعن اعترافه بذلٍّ على أن « إينمركار » كان أرفع منه مقاما .

وتكشف لنا محتويات قصة ملحمية سومرية أخرى عن الاتصالات السياسية والدينية والحضارية المتينة جداً بين « الوركاء » و « أراتا » ، وهى القصة التى يمكن أن تعنون بـ « لوجال بندا وإينمركار» . تتألف هذه القصة من أربعمائة سطر تقريبا ونورد فيما يأتى تفاصيلها التى تتصل بالموضوع الذى نحن بصدده :

« لوجال بندا » ، واحد من أبطال « الوركاء » المنتمين إلى حاشية «إينمركار» العسكرية قد عاد لتوِّه إلى « الوركاء » من رحلة محفوفة بالمخاطر ليجد سيده ومولاه فى محنة شديدة . فلعدة سنوات خلت كان الـ « مارتو » الساميون يقومون بنهب كل من سومر و « أورى » (التى تقابل تقريباً بلاد أكد فى الفترات المتأخرة) وكانو يحاصرون وقتئذ « الوركاء » نفسها حتى أن « إينمركار » كان يرى بأنه ينبغى أن يبعث بنداء يطلب فيه النجدة من أخته (التى لم تكن غير الإلهة إينانا فى أراتا) بيد أنه لم يستطع الحصول على أحد ليقوم بهذه الرحلة الخطيرة إلى «أراتا» لتسليم الرسالة وعندئذ تقدم « لوجال بندا » نحو ملكه وتطوع لإنجاز هذه المهمة بشجاعة ، وبموجب إصرار « إينمركار » على سرية المهمة أقسم على أنه سيقوم بهذه الرحلة بمفرده دون مرافقة أصحابه له . وبعد أن تسلم من « إينمركار » كلمات رسالته الى « إينانا » بدقة هرع « لوجال بندا » إلى أصدقائه وأتباعه وأخبرهم برحلته المرتقبة . فحاولوا إقناعه بالعدول عنها ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك . فتناول سلاحه واجتاز الجبال السبعة التى تمتد من طرف « أشنان » الى طرفها الآخر — أو كما جاء على لسان الشاعر :

« من كتف أشنان » إلى « رأس أشنان » . ووصل أخيراً بخطى مليئة بالسعادة الى مكانه المقصود .

وفى « أراتا » ، قوبل « لوجال بندا » بترحيب حار من قبل « إينانا » . ثم سألته عما جاء به وحيدا من « الوركاء » إلى « أراتا » فأعاد عليها رسالة « إينمركار » كلمة كلمة ، وطلبه للعون . وكان جواب « إينانا » غامضا ، فهو يتصل على ما يبدو بنهر وبسمكه غير الغريب الذى كان على « إينمركار » القيام بصيده . وكان يتعلق أيضاً بآنية ماء معينة كان عليه أن يصنعها . وفعل « إينمركار » ما أمر به واختتمت القصيدة بتسبيحة حمد لـ « أراتا » التى يبدو بأنها قامت بتجهيز « إينمركار » بصناع المعادن والأحجار .

إن محتويات القصص الملحمية السومرية الثلاث التى لخصت فى أعلاه ذات أهمية غير قليلة بالنسبة للضوء الذى تلقيه على دولة — مدينة « أراتا » الإيرانية القديمة التى لولا ذلك لبقيت غير معروفة تقريبا ، فهى تمدنا بعدد من التفاصيل التى توحى بأفكار كثيرة تتصل بالتنظيم السياسى فى « أراتا » وباقتصادها وديانتها ، وكل هذه أمور جديدة تماما ولم تكن متوقعة . فمثلا نجد ، وفقا لقول شاعرنا السومرى ، بأن رئيس « أراتا » السياسى كان ، كما فى دولة — مدينة « الوركاء » تماما ، قائدا عسكريا ودينيا يعرف بـ « أنْ en » وأنه كان يحمل اسما سومريا . ونجد أيضا بأنه كان فى « أراتا » موظفون سياسيون آخرون من ذوى الرتب العالية يحملون ألقاباً سومرية مثل « أنسى ensi » و « سوكال » و « شاتام » و «راجابا» و « أوجولا » ، وأنه كان لـ « أراتا » كما كان لدولة — المدينة السومرية مجلس استشارى ، كان بامكان حاكم المدينة ، على كل حال ، أن يتجاهل رأيه إذا شعر بميل للقيام بذلك .

أما بالنسبة للديانة ، فنحن نكتشف بأن مجمع الآلهة السومرى كان يُعبد فى مدينة « أراتا » وكانت إلهتها الحامية الإلهة السومرية « إينانا » التى ، استناداً إلى أولى قصائدنا الملحمية « إينمركار وسيد أراتا » لم تعان « ماسكة فى معبد أى — أنا »

فى « الوركاء » من قبل « إينمركار » إلا فى وقت متأخر . وكان « دوموزى » إلهاً آخر محبباً فى « أراتا » . وقد عرف هذا الإله لفترة طويلة كحاكم « الوركاء » المؤله — الراعى الذى ، وفقا لآراء كتاب الميثولوجيا السومرية ، أصبح زوج « إينانا » الحبيب المحكوم عليه بالموت . ومن الناحية الأخرى كان الإله « إنكى » ، الذى كان « إينمركار » على ما يبدو تابعاً مخلصاً له ، يقف بالأحرى موقفا معاديا من « أراتا » وسيدها .

وكانت ثروة « أراتا » الاقتصادية ، استدلالاً من قصائدنا ، تتألف بصورة رئيسة من الذهب والفضة وأصناف متنوعة من الحجر ، وكانت علاوة على ذلك مشهورة بصناعها المهرة فى صناعات المعادن والحجر وبنائيها ونحاتيها . ولهذا السبب ، دون ريب ، كان حكام « الوركاء » ، وهى منطقة تفتقر إلى الأحجار والمعادن ، تواقين لضم « أراتا » إلى دولتهم . ومن الناحية الأخرى لم تكن « أراتا » غنية بالقمح الذى كانت « الوركاء » تمتلك كميات وفيرة منه ، وربما كان هذا هو سبب استعداد سكانها للإذعان إلى « الوركاء » على الرغم من معارضة حاكمهم لذلك .

ولننتقل الآن إلى الإشارات الجغرافية التى وردت فى قصائدنا ولمحاولة معرفة موقع « أراتا » المحتمل على الخارطة . قبل كل شىء إننا متأكدون إلى درجة معقولة بأن « أراتا » كانت تقع فى إيران ، لأن قصائدنا تصفها كمنطقة مفصولة عن « الوركاء » الواقعة فى جنوب العراق بكل بلاد « أنشان » من « كتفها » إلى « رأسها » ، وتقع « أنشان » ، كما يتفق على ذلك أغلب الباحثين فى جنوب غرب إيران . بيد أن مشكلة تبرز عند محاولة إيجاد موقع « أراتا » بالنسبة لـ « أنشان » : فهل يفتش عنها فى شمال « أنشان » باتجاه بحيرة أورميا وبحر قزوين ، أو إلى الشرق منها باتجاه بلوخستان والهند ، أو إلى الجنوب باتجاه لورستان والخليج العربى ؟ ومرة أخرى قد تعطينا قصيدة ملحمية سومرية الجواب عن هذه الأسئلة . إن هذه القصيدة ، التى من الجائز أن تعنون بـ « لوجال بندا وجبل حوروم » بقيت فى غالبيتها غير قابلة مفهومة حتى سنة ١٩٥٥ عندما أصبح لوح كبير ذو ستة حقول من مجموعة

«هلبرشت» فى جامعة « فردريش شيلر » فى « يينا » تحت تصرف الباحثين . إن هذا النص يسرد القصة التالية :

لقد عقد « إينمركار » سيد « الوركاء » العزم على القيام برحلة إلى « أراتا » بهدف أن يجعلها دولة تابعة له . ووصل إلى جبل « حوروم » تصحبه مجموعة كبيرة من رجال « الوركاء » تحت قيادة سبعة أبطال لم تذكر أسماؤهم و « لوجال بندا » الذى، أقتباساً من القصيدة ، « كان ثامنهم » . ومرض « لوجال بندا » هناك وفعل إخوانه وأصدقاؤه كل ما يمكنهم فعله فى سبيل شفائه ، إلا أن عملهم لم يجد نفعاً ، وقرروا ، بعد أن اعتبروه ميتاً ، ترك جثمانه على جبل « حوروم » ومواصلة رحلتهم إلى « أراتا » على أن يحملوه عند عودتهم ويعيدوه إلى « الوركاء » غير أن « لوجال بندا » لم يمت، وصلى بعد أن تخلى عنه وترك إلى آلهة الشمس والقمر ونجمة الزهرة (فينوس) فأعادوا إليه صحته . وبدأ يجوب الأراضى فى السهوبية المرتفعة ، ولا بد أن نتركه هنا فى الوقت الحاضر . لأن نصوصنا المتيسرة تنقطع عند هذه النقطة .

ويتضح من تلك القصيدة أن جبل « حوروم » كان يقع فى مكان ما بين « الوركاء» و « أراتا » ، ولما كان من المعقول الافتراض بأن جبل « حوروم » كان الموطن الأصلى للشعب « الحورى » الذى كان يستوطن مناطق مجاورة لبحيرة « وان » ، فإنه من الجائز أن نخلص إلى أن « أراتا » كانت تقع بجوار بحيرة « أورميا » ، أو ربما حتى فى مكان أبعد من ذلك باتجاه الشرق . وفى الواقع من الممكن أن نقارن حملة « إينمركار » إلى « أراتا » إلى حد ما مع حملة « سرجون » الثانى التى تمت بعد أكثر من ألفى سنة (٧١٤ ق . م) إلى بلاد « ماناى » التى تذكر روايتها بشكل مثير للاهتمام عبور نهر يسمى « أراتا » وهو اسم ربما يذكرنا بمدينة « أراتا » .

من « أراتا » العالية فى الجبال بالقرب من بحر قزوين إلى قطرين غالبا ما يظهران سوية فى الكتابات وهما « ما جان » و « ملوخا » . وهما قطران ما زال موقعهما مشكوكا فيه ، على الرغم من أنه قد يثبت فى النهاية بأنهما كانا مصر والحبشة.

وفى الواقع يتفق أغلب علماء السماريات بأن « ماجان » و « ملوخا » كانا يقابلان تقريباً مصر والحبشة حوالى الألف الأول ق.م إلا أن هذا التحديد اعتبر بعيد الاحتمال بالنسبة للعهود القديمة مثل عهود « سرجون » العظيم و « جوديا » وسلالة « أور » الثالثة — لأنه يستلزم افتراضاً لا يبدو مقبولا وهو أنه كان لشعوب تلك الأزمان المبكرة سفن بحرية كان باستطاعتها أن تصل إلى ساحل أفريقيا الشرقى . وقاد هذا إلى النظرية القائلة بأنه حدث خلال الألوف من السنين تحول فى التسميات الجغرافية ، أى إن الأسمين « ماجان » و « ملوخا » كانا فى الألف الثالث والثانى ق . م . يقابلان أقطاراً تحاذى السواحل العربية الشرقية والجنوبية الشرقية ، ولكن لسبب أو آخر حول هذان الإسمان فيما بعد إلى مصر والحبشة .

والآن عند البحث بشكل منهجى ، ينبغى أن يستند فى إثبات أى نظرية تتعلق بتحول أسماء فى الوثائق المسمارية لأقطار ذات أهمية ظاهرة كتلك التى أشير إليها باسمى « ماجان » و « ملوخا » ، إلى دليل ثابت وقاطع إلى درجة معقولة . ولكن حتى هذا التأريخ لا يبدو لى بأن هناك دليلا من هذا النوع ، إذ ما زالت هناك إمكانية قوية ، كما سيتضح مما يأتى ، بأنه لم يكن هناك تحول فى الأسماء الجغرافية وإن «ماجان» و « ملوخا » يقابلان تقريباً مصر والحبشة فى الألف الثالث ق . م . كما كانا فى الألف الأول ق . م .

لقد ذكرت « ما جان » و « ملوخا » فى كل من النصوص السومرية والأكدية من أيام « سرجون » العظيم على الأقل إلى منتصف الألف الأول ق . م . فـ « سرجون » العظيم يقول فى كتاباته الخاصة بأن سفن « ماجان » و « ملوخا » و « دلمون » كانت ترسو فى عاصمته « أكد » . وأسر حفيدُه « نرام — سين » ملك « ما جان » و « مانيو » وجلب الغنائم من « ماجان » ، وأمر بقلع الأحجار هناك. وعثر خلال التنقيبات على عدد من الأوانى المرمرية التى كرسها « نرام — سين » وكتبت عليها عبارة « غنيمة ما جان » . وذكر « جوديا » بأنه كان يحصل على

الحجر البركانى لتماثيله من « ما جان » وعلى الأخشاب لبناء معبده «أينينو» من كل من « ماجان » و « ملوخا » . وتحدث « أور — نامو » فى مقدمة شريعته عن إرجاع سفينة — « ماجان » الخاصة بـ « نانا » عند الحدود — وهذه عبارة مبهمة، ولكنهاتشير ،على ما يبدو ،إلى الأهميةالتى أعطيت إلى العلاقات التجارية بين«ماجان» وبلاد سومر . وذكرت الوثائق الاقتصادية من عصر سلالة « أور » الثالثة مواد مستوردة من « ما جان » و « ملوخا » مثل النحاس والعاج والعقيق والبصل ، ونجد فى الفترات التى أعقبت العهد السومرى « ملوخا » وقد تردد ذكرها مرات كمكان لـ « لرجال السود » وهو أمر يقودنا طبيعيا إلى تعريف « ملوخا » بالحبشة .

ويوجد كذلك عدد من الإشارات إلى « ماجان » و « ملوخا » فى النصوص السومرية الأدبية المنشورة وغير المنشورة ، وهى إشارات ذات أهمية كبيرة بالنسبة إلى العلاقة الوثيقة بين « ما جان » ، و « ملوخا » وبين بلاد سومر ، تشير إلى تحديد « ماجان » و « ملوخا » بمصر والحبشة[1] وتأتى هذه الإشارات على الوجه التالى :

١ — فقرة من ثلاثة أسطر فى قصيدة « جلجامش وأرض الأحياء » التى تقرأ على الوجه التالى :

بعد أن غرقت ، بعد أن غرقت .

بعد أن غرقت السفينة « ماجان »

بعد أن غرقت السفينة « قوة ماجيلوم »

لقد كانت هذه الأسطر جزءاً من خطاب تحذير وجهه « جلجامش » إلى « أنكيدو » الذى كان متردداً فى مصاحبة سيده فى رحلته المحفوفة بالمخاطر ، لأنه

---

(١) إن النصوص السومرية وكذلك المصادر ستظهر فى بحثى « ماجان وملوخاى» وفقاً للنصوص السومرية الأدبية المهيأ «لمؤتمر الآشوريات الثامن » .

(على الرغم من كل ما أورده المؤلف من حجج لتأييد رأيه فإن المؤرخين ما زالوا مختلفين فى موقع « ماجان » و « ملوخا ») . (المترجم)

كان يرتعب من فكرة مجابهة « هواوا » ، الوحش الذى كان يحرس « أرض الأرز المقطوع » . إن المعانى المتضمنة فى الفقرة ليست أكيدة ، ولكنها تبرهن على أن موضوع سفينة « ماجان » وغرقها كان من الحكايات الشائعة بين السومريين . أضف إلى ذلك إمكانية كون السطر الثالث ، الذى يذكر سفينة تسمى « قوة ماجيلوم » تشير فى الواقع إلى « ملوخا » .

٢ — سطر فى نهاية أسطورة « أنكى » و « نينخور ساج » يقول : « ليكن ننتولا سيداً على ماجان » . لقد تفوه بهذه الكلمات الإله « إنكى » الذى كان يقدر مصائر ثمانية آلهة أنجبتهم الإلهة « نينخور ساج » لتجلب الشفاء إلى أعضاء جسمه الثمانية التى أصيبت بالمرض والتوعك نتيجة لأكله النباتات الثمانى المحرمة . إن اسم « ننتولا » يحتوى على كل العلامات المميزة لمركب سومرى ويعنى « سيد تول » حيث يمثل المقطع « تول tul » كلمة لا يعرف معناها فى الوقت الحاضر . ونعرف من هذا السطر بأن إلاها فى « ماجان » كان يحمل أسماًسومريا وأن الشعراء السومريين ورجال الأدب لم يجدوا صعوبة فى تكوين الفكرة القائلة بأن إلههم الخاص «أنكى» قد عينه إليها لـ « ماجان » والقيام بالدعوة لهذه الفكرة . ويعبر هذا عن علاقة متينة وحميمية بين قطرى سومر و « ماجان » وشعبيهما .

٣ — فقرة من ثمانية أسطر من قصيدة « لعنة أكد » تقرأ على الوجه التالى :

« مارتو » الأراضى الجبلية الذين لا يعرفون القمح ،
يجلبون له (أى لـ نرام — سين) ثيرانا لا شائبة فيها وجدياناً لا شائبة فيها ،
سكان « ملوخا » ، رجال الأرض السوداء ،
يجلبون له كل أنواع السلع الغريبة ،

ويحمل « العيلاميون » و «السوباريون» الأحمال له كأنهم حمير تحمل أثقالا ،
جميع « الأنسيين » (أى الحكام) والـ « سانجا » .

محاسبو « جوادينا » ،

يأتون بهدايا (هم) مباشرة لـ « أ كد » في كل شهر وفي اليوم (الأول) من كل سنة جديدة .

نجد هنا إذن سكان « ملوخا » وقد ذكروا بأنهم كانوا يجلبون الغنائم إلى الملك « نرام — سين » في عاصمته « أ كد » إلى جانب « المارتو » و « العيلاميين » و « السوباريين » . حقاً إنه لشيء يثير العجب ألاّ تذكر « ماجان » هنا ، لأن « نرام — سين » ، وفقاً للكتابات النذرية المعاصرة التي عرفت منذ فترة طويلة ، فتح « ماجان » وجلب الغنائم منها ، وربما يبدو من المعقول أن نقول ، استناداً إلى أسس عامة ، « أينما ذهبت ماجان ذهبت ملوخا » ، وذلك بإجراء تغيير في صياغة المثل الانتخابي الأمريكي المعروف جيداً[1] . وعلى كل حال ، فإن ما هو ذو أهمية غير قليلة في فقرة « لعنة أ كد » هو حقيقة أن سكان « ملوخا » أطلق عليهم اسم « رجال الأرض السوداء » ، وهي عبارة توازي إلى حد بعيد عبارة « سكان ملوخا السود » التي وجدت في كتابات الألف الأول التي سبق ذكرها ، لأن هذا التشابه يفضي إلى الإشارة إلى أن البلاد المعروفة باسم « ملوخا » لدى مؤلفي القصيدة ، الذين ربما عاشوا في وقت ما حوالي سنة ٢٠٠٠ ق . م . كانت مطابقة لتلك التي عرفت بـ « ملوخا » بالنسبة لكتّاب الألف الأول ، وإنه لم يكن هناك تغير في الأسماء الجغرافية خلال هذه السنين .

٤ — فقرة ذات سطرين في ترنيمة « ننورتا » نُشرت تحت رقم ٦١ في بحثي « نصوص أدبية سومرية من نفّر » تقرأ على الوجه التالي : « لقد جلبت العقيق وحجر اللازورد (؟) من بلاد ملوخا » . إن هذا القول جزء من فقرة تمجد الإله « ننورتا » على أنه « جالب » المعادن والأحجار من الأقطار التي تتوافر فيها . وكان العقيق في

---

(١) يقول المثل الأمريكي الانتخابي المعروف « أينما تتجه ولاية نيوهمشاير في الانتخابات تتجه البلاد » وذلك لأن نتائج الانتخابات في هذه الولاية تعلن قبل غيرها من الولايات وتوحي بالاتجاه العام للناخبين في تلك الانتخابات . (المترجم)

الواقع معروفاً معرفة جيدة كمادة تميز « ملوخا » ، ولكن مما يثير العجب هو أن نجد « ملوخا » مشهورة أيضاً بحجر اللازورد .

٥ — إن رواية مختلفة ما زالت غير منشورة لفقرة من أسطورة « أنكى ونينخورساج » تتألف على الأكثر من تسبيحة حمد ينطق بها دون شك الإله « أنكى » لـ « دلمون » ، تقرأ على الوجه التالى :

عسى أن تنقل إليك بلاد « توكريش » الذهب [من] (هارالى) ، وحجر اللازورد . . . .

وعسى أن [تجلب (؟)] إليك بلاد « ملوخا » العقيق الجذاب الثمين ، وخشب « ميسناجان » ، وخشب « بحر (؟) » جيد (و) سفناً كبيرة .

وعسى أن [تجلب (؟)] إليك بلاد « مرخاشى » حجراً « ثميناً » (و) حجراً شفافاً .

وعسى أن [تجلب (؟)] إليك بلاد « ماجان » النحاس الجبار ، قوة . . . والحجر البركانى ، وحجر « أو » وحجر « شومان » .

وعسى أن تجلب إليك بلاد «زالامجار» الصوف (؟) ، الخام الجيد (؟) (و)...

وعسى أن تجلب إليك بلاد «عيلام» الصوف (؟) . . . (و) أتاوة ثقيلة (؟) . وأكسية جيدة (و) سفناً كبيرة .

وعسى أن [تجلب (؟)] « أور » منصة الملكية ، القمح وزيت السمسم ، وحللاً فخمة ،

وعسى أن يجلب (؟) إليك البحر الواسع فيضه ،

المدينة — مساكنها جيدة ،

« دلمون » — مساكنها مساكن جيدة ،

وشعيرها شعير صغير جداً ،

ومواسم الحصاد فيها تعطى ثلاثة ....،

وأشجارها ....

إن « ملوخا » إذن وصفت هنا كبلاد مشهورة بالعقيق وبنوعين من الخشب بينما وصفت « ماجان » كبلاد مشهورة بنحاسها وثلاثة أصناف من الحجر . ولما كان عدد من هذه المواد معروفاً من الوثائق الاقتصادية كصفة مميزة لـ «ماجان» و « ملوخا » ، فإنه يبدو من المعقول الافتراض بأنه كان لرجال الأدب السومريين فكرة معقولة عن أهمية القطرين الاقتصادية وربما عن موقعهما أيضاً . أضف إلى ذلك أنه على حين لا تخبرنا هذه الفقرة عن « ماجان » و « ملوخا » إلا قليلا فإن قيمتها لا تقدر بالنسبة إلى الصورة التي ترسمها عن « دلمون » ، بل وربما ستبرهن يوما ما على أهميتها بالنسبة لتحديد موقع تلك البلاد .

٦ — فقرة من أسطورة « أنكى ونظام الكون » تقول :

بلاد « ماجان » و « دلمون » .

نظرتا إلىّ (أنا) « أنكى » ،

أوثقوا (؟) سفينة — « دلمون » بالأرض (؟) ،

وحملوا سفينة — « ماجان » إلى علو السماء ،

سفينة — « ملوخا » الـ « ماجيلوم » ،

تحمل الفضة والذهب ،

وتأتى بهما إلى « نفّـر » للإله « إنليل » ، ملك الأقطار كلها .

وعلى الرغم من غموض معانى عدة كلمات وعبارات ، فإن معنى الفقرة ككل واضح تماماً : إن سكان « ماجان »و« ملوخا » وصفوا بأنهم كانوا ينقلون منتجاتهم بسفينة — ولاحظ أن سفينة « ماجيلوم » هنا نسبت بوضوح إلى « ملوخا » — إلى

معبد « أنايل » فى « نفّـر » ، أى بالطبع ، إلى بلاد سومر . ومن الصعب أن يفترض بأن هذا الوصف « للعلاقات الدولية » فى الألف الثالث ق . م . لم يكن أكثر من اختراع قدمه شعراء بلاد سومر ، إذ لابد من وجود معرفة شائعة فى ذلك الوقت من أن هذه الأقطار الثلاثة كانت تمد بلاد سومر بالعديد من احتياجاتها الاقتصادية إما بشكل أتاوة تفرض بالقوة أو من خلال التبادل التجارى أو بالطريقتين معاً .

٧ — إن فقرة ثانية ذات علاقة بالموضوع من نفس الأسطورة ، تتألف من ستة عشر سطراً ، تحتوى على بركة أنعم بها الإله « أنـكى » على « ملوخا » . ومع أن كلمات وعبارات هذه الفقرة ما زالت غامضة ، فإن من الواضح بأن الشاعر كان يعرف « ملوخا » (التى وصفت هنا أيضاً بـ « الأرض السوداء ») كبلاد غنية وكثيفة السكان وغنية بأشجارها وأقصابها وثيرانها ، وطيور — « الدار » — ولاحظ أن طيور « الدار » فى « ملوخا » معروفة من الوثائق الاقتصادية التى تقدم دليلا آخر على أن الشاعر لم يخترع وصفه لهذه البلاد — وطيور « الهايا » ومعادن متنوعة .

إن هذه الأدلة كلها لا توصلنا إلى الحقيقة النهائية بالنسبة لموقع «ملوخا» وتحديد هويتها ، ولـكن أينما كانت تقع ، فإن حقيقة ولع الشعراء والـكتاب السومريين بها إلى هـــذه الدرجة تفضى إلى الإشارة إلى أنه كانت هناك فى الواقع علاقة وثيقة وحميمة بين « ملوخا » وبلاد سومر ، علاقة أمتن وأقوى مما كان يظن بصورة عامة حتى الآن .

أما بلاد « دلمون » التى ننتقل إليها الآن ، فتبـدو أنها كانت تتصل ببلاد سومر بعلاقة أقوى من علاقة « ماجان » و « ملوخا » بهذه البلاد . وتعرّف « دلمون » من قبل أغلب العلماء بجزيرة البحرين فى الخليج العربى ، وتقوم بالتنقيب فيها منذ أكثر من عشر سنوات بعثة دانماركية كبيرة ذات كفاءة عالية مدفوعة على الأكثر بسبب اعتقادها بهذا التعريف . بيد أن التحليل التالى للمادة الأدبية المتعلقة بهذا الموضوع ستظهر بأن هناك مجالا واسعاً للشك فى هذا الرأى ، بل إن هناك فى الواقع احتمالا بالحصول على أدلة تثبت فى النهاية بأن « دلمون » كانت تشمل المنطقة

التى ازدهرت فيها حضارة مدنية مهذبة ورائعة حوالى نهـاية الألف الثالث ق . م . فى الباكستان والهند . وهى ما تسمى بحضارة خرابة أوحضارة وادى نهر السند[1] .

ويوجد مفتاح واضح وضوحاً لا بأس به بالنسبة إلى الاتجاه العام الذى يجب أن نسير فيه فى البحث عن « دلمون » فى الأسطر الأخيرة الباقية من أسطورة الطوفان السومرية التى نعرف مما ورد فيها بأن « زيوسودرا » ، بطل الطوفان السومرى ، قد وُهب الحياة الخالدة ونقل من الإلهين العظيمين « آن » و « أنليل » إلى « دلمون » التى وصفت بـ « المكان الذى تشرق الشمس فيه » . وبما أن هـذا الوصف ، لا ينطبق على جزيرة البحرين التى تعانق الساحل العربى وتقع إلى جنوب بلاد سومر تماما ، فإنه يشير على الأرجح إلى منطقة نهر السند ، أو ربما إلى باوخستان[2] .

لقد تكررت فى نص « لوجال آنيموندو » ، الذى ورد ذكره فى الفصل الثانى ، أسماء ثمانية أقطار يدعى « لوجال آنيموندو » السيطرة عليها فى نفس التسلسل التالى « أرض الأرز » ، « عيلام » ، «مرخاشى» ، «جوتيوم» ، «سومير» ، «مارتو» ، « سوتيوم » ، « أى — أنا » . وبموجب الافتراض المعقول بأن هذه القائمة وُضعت وفقاً للاتجاهات الجغرافية ، فإن « أرض الأرز » لا تطابق لبنان فى الغرب ، وإنما تطابق بلاداً تقع إلى الشرق من « عيلام » . إن هذا الرأى تؤيده حقيقة أن الإله — الشمس « أوتو » كان يوصف فى الأدب السومرى بالإله الذى « يشرق من أرض العطور والأرز » . ومن الجائز أن تكون هذه البلاد التى ينبغى البحث عنها بكل تأكيد فى الناحية الشرقية ، هى نفس « بلاد الأرز » التى وردت فى نص «لوجال آنيموندو» ، ولما كانت « بلاد الأرز » وعلاوة على ذلك « دلمون » المكان الذى تشرق منه الشمس فإنه ليس من المستغرب أن نجد « بلاد الأرز » و « دلمون » فيه « متطابقتين

---

(١) للاطلاع على بحث فى هذه الحضارة أنظر كتاب :

Sir Mortimer Wheeler : Early India an Pakistan (1959)

(٢) لقد كان موضوع « دلمون » من المواضيع الرئيسية التى بحثت فى مؤتمر الآثار الآسيوى الثالث الذى عقد فى البحرين فى شتاء سنة ١٩٧٠ وقد كان الرأى السائد آنذاك هو أن « دلمون » لم تكن غير جزيرة البحرين . كما أن الأستاذ « جيفرى ببى Geoffrey Bibby » رئيس البعثة التنقيبية هناك وصل إلى درجة القناعة فى هذا الموضوع . (المترجم)

تقريباً . ذلك لأن الأرز قد ذكر في الواقع كشجرة محلية في « دلمون » في فقرة موجزة إلا أنها ما زالت غامضة في مرتبة من مرتبات « دوموزي » التي تقرأ على الوجه التالي:

الأرز كتفي ، السرو صدري ،

... الأرز المقدس ،

الأرز المقدس من « حاشور » .

ظل « دلمون » .

وإذا ظهر تعريف « بلاد الأرز » ، المكان الذي تشرق فيه الشمس ، بـ « دلمون » بأنه تعريف صحيح ، عندئذ قد يظهر أيضاً بأن البلاد التي قام « جلجامش » و « أنكيدو » برحلتهما إليها ، تلك الرحلة الخطيرة والمليئة بالمجازفات في القصة الملحمية « جلجامش وأرض الأحياء » هي « دلمون » ، على الرغم من أنها لم تذكر في القصيدة مطلقاً بصورة صريحة ، لأن هذه البلاد وصفت أيضاً بأنها بلد أرز ، ولم يكن الإله الموكل بها غير الإله — الشمس « أوتو » . أضف إلى ذلك نعت تلك البلاد بـ « أرض الأحياء » ربما يشير إلى تعريفها بـ « دلمون » ، لأن « دلمون » وفقاً لقصيدة أنكي و « نينخور ساج » أسطورة سومرية عن الجنة وصفت كأرض :

لا يقول المصاب بعينه « إنني مصاب بالعين » .

ولا يقول المصاب بالرأس « إنني مصاب بالرأس » .

إمرأتها (أي دلمون) المسنة لا تقول « إنني امرأة عجوز » .

ورجلها المسن لا يقول « إنني رجل مسن » .

إن هذه الأسطر تقول على ما يبدو بشكل ملتوٍ غير مباشر بأن « دلمون » كانت أرض اللاموت والخلود ، وهذا إن صح ، يفسر لنا بالطبع سبب نقل « زيوسودرا » إلى « دلمون » حالما منحته الآلهة الخلود . وفي الواقع ، قد يظهر مع ذلك بأن

« جلجامش » قد رحل إلى « أرض الأحياء » سعياً وراء الخلود ، على الرغم من حقيقة أن الفقرات الأولى من قصيدة « جلجامش وأرض الاحياء » تشير إلى أن الدافع للحصول على الشهرة كان هو المحرك الذى حمله على القيام بتلك الرحلة .

ولكن مهما كان موقع « دلمون » . فإن من الواضح مما قيل قبل قليل بأنه كان ينظر إليها من قبل السومريين كأرض جنة مباركة ، ذات علاقة متينة مع سومر وخاصة على المستوى الدينى والروحى . وتبدو ، حسب ما ورد فى أسطـــورة « أنكى » و « نينخورساج » ، كما لو كانت موطن الإله « أنكى » الذى أنجب فيها عدداً كبيراً من الآلهة . وكانت بأن الإلهة العظيمة « نينخورساج » كما يبدو أيضاً فى موطنها تماماً فى « دلمون » ، بل إن « دلمون » تبدو فى الواقع بأنها كانت المكان الذى يلتقى فيه جميع الآلهة . وكانت إلهتها الحامية تحمل الإسم السومرى الأصيل « نينسيكل » ، « السيدة الطاهرة » وكان زوجها ، الذى أنجبه « أنكى » ، « إينشاج » « السيد العادل » ونحصل من رواية الفقرة الثانية من قصيدة « أنكى ونينخور ساج » المكتشفة فى « أور » والتى استشهد بها أعلاه على الانطباع بأن « دلمون » كانت واحدة من أغنى وأقوى البلدان فى العالم القديم .

وعليه فإن « دلمون » ليست خيالا أو مجرد نتاج رواية أدبية خيالية ، أى أرضاً لم يكن لها وجود أبداً خلقها خيال المغنين والشعراء السومريين الخصب . فقد كان لها ، إستنتاجاً من الوثائق النذرية والاقتصادية ، تاريخ طويل يبدأ من زمن الملك « أور — نانشه » ، الذى ذكر فى سجلاته بأن « سفن دلمون » كانت تجلب إليه الخشب كأتاوة من أقطار أجنبية . وكانت سفن « دلمون » تلقى مراسيها على أرصفة « أكد » إلى جانب سفن « ماجان » و « ملوخا » فى عهد « سرجون » العظيم . وكانت واردات « دلمون » تتألف ، وفقاً لما ورد فى الوثائق الاقتصادية من عهد سلالة « أور الثالثة »

(١) يبدأ عهد سلالة أور الثالثة حوالى سنة ٢٠٥٠ ق.م. وينتهى فى سنة ١٩٤٥ ق.م عندما سقطت « أور » على يد العيلاميين ويبدأ عهد (إيسن — لارسا) بعد سقوط سلالة أور الثالثة وينتهى على يد حمورابى الذى بدأ حكمه حوالى سنة ١٧٥٠ ق.م. وسمى العهد بهذا الاسم نسبة إلى مدينتى « إيسن » و « لارسا » اللتين قامت بهما سلالتان ساميتان بعد سقوط « أور » (المترجم)

الذى أعقبه ، من الذهب ، والنحاس ، والأوانى النحاسية ، وحجر اللازود والمناضد المطعمة بالعاج ، و « عيون السمك » ربما قصد بهـا اللؤلؤ ، وسلع مصنوعة من العاج (كالأمشاط والدروع الصدرية والصناديق إلى جانب الهياكل البشرية والحيوانيـة الصغيرة وأجزاء مختلفة من الأثاث) والخرز المصنوعة من الأحجار الشبه كريمة ، والتمور والبصل . وذكرت « أبصال دلمون » فى الواقع فى النصوص الإقتصادية التى يرجع تأريخها إلى عهد مبكر يعود إلى القرن الرابع والعشرين ق . م. وبعد أن انقرض السومريون بوقت طويل . ونجد خلال الألفين الثانى والأول ق . م . نجـد أن « دلمون » مذكورة فى الوثائق الأكدية . فقد كان هناك رسل وقوافل من « دلمون » ويستخدم الملك الآشورى « توكلتى — ننورتا » فى ألقابه تعبير « ملك دلمون وملوخا » ، وهذا يذكرنا بشكل ما بالصيغة التوراتية « من الهند إلى الحبشة » التى استعملها الملك «أحشوريش» فى سفر (إستير) ويوجد فى « دلمون » ملك يحمل اسم « أوپرى » Uperi دفع الأتاوة لـ «سرجون» الثانى ملك بلاد آشور . وهناك ملك آخر كان يحمل اسم «خونذارو» الذى كانت الضريبة المأخوذة فى أيامه من « دلمون » تتألف من البرونز والسلع المصنوعة من النحاس والبرونز ، والعصى المصنوعة من الخشب الثمـين وكميات كبيرة من الكحل ، الذى يستخدم كصبغة للعين . وفى زمن « سنحاريب » أرسلت مجموعة من الجنود من « دلمون » إلى بابل للمساعدة فى تدمير تلك المدينة ، وحملوا معهم مجارف ومسامير ضخمة وصفت بأنها من منتجات « دلمون » الخاصة بها . أما كيف نفسر الدليل الأدبى السومرى الذى يجعل من « دلمون » فردوساً سومرياً فى ضوء « دلمون الحقيقية » التى ورد ذكرها فى الوثائق الإقتصادية والتاريخية ، فإن هذا سيبقى دون شك لغزاً إلى أن يعثر فى « دلمون » نفسها على وثائق مدونة يمكن قراءتها ، سواء أظهر بأنها كانت جزيرة البحرين أم منطقة جنوب إيران أم حوض نهر السند .

لقد امتد التأثير السومرى ، وعلى الأخص على المستوى الدينى والروحى ، كما هو واضح ممـا قيل أعلاه عن « أراتا » و « ماجان » و « ملوخا » و « دلمون » ، إلى

آلاف الأميال وفى كل الجهات . ومن الواضح أيضاً أن السومريين قاموا عبر العصور بجمع معلومات غير قليلة عن أقطار أجنبية وشعوب غريبة . وكان التجار السومريون الذين كانوا يقطعون البر والبحر طولا وعرضاً ، يجلبون معهم تقارير عن الأماكن الغريبة التى يزورنها وعن الناس الذين كانو يستوطنونها · وكان الجنود يفعلون دون شك مثل هذا بعد عودتهم من الحملات العسكرية الناجحة · وكان يوجد فى المدن السومرية نفسها عدد كبير من الأجانب ، كالجنود الذين كانوا يؤسرون فى المعارك ويُجلبون كعبيد بالإضافة إلى الأحرار الذين كانوا يأمون المدن للاستيطان فيها لسبب أو آخر · ومن كل ذلك إذن نستنتج بأنه كان لرجال الحاشية الملكية ، والإداريين والكهنة والمعلمين السومريين معرفة كبيرة بالأقطار الأجنبية مثل مواقعها الجغرافية وخصائصها الطبيعية ومواردها الاقتصادية وتنظيماتها السياسية ومعتقداتها وممارساتها الدينية وعاداتها الاجتماعية ومعتقداتها الروحية . وفى الواقع لم يكن السومريون يعرفون كثيراً عن الأقطار والشعوب الأجنبية فقط ، بل كانوا يحكمون على سلوك تلك الشعوب وطباعها ويقيّمون أساليب حياتها وفقاً لمقاييسهم وقيمهم السومرية·

ونعرف ، استنتاجاً من الأدلة الآثارية والأدبية المتيسرة ، بأن العالم المعروف عند السومريين لم يمتد إلى أبعد من الهند من ناحية الشرق ، وإلى أبعد من بلاد الأناضول ومنطقة القوقاس والأجزاء الغربية من أواسط آسيا من ناحية الشمال ، وإلى أبعد من من البحر المتوسط من الغرب ، على الرغم من احتمال شمول قبرص وحتى جزيرة كريت ، وإلى أبعد من مصر والحبشة من ناحية الجنوب · ولا أعرف فى الوقت الحاضر أى دليل على أنه كان للسومريين أى اتصال أو معرفة بالشعوب التى كانت تعيش فى شمال آسيا والصين أو فى أى بلد من البلدان فى القارة الأوربية· وقسم السومريون أنفسهم العالم إلى أربعة « أوبدا Ubda » ، أى إلى أربعة أقاليم أو مناطق ، كانت على ما يبدو تقابل إلى حد ما الجهات الجغرافية الأربع · ويوجد أقدم تقسيم معروف من هذا النوع فى فقرة من العصر الذهبى فى قصيدة « إينمركار وسيد أراتا » التى يقرأ الجزأ الذى يتصل بالموضوع منها على الوجه التالى :

فى يوم من الأيام ، كانت أقطار « شوبور » و ، « حامازى » ،
وسومر ذات الألسن المتعددة ، الأرض العظيمة ذات القوانين الأميرية الإلهية ،
و « أورى » ، الأرض التى تمتلك كل ما هو لائق ،
وأرض « مارتو » المستقرة فى أمان ،
وجميع العالم ، والناس ، بنغمات منسجمة ،
وفى لسان واحد ، يقدمون الحمد لـ « إنليل » .

وإذا صحت ترجمة هذه الفقرة ، فهى تشير على ما يبدو إلى أن السومريين كانوا يعتقدون بأن بلادهم سومر تكون الحدود الجنوبية للارض ، وأن منطقة « أورى » ، التى تطابق عادة بلاد « أكد » ، ولو أنه ربما كان يعتقد فى ذلك الوقت بأنها تشمل منطقة أوسع بكثير من ذلك ، كانت تكوّن الحد الشمالى للأرض ، وأن المنطقة الشرقية كانت تضم « شوبور » و « حامازى » ، وأن المنطقة الغربية كانت تعرف باسم بلاد « مارتو » ، وهو تعبير أصبح يعنى فى الواقع « غرب » فى اللغة السومرية. وفى الأدب الأكدى الخاص بالفأل العائد إلى فترة متأخرة والذى ربما يعود بالطبع إلى نظيرله فى الأدب السومرى ، كانت المناطق الأربع تقدم عادة بشكل يجعل « أكد » (بدلا من بلاد سومر) فى الجنوب ، و « عيلام » أو « جوتيوم » فى الشرق و « شوبور » فى الشمال (بدلا من الشرق كما تبدو فى فترة العصر الذهبى) و « مارتو » مرة أخرى فى الغرب . ولسوء الحظ لم يدخل الكتاب السومريون ولا الكتاب الأكديون فى أى تفصيل بالنسبة لهذا الموضوع ، فهم لم يشيروا فى أى مكان من نصوصهم إلى ما كانوا يعتقدون بأنه كان الامتداد الحقيقى لهذه المناطق الأربع التى يبدو بأنها لم تضع فى الحسبان أقطاراً كالهند ومصر والحبشة مثلا ، وهى أقطار كانت بكل تأكيد معروفة عند كل من السومريين والأكديين . وعلى أية حال ، كانت حدود هذه المناطق والبلدان الواقعة فيها تحدد ، وفقاً لرأى المفكرين السومريين ، بالآلهة فى اللحظة التى خلق فيها الكون ، وعلى الأقل فى حدود سنة ٢٤٠٠ ق . م

وكانت العقيدة القائلة بأن الإله — الريح « أنليل » كان ملك الأرض المستوطنة كلها ، أى « ملك الأقطار كلها » وليس مجرد بلاد سومر وحدها ، مقبولة فى أنحاء بلاد سومر .

وكان الـ « ناملولو » يستوطنون زوايا الأرض الأربع ، و« ناملولو » هذه عبارة سومرية مركبة تتألف على الأرجح من « لو » أى « رجل » التى جاءت مكررة والأداة « نم » ، التى تستعمل فى صياغة الأسماء المجردة — فهى لهذا تطابق فى الصياغة الكلمة (العربية) « بشر » . ولم يكن السومريون — « الرؤوس السوداء » كما كانو يطلقون على أنفسهم ابتداء من سنة ٢٠٠٠ ق . م . على الأقل وفيما بعدها — سوى جزء من هذا الجنس البشرى الواسع ، ولكن لسنا بحاجة إلى القول بأنهم كانوا الجزء الهام جداً منه ، بل كانوا فى الواقع من الأهمية إلى درجة أن عبارة « الرؤوس السود » عُرِّفت على ما يبدو فى حالة واحدة على الأقل بالبشرية ككل. فمثلا توجد فقرة فى القسم الأول من أسطورة الطوفان التى عرفت منذ وقت طويل تقرأ على الوجه التالى :

بعد أن خلق « آن » و « أنكى » و « نينخورساج »
الناس ذوى الرؤوس السود ،
توالدت النباتات من الأرض ،
وخلقت حيوانات السهل ذات الأربعة قوادم ببراعة .

يبدو إذن هنا بأن ذوى « الرؤوس السود » وضعوا جنباً إلى جنب مع النباتات والحيوانات كما لو كانت العبارة تشير إلى الجنس البشرى كله . ونجد مرة أخرى وفقاً لما ورد فى أسطورة الطوفان نفسها بأن الآلهة عندما قررت إنزال « الملكية » على الأرض ، أسست جميع المدن الملكية الخمس الأولى فى بلاد سومر . وعندما حل الطوفان « لتدمير بذرة الجنس البشرى » ، كان الملك السومرى

« زيوسودرا » ملك مدينة « شوروباك » هو الذى أنقذته الآلهة كـ « حافظ لأسم النبات وبذرة الجنس البشرى » .

وليس هناك أدنى شك بأن السومريين كانوا يعتبرون أنفسهم من صنف « الشعب المختار » وكما لو كانوا « ملح الأرض[1] » . ففى أسطورة « أنكى ونظام العالم » التى تعالج موضوع خلق « أنكى » للذاتيات الطبيعية والحضارية والعمليات الضرورية للمجتمع المتمدن وتنظيمها نجده يبارك بلاد سومر بكلمات رفيعة تكشف عن أن السومريين كانوا يعتقدون بأنفسهم كمجتمع أو بالأحرى مجتمع مميز ومقدس متصل بالآلهة اتصالا أقوى من اتصال بقية البشر بها بشكل عام ـ فهو مجتمع جدير بالاحترام لا بسبب ثروته وممتلكاته المادية فحسب ، ولا من أجل ملوكه الأقوياء فحسب ، ولكن من أجل زعمائه الروحانيين المحترمين أيضاً الذين كان كل منهم يعرف باسم « أنْ en » — هو مجتمع اختارته جميع آلهة السماء « الآنوناكى » ، التى كانت تقرر المصائر ، لتعيش بين أفراد .

وطبيعى أن السومريين لم ينظروا أبداً إلى الأقطار والشعوب الأجنبية كلها نظرة محاباة كتلك التى كانوا ينظرون بها إلى « ملوخا » و « دلمون » و « أراتا » . فقد كانت السخرية والازدراء والكره على أية حال تلقى بالدرجة الأولى على الأعداء الذين كانوا يقاسون على أيديهم العذاب . فكان « الجوتيون » مثلا ، الذين جلبوا الهلاك والدمار لبلاد سومر وشعبها فى عهد سلالة أكد ، يوصفون بمرارة بأنهم « شعب لا يتحمل النظام » و « أفعى لاذعة من الجبال » و « أعداء الآلهة » . وكان يعبر عن « العيلاميين » و « السوباريين » بـ « رجال تخريب » فى المرثيات السومرية . أضف إلى ذلك أننا نجد فى حالة « العيلاميين » محاولة لوصف خصائص شخصيتهم بإيجاز فى قولين (من مجموعة أقوال سومرية مأثورة) قام بتهيئتها « إدموند جوردون » للنشر . يُقرأ القول الأول حرفياً على الوجه التالى : « العيلامى لا يرضيه بيت واحد ليسكن فيه » أى ، إن العيلامى على ما يفترض ، لم يكتف ببيت واحد ، وإذا كان هذا

(١) إشارة إلى القول المشهور للسيد المسيح فى وصفه الذين آمنوا به بأنهم ملح الأرض ولا يستغنى عنهم . (المترجم)

التفسير صحيحاً . فمن الواضح أن السومريين كانوا ينظرون ، على حق أو باطل ، إلى « العيلاميين » على أنهم كانوا شعباً طمّاعاً وطموحاً إلى درجة غير طبيعية . أما المثل الثانى فيقرأ حرفياً : « العيلامى مريض : أسنانه تصطك » . فإذا كان المعنى أن العيلامى لا يستطيع تحمل الألم — عندئذ يبدو واضحاً بأن السومريين كان يعتقدون بأن العيلاميين كانوا « أطفالا كثيرى البكاء » ولا رجولة عندهم .

أما فى حالة الشعبين الآخرين — « الحوريين » و « المارتو » — فلربما نمتلك وصفاً لشخصيتهم فى كلمة واحدة مشحونة بالازدراء كأنها كبسولة . لقد كان « الحوريون » يعيشون فى الأصل ، كما هو معروف جيداً ، على جبل « حوروم » ، فى منطقة واقعة حول بحيرة « وان » . ونجد الآن كلمة فى الأدب السومرى تلفظ بـ « حوروم » وتعنى « جلف » أو « أحمق » وفى مقالة الـ « أيدوبا » (أى المدرسة) المعنونة « الجدل بين إينكيماسى وجيرينشاج » جمعت كلمة «حوروم» مع كلمة «جالام» التي تعنى « ماهر » لتصف أحد الطلاب بأنه « أحمق — ماهر » أو طالب (السفومور) . فإذا كانت الكلمة « حوروم » ، أى « أحمق » مطابقة لكلمة « حوروم » فى عبارة « كور — حوروم ، البلاد حوروم » — فإن هذه الكلمة الواحدة تعادل ما تقوله صفحة كاملة بما كان السومريون يعتقدونه بالحوريين .

ومثل ذلك يقال فى حالة الشعب المعروف باسم « مارتو » ، فإن أصل الكلمة السومرية « آراد » أى « عبد » ربما سيبرهن على أنه تعبير يكشف عن المعنى الذى نبحث عنه ، ذلك لأنه اقترح ، وفى رأيى ليس بلا سبب ، بأن الكلمة « آراد » مشتقة من الكلمة (م) ، آرت ، (أو) (m) art (u) » فإذا صح هذا الرأى ، فإنه يشير إلى أن السومريين قد وصفوا «المارتو» بأنهم أصحاب مزاج ذليل يشبه مزاج العبيد .

ويوجد فى حالة « المارتو » كذلك مثل سومرى ذو أهمية حضارية ، يقرأ حرفياً على الوجه التالى : « القمح يطبخ (؟) مع حب « جورنونوز » لعمل حلوى : المارتو يأكلونه ولكنهم لا يعرفون ما يحتوى عليه » . إن هذا القول يتفق تماما مع

نعت آخر لـ «مارتو» معروف جيداً فى الوثائق الأدبية يقرأ على الوجه التالى : «مارتو الذى لا يعرف القمح » .

لقد كان « المارتيون » كما هو معروف جيداً شعباً سامياً ، ولكن إذا تكلم السومريون عنهم بقصد القدح بهم ، فإن ذلك كان بالنسبة إلى حضارتهم فقط ، ولا يتصل بأصلهم العرقى . وهذا يقودنا إلى مشكلة العلاقة بين الساميين — وعلى الأخص أولئك الساميون الذين عرفوا بعد ذلك بالأكديين — وبين السومريين . لقد كان ينظر قبل عهد قريب إلى تاريخ بلاد ما بين النهرين القديم على أنه كفاح مرير ومميت بين الجنسين (السومرى والسامى) . بيد أن الأستاذ « ثوركايلد جاكبسون » قام قبل بضع سنين بجمع أدلة مقنعة إلى درجة معقولة قادت إلى الاستنتاج بأن الساميين والسومريين عاشوا « بسلام جنباً إلى جنب فى بلاد ما بين النهرين » . على أن هذا كان صحيحاً إلى درجة محدودة فقط ، لأنه عندما كان « سرجون » العظيم مثلا يكرس تماثيله ومسلاته فى معبد من أكثر المعابد السومرية أصالة وهو معبد « أيكور » فى مدينة « نفّر » فإنه كان يأمر (وكذلك فعل خليفتاه «ريموش» و « مانيشتوشو » بأن يكتب عليها باللغتين السومرية والأكدية ، ولكن مع تأكيد خاص على اللغة الأخيرة ، وهذا يشير بطبيعة الحال إلى أن « سرجون » وخلفاءه كانوا يشعرون شعوراً قوياً بأصلهم السامى وخلفيتهم السامية . وبأسلوب مماثل كان « سرجون » وخلفاؤه يعينون من أجل الاحتفاظ بالمدن السومرية المغلوبة تحت سيطرتهم أقرباءهم الأكديين فى المناصب الإدارية ويحرسونها بحاميات جميع جنودها من الأكديين إلى درجة أدت فى الواقع إلى انتشار الوثائق الإقتصادية المدونة باللغة الأكدية فى بلاد سومر كافة — وكان كل هذا بالطبع لا يحببهم إلى السومريين . وعلى هذا ، يبدو بأنه كان هناك على الأكثر احتكاك شديد وشعور غير حسن بين السومريين والأكديين الناطقين باللغة السامية الذين كانوا يشعرون بأهمية الروابط العائلية والذين كانوا يجاهدون خلال عهد السلالة السرجونية ليصبحوا حكاماً وسادة فى بلاد سومر ، وهى حالة فى الواقع لم تكن محتملة (من قبل السومريين)

ولعلها تفسر لنا جزئياً سبب قيام الملك « نرام — سين » بتدنيس وتهديم الـ «إيكور» (معبد أنليل) فى مدينة « نفّـر » كما وصف ذلك بمرارة وحزن شديد من قبل مؤلف « لعنة أكد » .

وعلى أية حال ، كان الشعب السامى — (العمورى) — هو الذى وضع نهاية للسومريين كذاتية سياسية وعرقية ولـغوية . حقاً ، لقد استطاع المغلوبون على أمرهم التغلب على المنتصرين فاقتبس العموريون — الذين يعرفون بشكل عام بالبابليين لأن مدينة « بابل » كانت عاصمة لهم — الحضارة والمدنية السومريتين بصورة كاملة ، وباستثناء اللغة ، كانت الطرق التعليمية والديانة والميثولوجيا والآداب البابلية تتطابق تقريباً مع ما يقابلها عند السومريين ، باستثناء ما ينتظر طبعاً من تغييرات واختلافات تفرضها التطورات السياسية ومرور الزمن . وبما أن هؤلاء البابليين من ناحيتهم قد تركوا أثراً غير قليل فى جيرانهم الأقل تحضراً منهم ، وعلى الأخص فى الآشوريين والحثيين والحوريين والكنعانيين ، فإنهم ساعـدوا بقدر ما على زرع بذرة الحضـارة السومرية فى كل مكان من الشرق الأدنى القديم . ويقودنا هذا إلى تراث سومر الذى بقى خلال العصور المتتالية ، بما فى ذلك عصرنا الحاضر على الرغم من أن هذا التراث لم يعد فى عصرنا عاملا مؤثراً ومصدر خلق فى النمو الحضارى ، ولكنه فى الواقع موضوع يثير الحزن إذا لم يكن مثيراً تماماً بالنسبة للتاريخ الآثارى .

لعل من الأفضل أن يبدأ بتتبع أثر تراث سومر من المؤسسة الاجتماعية — السياسية التى تعرف عامة باسم دولة — المدينة التى تطورت فى بلاد سومر من القرية والمدينة الصغيرة فى النصف الثانى من الألف الرابع ق . م ، وأصبحت مؤسسة مزدهرة خلال الألف الثالث . إن المدينة — بمواطنيها الأحرار ومجلسها ، ونبلائها وكهانها ، بزبائنها وعبيدها ، بإلهها الحاكم ووكيله وممثله على الأرض الملك ، وبفلاحيها ، وصناعها المهرة ، بتجارها وبمعابدها وأسوارها وبواباتها — كانت موجودة فى العالم القـديم كله من السند إلى غرب البحـر المتوسط . وربمـا كانت تختلف فى أخص خصائصها من مكان إلى مكان ، ولكنها كانت بصورة عامة تحمل شبهاً قوياً

لنموذجها السومرى القديم ، ويبدو من المعقول الاستنتاج الذى يذهب إلى أن عدداً غير قليل من عناصرها والأجزاء المماثلة فيها يعود إلى جذور سومرية . وربما كان بوسع المدينة بالطبع أن تظهر فى العالم القديم سواء أظهرت سومر إلى الوجود أم لم تظهر ، ولكن هذا أمر غير مؤكد أبداً . ففى مصر مثلا لم تثبت جذور دولة المدينة، وكان من الجائز أن يحدث نفس الشيء فى الأجزاء الأخرى من العالم القديم .

إن واحداً من أكثر الخصائص المميزة لدولة — المدينة السومرية خلال القسم الأكبر من الألف الثالث ق. م. هو القانون المدون ، إبتداء من كتابة الوثائق القانونية كتلك التى تتعلق بالمبايعات والسندات ، وانتهاء بإعلان الشرائع التى كانت تعد إعداداً خاصاً . إن الوثائق القانونية المدونة والشرائع وجدت فى فترات متأخرة فى كافة أنحاء الشرق الأدنى القديم ، وليس هناك أدنى شك فى أن جميعها ، على ما قد يكون فيها من اختلافات فى التفاصيل ، ترجع إلى النماذج السومرية الأولى ، بل من الممكن حتى بالنسبة لليونان والرومان ألاّ تكون لديهما قوانينهما المدونة لولا نزوع السومريين إلى حفظ سجل معاملاتهم القانونية .

أما فى موضوع الإنجازات العلمية ، فإن السومريين قدموا على الأرجح خدمتهم الرئيسية لأجيال المستقبل فى حقل الرياضيات بابتداعهم النظام الستينى الذى ربما كان سلف النظام العشرى العربى — الهندى المستعمل فى الوقت الحاضر . وتوجد بقايا من النظام الستينى السومرى حتى فى العصر الحاضر فى قياس الدائرة والزاوية بالدرجات وفى بعض الأوزان والمقاييس التى كانت سائدة إلى عهد متأخر نسبياً .

وفى حقل التقنية ربما كان دولاب الفخار والعربات ذات العجلات والسفن الشراعية كلها اختراعات سومرية . ومع أن التعدين لم يكن بكل تأكيد من أصل سومرى ، فإن مصنوعات صناع المعادن السومريين كانت منتشرة فى كافة أنحاء الشرق الأدنى القديم ، بل إن بعضها وصل إلى مناطق نائية مثل هنغاريا وأواسط أوربا .

وكانت العمارة فن بلاد سومر الرئيسى من أقدم العصور ، وبصورة خاصة تشييد المعابد بأسسها الحجرية ومنصاتها وغرفها المقدسة ذات المشاكى وجدرانها ومحاريبها المطلية وأعمدتها المغطاة بالفسيفاء وواجهاتها المثيرة للإعجاب . ويبدو من المحتمل أن بعض هذه الأساليب المعمارية على الأقل قد انتشرت فى العالم القديم . واستفاد المعماريون السومريون كذلك من القبة والعقد والقوس . ومن المحتمل أن يكون القوس قد وصل لأول مرة إلى اليونان وروما عن طريق الاتصال مع بلاد بابل التى ورثته من بلاد سومر . وربما يعود النحت فى الشرق الأدنى أيضاً ، وعلى الأخص ممارسة نحت تماثيل الآلهة والبشر إلى أصول سومرية وذلك لأن رجال اللاهوت السومريين هم الذين ابتدعوا لأول مرة الفكرة القائلة بأن التمثال كان يمثل الحاكم ، أو حتى أى موظف آخر رفيع المكانة، كما لو كان واقفاً أمام إلهه يؤدى صلاة لا تنقطع ، من أجل حياته . وتدحرج الختم الإسطوانى السومرى فى طريقه إلى كافة أنحاء العالم القديم من الهند إلى قبرص وكريت ، وهناك العديد من كنائس هذا العصر فى أوروبا ذات أعمدة لها تيجان مزينة بأشكال تقليدية ترجع إلى مناظر تخيلها وحفر نقوشها الفنانون والصناع السومريون لأول مرة .

أما إنجازات السومريين فى ميادين الديانة والتعليم والأدب فقد تركت أثراً عميقاً فى جيرانهم فى المكان والزمان فحسب ، وإنما فى حضارة الإنسان الحديث أيضاً ، وبشكل خاص من خلال تأثيرهم ، وإن لم يكن بصورة غير مباشرة فى قدامى العبرانيين والتوراة . إن مدى ما يدين به العبرانيون إلى سومر يتضح أكثر فأكثر من يوم لآخر كنتيجة لجمع الأعمال الأدبية السومرية وترجمتها تدريجياً ، لأن هذه الأعمال تحتوى ، كما يمكن أن نرى الآن ، على عدد كبير من الخصائص المشتركة مع كتب التوراة . وسنختتم هذا الفصل لذلك بعرض ملخص للمتطابقات التوراتية الموجودة فى الأدب السومرى عن طريق حصر وتحليل المعتقدات والمواضيع والحوافز والقيم المختلفة التى تبدو بأنها كانت شائعة عند العبرانيين القدامى والسومريين الأقدم منهم .

لقد حُللت صيغ الأعمال الأدبية السومرية ومحتواها وبحثت بتفصيل كبير من

الفصل السادس من هذا الكتاب ، ولسنا بحاجة إلى توسع أكثر فى هذه النقطة .

ومن البديهى أن يترك أدب مدون وبهذا التنـــوع والشمـــول والمنزلة كالأدب السومرى أثراً عميقاً فى الانتاج الأدبى للشرق الأدنى كله . وحدث هذا على الأخص لأنه بين وقت وآخر وجدت جميع شعوب آسيا تقريباً — كالأكديين والآشوريين والبابليين والحثيين والحوريين والكنعانيين والعيلاميين (مكتفين بتلك الشعوب التى تتيسر منها أدلة قاطعة ومباشرة فى هذه اللحظة)، أن من مصلحتها استعارة الخط المسمارى لغرض تدوين سجلاتهم وكتاباتهم الخاصة . إن تبنى وتكييف نظام الكتابة المقطعى واللوغوغرافى[١] الذى طوره السومريون لكتابة لغتهم الملصقة[٢] والتى تتصف بصورة عامة بأن كلماتها مكونة من مقطع واحد فقط ، كانا يتطلبان تدريباً شاملا فى اللغة والأدب السومريين . ولتحقيق هذا الهدف كان المعلمون والكتاب من ذوى المعرفة يستوردون بلاشك إلى مدارس الأقطار المجاورة ، بينما كان الكتبة المحليون يشدون الرحال إلى بلاد سومر للحصول على تعليم خاص فى مدارسها ذات الشهرة الكبيرة . وكانت النتيجة انتشاراً واسعاً لبذور الحضـــارة والأدب السومريين . إن أفكار السومريين ومثلهم — كأفكارهم فى علم الكون ، واللاهوت والأخلاق ونظام التعليم تغلغلت إلى درجة كبيرة أو قليلة فى أفكار وكتابات جميع شعوب الشرق القديم . وفعلت مثل هذا أيضاً الصيغ والمواضيع الأدبية السومرية — مثل أحداثها ومواضيعها وأساليبها وطرقها الفنية . ولا يستثنى من ذلك العبرانيون فى فلسطين ، القطر الذى ألفت ونقحت وحورت فيه كتب التوراة .

حقاً ، حتى أقدم أجزاء التوراة ، كما هو متفق عليه بصورة عامة ، لم تكتب فى صيغتها الحاضرة فى وقت يسبق كثيراً عام ١٠٠٠ ق. م. بينما ألفت أغلب الوثائق

---

(١) عندما تمثل العلامة الواحدة كلمة كاملة تسمى لوغوغراف . المترجم .

(٢) للإطلاع على ما يقصد بتعبير «لغة ملصقة» أنظر ص ٧ ملاحظة رقم (١) . (المترجم)

(٢) اللغة الملصقة هى التى يصاغ فيها معنى جديد عن طريق جمع كلمتين مع بعضهما : مثلا جمع كلمة (لو) (أى رجل) مع كلمة (جال) (أى عظيم) لصياغة كلمة جديدة (لوجال) (أى الرجل العظيم) وتعنى « ملك » . (المترجم) .

الأدبية السومرية حوالى ٢٠٠٠ ق. م. أو بعد ذلك بمدة قصيرة . وعلى هذا لا يوجد شـــك بوجود أية استعارة معاصرة من المصادر الأدبية السومرية . إلا أن التأثير السومرى تغلغل إلى التوراة عن طريق الآداب الكنعانية والحورية والحثيةوالأكدية، وعلى الأخص من طريق الأخيرة منهـا . لأن اللغة الأكدية كانت تستخـدم ، كما هو معروف جيداً ، فى كافة أنحاء فلسطين وما يحيط بها فى الألف الثانى قبل الميلاد كلغة مشتركة فى العالم الأدبى كله تقريباً . وعلى هذا كانت الأعمال الأدبية الأكدية بكل تأكيد معروفة معرفة جيدة عند الأدباء الفلسطنيين ، بما فى ذلك العبرانيون ، ويمكننا أن نتتبع أثر جزء غير قليل من هذه الأعمال الأدبيـــة الأكدية إلى نماذج سومرية أولى ، جددت صياغتها وتغيرت عبر القرون .

بيد أن هناك مصدراً ممكناً آخر للتأثيرات السومرية فى التوراة كانت مؤثراته ألصق وأقرب إليه من مؤثرات المصدر الذى وصف قبل قليل ، إن هـذا المصدر ربما يعود فى الواقع إلى الأب إبراهيم نفسه . إن أغلب الباحثين يتفقون على أنه بينما تحتوى قصة إبراهيم كما وردت فى التوراة على الكثير مما هو أسطورى وخيالى ، فإنها تحتوى أيضاً على بذرة مهمة من الحقيقة بما فى ذلك ولادة إبراهيم فى مدينة «أور» الكلدانية، التى ربما كانت حوالى ١٧٠٠ ق . م ، وأخبار حياته مع عائلته هناك . وكانت «أور» إحـــدى أهم المدن السومرية القديمة . بل كانت فى الواقع عاصمـة بلاد سومر فى ثلاثة عهود مختلفة فى تاريخ بلاد سومر . وكانت فيها « أيدوبا » (أى مدرسة) مثيرة للاعجاب . وفى أثناء التنقيبات الانكليزية — الأميركية المشتركة التى أجريت هناك بين سنتى ١٩٣٢ و ١٩٣٤ كشف عن عدد كبير من الوثائق الأدبية . ومن الجائز جداً أن يكون لإبراهيم وآبائه صلة ما مع الإنتاج الأدبى السومرى الذى كان يستنسخ أو يبتدع فى مدرسة مدينتهم . وليس من المستحيل أبداً أن يكون هو وأفراد عائلته قد جلبوا معهم بعضاً من التقاليد والمعرفة السومرية إلى فلسطين ، حيث أصبحت تدريجياً جزءاً من التقاليـد والمصادر التى استفـاد الأدباء العبرانيون منها فى تأليف وتنقيح كتب التوراة .

ومهما يكن الأمر ، فإننا نقدم هنا عدداً من الأمثلة التوراتية المتطابقة مع ما هو موجود في الأدب السومري والتي تشير بلا شك إلى بقايا من التأثيرات السومرية :-

١ — خلق الكون . لقد كان السومريون يعتقدون كما يعتقد العبرانيون القدامى بأن البحر الأول كان موجوداً قبل الخليقة . وكان الكون بالنسبة للسومريين ، يتألف من سماء وأرض متحدتين ولدتا بطريقة ما في هـذا البحر الأول وإن الإله — الريح « أنليل » — الذي ربما لا يختلف عن روخ ألوهيم — أي روح الله — في سفر التكوين — هو الذي فصل السماء عن الأرض .

٢ — خلق الإنسان . لقـد خُلق الإنسان ، وفقاً لتفكير كل من العبرانيين والسومريين ، من الطين وأشرب بـ « نفس الحياة » . أما الغرض الذي خلق من أجله فهو خدمة الآلهة — أو يهوا لوحـده عند العبرانيين — بالصلاة والابتهال وتقديم القرابين .

٣ — أساليب الخلق . لقد تم الخلق وفقاً لكل من الكتاب التوراتيين والسومريين بصورة رئيسة بطريقتين : بأمر إلهي أو بـ « فعل » أو « تكوين » عملي . وفي كلا هاتين الحالتين كان التخطيط الإلهي يسبق الخلق الفعلي على الرغم من عدم التعبير عن هذه الحاجة إلى التخطيط على نحو واضح .

٤ — الجنة . لم يعثر حتى الآن على متطابقات سومرية لقصة جنـة عدن وطرد الإنسان منها . بيد أنه توجد عدة مواضيع تتصل بالجنة لها أهمية بالنسبة لأغراض المقارنة ، بما في ذلك موضوع واحـد قد يساعد على توضيح قصة « الضلع » في سفر التكوين : ٢ : ٢١ — ٢٣ . أضف إلى ذلك وجود سبب وجيه للاعتقاد بأن فكرة جنة إلهية ، أو حديقة إلهية ذاتها من أصل سومري (أنظر الفصل الرابع) .

٥ — الطوفان . تظهر الروايتان التوراتية والسومرية عن قصـة الطوفان ، كما لوحظ منذ فترة طويلة ، عدداً كبيراً من الأفكار المتطابقة تطابقاً واضحاً والقوية

الصلة ببعضها البعض . ومما تجدر ملاحظته أيضاً حقيقة وجود عشرة ملوك حكموا قبل الطوفان ، وكانت أعمارهم طويلة إلى درجة غير طبيعية وفقاً لرواية عراقية واحدة على الأقل. ويذكرنا هذا ببعض الآباء التوراتيين في فترة ما قبل الطوفان .

٦ — موضوع قابيل وهابيل . إن موضوع المنافسة في قصة قابيل وهابيل الذي ورد في التوراة بلاشك بصورة مختصرة جداً كان موضوعاً محبباً جداً عند الكتاب والشعراء السومريين (أنظر الفصل السابع) .

٧ — برج بابل وتشتت البشر . لقد بدأت قصة تشييد برج بابل بلا ريب في محاولة لتوضيح وجود الزقورات في بلاد ما بين النهرين . أما بالنسبة للعبرانيين فإن هذه الأبنية الشاهقة ، التي غالباً ما يمكن رؤيتها في حالة من الخراب والدمار ، أصبحت رموزاً لشعور الإنسان بعدم الأمان ، وما يتصل به من لهفة شديدة للحصول على السلطة، تلك اللهفة التي لا يعود عليه إلا بالذل والعذاب. ولذلك فإنه من المستبعد جداً العثور على مثل مطابق لهذه القصة عند السومريين ، الذين كانت الزقورة بالنسبة لهم تمثل رباطاً بين السماء والأرض ، أي بين الإله والإنسان ، غير أننا قد نجد من الناحية الأخرى نظيراً للفكرة القائلة بوجود عهد كانت فيه لشعوب الأرض كلها « لغة واحدة ونفس الكلمات » ، وأن نهاية هذه الحالة السعيدة جاءت على يد إله غاضب في فقرة العصر الذهبي التي تكون جزءاً من القصة الملحمية السومرية « اينمر كار وسيد أراتا » (التي أشير إليها في بداية هذا الفصل) .

٨ — الأرض وتنظيمها . إن الأسطورة السومرية « أنكي ونظام العالم : تنظيم الأرض وعملياتها الحضارية » تقدم وصفاً مفصلا لفعاليات « أنكي » ، إله الحكمة السومري ، في تنظيم الأرض وفي تأسيس ما يمكن التعبير عنه بالقانون والنظام فيها. إن لهذه القصيدة أصداء توراتية في سفر تثنية الاشتراع ٣٢ : ٧ — ١٤ ، على سبيل المثال (لاحظ بصورة خاصة المقطع ٨) وفي المزمور ١٠٧ .

٩ — الإله الشخصي . كان العبرانيون القدامى استنتاجاً من العهد بين الإله وإبراهيم — لاحظ أيضاً الإشارة إلى عبارة « إله ناحور Nahor » في سفر التكوين ٣١ : ٥٣ — على اطلاع على فكرة الإله الشخصي . لقد طور السومريون الاعتقاد بوجود إله شخصي في وقت مبكر يعود على الأقل إلى منتصف الألف الثالث ق . م . إذ كان لكل ذكر بالغ الرشد ورئيس عائلة وفقاً لرأي المعلمين والحكماء السومريين « إلهه الشخصي » ، أو ما يشبه الملاك الخير الذي ينظر إليه كأب إلهي له . وكان هذا الإله الشخصي على ما يحتمل جداً يُتبنى من قبل رب الأسرة السومرية كنتيجة لوحي أو حلم أو رؤيا تتضمن تفهماً متقابلا أو اتفاقاً بين الطرفين لا يختلف عن العهد بين الآباء العبرانيين والإله يهوا .

في الواقع لم يكن هناك شيء قاطع بالنسبة للطرفين في العهد بين السومري وإلهه الحامي ، ولذلك كان في هذه الناحية يختلف اختلافاً كبيراً عن العهد بين ابراهيم وربه . إن كل ما كان السومري ينتظره من إلهه الشخصي هو أن يتكلم لصالحه ويتدخل في مجمع الآلهة من أجله متى ما تتطلب الظروف ذلك وبهذا يحقق له حياة طويلة وصحة سليمة ، وكان الشخص مقابل ذلك يقوم بتمجيد إلهه بالأدعية والابتهالات وتقديم القرابين ، على الرغم من أنه كان يواصل في نفس الوقت عبادة آلهة المجمع الإلهي السومري الأخرى . ومع ذلك كانت هناك علاقة متينة وودية وموثوق بها بل ورقيقة بين السومري وإلهه الشخصي ، علاقة تحمل في طياتها تشابها غير قليل من العلاقة بين يهوا والآباء العبرانيين وبين يهوا والعبرانيين ككل في الأزمان المتأخرة ، كما تشير إلى ذلك الوثيقة الأدبية السومرية المعنونة « الإنسان وإلهه » .

١٠ — الشريعة . إن حقيقة كون كل من الشرائع التوارتية وشريعة حمورابي المعروفة منذ مدة طويلة تظهر العديد من التشابهات في المحتوى والصيغة ، بل حتى بالتنظيم ، قد لوحظت في الواقع من قبل دارسي العهد القديم جميعهم ، ولكن شريعة حمورابي نفسها ، كما ظهر في السنوات الأخيرة ، عبارة عن مؤلف أكدي استند

بصورة عامة إلى النماذج السومرية الأولى (الفصل الرابع) وفى الواقع ، هناك سبب وجيه يدفعنا على الاستنتاج بأن نمو وتطور المفاهيم والممارسات والسوابق والتآليف القانونية الرائعين فى الشرق الأدنى القديم يرجعان بصورة عامة إلى السومريين وإلى توكيدهم المبالغ به كثيراً على المنافسة والتفوق (انظر الفصل السابع) .

١١ — الأخلاق والتعاليم الأخلاقية . إن المفاهيم الأخلاقية والمثل المعنوية التى طورها السومريون كانت متطابقة مع مفاهيم ومثل العبرانيين ، على الرغم من أنها كانت تفتقر إلى حساسيتها الخلقية وحماسها المعنوى الواضحين تقريباً وعلى الأخص فى تلك السجايا التى ضربت عليها أمثلة فى الأدب التوراتى التنبؤى . لقد كان السومرى من الناحية النفسية (السيكولوجية) أكثر تشامخا وتحفظاً من العبرانى، كان أكثر تحفظاً من الناحية العاطفية وأكثر تمسكا بالشكليات وبالمنهجية . وكان ينزع إلى النظر إلى إخوانه من البشر بشىء من الشك والريبة بل وحتى بشىء من الخوف الذى كان يكبت إلى حد غير قليل الدفء والعطف والحنان البشرى ، تلك الصفات الحيوية جداً بالنسبة إلى النمو الروحى والسعادة . وعلى الرغم من مكتسباته الخلقية الرفيعة فإن السومرى لم يصل أبداً إلى الاعتقاد السامى بأن « قلباً نقياً » و « أيادى طاهرة » كانت تقدر عند الآلهة من أكثر الصلوات الطويلة والقرابين الوفيرة والطقوس المعقدة .

١٢ — الثواب والعقاب الإلهيان والكارثة القومية . إن غضب « يهوا » وإذلاله وتدميره للشعب الذى كان يجلب على نفسه ذلك تؤلف موضوعاً يتكرر دائماً فى الكتب التوراتية . وكانت الكارثة القومية تحل عادة بهجوم عنيف يقوم به شعب مجاور يختار بصورة خاصة ليكون عصا الإله « يهوا » وسوطه . وتقدم الوثيقة التاريخية « لعنة أكد » نظيراً مثيراً لهذا الموضوع : وهو أن « أنليل » الإله القائد فى مجمع الآلهة السومرى ، بعد أن أثار غضبه الشديد حاكم من حكام أكد أثعصف

بالـكفر رفع نظره إلى الجبال وجاء بالـ «جوتيين» البرابرة القساة الذين لم يدمروا أ كد فقط بل شرعوا أيضاً بتدمير كل بلاد سومر تقريباً .

١٤ — موضوع الوباء . تحتوى الأسطورة السومرية « إينـانا وشوكاليتودا: خطيئة البستانى المميتة » على موضـوع حلول وباء فى بلاد ســومر يطابق إلى حد ما موضوع الوباء التوراتى فى قصة سفر الخروج . ففى كلتا الحالتين أرسل إله أغضبته أفعال سيئة وأثم يقترفه فرد من الأفراد سلسلة من الأوبئة على بلاد بكاملها وعلى سكانها .

١٥ — المعاناة والاستسلام : موضوع « أيوب » . لقد تيسرت قبل فترة قريبة جداً مقالة شعرية توراتية ذات أهمية غير قليلة بالنسبة للدراسات التوراتية المقارنة . إن موضوعها الرئيسى المعاناة والاستسلام البشرى ، متطابق مع الموضوع الذى عولج برقة متناهية وبشكل مثير للمشاعر فى سفر « أيوب » فى التوراة ، بل كانت حتى الأحداث التى ذكرت كمقدمة متشابهة : رجل من الناس — لم يذكر أسمه فى القصيدة السومرية — كان غنياً وحكيما وعادلا . وكان ينعم ببركة صفاء العيش مع الأصدقاء وذوى القربى ، أصيب فى يوم من الأيام ، بلا سبب واضح بالسقم والعذاب والفقر وخيانة الأصدقاء وكره الناس له . على أننا نعترف بأن هذه المقالة السومرية ، التى تتكون من أقل من مائة وخمسين سطراً لا تقارن بأية حال بالسفر بالتوراتى من حيث سعة المدى وعمق الفهم وجمال التعبير ، إلا أنها أقرب كثيراً من حيث المزاج والانفعال والمحتوى إلى المزامير التى وردت فى « سفر المزامير » والتى تتصف بكثرة البـكاء وشدة الحزن .

١٦ — الموت والعالم السفلى . إن عالم الموتى التوراتى ، ومثوى الأمـوات فى الميثولوجيا الأغريقية بقدر ما يتعلق الأمر بهذا الموضوع لها ما يقابلها فى الـ« كور » السومرى . فقد كان الـ « كور »، مثل عالم الموتى العبرانى ، سكن الأموات المظلم المخيف . وكان أرضا لا عودة منها ، ولو أنه قد يستدعى منها فى حالات خاصة فقط

شبح شخصية كانت فى يوم من الأيام بارزة لغرض الاستجواب . وتوجد فى الوثائق الأدبية السومرية عدة متطابقات أخرى مثيرة مع الأفكار العبرانية التى تتصل بالعالم السفلى : مثل وصفه بأنه بيت الملوك والأمراء السابقين الحقير ، وصعود أشباح الموتى منه ، وسجن الإله « دوموزى » فيه ، وهو نفس « تموز » الذى ورد ذكره فى العهد القديم ، والذى كانت نساء القدس يقمن المناحات من أجله إلى زمن متأخر فى أيام النبى « حزقيال »(١) .

نكتفى بهذا القدر من المتطابقات التوراتية الواضحة والمهمة المأخوذة من الأدب السومرى . ولا حاجة بنا للقول بأن هذه القائمة لا تمس إلا السطح فقط . فمثلا بينما كنت أنقح ترجمة تقويم الفلاح لإعدادها لهذا الكتاب فوجئت بمثلين لهما طبيعة خلقية متطابقين لما ورد فى التوراة أغفلتهما الترجمة السابقة وهما : النصيحة المؤثرة المقدمة للفلاح ليظهر الشفقة على « الملتقطين » فى موسم الحصاد وعلى الثيران أثناء عملية الدراسة . وفى السنين القادمة ، وكلما تزايد عدد الوثائق الأدبية السومرية المتيسرة للباحثين ، سينمو عدد المتطابقات السومرية ويتضاعف ، وعلى الأخص مع ما فى كتب المزامير والأمثال والمرثيات ونشيد الإنشاد . إن هذه الاعتبارات تقودنا إلى سؤال ربما خطر فعلا فى ذهن القارىء وهو : إذا كان السومريون شعباً ذا أهمية أدبية وحضارية بارزة بالنسبة لعالم الشرق الأدنى القديم كله حتى إنهم تركوا أثراً لا يمحى فى أعمال الكتاب العبرانيين الأدبية ، فلماذا تبدو آثارهم ضئيلة فى التوراة ؟ ففى سفر التكوين ، الفصلان ١٠ و ١١ مثلا — نجد جداول تضم عدداً كبيراً من الأشخاص الذين يحتلون وظيفة « الأيثونيم » وأسماء الأقطار والمدن ولكن لا يوجد على ما يبدو أى ذكر للسومريين فى التوراة كله ، باستثناء كلمة « شنعار » الغامضة ، التى يحددها الباحثون عادة بسومر ، ولكنها تمثل فى الواقع المرادف

(١) لقد حرم النواح على « تموز » فى عهد النبى « حزقيال » الذى قال عنه بأنه من الأمور المكروهة البغيضة . (المترجم) .

السومرى لكلمة مركبة هى « سومر — أكد » ، وهذه الحقيقة (أى حقيقة عدم الإشارة بوضوح إلى السومريين فى التوراة) لا يمكن أن تتفق مع تفوقهم وأثرهم الواضحين .

ومن المثير جداً أن أستاذى وزميلى « آرنو پوبل » اقترح قبل (أكثر) من ربع قرن حلا لهذا اللغز المحير على شكل تعليق مختصر فى مقال نشره فى المجلة الأمريكية للغات السامية (العدد ٥٨ [١٩٤١] ، ٢٠ — ٢٦) . إلا أن اقتراح « پوبل » لم يجد استجابة من المستشرقين وأحيل إلى النسيان العلمى ، بيدأننى على ثقة تامة بأن هذا الإقتراح سيصمد أمام امتحان الزمن وسيعترف به فى الوقت المناسب كإسهام هام بالنسبة لمشكلة العلاقات السومرية — العبرانية .

على أنه قبل تقييم ملاحظة « پوبل » ينبغى على القارىء أن يضع فى ذهنه قاعدة (لغوية) صوتية سومرية غريبة فى الواقع ولكنها تستند إلى أسس صحيحة ومقبولة بصورة عامة ، وهى جوهرية فى معالجة ذكية للمشاكل المتصلة بهذا الموضوع . إن هذه القاعدة التى وضعت صياغتها حجر الأساس فى دراسة اللغة السومرية ، يمكن أن يعبر عنها بالشكل التالى : لقد كانت الحروف السومرية التى تأتى فى نهاية الكلمات قابلة للحذف ولم تلفظ فى الكلام ما لم تتبعها أداة قواعدية تبدأ بحرف علة أو تتألف من حرف علة واحد . وعلى هذا كانت الكلمة السومرية « آشاج » التى تعنى «حقل»، مثلا ، تلفظ « آشا » (بحذف الحرف الأخير ج) ، ولكن إذا جاءت هذه الكلمة نفسها فى المركب السومرى « آشاج — آ » أى « فى الحقل » ، حيث تكون « آ » أداة قواعدية تقابل الكلمة العربية « فى » ، (الإنكليزية in) ، فإنها كانت تلفظ « آشاج » وليس «آشا». ومثل ذلك الكلمة السومرية التى تعنى «إله» «دينجير» فقد كانت تلفظ فى الواقع « دينجى » حيث يكون الحرف الأخير « ر » صامتاً . ولكنها كانت تنطق « دينجير » وليس « دينجى » فى الكلمة المركبة « دينجير — أى » التى تعنى « من قبل الإله » حيث تمثل «أى» الكلمة العربية « من قبل »(الإنكليزية by) .

ولنعد الآن إلى مشكلتنا والبحث عن كلمة « سومر » أو بتعبير أدق « شومير » إذا استعملنا الصيغة التي وجدت في الوثائق المسمارية . لقد فوجيء « پوبل » بتشابه هذه الكلمة مع الاسم « شم » أكبر أولاد نوح ، والسلف القديم للأسماء التي ذكرت في جداول « الايبونيم » مثل « آشور » و « عيلام » و « آرام » ، وقبل كل شيء « ايبر » (Eber) الذي شغل وظيفه « إيثونيم » عند العبرانيين . بيد إن مطابقة « شم » مع « شومر » تضع أمامنا مشكلتين هما : التبادل بين حرفي العلة « e و u » وحذف « er » في نهاية الكلمة . إن أولى المشكلتين لا تسبب في الوقت الحاضر أية صعوبة لنا . فالصوت « u » في الكتابة المسماريه غالبا ما يصبح « e » في العبرانية — وكلمة « شومو » الأكدية التي تعني « اسم » والعبرانية « شم » مثل يتصل بصورة خاصة بالموضوع الذي نبحث فيه . أما بالنسبة للمشكلة الثانية وهي حذف « er » من كلمة « شومير » في الكلمة التي تقابلها في العبرانية « شم » — فإن هذا يمكن الآن توضيحه بتطبيق القاعدة السومرية في حذف الحروف الصحيحة الأخيرة ، لأن الكلمة « شومير » كانت تنطق « شومي » ، وعلى إحتمال أكبر « شوم » (لأن الحرف الأخير « ى » قصير جداً مثل حرف العلة في « شيوا » shewa ، وعلى هذا يكون العبرانيون قد أخذوها من السومريين على صورة « شم » . هذا وإن « شم » ليست المثل الوحيد على اسم عبراني استعير من كلمة سومرية دون حرفه الصحيح الأخير . فإن اسم المدينة التي ولد فيها إبراهيم يكتب « أور » في التوارة . ولكن الاسم السومري ، كما أصبح معروفا منذ زمن طويل ، ليس « أور » وإنما « أوريم » ، وعبارة « في أور » ، على سبيل المثال ، هي « أوريم — آ » وليس « أور — آ » وعلى هذا فقد استعار التوراتيون الاسم في هذه الحالة أيضاً كما كان ينطق في اللغة السومرية عندما لا تأتي بعده أداة قواعدية تبدأ بحرف علة .

وإذا تبين أن نظرية « پوبل » صحيحة ، وأن « شم » مطابقة لـ « شومير — سومر » ، فإنه يجب أن نفترض بأن مؤلفي التوراة العبرانيين ، أو بعضهم على

الأقل ، كانوا يعتبرون السومريين أسلاف الشعب العبرانى الأصليين . ولكن إذا تكلمنا من الناحية اللغوية فإنهم كانوا على خطأ كبير فى ذلك : فاللغة السومرية من اللغات الملصقة التى لا صلة لها بعائلة اللغات السامية القابلة للتصريف ، العائلة التى تعتبر العبرانية فرعاً منها . ولكن من الجائز جداً أن يكون هناك دم سومرى جدير بالاعتبار فى أسلاف إبراهيم الذين عاشوا لعدة أجيال فى مدينة « أور » أو فى بعض المـــدن السومرية الأخرى . أما بالنسبة للحضارة والمدنية السومريتين — فإنه لا يوجد سبب للشك بأن العبرانيين الأوائل قد تشربوا واستوعبوا الشىء الكثير من أساليب الحياة السومرية العبرانية ، وباختصار ربما كانت الاتصالات السومرية العبرانية أكثر ارتباطاً مما كان يظن حتى الآن ، وربما كان للقانون العبرانى الوارد فى (يوشع ٢٠٢) بجذور غير قليلة تمتد تحت تربة بلاد سومر .

المـلاحق

لقد أعد الملحقان (أ) و (ب) لإعطاء القارىء فكرة عن الكتابة واللغة السومريتين .

يشمل الملحق (ج) ترجمات خمسة وثلاثين نصاً نذرياً استندت بصورة عامة على نسخة خطية أعدها « آرنوبوبل » عند ما كان يعمل فى كتابه « أساس القواعد السومرية » . واستند الملحقان (و–رقم ١) و (ز–رقم١—٣) على هذه النسخة الخطية أيضاً . وللاطلاع على المراجع الخاصة بالنص الأصيل للكتابات النذرية . أنظر بصورة خاصة : النصوص الملكية السومرية الأكدية للعلامة « ثيورو – دانجن ؛ والنصوص الملكية من سومر واكد ، للأستاذ «جورج بارتون» ؛ ونصوص « لجش » من فترة ما قبل العهد السرجونى ، للأستاذ « أدموند سوليبرجرز » .

ويشمل الملحق (د) نماذج من الصيغ — التأريخية[1] أخذت من مصادر متعددة .

الملحق (ه) عبارة عن ترجمة منقحة لقائمة الملوك السومرية مستندة إلى قائمة الملوك التى درسها ونشرها «ثوركايلد جاكبسون» وعلى بحث « أف . آر . كراوس» المعنون نحو قائمة بملوك بلاد بابل القدامى. وعلى استنساخات المؤلف لكسر الألواح التى تتصل بالموضوع والمنشورة فى نشرة متحف الجامعة . (أنظر القسم ١١ من المراجع) .

وتستند الأقسام من ٢ — ٤ من الملحق (و) إلى دراسة أولية قام بها المؤلف لمادة الألواح المتصلة بالموضوع .

بالنسبة للملحق (ز) (أنظر ما قيل أعلاه عن ملحق ج) .

ويستند الملحق (ح) إلى كتاب : شريعة « لبت — عشتار » ، للأستاذ « فرانس آر. ستيل[2] » .

إن الملحق (ط) عبارة عن ترجمة لتقويم الفلاح ، أعدت بالتعاون مع «ثوركايلد جاكبسون » و « بينو لاندزبرجر » و « ميخائيل سيفيل » .

---

(١) Date - Formulas

(الملحق أ) : أصل نظام الكتابة المسمارى وتطوره

من المرجح أن السومريين هم الذين بدأوا فى الأصل نظام الكتابة المسمارى . وجاءت أقدم النصوص التى اكتشفت حتى الآن — وهى تزيد على ألف لوح وكسرة لوح من حوالى سنة ٣٠٠٠ ق . م — مدونة على ما يرجح باللغة السومرية . وسواء أكان السومريون هم الذين اخترعوا الخط أم غيرهم فمن المؤكد أنهم هم الذين طوروه فى الألف الثالث ق . م . إلى أداة نافعة فى الكتابة . وقد أدركت الشعوب المجاورة قيمة هذه الأداة العملية تدريجاً فاستعارتها من السومريين وكيفتها كى تتلاءم مع لغاتها الخاصة . وفى حدود الألف الثانى ق . م . أصبحت هذه الكتابة شائعة الاستعمال فى كافة أنحاء الشرق الأدنى .

لقد بدأ الخط المسمارى على شكل كتابة صورية، حيث كانت كل علامة عبارة عن صورة شىء مادى واحد أو أكثر ، وتمثل كلمة كان معناها مطابقاً لذلك الشىء الذى تمثله الصورة أوله علاقة قريبة به . إن عيوب نظام كهذا عيوب مضاعفة لسببين : إن أشكال العلامات المعقدة وما تتطلبه كتابة كهذه من أعداد كبيرة من هذه العلامات ، يجعل هذا الخط صعباً للغاية عند استخدامه عملياً . وتغلب الكتبة السومريون على الصعوبة الأولى بتبسيط أشكال العلامات ووضعها تدريجاً فى أشكال محددة مصطلح عليها حتى لم تعد أصولها الصورية بعد ذلك ظاهرة للعيان . أما بالنسبة للصعوبة الثانية ، فإنهم اختزلوا عدد العلامات ووضعوها ضمن حدود معقولة باللجوء إلى أساليب مفيدة متنوعة . وكان أهم أسلوب اتبعوه هو التعويض عن

(٢) Francis R. Steele, The Code of Lipit - Ishtar.

الكتابة التي تمثل فيها كل صورة كلمة (أى كتابة إيديوغرافية) بالكتابة الصوتية (حيث تمثل كل علامة صوتاً مقطعياً) . وقد أعد (شكل ٦) لتوضيح هذا التطور. وفيما يلي تفسير العلامات التي وردت فيه .

رقم ١ — صورة نجمة ، وهي تمثل بالدرجة الأولى الكلمة السومرية « آن » التي تعني « سماء » وتستخدم نفس العلامة للدلالة على كلمة « دينجر » وتعني «إله».

رقم ٢ — تمثل الكلمة « كي » وتعني « أرض » ومن الواضح أنه أريد بها أن تكون صورة للأرض ، على الرغم من أن تفسير العلامة لا يزال غير مؤكد .

رقم ٣ — لعلها صورة مختصرة للجزء الأعلى من جسم الإنسان . وهي تمثل الكلمة « لو » أي « رجل » .

رقم ٤ — صورة الفرج . إنها تمثل الكلمة « شال » وتعني «فرج» ، وتستعمل نفس العلامة لتمثل الكلمة « مونوس » أي « إمرأة » .

رقم ٥ — صورة جبل . وهي تمثل الكلمة « كور » التي تعني من حيث الأساس « جبل » .

رقم ٦ — توضح هذه الصورة الطريقة البارعة التي طورها مخترعو نظام الكتابة السومري في وقت مبكر من تاريخ الكتابة حيث كانوا يستطيعون التعبير بواسطتها بأسلوب صوري عن كلمات يصعب التعبير عنها بطريقة الصور الإعتيادية . فالعلامة التي تمثل الكلمة «جيمة»، أي «أمة»، مركبة في الواقع من علامتين ، العلامة التي تمثل « مونوس » أي « امرأة » والعلامة « كور » أي «جبل» (العلامتان رقم٤و٥ في الجدول) وعلى هذا تعبر العلامة المركبة حرفياً عن الفكرة التي تعني « امرأة جبلية » . ولكن لما كان السومريون يحصلون على إمائهم بصورة عامة من المناطق الجبلية القريبة منهم ، فإن هذه العلامة المركبة أصبحت تمثل بصورة ملائمة الكلمة السومرية « جيمة » أي « أمة » .

رقم ٧ — صورة رأس . إنها تمثل الكلمة السومرية « ساج » أى « رأس » .

رقم ٨ — صورة رأس أيضا . تشير الخطوط العمودية فيها إلى الجزء الذى قصد تحديده من الرأس — أى الفم . ولذلك فإن هذه العلامة تمثل الكلمة السومرية « كا » أى « فم » . وتمثل العلامة نفسها الكلمة « دج » أى « تكلم » .

رقم ٩ — يرجح أن تكون صورة إناء كان يستعمل بصورة خاصة لحفظ الطعام . إنها تمثل الكلمة « نيندا » أى « طعام » .

رقم ١٠ — علامة مركبة مؤلفة من العلامتين اللتين تمثلان الفم والطعام (رقم ٨ ورقم ٩ فى الثبت) . إنها تمثل الكلمة « كو » أى « الأكل » .

رقم ١١ — صورة لمجرى نهر . إنها تمثل الكلمة (آ) أى « ماء » . وتمدنا هذه العلامة بتوضيح ممتاز للطريقة التى فقد بها الخط السومرى تدريجياً صفته الصورية المعقدة وأصبح نظاماً صوتياً للكتابة . فمع أن الكلمة السومرية « آ » ، الممثلة بالعلامه رقم ١١ ، كانت تستعمل بالدرجة الأولى للتعبير عن كلمة « ماء » إلا أنها كانت تعنى أيضاً « فى » ، والكلمة « فى » تعبر عن علاقة لغوية وتمثل مفهوماً يصعب التعبير عنه تعبيراً صورياً . فخطرت لمبتدعى الخط السومرى الفكرة البارعة وهى أنه بدلا من محاولة إيجاد علامة صورية معقدة لتمثل كلمة « فى » كان باستطاعتهم أن يستعملوا نفس العلامة التى تمثل « آ » « ماء » لأن الكلمتين متطابقتان تماماً فى اللفظ . إن الكتبة السومريين الأوائل بدأوا يدركون بأن من الممكن استخدام أى علامة تمثل كلمة محددة عن كلمة أخرى لا علاقة بينهما بالمعنى إذا كان لفظ كل من الكلمتين متطابقاً . وبانتشار هذه الممارسة تدريجياً فقد الخط السومرى صفته الصورية وأخذ يتجه أكثر فأكثر نحو تحوله إلى مجرد خط صوتى .

رقم ١٢ — علامة مركبة من علامة الـ « فم » وعلامة الـ « ماء » (رقم ٨ و ١١) . إنها تمثل الكلمة « ناج » « الشرب » .

رقم ١٣ — صورة تمثل الجزء الأسفل من الساق والقدم فى وضع يشير إلى المشى . إنها تمثل الكلمة « دو » أى «الذهاب» وكذلك الكلمة «جوب» أى«الوقوف».

رقم ١٤ — صورة ظافر . إنها تمثل الكلمة « موشين » أى « طائر » .

شكل (٦) أصل نظام الكتابة المسمارية وتطوره . لوح يبين أشكال ثمانى عشرة علامة من حوالى سنة ٣٠٠٠ ق . م . إلى حوالى ٦٠٠ ق . م .

	٥	٤	٣	٢	١
١٠					
١١					
١٢					
١٣					
١٤					
١٥					
١٦					
١٧					
١٨					

شكل (٦) تتمة

رقم ١٥ — صورة سمكة . إنها تمثل « خا » أى « سمكة » . وتقدم لنا هذه العلامة مثلا آخر على التطور الصوتى الذى طرأ على الخط السومرى . فالكلمة السومرية « خا » لا تعنى « سمكة » فقط بل تعنى أيضاً كلمة « لعل » — أى إنه كان عند السومريين كلمتان متطابقتان فى اللفظ ولكن لا علاقة بينهما فى المعنى مطلقاً . وهكذا بدأ الكتاب السومريون فى وقت مبكر من تطور الخط استخدام العلامة « خا » الدالة على « سمكة » للتعبير عن « خا » الدالة على معنى « لعل » التى تطابقها فى اللفظ .

رقم ١٦ — صورة رأس وقرنى ثور . إنها تمثل الكلمة « جود » أى « ثور » .

رقم ١٧ — صورة رأس بقرة . إنها تمثل الكلمة « آب » أى « بقرة » .

رقم ١٨ — صورة سنبلة شعير . إنها تمثل الكلمة « شى » أى « شعير » .

إن العلامات الواردة فى الحقل الأول تعود إلى أقدم عهد معروف فى تطور الكتابة السومرية . ولم يمض وقت طويل بعد اختراع الخط الصورى حتى وجد الكتبة السومريون أن من الأسهل تدوير اللوح بطريقة بحيث أصبحت الصور مقلوبة على ظهورها . وأثناء تطور الكتابة أصبح هذا الأسلوب فى وضع اللوح هو الأسلوب الشائع وانحرفت العلامات بانتظام بزاوية قدرها ٩٠ درجة . ويقدم الحقل الثانى من الثبت العلامات الصورية وهى فى تلك الهيئات المائلة ، ويمثل الحقل الثالث الخط « القديم » الذى كان سائداً حوالى سنة ٢٥٠٠ ق . م . ، ويمثل الحقل الرابع أشكال العلامات حوالى سنة ١٨٠٠ ق . م . التى كانت تكتب بها أغلب الوثائق الأدبية . أما العلامات المبسطة أكثر من ذلك المرسومة فى الحقل الأخير من الثبت فكانت هى العلامات التى استعملها الكتاب الذين كانوا فى خدمة الملوك فى بلاد « آشور » فى الألف الأول قبل الميلاد .

الملحق (ب) اللغة السومرية :

اللغة السومرية لغة ماصقة[1] غير قابلة للتصريف كما تتصرف اللغات الهندية — أوربية أو السامية ، وجذورها بصورة عامة لا تتغير . أما وحدتها القواعدية الأساسية فهي المركب اللفظي وليس الكلمة المفردة . وتميل أدواتها القواعدية نحو الاحتفاظ ببنيتها المستقلة ، أكثر مما تميل نحو الإتصال بجذور الكلمات إتصالا وثيقاً . وعلى ذلك تشبه اللغة السومرية إلى درجة غير قليلة اللغات الملصقة الأخرى مثل اللغة التركية والهنغارية وبعض اللغات القوقاسية . بيد أن اللغة السومرية مازالت تقف بمفردها من حيث المفردات والقواعد والتركيب ولا علاقة لها ، على ما يبدو ، بأى لغة أخرى حية أو منقرضة . وتوجد فى اللغة السومرية ستة أصوات (حروف) علة : ثلاثة منها حروف علة مفتوحة (أو طويلة) وهى (a , e , o) وثلاثة حروف علة مقابلة لها مغلقة (مرتفعة) وهى ($\bar{a}$, $\bar{e}$ ، u) . وكانت حروف العلة لا تلفظ بوضوح ، وكثيراً ما كانت تحور وفقاً لقانون خاص فى تناسق أصوات العلة . وكان هذا يصح بصورة خاصة بالنسبة لحروف العلة فى الأدوات القواعدية التى كانت قصيرة ولا يشدد عليها فى النطق . وغالباً ما كانت هذه تحذف فى نهاية الكلمة أو بين حرفين صحيحين .

ويوجد فى اللغة السومرية خمسة عشر حرفاً صحيحاً : ب ، پ ، (؟) ، ت ، د ، ج (تلفظ الجيم كافا فارسية أو كما تلفظ فى اللهجة المصرية الدارجة) ، ك ، ز ، س ، ش ، خ ، ر ، ل ، م ، ن ، ج (تلفظ كما تلفظ ug فى كلمة lung الانكليزية) . وكانت الحروف الصحيحة قابلة للحذف ، فكانت لا تلفظ فى نهاية أى كلمة مالم تتبعها أداة قواعدية تبدأ بحرف علة .

وتتكون أغلب الجذور السومرية من مقطع واحد على الرغم من وجود عدد

(١) انظر ص ٧ ، ملاحظة (١) للاطلاع على تعريف اللغة الملصقة . (المترجم)

كبير من الكلمات ذات المقاطع المتعددة . ويستخدم تضعيف الجذر للإشارة إلى جمع الأسماء أو الأفعال ، وكثيراً ما تتألف الأسماء من كلمات مركبه مثل : «لو — جال» أى «ملك»، (رجل — كبير)، و «دوب — سار» أى « كاتب »، (« كاتب — اللوح ») ، و « دى — كو » أى « قاض » (« مقرر — الحكم ») . وتصاغ الكلمات المجردة بإضافه « نام nam » التى تشبه « ship » الانكليزيه فيقال « لو — جال »، أى « ملك »، و « نام — لو — جال » أى «ملكية» ، ولا يوجد للأسماء جنس (أى لا يوجد مذكر ومؤنث)، وهى تقسم بدلا من ذلك إلى صنفين ، حى ، ولا حى . وتعود الحيوانات إلى صنف اللاحى ، إذا تكلمنا من الناحية القواعدية .

— تتألف الجمل السومرية من : (١) سلسلة من مركبات إسمية تتعلق بالسند إما كفاعل ، أو كمفعول به ثان أو كمفعول به يدل على زمان أو مكان (ظرف) أو مفعول به ، (٢) الأدوات القواعدية التى تعبر عن هذه العلاقات (٣) المسند المؤلف من الجذر الفعلى المسبوق بأداة جذرية وسلسلة من الإضافات التى تعيد باختصار توضيح العلاقة بين الجذر والمركبات الإسمية . ويجوز أن يتألف المركب الإسمى من إسم بمفرده أو من إسم وجميع مقيداته القواعدية ، مثل الصفات والمضاف إليه والفقرات الموصولة وضمائر التملك . وتأتى أدوات الصلة دائماً فى نهاية المركب الأسمى كله ولذلك تعرف بالألفاظ المؤخرة .

— إن اللغة السومرية فقيرة فى الواقع بالصفات وغالباً ما تستعمل تعابير فى حالة المضاف إليه بدلاً عنها . ولا تستعمل الصلات وأدوات العطف إلا نادراً(*)

وترتب الكلمات والمركبات والفقرات ذات الصلة بالموضوع عادة بلا روابط .

(*) ولهذا السبب وضع حرف العطف فى الملاحق بين قوسين (للدلالة على عدم وجوده فى النص)، بيد أن الترجمات التى وردت فى الكتاب لم تكن ثابتة من هذه الناحية .
(لم يتقيد المترجم بوضع حرف العطف بين قوسين) .

ولا يوجد إسم موصول فى اللغه السومرية ، وتستعمل بدلا عن ذاك أداة إسمية فى نهاية الفقرات . أضف إلى ذلك أن الفقرات الموصولة لا تستعمل إلا بدرجة محدودة فقط ، وغالباً ما يحل محلها إسم فاعل يطابق المصدر فى الصيغة .

وكانت توجد ، بالإضافة إلى اللهجة السومرية الرئيسة التي ربما كانت تعرف بـ « أيميجر » « اللغة الأميرية » عدة لهجات أخرى أقل أهمية منها . وكانت واحدة منها، وهى الـ « إيميسال » تستخدم بصورة رئيسة فى الخطب التى تلقى من قبل إلهات أو نساء أو خصية .

الملحق (جـ) الكتابات النذرية :

١ — « آنيبادا » ملك « أور » ، (لوح) .

« آنيبادا » ، ملك « أور » ، ابن « ميس آنيبادا » ، ملك « أور » ، شيد بيتاً لـ « نينخورساج » .

٢ — « لوجال كيجينيدودو » ملك « الوركاء » و « أور » ، (إناء) .

عندما وجه «أنليل» ، ملك الأقطار كلها ، نداء قاطعاً إلى «لوجال كيجينيدودو» ووهبه الإمارة إلى جانب الملكية فى « الوركاء » والملكية فى « أور» ، عندئذ كرس « لوجاو كيجينيدود » من أجل حياته (هذا الإناء) لـ « أنليل » ، ملكه المحبوب بغبطة شديدة .

٣ — « لوجال كيجنيندودو » (لقد جُمع هذا النص من ثلاث كتل كبيرة من حجر الجرانيت الأحمر غير المنحوت وحجر المرمر الأبيض) .

٤ — « أينشا كوشانا » . (نص جمع من إناءين) .

« أينشا كوشانا » — حاكم سومر ، ملك البلاد ، عندما أمرته الآلهة

وأعلن الحـــرب على « كيش » وأسر « أينبي — عشتار » ، ملك « كيش » . (عندئذ) [توسل إليه] سكان « أكشاك » وسكان « كيش » بألا يدمر المدن أيضاً، [ولكنه ينبغى أن يأخذ] ممتلكاتهم (بدلا عن ذلك) . . . . . لقد أعاد لهم مدينتيهم (كما أرادوا) ، (ولكن) كرس فى « نفّـر » تماثيلهما (أى تماثيل أكشاك وكيش) — ومعدنهما الثمين ، وأحجارها الكريمة ، وممتلكاتهما المصنوعة من الخشب لـ « أنليل » ملك الأقطار .

٥ — « إينشا كوشانا » ، (إناء).

« إينشا كوشانا » كرس لـ « أنليل » ممتلكات « كيش » التى شن الحرب عليها .

٦ — « أور — نانشه » ملك « لجش » ، (مزلاج باب).

« أور — نانشه » ، ملك « لجش » ، ابن « جونيدو » بن (جورمو) ، شيد بيت « نينجرسو » ، وشيد بيت «نانشه» وشيد بيت « جاتو مدوج » ، وشيد جناح الحرم ؛ وشيد بيت «نينبار» . وجلبت له سفن «دلمون» خشباً كأتاوة من أقطار أجنبية . وشيد الـ « ابجال » وشيد الـ « كينير » وشيد بيت — الصولجان (؟) .

٧ — (أور — نانشه » ملك « لجش » ، (لوح) .

« أور — نانشه » ، ملك « لجش » ، ابن «جونيدو» بن « جورمو » ، شيد بيت « نانشه » ، ونحت (تمثال) « نانشه » ، الملكة والسيدة وأقام سياج معبد « جيرسو » ، ونحت (تمثال) « شولشاجا » ، وشيد الـ «ابجال» ، ونحت (تمثال) « لوجالورو » . . . ؛ ونحت (تمثال) « لوجالورو » ، وشيد الـ « كينير » ، ونحت (تمثال) « نينباب » . . . . ونحت (تمثال) « نينجيردى » وشيد بيت«جاتومدوج» ونحت (تمثال) « جاتومدوج » ، وشيد الـ « بجارا » . وشيد جناح الحرم ، وأقام « آبزو » القنوات ، وشيد الـ « تيراش » .

٨ — « أور — نانشه » ملك « لجش » (مزلاج باب) .

عندما شيد « أور — نانشه » ، ملك « لجش » ، ابن « جونيدو » «جيرسو» مسكن «نينجرسو» ، كرس (له مزلاج الباب هذا)، وبنى (كذلك) بيت «نانشه» وشيد الـ « إبجال » ، وشيد الـ « بجارا » ، وشيد جنـاح الحرم ، وشيد بيت « جانومدوج » ، وشيد الـ « تيراش » .

٩ — « أياناتم » ملك « لجش » ، (آجرة) .

« أياناتم » ، أنسى « لجش » ، الذى مُنح القــوة من قبل « أنليل » ، والذى يغذى على الدوام من قبل «نينخورساج» بلبنـ (ـها)، والذى أعلن إسمه «نينجرسو»، والذى اختير من قبل « نانشه » فى قلبـ(ـها) ، ابن «أ كورجال» ، أنسى «لجش »، فتح بلاد « عيلام » وفتح « أوروآ » ، وفتح « أوما » ، وفتح « أور » . فى ذلك الوقت حفر بئراً وشيد (جدرانها) بآجر مفخور لـ « نينجرسو » فى باحة معبــده الواسعة . إن إلهه (أى إله أياناتم) هو « شولوتولا » . عندئذ أحب « نينجرسو » « أياناتم » .

(وينتهى النص هنا ، إلا أنه من المرجح أن يكون هذا مقتطفاً من نص طويل يتحدث عما فعله الإله « نيجنرسو » من أجل « أياناتم » بسبب حبه له) .

١٠—(أياناتم) ملك « لجش » . . (كتلة من الحجر)

لـ « نينجرسو » — « أياناتم » ، أنسى « لجش » ، الذى أعلن إسمه الإله « أنليل » ، والذى وهبه الإله « نينجزسو » القوة ، ومن اختارته الإلهــة « نانشه » فى قلبـ(ـها) ، الذى كانت تغذيه الإلهة « نينخورساج » دائماً بلبنـ (ـها) والذى سمته الإلهة « إينانا » بإسم حسن ، والذى وهبه الإله «أنكى» الفهم ، حبيب « دوموزى — آبزو » الذى يثق به « هنددورساج » ، صديق « لوجال لورو » المحبوب ، ابن « آ كورجال » أنسى « لجش » — جده (أى جد أياناتم) كان

« أور — نانشه » ، أنسي « لجش » — أعاد بناء « جيرسو » لـ « نينجرسو » ، وشيد له سور الـ « مدينه المقدسة » ، وشيد « نينا » لـ « نانشه » .

« أياناتم » فتح « عيلام » ، الجبل الشامخ وملأ تلول مدافنهم (أى ملأ مدافن العيلاميين) بالقتلى . لقد قهر حاكم «أوروآ» الذى وضع شعار مدينة «أوروآ» على رؤوسهم (أى رؤوس سكان مدينة أوروآ) وملأ تلال مدافنهم . لقد فتح « أوما » . وملأ تلال مدافنهم العشرين ، وأعاد إلى « نينجرسو » حقله المحبوب « جوايدينا »[1] . وفتح « الوركاء » ، وفتح « أور » ، وفتح « كى أوتو » وأحال « أوروآ » إلى أرض خربة (و) قتل حاكمها . وأنزل الدمار فى « ميشيمة » ، وهدم « آروآ » .

مع « أياناتم » ، الذى أعلن اسمه « نينجرسو » تحاربت الأقطار الأجنبية . وفى السنة التى هب فيها ملك « أكشاك » (للحرب) ، سدد « أياناتم » ، الذى أعلن اسمه « نينجرسو » ضربة لـ « زوزو » ملك « أكشاك » (فى المنطقة الممتدة) من « أنتاسورا » التابعة لـ « نينجرسو » إلى « أكشاك » وقضى عليه . فى ذلك الوقت حفر « أياناتم » قناة جديدة لـ « نينجرسو » وأطلق عليها اسم « لوماجيمدوج » ، على اسمه الـ « تيدنو »[2] ، وهو « لوما » أما « أياناتم » فقد كان اسمه السومرى .

لـ « أياناتم » ، أنسى « لجش » الذى أنجبه « نينجرسو » (فى فكره) أعطت « إينانا » ، لأنها أحبته ، ملكية « كيش » بالاضافة إلى حاكمية « لجش » .

لقد حارب (سكان) « عيلام » « أياناتم » ، وأرجع « أياناتم » (سكان) « عيلام » إلى بلادهم . وتحاربت معه « كيش » ، وأرجع ملك « أكشاك » إلى بلاده .

---

(١) مقاطعة بين « لجش » و « أوما » ، وكانت كل مدينة تحاول الاستيلاء عليها مما جعلها مصدرا للمشاكل بين المدينتين . (المترجم) .

(٢) يفترض بأنه اسم أطلقه عليه الشعب السامى « مارتو » الذى كان فى مقاطعة « تيدنو » الواقعة إلى الغرب من بلاد سومر . (المترجم) .

(أياناتم) ، أنسى «لجش» ، الذى جعل الأقطار الأجنبية تخضع لـ «نينجرسو» ، ضرب بلاد «عيلام» ، و «شوبور» ، و «أوروآ» على حـــدود (قناة) «أسوحور» . وضرب «كيش» و «أكشاك» و «مارى» فى «أنتاسورا» التابعة لـ «نينجرسو» .

لقد قوى (جانبي القناة) «لوّما جيمدوج» لـ «نينجرسو» وقدمه هدية له .
(عندئذ) أقام «أياناتم» ، الذى وهبه «نينجرسو» القـــوة ، خزاناً لقناة «لوّما جيمدوج» يحتوى (؟) على ٣٦٠٠ «جور» سعة كل منها «أول» (ربما حوالى ٧٥٦٠٠ غالونا) .

«أياناتم» ، الذى تصوره «نينجرسو» (فى فـكره) ، والذى شيد له إلهه (الشخصى) «شولوتولا» القصر «تيراش» للإله «نينجرسو» .
١١ — «أياناتم» أنسى «لجش» ، (مقتطفات من نص مدون على مسلة النسور) .

(ا) الأفضال الإلهية التى أنعم بها على «أياناتم» .

بـ «أياناتم» ... ، «إينانا» ابتهجت ، «إينانا» أمسكت بساعديه ودعته بالإسم «أى أنا — إينانا — أبجال كاكاتوم» (أى هو — الذى جدير بـ أى — أنا — إينانا — الإبجال) . (عندئذ) أجلسته على ركبة «نينخور ساج» اليمنى (فقدمت) «نينخورساج» ثديها الأيمن له .

بـ «أياناتم» ، البذرة التى زرعت فى الرحم من قبل «نينجور سو» ، ابتهج «نينجور سو» . وحدد (له) «نينجور سو» باعا (إضافياً) ، وحدد (له) من الأذرعة إلى حد خمس أذرع . (جاعلا أياها بذلك) خمس اذرع وباعاً واحداً . إن «نينجور سو» ... ببهجة شديدة .

(ب) قسم العهد :

« أيانا تم » وضع شبكة — « شوشكال » العائدة للإله « إنليل » فوق رجل « أوما » وأقسم (رجل أوما) له (أى لأيانا تم) . (وهذا هو) قسم رجل « أوما » لـ « أيانا تم » : « بحياة « أنليل » ، ملك السماء والأرض سآكل من حقول « نينجر سو » إلى حد « كارو » واحداً (فقط) ، وسأدعى (كحق لى) بالمنطقة الممتدة إلى السدة القديمة (فقط) . ولكن سوف لا أنتهك إلى أبد الآبدين حرمة حدود « نينجر سو » قط ، كما لا أتجاوز على سدوده وقنواته (التى تكون الحدود) كما لن أقتلع مسلاته . (وعلى كل حال) إذا اعتديت (على الحدود) ، عسى عندئذ أن تلقى على « أوما » من السماء شبكة « شوشكال » العائدة لـ « أنليل » ، الذى أقسمت به » .

أضف إلى ذلك أن « أيانا تم » تصرف بفطنة . فقد وضع على عين حمامتين بهاراً ونثر على رأسيهما أرزاً (؟) ثم جعلهما يؤكلان من أجل « أنليل » فى مدينة « نفّر » (مع ترديد العهد التالى) : « ما بقيت الأيام وما دام يُنطق بالكلمات ، لو نكث رجل « أوما » ، لا فرق بأمر من أو بطلب من عهد ، (ه) للمكى « أنليل » ، ملك السماء والأرض ، (عندئذ) عسى أن تُلقى علىّ « أوما » من السماء الشبكة « شوشكال » شبكة « أنليل » الذى أقسم (بحياته) فى اليوم الذى ينقض فيه ذلك العهد » .

(بعدئذ) وضع « أيانا تم » شبكة الـ « شوشكال » العائدة لـ « نينخور ساج » فوق رجل «أوما» وأقسم (رجل أوما) له (أى لأيانا تم) . (وهذا هو) ما أقسم به رجل « أوما » لـ « أيانا تم » : « بحياة نينخور ساج ، سآكل من حقول «نينجرسو» إلى حد « كارو » واحداً (فقط) ، وإلى حد السد القديم ، فقط سأدعى (به كحق من حقوق) : ولكن سوف لا أنتهك إلى أبد الآبدين حرمة حدود «دنينجرسو» ولا أتجاوز على سدوده وقنواته (التى تكوّن الحدود) ، كما ولن أقتلع

مسلاته . (بيد أنه) لو اعتديت (على الحدود) ، عندئذ عسى أن تُلقى عليَّ «أوما» من السماء الشبكة « شوشكال » العائدة لـ « نينخور ساج » .

أضف إلى ذلك أن « أيانا تم » تصرف بفطنة . فقد وضع على أعين حمامتين بهاراً ونثر على رأسيهما أرزاً (؟) وجعلهما يؤكلان من أجل « نينخور ساج » فى مدينة « كش Kesh » (مع ترديد العهد) التالى ، « ما بقيت الأيام وما دام يُنطق بالكلمات إذا نكث رجل « أوما » ، كان من كان من يأمره بذلك ، أو يطلب إليه ذلك ، عهده لامى «نينخور ساج» ، (عندئذ) فى اليوم الذى ينتهك فيه رجل «أوما» حرمة ذلك العهد ، عسى أن تُلقى على « أوما » من السماء الشبكة « شوشكال » العائدة لـ « نينخورساج » الذى أقسم بها « رجل أوما » .

(بعدئذ) وضع « أيانا تم » شبكة « شوشكال » العائدة للإله (أنكى) ، ملك « آبزو » فوق رجل « أوما » وأقسم (رجل أوما) له (أى لأيانا تم) . (وهذا هو) قسم رجل « أوما » لـ « أيانا تم » : « بحياة « أنكى » ملك الـ « آبزو » سآ كل من حقول (نينجرسو) إلى حد كارو واحداً (فقط) . وإلى حد السد القديم فقط سأدعى به (كحق لى) ، ولكن سوف لا أنتهك قط حرمة حدود « نينجرسو » إلى أبد الآبدين ، كما لن اعتدى على سدوده وقنواته (التى تكوّن الحدود) ولن اقتلع مسلاته . (بيد أنه) لو انتهكت حرمة (الحدود) عسى أن تلقى على « أوما » من السماء شبكة — « شوشكال » العائدة ل « انكى » ملك الـ « آبزو » الذى أقسمت به » .

أضف إلى ذلك أن (ايانا تم) تصرف بفطنة . فقد أطلق سراج . . . فى . . . العائد لـ « نينجرسو » وقطع سمك « سوحور » من الـ «آبزو» بأسنانه (مع ترديد الرجاء التالى) : « ما بقيت الأيام وما دام ينطق بالكلمات ، لو نكث رجل « أوما » كان من كان من يأمره بذلك أو يطلب إليه ذلك ، عهد (،) للمليكى « أنكى » ، (عندئذ) فى اليوم الذى ينتهك فيه حرمة ذلك العهد ، عسى أن تلقى عليَّ « أوما » من السماء شبكة — « شوشكال » العائدة لـ « أنكى » .

(بعدئذ) وضع « أياناتم » شبكة الـ « شوشكال » العائدة للإله « سين » ثور « أنليل » الشاب الجرىء ، فوق رجل « أوما » وأقسم رجل « أوما » له (أى لأياناتم) . (وهذا هو) قسم رجل « أوما » لـ «أيانا تم»: « بحياة سين ثور أنليل» الشاب الجرىء سآكل من حقول« نينجرسو »إلى حد كارو واحداً (فقط) وإلى حد السد القديم فقط سأدعى به (كحق لى) : ولكن لن أعتدى إلى أبد الآبدين على حدود «نينجرسو» ولا أتجاوز على سدود وقنوات (الحدود) ، كما لن اقتلع مسلاته . (بيد أنه) لو انتهكت حرمة (الحدود) عسى أن تُلقى على « أوما » من السماء شبكة الـ «شوشكال» العائدة للإله سين ثور «أنليل» الشاب الجرىء الذى اقسمت به » .

أضف إلى ذلك أن « أياناتم » تصرف بفطنة . (فمن الحمامات الأربع التى وضع على أعينها بهاراً ، ونثر على رؤسها أرزاً (؟) ، [جعل] اثنتين [تؤكلان] فى « أور » [من أجل نانا] (؟) ، واثنتين تؤكلان فى جا ايش (؟) من أجل «سين» (مع ترديد العهد التالى) : « ما بقيت الأيام وما دام ينطق بالكلمات ، إذا نكث رجل «اوما» ، كان من كان من يأمره بذلك او يطلب إليه ذلك، عهده لمليكى «سين»، ثور انليل الشاب الجرىء ، (عندئذ) عسى ان تلقى علىَّ أوما من السماء الشبكة «شوشكال» العائدة لـ « سين » ثور «أنايل» الشاب الجرىء الذى أقسم به فى اليوم الذى ينكث فيه ذلك العهد .

(بعدئذ) وضع « أياناتم » شبكة الـ « شوشكال » العائدة للإله « أوتو » ملك الـ . . . . فوق رجل « أوما » له (أى لأياناتم) . (وهذا هو) قسم رجل « أوما » لـ « أياناتم » : « بحياة « أوتو » ملك الـ . . . ! سآكل من حقول « نينجرسو » إلى حد « كارو » واحداً (فقط) ، وإلى حد السد القديم (فقط) سأدعى به (كحد لى) ، ولكننى لن أعتدى إلى أبد الآبدين على حدود « نينجرسو » ، كما لن أنتهك حرمة سدوده وقنواته (التى تكون الحدود) ، ولن اقتلع مسلاته (غير أنه) لو اعتديت (على الحدود) عندئذ عسى أن تُلقى علىَّ

« أوما » من السماء الشبكة الـ « شوشكال » العائدة لـ « أوتو » ملك الـ . . .
الذى أقسمت بحياته » .

أضف إلى ذلك أن « أياناتم » تصرف بفطنة . فقد وضع على أعين حمامتين بهاراً ونثر على رأسيهما أرزاً (؟) وجعلها تؤكلان من أجل « أوتو » ملك الـ ... ، فى « لارسا » ، عند الـ ... « أى بابار » (مع ترديد العهد التالى) : « ما بقيت الأيام وما دام يُنطق بالـكلمات لو نـكث رجل « أوما » ، كان من كان من يأمره بذلك أو يطالب إليه ذلك ، عهد (ه) لمـكى « أوتو » (عندئذ) ، فى اليوم الذى ينكث فيه ذلك العهد ، عسى أن تلق علىَّ « أوما » من السماء الشبكة « شوشكال » العائدة لـ « أوتو » ، ملك الـ ... الذى أقسم بحياته » .

(بعدئذ) [وضع (؟)] « أياناتم » حية « نينكى » [أمام (؟)] رجل « أوما » ، ونطق (رجل أوما) باسم « نينكى » (أى أقسم بهـا) ، (وهذا هو) قسم رجل « أوما » لـ « أياناتم » : « بحياة « نينكى » سآكل من حقول « نينجرسو » إلى حد « كارو » واحداً (فقط) ، وإلى حد السد القديم فقط سأدعى به (كحق لى) ولـكننى إلى أبد الآبدين لن انتهك حرمة الحدود ، كما لن أعتدى على سدود (ه) وقنواته (التى تـكوّن الحدود) . (غير أنه) لو اعتديت عليها (أى على الحدود) ، (عندئذ) عسى أن تخرج « نينكى » الحية التى نطقت باسمها ، من الأرض لتغرز أنيابها فى قـدم « أوما » ، وفى اللحظة التى تعبر فيه مدينة « اوما » ذلك السد ، عسى أن تقتلع « نينكى » قدمه (أى قدم رجل اوما من الأرض .

أضف إلى ذلك أن « أياناتم » تصرف بفطنة ...(*) (مع ترديد العهد التالى) : ما بقيت الأيام ، وما دام يُنطق بالـكلمات، إذا نكث رجل « أوما » ، كان من كان من

(*) تتوقع وجود وصف فى هـذه الثغرة لعمل طقوسى يقوم به « أياناتم » مماثل ، مثلا ، لإرساله الحمام الذى ورد فى بعض الفقرات المتطابقة السابقة .

يأمره بذلك أو يطلب إليه ذلك ، عهد (،) لأمى « نينكى » ، (عندئذ) فى اليوم الذى ينتهك حرمة ذلك العهد ، عسى أن تخرج « نينكى » الحية ، التى أقسم بحياتها ، من الأرض لتغرس أنيابها فى قدم «أوما» ، (وفى اللحظة) التى تعبر فيها مدينة «أوما» ذلك السد القديم ، عسى أن تقتلع « نينكى » قدمه (أى قدم رجل الوما) من الأرض » .

(ج) سم المسلة :

إن اسم المسلة هو : « نينجرسو » ، سيد التاج المثمر ، حيـــاة — القناة — « أوجيدينا » . وهـــذا ليس اسم رجل . إنه فى الواقع اسم (المسلة) (أى) اسم مسلة « جوايدينا » ، حقـــل « نينجرسو » المحبوب ، الذى أعاده « اياناتم » لـ (نينجرسو) .

« ايناناتم » ، الذى (يستخدمه) « نينجرسو » لقهر أقطار أعداء .

١٢ — « إيناناتم » الأول ملك « لجش » ، (هاون من حجر الديورايت) .

لـ « نينجرسو » فارس « إنليل » الأول — « إيناناتم » أنسى « لجش » ، الذى (يستخدمه) « نينجرسو » لقهر أقطار الأعداء ، ابن « اكورجال » أنسى « لجش » ، أمر بصنع هاون لسحن البصل وكرسه من أجل (إطالة) حيـــاته لـ « نينجرسو » فى الـ « انيينوم » .

١٣ — « إيناناتم » الأول ملك « لجش » ، (رأس هراوة من الحجر) .

(برا كيسومون) (؟) ، خادم « إيناناتم » ، إنسى « لجش » ، الـ « سوكال » كرسه (أى رأس الهراوة) لـ « نينجرسو » فى « إنينو » من أجل حياة ملـكه « إيناناتم » .

١٤ — « إينتسينا » ملك «لجش» . (مخاريط)

« إنليل » ملك الأقطار جميعها ، والد الآلهة كلها ، حدد حدود « نينجرسو » و « شارا » بكلمته الثابتة ، وقام « ميسيليم » ملك « كيش » بتحديد أبعادها وفقاً

لـكلمة «ساتران» وأقام مسلة هناك . (ولـكن « أوش » ، إنسى « أوما » انتهك حرمة (كل من) قرار (الآلهة) والعهد (الذى تعهد به كرجل لرجل) واقتلع مسلتها (أى مسلة الحدود) ودخل سهل « لجش » .

(عندئذ) دخل « نينجرسو » ، فارس « إنليـل » الأول ، معركة مع (رجال) « أوما » وفقاً لـكلمته (أى كلمة إنليل) الصريحة ، وبكلمة « إنليل » ألقى عليهم الشبكة العظيمة وكدس السهل بأكوام هياكلهم العظيمة (؟) فى أماكنهم (المتعددة). (وكنتيجة لذلك) حدد « إياناتم » إنسى « لجش » ، عم «إينتمينا». إنسى «لجش» بالاشتراك مع « إينا كالى » ، إنسى « أوما » الحدود ، فجعل خندقها (الذى يمثل الحدود) يمتد من قناة « إدنون » إلى « جوايدينا » ، وكتب على (عدة) مسلات ووضعها على طول ذلك الخندق ، وأعاد مسلة « ميسيليم » إلى مكانها (السابق) ، (ولـكنه) لم يدخل سهل « أوما » . (عندئذ) بنى هناك الـ « أمدويا » العائدة لـ « نينجرسو » والـ «نامننوندا ـــ كيجيرا » بالإضافة إلى مزار « إنليل» ومزار « نينخروساج » ومزار « نينجرسو » ومزار « أوتو » :

(أضف إلى ذلك ، إنه بعد أن تمت تسوية الحـــدود) ، أصبح بإمكان ســكان « أوما » أن يأكلوا شعير (الآلهة) « نانشه » وشـــعير (الإله) « نينجرسو » بمقدار « كارو » واحد (لـكل فرد من ســكان أوما) بصفة (فقط) . وفرض « أياناتم » (أيضاً) ضريبة عليهم (وبذلك) حقق لنفسه ١٤٤٠٠٠ « كارو » « كبير » (كدخل له) .

ولأن هذا الشعير لم يُدفع — (من جانب أن) « أور — لوما » أنسى « لجش» حرم قناة حدود «نينجرسو» وقناة حدود «نانشه» من الماء واقتلع من الماء مسلات (قناة الحدود) وأحرقها ، وهـــدم مزارات الآلهة المـكرسة (؟) التى شيــدت فى «نامننوندا — كيجارا» ، وحصل على (عون من) الأقطار الأجنبية ، (وأخيراً) عبر قناة حدود « نينجرسو » ، — (بسبب كل تلك الأعمال) دخل « إيناناتم » فى حرب

معه فى الـ « جانا — أوجيجا » ، (حيث تقع) حقول ومزارع « نينجرسو » وأوقع به « إينتيميما » بن « أينانا تم » المحبوب الهزيمة . (عندئذ) هرب « أور — لوما » (على حين) قام « إينتيميما » بذبح (جنود أوما) (بعد أن لاحقهم) إلى داخل « أوما » (نفسها) ، (أضف إلى ذلك) أنه قام بالقضاء (؟) على قوته (أى قوات أور — لوما) المختارة (المؤلفة من) ستين جنديا على ضفة قناة « لوما جيرنونتا » . (أما بالنسبة) لرجالها (أى رجال أوما المحاربين) فإنه (أى إينيتيمينا) ترك جثثهم فى السهل (لتلتهمها الطيور والوحوش) (ومن ثم) كدس هيا كلهم العظيمة (؟) فى خمسة أماكن (متفرقة) .

« بيد أنه) فى ذلك الوقت قام « إيل » ، رئيس معبد « زابالام » بتدمير (؟) (البلاد) من « جيرسو » إلى » أوما » . واستولى « إيل » على أنسية « أوما » وقطع الماء عن قناة حدود « نينجرسو » وقناة حدود « نانشة » وعن « أمدوبا » « نينجرسو » وعن تلك القطعة (من الأرض الصالحة للزراعة) من قطع «جيرسو» التى تقع باتجاه نهر دجلة ، وعن « ناموندا — كيجارا) « نينخورساج « ولم يدفع (أكثر من) ٣٦٠٠ « كارو » من الشعير (المستحق عليه لمدينة) لجش » . وعندما كان « إينتيميما » أنسى « لجش » يبعث باستمرار رجاله إلى «إيل» بسبب تلك القناة (التى تكون الحدود) كان « إيل » إنسى « أوما » ، ناهب الحقول والمزارع ، الناطق بالشر ، يقول : « أن قناة حدود «نينجرسو» وقناة نانشه التى تكونّن الحدود تعودان لى » . (بل بلغ به الأمر) أن قال : (فى الواقع) «إننى سأمارس السلطة من أنتاسورا إلى معبد ديمجال — آبزو » ، غير أن « إنليل » و « نينخورساج لم يمنحاه هذا الحق .

« إينتيميما » أنسى «لجش» الذى أعلن اسمه «نينجرسو» ، حفر هذه القناة (التى تحدد الحدود) من نهر دجلة إلى «أدنون» وفقاً لأمر «إنليل» الصريح ، ووفقاً لأمر «نينجرسو» الصريح ووفقاً لـكلمة «نانشه» الصريحة ، وأعادها للـكته المحبـوبة «نانشه» بعد أن شيد أساس الـ «نامنوندا — كيجارا» بالآجر . عسى «شولوتولا»

إله «إينتيمينا» أنسى «لجش» ، الذى وهبه «أنليل» الصولجان ، والذىوهبه «أنكى» الفهم ، والذى اختارته « نانشه » فى قلب (ـها) ، أنسى « نينجرسو » العظيم ، الرجل الذى تسلم أوامر الآلهة ، أن يقف (أى الآله شولوتولا) إلى الأبد حرفياً « إلى الأيام البعيدة » فى حضرة « نينجرسو » و « نانشه » (ويتضرع إليهما) من أجل حياة « إينتيمينا » .

إن رجل «أوما» الذى سيعبر (فى أىوقت فى المستقبل) قناة حدود «نينجرسو» وقناة حدود « نانشه » ليستولى على الحقول والمزارع بالقوة — سواء أكان هو (حقاً) من « أوما » أو كان أجنبياً — عسى أن يدمره « أنليل » — وعسى أن ينزل عليه « نينجرسو » ، بعد أن يرمى شبكته العظيمة عليه ، بيده العظيمة وبقدمه الرفيعة ، وعسى أن يضربه سكان مدينته بعد ان يثورا عليه ، فى وسط مدينته .

١٥— « إينتيمينا » ملك « لجش » (آجرة)

من أجـل « نينجرسو » فارس « أنليـل » الأول ، « إينتيمينا » أنسى « لجش » ، الذى الذى اختارته « نانشه » فى قلبها ، أنسى « نينجرسو » العظيم ، عمل « إيماخ » الحدود الذى أقيم من قبل « أنليل » لـ « نينجرسو » ، «أنتيمينا» لـ « نينجرسو » ، مليكه الذى يحبه ، جعله (اى الإيماخ) يمتد من الـ «أودنون» إلى « موبيكور » (؟) ، (و) اقام له (هناك) مسلات الحقول والمزارع (الواقعة على) حدود « نينجرسو » . إن إله « إينتيمينا » (الشخصى) الذى شيد « إيماخ » « نينجرسو » ، هو « شولوتولا » .

١٦— « إينتيمينا » ملك « لجش » (مزلاج باب)

لـ « نينجرسو » ، فارس « أنليل » الأول ، شيد « إينتيمينا » بيت العـربة . إن إله « إينتيمينا » ، الذى شيد بيت العربة ، هو « شولوتولا » .

١٧ — « إينتيمينا » ملك « لجش » (آجرة)

عسى أن يقف « شولوتولا » ، إله « إينتيميمنا » ، أنسى « لجش » ، الذى اختارته « نانشه » فى قلبها ، أنسى « نينجرسو » العظيم ، ابن « إيناناتم » ، أنسى « لجش » ، الرجل الذى شيد الـ « ايشجى » لـ « نينجرسو » ، إلى الأبد (حرفياً : « إلى الأيام البعيدة ») فى حضرة « نينجرسو » — « نينجرسو » فارس « أنليل » الأول — فى الـ « إينيتو » (ويتضرع إليه) من أجل حياته (أى حياة إينتيمينا) .

١٨ — « إينتيمينا » ملك « لجش » (مسمار طينى)

لـ « نانشة » إلهة (معبد) « أى — إينجورا » ، شيد « إينتيمينا » ، أنسى « لجش » الذى اختارته « نانشه » فى قلبها ، أنسى « نينجرسو » العظيم ، ابن « إيناناتم » ، أنسى « لجش » الـ « أى — إينجورا » (بيت العمق) ، وزين لها « بستان » النخيل بالذهب والفضة . لقد جلبه (اى المسمار الطينى) إلى الـ « أى — إينجورا » وأودعه (هناك) من أجلها (أى نانشه) .

١٩ — « إينتيمينا » ملك « لجش » (حجـــر)

لـ « نينجرسو » فارس «أنليل» الأول — لقد شيد « إينتيمينا » أنسي «لجش» ابن « إيناناتم » ، أنسى « لجش » قصر « إنتاسورا » لـ « نينجرسو » وزينه بالذهب والفضة . لقد أقام له حديقة الـ . . . . وحفر آباراً (شيد جدرانها) بالآجر المفخور . فى ذلك الوقت ، شيد عبده « دودو »[1] ، «سانجا »[2]«نينجرسو» ، الـ«داسيلا»

(١) كان « دودو » كاتباً سومرياً عاش حوالى عام ٢٣٨٠ (المترجم) .

(٢) « السانجا » هو الـكاهن الذى يقوم على إدارة المعبد ، ويكون الـكهان الذين يتولون المنصب طبقة قائمة بذاتها . (المترجم) .

جدار « جوايدينا » وسماه « أى — إيجى — إيل — أيدينا » (أى « بيت السهل الذى يفتح العين ») . وشيد جدران أرصفة عبارات « جيرسو » النهرية وسماها « اينزيشجال » (« السيد — الذى — يعطى — نفسى — الحياة ») . عسى أن يسجد إلهه (الشخصى) « شولولوتا » (مصلياً) أمام « نينجرسو » فى الـ « إينينو » من أجل حياته (اى حياة اينتمينا) .

٢٠— « اينتمينا » ملك « لجش » (إناء فضى)

لـ « نينجرسو » فارس « أنليل » الأول — « أنتيمينا » أنسى « لجش » الذى اختارته « نانشه » فى قلبها ، أنسى « نينجرسو » العظيم ، ابن « إينانا تم » أنسى « لجش » ، صنع لـ « ننجرسو » الملك الذى يحبه ، إناء من فضة نقية ومن حجر (؟) ليشرب فيه « نينجرسو » ، وجلبه إلى « نينجرسو » فى الـ « إينينو » من أجل حياته .

فى ذلك الوقت كان « دودو » هو الـ « سانجا » لـ « نينجرسو » .

٢١— « دودو » (كتلة حجر صغيرة مربعة الشكل)

لـ « نينجرسو » (فى معبـــد) « إينينو » ، جلب « سانجا » « نينجرسو » جلبه (هذا الحجر) من « إوروا » وصنع منه رأس هراوته .

« دودو » « سانجا » « نينجرسو » الأول . (كتابه بالقرب من صـــورة رجل محفورة) .

٢٢— « ايناناتم » الثانى ملك « لجش » (مزلاج باب) .

لـ « نينجرسو » ، فارس « أنليل » الأول — لقد جدد « إيناناتم » ، أنسى « لجش » ، الذى اختـــارته « نانشه » فى قلبها ، أنسى « نينجرسو » العظيم ، ابن

« إينتيمينا » ، أنسى « لجش » ، لـ « نينجرسو » معصرة خمرة . إن إله « إينانا تم » (الشخصى) ، الرجل الذى جدد معصرة خمر « نينجرسو » ، هو « شولوتولا » .

٢٣ — «أوروكا جينا»[1] ملك «لجش» (رقعة من الطين على شكل زيتونة).

إن اسم (هذه الرقعة الطينية) هو — « نينجرسو » تـكلم (بعطف) مع «باو» فى معبد (الوركاء) بشأن خير « أوركا جينا » .

٢٤ — «أوركا جينا» ملك « لجش » (مخاريط)

لـ « نينجرسو » ، فارس « أنليل » الأول ، شيد « أوركا جينا » ملك « لجش » القصر « تيراش » وشيد له الـ « أنتاسورا » ، وشيد بيت « باو » لها (أى لباو) ، وشيد الـ « بورساج » ، بيته الـ « سادوج » له (أى لينجرسو) ، وشيد سقيفة جز صوف الغنم فى « المدينة المقدسة » لها (أى لباو) ، وحفر لـ «نانشه» الـ «ايدناندو» « القناة — الذاهبة — إلى — نينا » ، قناتها المحبوبة ، وجعل مستودع مائها كأنه فى وسط المحيط ، وشيد سور « جيرسو » له (أى لينجرسو) .

منذ القدم فى سالف الدهور ، من (اليوم) الذى خرجت فيه بذرة (الإنسان) كان الرجل الموكل بالملاحين يستحوذ على السفن ، وكان رئيس الرعاة يستحوذ على الحمير ، وكان رئيس الرعاة يستولى على الأغنام ، وكان الرجل الموكل بمصائد الأسماك يستولى على مصائد الأسماك ، وكانت جرايات شعير كهنة الـ « جودا » توزن (لغير صالحهم) فى الـ « آشتى » (الذى يفترض بأنه كان مخزن الحاكم) . وكان على رعاة الأغنام التى تحمل الصوف أن يدفعوا فضة (إلى الأنسى) من أجل (جز صوف) الشاة البيضاء . وكان على الموكل بمساحى الحقل ، ورئيس الـ « جالا » والـ « آجريج » والرجل الموكل عن التخمير وجميع الـ « أوجولا » أن يدفعوا الفضـــة من أجل جز صوف غنم

---

(١) آخر ملوك « لجش » فى عصر فجر السلالات ، اشتهر بإصلاحات الأجتماعية التى قدم المؤلف لها الصفحات التالية (المترجم) لا

الـ « جابا » وكانت ثيران الآلهة تحرث قطع أرض الأنسى المخصصة لزرع البصل ، وكانت حقول الأنسى المخصصة لزراعة البصل والخيار تقع فى أحسن حقول الإله . وكانت حمـــير الـ « بيرا» وأحسن ثيران الـ « سانجا » ترسل (كضرائب على ما يفترض إلى الأنسى) . وكانت حاشية الأنسى تقسم شعير الـ «سانجا» (لغير صـــالح السانجا) ، وكانت أردية الـ «سانجا» ، (تأتى هنا قائمة تحتوى على خمس عشرة مادة ، بالدرجة الأولى من الملابس ، لا يمكن معرفة أغلبها) تؤخذ كضريبة (إلى قصر الأنسى) . وكان الـ « سانجا » الموكل (بتجهيزات) الطعام يقطع أشجار حديقة الأم الساخطة ويأخذ الفاكهة .

لقد كانت جعة الذى يأتى بالميت إلى المقبرة (لدفنه) — (أى الجعة التي يتقاضاها كأجر له عن ذلك) ٧ أباريق وكان (عدد أرغفة) خبزه ٤٢٠ . وكان الـ . . . . (موظف لا يمكن تحديد هويته) يستلم ٢ « أول » من شعير الـ « حازى » ، ورداء واحداً ، ومسند رأس واحداً ، وسريراً واحداً . وكان الـ « لوديما » يستلم « أول » من الشعير .

وكانت جعة من يأتى بمواطن ليستريح بين قصب «أنكى» — ٧ أباريق ، وكان (عدد أرغفة) خبزه ٤٢٠ ، وكان الـ . . . (موظف غير محـــدد الهوية) يتسلم ٢ « اول » من الشعير وسريراً واحداً وكرسياً واحداً . وكان الـ « لوديما » يتسلم «أول» من الشعير .

لقد كان على الصناع ان يتسولو من أجل الحصول على خبزهم (حرفياً : كانوا يأخذون خبز التوسل) ، وكان على أصحاب المهن أن يلتقطوا فضلات الطعام (؟) عند البوابة العظيمة .

وكانت بيوت الأنسى وحقول الأنسى ، وبيوت وحرم (القصر) وحقول حرم (القصر) وبيوت أطفال (القصر) وحقول أطفال (القصر) تزاحم بعضها البعض . وكان جباة الضريبة منتشرين (فى كل مكان)من حدود «نينجرسو» إلى البحر .

وإذا حفر تابع (من اتباع) الملك بئراً فى أعلى جزء من حقله ، كان يقبض على رجل أعمى (ليستخرج الماء وكان لا يمده على ما يفترض بما يكفيه من الطعام والشراب) وإنه (أى تابع الملك) كان يقبض على رجل أعمى من أجل سحب ماء الـ «موشدو» الذى (يغمر) الحقل (لتخفيف الحقل على ما يفترض إذا كان ذلك ضرورياً ولا يمده بما يكفيه من الطعام والشراب) .

هذه كانت ممارسات الأيام السابقة (الاجتماعية) .

(ولكن) عندما وهب « نينجرسو » فارس « أنليل » الأول ، ملكية إلى « أوروكا جينا » وأمسكت به يده (أى يد نينجرسو) من بين الجموع (حرفيا : « ٣٦٠٠٠ رجل ») عندئذ فرض « نينجرسو » عليه (حرفياً « وضع له » قرارات الأيام السالفة (الإلهية) .

وتمسك « أوروكا جينا » بشدة بالكلمة التى قالها له مليكه « نينجرسو » ومنع (حرفياً : « ألقى بعيداً ») الرجل الموكل بالملاحين من « الاستحواذ » على السفن . ومنع رئيس الرعاة من (الاستحواذ) على الحمير والأغنام . ومنع ناظر مصائد الأسماك من (الاستحواذ على) مصائد الأسماك . ومنع الرجل الموكل بالمستودع من (وزن) مؤنة كهنة — الـ « جودا » من الشعير . ومنع مأمور التنفيذ (رئيس الشرطة) من (تسلم) الفضة (المدفوعة عن جز صوف) الأغنام البيضاء . وخراف الـ « جودا » . ومنع المأمورين من أخذ الضريبة من مديرى المعابد (من طبقة السانجا) التى (كانت) تؤخذ (عادة إلى القصر) .

لقد جعل « نينجرسو » ملكا على بيوت الأنسى وحقول الأنسى . وجعل «باو» ملكة على بيوت حرم (القصر) وحقول (القصر) . وجعل « شولشاجانا » ملكا على بيوت أطفال (القصر) وحقول أطفال (القصر) . ولم يعد هناك جباة للضرائب من حدود « نينجرسو » إلى البحر .

وكانت جعة من يأتى بالميت إلى المقبرة (للدفن) ثلاثة أباريق (فقط) ، وكان

(عدد أرغفة) خبزه ٨٠ (فقط) . وكان الـ ... (موظف هويته غير معروفة) يتسلم سريراً واحداً (فقط) . ومسند رأس واحداً . وكان الـ « لوديا » يستلم ٣ « بان » (½ أول) من الشعير (فقط) وكانت جعة من يأخذ مواطنا (ليستريح) بين قصب « أنكى » — أربعة أباريق (فقط) وكان (عدد أرغفة) خبزه ٢٤٠ (فقط) وكان الـ ... (موظف هويته محدودة) . يتسلم « أول » واحداً (فقط) من الشعير . وكان الـ « لوديا » يتسلم ٣ « بان من الشعير (فقط) . وكانت الـ « نيندنجير » تتسلم عصابة رأس امرأة واحدة . و « سيلا[1] واحدة من الزبدة .

(ويسجل النص عند هذه النقطة إصلاحا يبدو بأنه كان أمراً جديداً وليس معالجة إصلاحية لممارسة من الممارسات السيئة التي كانت موجودة في السابق ، وهو : كميات وأنواع متعددة من الخبز والجعة كانت تعطى كمؤنة ثابتة إلى أفراد معينين مثل كاهن « جيرسو » من طبقة كهان الـ « جالا » وكاهن « لجش » من طبقة الـ « جالا » وكذلك إلى كهان آخرين من طبقة الـ « جالا » وإلى رابطة أصحاب الحرف وإلى موظفين لا يمكن تحديد هوياتهم من مدينة « نينا » ، وعمال معينين ممن فقدوا بصرهم، وعمال آخرين . وبعد هذا يواصل النص بتعداد إصلاحات المساوىء السابقة) .

إنه (أي أوروكا جينا) قضى على (ضرورة قيام) أصحاب الحرف (بالتقاط) فضلات طعام (؟) البوابة . وقضى على (اضطرار) الصناع على الاستجداء من أجل الحصول على خبزهم ، ولم يعد الـ « سانجا » (المسؤول) عن (إمدادات) الطعام (يجرأ) على الدخول إلى حديقة الأم الساخطة (كي يقطع الأشجار ويأخذ الفاكهة).

إنه (أي أوروكا جينا) أعلن (كذلك هذين الأمرين) : (١) عندما يولد حمار لتابع من أتباع ملك ويقول له رئيسه « أريد أن أبتاعه منك » . ولكن عندما يكون هو (أي الرئيس) على وشك ابتياعه منه ويقول له (تابع الملك) « ادفع لي بقدر ما أراه مناسباً » (حرفياً : « زن لي من الفضة التي تسعد قلبي ») ، ثم إذا رفض

---

(١) تعادل الـ « سيلا » ٨٥٠./٠ من اللتر . (المترجم)

بيعه (حرفيا : « لا يسمح له بأن يشترى منه ») فعلى الرئيس ألا يضطره إلى فعل ذلك (حرفيا : « يجب ألا يضربه » من أجل أن يضطره على القبول) . (٢) عندما يكون بيت تابع ملك إلى جوار بيت « رجل كبير » ويقول له ذلك « الرجل الكبير » « أريد أن أبتاعه منك » وعندما يكون (« الرجل الكبير ») على وشك أن يشتريه منه، ولكن (تابع الملك) يقول له «أدفع لى بقدر ما أراه مناسبا» (أو) « أدفع لى شعيرا يعادل بيتى » ثم إذا رفض بيعه يجب على ذلك « الرجل الكبير » ألا يكرهه على فعل ذلك .

إنه (أى أوروكاجينا) عفى عن « مواطنى » « (حرفيا « أبناء » « لجش » الذين (كانو فى السجون بسبب) الديون (التى وقعت عليهم) ، (أو بسبب) كميات (القمح التى يدعيها القصر) كحق (له) ، (أو بسبب) الشعير (الذى يدعى القصر بأنه يعود) لمخازنه ، (أو بسبب) سرقة أو قتل ، وأطلق سراحهم .

(وأخيراً) أخذ « أوروكاجينا » عهداً على نفسه فى حضرة « نينجرسو » بأن على أى رجل سلطة ألا يقترف (إثما) ضد يتيم أو أرملة قط .

لقد حفر « أوروكاجينا » خلال هذه السنة لـ « نينجرسو » القناة الصغيرة العائدة لـ « جرسو » (ربما حرفيا : « التى تمتلكها جيرسو ») وسماه بأسمه القديم (أو ربما بالعكس ، ألغى أسمه القديم) ، مسميا إياه « نينجرسو — الذى — هو — قوى — خارجا من — نفّر) » . . . لقد أوصله بقناة « نينانَدو » (قائلا) : « عسى أن تجلب القناة الصافية التى « قلبها مشع ماءنقياً لمانشه » .

٢٥ — « أوروكاجينا » ملك « لجش » (مخروط) :

(تبدأ هذه الكتابة بجدول يحتوى على الأعمال البنائية التى أنجزها « أوروكاجينا » فى « لجش » لآلهتها المتعددة . وبعد الجدول مباشرة يشرع النص بتعداد الإصلاحات العديدة للمساوىء التى كانت سائدة فى بلاد سومر قبل عهده) :

فى تلك الأيام ، عندما وهب « نينجرسو » فارس « أنليل » الأول ، ملكية

«جيرسو» إلى «أوروكاجينا»،وأمسكت به يده (أي يد نينجرسو) من بين الجموع ، (حرفياً: «٣٦٠٠٠ رجل عندئذ (حرر) «أوروكاجينا» سكان «لجش» (من المظالم التالية):

كان الرجل الموكل بالملاحين معتاداً على اغتصاب السفن . وكان رئيس الرعاة معتاداً على الاستحواذ على الحمير والغنم . وكان الرجل الموكل بمصائد الأسماك معتاداً على الأستيلاء على مصائد الأسماك . وكانت مؤن كهنة الـ «جودا» من الشعير توزن عادة (لغير صالحهم) في الـ «آشتى» . وكان رعاة الغنم التي تحمل الصوف معتادين على دفع الفضة من أجل (جز صوف) الشياه البيضاء . وكان (جميع) (الموظفين) ، كالرجل المسؤول عن مساحي الحقل ، ورئيس الـ «جالا» ، والموكل بأعمال التخمير ، والـ «اجريج» والـ «أوجولا» معتادين على دفع الفضة من أجل (جز صوف) خراف الـ (جابا) .

(وبعد ثغرة صغيرة ، يستمر النص على الوجه التالي) :

إن الـ «سانجا» (المسؤول) عن (إمدادات) الطعام لم (يجرأ على) حديقة الأم الساخطة ولم يقطع الأشجار ولم يأخذ الفاكهة .

إن من كان يأتى بالميت إلى المقبرة (للدفن — كانت جعته ٣ أباريق (فقط) وكان (عدد أرغفة) خبزه ٨٠ (فقط) . وكان الـ ٠٠٠ (موظف غير محدد الهوية) يأخذ سريراً واحداً ومسند رأس واحداً (فقط) . وكان الـ «لوديما» يتسلم «بان» واحداً (فقط) من الشعير . ومن يأتى بمواطن (ليستريح) بين قصب «أنكى» كانت جعته ٤ أباريق (فقط) . وكان (عدد أرغفة) خبزه ٤٠٠؟ (فقط) . وكان الـ ٠٠ (موظف غير محدد الهوية) يتسلم «أول» واحداً (فقط) من الشعير . وكان الـ «لوديما» «يتسلم ٣ «بأن» من الشعير (فقط) .

أما بالنسبة لبيوت الأنسى ، وحقول الأنسى وممتلكات الأنسى — فإن الإله «نينجرسو» أصبح هو الملك (عليها) وأما بالنسبة لبيوت حرم (القصر) وحقول حرم (القصر) وممتلكات حرم (القصر) فأن الإلهة «باو) أصبحت (الآن) هى الملكة

(عليها) . وأما بالنسبة لبيوت أطفال (القصر) وحقول أطفال (القصر) فأن (شولشاجنا » أصبح (الآن) هو الملك (عليها) .

(وهنا يأتى الأمر الجديد الذى وصف فى الوثيقة السابقة . وبعد هذا يواصل النص تعداد إصلاحات المظالم السابقة) :

لقد قضى (على ضرورة التقاط) أصحاب الحرف فضلات طعام (؟ (البوابة) . وقضى على (ضرورة) تسول الصناع للحصول على خبزهم .

أما بالنسبة إلى « مواطنى » (حرفياً : « أبناء ») « لجش » الذين (كانوا فى السجون بسبب) الديون التي تحققت عليهم — (أو بسبب) كميات (القمح الذى يدعى القصر بعائديتها له) أو بسبب الشعير (الذى يدعى القصر بعائديته لـ) مخازنه (او بسبب) سرقة أو قتل — فإن « أوروكا جينا » الذى تسلم ملكية « جيرسو » أطلق سراحهم .

٢٦ — « أوروكا جينا » ملك « لجش » (لوحة بيضوية الشكل) :

(بعد ثغرة صغيرة ، يبدأ النص بوصف مظلمة غامضة المعنى فى الواقع . وتقرأ على الوجه التالى) .

إذا ابتيعت أغنام ، فإن الرجل (المتنفذ) كان معتاداً على أخذ أحسن هذه الأغنام لنفسه .

(ثم يواصل النص) : كانت مؤن الكهنة من طبقة الـ « جودا » من الشعير توزن فى الـ « آشتى » (لغير صالحهم) . (وفى الوقع) كانت مخازن مؤونتهم من الشعير تبنى فى الـ « آشتى » وكانت . . .

إذا جلب الـ « آجريج » والـ « أوجولا » والـ « جالا » والحراث ، والموكلون بالتخمير أغناما تحمل الصوف إلى القصر وجز صوفها هناك فإذا كانت الأغنام بيضاء

اللون ، كان عليهم أن يدفعوا ٥ « شيقلات[1] من الفضة عن صوف الغنم (حرفياً : « صوفها ») التى جلبت إلى القصر .

وكانت ثيران الآلهة تحرث أراضى الأنسى المخصصة لزراعة البصل وكانت حقول البصل والخيار العائدة للأنسى تقع فى أحسن حقول الآلهة .

إذا قبض تابع ملك على رجل أعمى من أجل (سحب) ماء الـ « موشدو » الذى (يملأ) الحقل ، كان لا يعطيه (شيئاً) ليأكله (غمير) فضلات الطعام (؟) ، كما لا يقدم له ماء للشرب ، ولا يعطى الحمار (المستخدم من قبل الرجل الأعمى) ماء شرب .

وإذا حفر ابن رجل فقير حوض سمك ، كان بمقدور الرجل (المتنفذ) أن يأخذ سمكه . وكان ذلك الرجل ينجو من العقاب .

إذا طلق رجل زوجته ، كان الأنسى يتقاضى ٥ « شيقلات » من الفضة وكان الـ « سوكال ماخ » يتقاضى « شيقلا » واحداً من الفضة . وإذا هيأ صانع عطور(؟) زيتاً للـ « رأس » كان الأنسى يتقاضى ٥ « شيقلات » من الفضة ، وكان الـ « سوكال ماخ » يتقاضى « شيقلا » واحداً من الفضة وكان الـ « أيجال » يتقاضى « شيقلا » واحداً من الفضة .

(ثم يعقب هذا وصف حالة من حالات الظلم الغامضة بسبب حالة النص السيئة ثم يستمر النص بعد فراغ كبير بتعـــداد الإصلاحات التى يمكن إعادة كتابتها جزئياً بالشكل التالى :

إذا طلق رجل زوجته ، فلا الأنسى ولا الـ « سوكال ماخ) كانا يتقاضيان أى فضة (كأجر لهما) . وإذا هيأ صانع عطور (؟) مستحضر زيت « رأس » ، فلا

---

(١) الـ « شيقل » وزن يعادل $\frac{1}{60}$ من الـ «منا» ، ويعادل الـ «منا» نصف كيلوغرام. وكان الـ « شيقل » من الفضة يستخدم فى تقدير أثمان ما يباع ويشترى من السلع . (المترجم)

الأنسى ولا الـ « سوكال ماخ » ولا الـ « بجال » كانوا يتقاضون أى فضــة (كأجر لهم) .

وإذا حفر ابن رجل فقير حوض سمك ، فأن الرجل (المتنفذ) لم (يعد يجرأ) على أخذ سمك الحوض .

وكان السارق يرجم بأحجار (دون عليها) قصــده (الشرير) . وكانت الممتلكات الضائعة (حيثما وجدت ، أو إذا استرجعت من لص) تعلق فى البوابة العظيمــة) حيث كان بإمكان مالكها الشرعى أن يستعيدها .

إذا قالت إمرأة لرجل « . . . . » (لسوء الحــظ لا يمكن قراءة النص فى هذه النقطة الحساسة) ، كانت أسنانها تهشم بآجر محروق ، وكان هذا الأجر (الذى يكتب عليه ذنبها) يعلق فى البوابة العظيمة (ليراه جميع النــاس) . واعتادت نساء الأيام السالفة على الزواج بزوجين ، (ولكن) نساء اليوم (إذا حاولن هذا) يرجمن بالأحجار ، (التى كان يكتب عليها) قصدهن (الشرير) . وتأتى ثغرة كبيرة بعد إصلاح يتصل بأصناف متعددة من العرافين والمتنبئين لا يمكن قراءته لأنه فى حالة مهشمة ويعود النص إلى الموضوع فى منتصف خلاصة أخبار النضال بين « أوما » و « لجش » كما ذكر فى مخروط «اينتيمينا » وينتهى بخلاصة عن أعمال « أوروكاجينا » (؟) البنائية .

٢٧ — «أوركاجينا » ملك « لجش » (لوح)

لقد أشعل رجل « أوما » النار فى « إيكيسورا » . وأشعل النار فى «أنتاسورا» ونهب معدنه الثمين ، وحجره اللازوردى الثمين . لقد استولى على قصر « تيراش » ووضع يديه على الـ « آبزوبندا » . لقد استولى على مزار (أوريما «عرش») «أنايل» وعلى مزار (أوريما «عرش») « أوتو » . لقد استولى على الـ « آحوش » ، ونهب معدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين . لقد وضع يديه على الـ « ايبابار » نهب معدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين . واستولى على « جيجونا » (الإلهة) « نيناخ »

البستان المقدس وأخذ معدنه وحجره اللازوردى الثمين . لقد استولى على « باجارا » وأخذ معدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين . وأشعل النار فى « دوكورو » وأخذ معدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين . لقد استولى على « آبزو » القنوات . وأشعل النار فى بيت « جاتومدوج » وأخذ معدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين ، وحطم تماثيله . وأشعل النار فى « إيجال — أى أنا » العائد لـ « إينانا » وأخذ معدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين . لقد قلب فى الـ « هيندا » الـ . . . . لقد استولى على « كى آب » وبيت « نيندار » وأخذ معدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين . لقد أشعل النار فى « كينونير » وبيت « دوموزى — آبزو » وأخذ معـــدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين . وأشعل النار فى بيت « لوجالورو » وأخذ معادنه الثمينة وحجره اللازوردى الثمين . لقد استولى على « آى — إينجوزرا » العائد لـ « نانشة » وأخذ معدنه الثمين وحجره اللازوردى الثمين . لقد استولى على . . . وبيت « أماجيشتين » — وأخذ من (تمثال الإلهة) « أماجيشتين » معدنها (أى معدن الإلهـــة) وحجرها اللازوردى الثمين ، وألقى به (أى بالتمثال) فى بئره (أى بئر بيت أماجيشتين) وأتلف شعير حقل « نينجرسو » ، كل ما كان قد حرث منه .

لأن رجل « أوما » دمر آجر « لجش » ، فإنه قد ارتـكب إثماً بحق الإله « نينجرسو » إنه (أى نينجرسو) سيقطع اليدين اللتين تطاولتا (؟) عليه . إنه ليس ذنب « اوروكاجينا » ملك « جيرسو » . عسى أن تجعله « نيدابا » إلهـــة « لوجال زاجيرى » (الشخصية) أنسى « اوما » يتحمل مسئولية (هذه) الآثام جميعها .

٢٨ — « لوجال زاخيرى (إناء)

« أنليل » ملك الأقطـــار جميعها ، (المـلكية) لـ « لوجال زاجيرى » ملك « الوركاء » ، ملك البلاد (أى بلاد سومر) ، « إيشيب » الإله « آن » ، « لوماخ » « نيدابا) ابن « أوتو » ، أنسى « أوما » ، و « لوماخ » الإلهة « نيدابا » ، الذى نظر إليه « آن » ملك جميع البلدان بعين ثابتة ، أنسى « انليل » العظيم ، الذى وهبه

« انكى » الفهم ، والذى أعلن « أوتو » أسمه ، « سوكال » الإله « سين » العظيم ، « شكانالث » الإله « اوتو » ، سند الإلهة « إينانا » ، الأبن الذى ولدته الإلهية « نيدابا » ومن يغذى على الدوام من الإلهة « نينخورساج » (بلبنها) ، « رجل » (الإله) « ميسانجا — أونوجا » ، ربيب (الإلهة) « نينابوهادو » ، ملكة « الوركاء » « أجريج » الإلهة السامية ٠

عندما « أنليل » ، ملك الأقطار جميعها ، أعطى ملكية البلاد لـ « لوجال زاجيزى » ، ووجه إليه أعين (سكان) البلاد من الشرق إلى الغرب (حرفيا : « من شروق الشمس إلى غروب الشمس » ، وأخضع (جميع الناس) له — عندئذ توجه (جميع الناس من البحر الأسفل ، على طول نهرى دجلة والفرات إلى البحر الأعلى نحوه ؛ ومن الشرق إلى الغرب ، لم يبق « أنليل » أى منافس له ، وإستلقى (سكان) جميع الأقطار فى المروج (بسلام) تحت حكمه (حرفيا : « تحته ») ، لقد ابتهجت البلاد تحت حكمه ، وانحنى جميع رؤساء سومر وحكام الأقطار الأجنبية كلها أمامه فى « الوركاء » وفقا لـ « مى » (أى ناموس) الامارة ٠

فى تلك الأيام كانت « الوركاء » تقضى أيامها فى فرح عظيم ، ورفعت « أور » ؛ كأنها ثور ، رأسها نحو السماء ٠ وأطلقت « لارسا » ، مدينة « أوتو » المحبوبة صيحات الفرح ٠ و «رفعت » « أوما » مدينة « شارا » المحبوبة « ساعداً عظيما » ، وجعل « زابلام » الجدران تردد أصداء (صيحات الفرح) كأنها شاة أعيد (إليها) حملها ، و « رفعت » مدينة « دير » « عنقها إلى السماء » ٠

« لوجال زاجيزى » ، ملك « الوركاء » ، ملك البلاد ، كرّس من أجل حياته ، آنية متعددة لـ « انليل » ملكه المحبوب ، وكان يجلب فى تلك الآنية قرابين كثيرة من الطعام لـ « أنليل » ملكه فى « نفرّ » ، وكان يسكب منها سكائب من الماء العذب — وبـ (هذا) النص ، « عسى أنليل » ملك الأقطار جميعها ، أن يصلى من أجلى أمام « آن » ، أبيها المحبوب وعسى أن يضيف « حياة إلى حياتى » ،

وعسى أن تنام البلاد تحت حكمى (حرفيا « تحتى ») بسلام فى المروج ، وعسى أن يزدهر البشر كله كما تزدهر النباتات والحشائش ، وعسى أن تزداد حظائر أغنام « آن » ، وعسى أن ينظر (سكان) البلاد على « أرض جميلة » ، أن الحظ السعيد الذى قررته لى (الإلهة) عسى ألا تغيره (أى الإلهة) وإلى الأبد عسى أن أكون الراعى الأول (؟) » .

٢٩ — « سرجون » (لوح)[1] :

« سرجون » ملك « أكد » ، « مشكيم » « إينانا » ، ملك « كيش » ، كاهن الـ « جود » للاله « آن » ، ملك البلاد ، أنسى « أنليل » العظيم ، هدم مدينة « الوركاء » وأطاح بسورها ، لقد حارب رجال « الوركاء » وأنزل بهم الهزيمة ، وحارب « لوجال زاجيزى » ملك « الوركاء » وأسره وجاء به مطوق العنق إلى بوابة « أنليل » .

« سرجون » ، ملك « أكد » ، حارب رجال « أور » ، وأنزل بهم الهزيمة ، وخرب مدينتهم وهدم أسوارها ، وضرب « أى — نينمار » وهدم أسوارها ، وأنزل الدمار بأرضها الممتدة من « لجش » إلى البحر ، وغسل أسلحته بالبحر . لقد حارب رجال « أوما » وأنزل بهم الهزيمة ، وخرب مدينتهم وهدم أسوارها .

لـ « سرجون » ملك البلاد ، لم يجعل « أنليل » منافساً ، (حقا) لقد أعطاه « أنليل » كافة المنطقة الممتدة من البحر العالى إلى البحر الأسفل . وسيطر الأكديون (حرفيا : « أبناء أكد ») على الأنسية (أى الحكم) (فى كل مكان) من البحر

(١) « سرجون » العظيم ، مؤسس السلالة الأكدية التى متد حكمها من سواحل البحر المتوسط إلى بلاد « عيلام » ، وكان قيام هذه الدولة العظيمة سبباً فى انتشار الحضارة السامية وسيادتها فى العراق . (المترجم)

الأسفل إلى البحر الأعلى . وكان رجال « ماري » رجال « عيلام » يقومون بخدمة « سرجون » ملك البلاد (كسيد لهم) .

« سرجون » ، ملك البلاد ، أعاد بناء « كيش » وقدم لهم (أي لرجال كيش) تلك المدينة كمكان للسكن .

إن كل من يدمر هذه الكتابة — عسى أن يقتلع « أوتو » أساسه (من تحته): وعسى أن يحرمه من بذرته (أي ذريته) .

كتابة قاعدته (أي قاعدة التمثال)

٣٠ — «سرجون» (لوح)

لقد انتصر « سرجون » ملك « كيش » في أربع وثلاثين معـركة (على المدن الممتدة) إلى حافة البحر وهدم أسوارها . وجعل سفن « ماوخا » وسفن « ماجان » وسفن « دلمون » تلقى مراسيها على طول رصيف مدينة « أكد » النهري .

« سرجون » ، الملك ، تذلل أمام (الإله) « داجان » وتضرع إليه فأعطـاه (أي داجان) البلاد المرتفعة (وهي) « ماري » ، و« يرموتي » و « أبلا » إلى غابة الأرز وإلى جبل الفضة[١] .

« سرجون » ، الملك ، الذي لم يسمح «أنليل» بقيام أي منافس له — كان ٥٤٠٠ محارب يأكلون الخبز يومياً أمامه .

إن من يخرب هذه الكتابة — عسى أن يخرب الإله « آن » اسمه وعسى أن يفني « أنليل » بذرته (أي ذريته) . وعسى الإلهة «إينانا» . . . .

---

(١) جبل أمانوس (المترجم) .

٢٢ — « ريموش »[1] (لوح)

(من الأيام الغابرة) لم ينحت أحد تمثالا من الرصاص ، (ولكن) (ريموش) ملك « كيش » ، كان له تمثال من الرصاص . لقد كان يقف فى حضرة (أنليل) ، ويردد فضائله (أى ريموش) فى (إيدو) الآلهة .

إن من يخرب هذه الكتابة — عسى أن يقتلع « أنليل » و « أوتو » أسسه (من تحته) ، وعسى أن يحرماه من بذرته (أى ذريته) .

كتابة الـ . . . .

٣٢ — « نامحنى » حاكم « أوما » (مسمار من الطين)

فى تلك الأيام عندما كان « يارلجان » ملكا للـ « جوتيين » ، بنى « نامحّنى » أنسى « أوما » (للآلهة) « نينورا » ، أم مدينة « أوما » . بيتها القديم وأعاده إلى ما كان عليه .

٣٣ — «أتوحيجال[2]» (لوح)

« أنليل » — (أنليل) ملك الأقطار كلها ، كلف (أوتو حيجال) الرجل القوى ، ملك « اوركاء » ، ملك مناطق (العـــالم) الأربع ، الملك الذى ليس بوسع أحد أن يخالف أمره ، بتحطيم اسم (ملك ؟) « جوتى » ، ثعبان وعقرب الجبل ، الذى حمل سلاحه ضد الآلهة ، والذى نقل ملكية بلاد سومر إلى بلاد (أجنبية) ، والذى ملأ

---

(١) ابن الملك سرجون وخليفته على العرش الأكدى. (المترجم)

(٢) الملك السومرى الذى قضى على حكم الجوتيين ، القبائل البربرية الجبلية التى قضت على الدولة الأكدية وحكمت حوالى قرن واحد ، وكان العهد الجوتى من العهود المظلمة من الناحية الحضارية فى تاريخ العراق القديم . (المترجم)

سومر بالعداوة ، والذى فصل الزوجة ممن كان له زوجة ، الذى سلب الطفل ممن كان له طفل ، وأوجد العداوة والعصيان فى البلاد .

(بعدئذ) توجه (أى أوتو حيجال) إلى « أينانا » ملكته وابتهـــل إليها : يا مليكتى ، أيتها اللبوة فى المعركة — يا من تهاجم الأقطار (الأجنبية) كلها لقد كلفنى أنليل بإعادة ملكية بلاد سومر فكونى حليفتى (فى هذا العمل) إن « تيريجان » ملك الجوتيين — عين (؟) ال . . . من . . . (وعلى الرغم من أن) أحداً لم يتقدم ضده ، استولى على دجلة وساحل البحر . لقد أغلق فى بلاد سومر الحقول السفلى ، وسد الطرقات العليا . وجعل الأعشاب الضارة تنمو عالياً فى طرقات البلاد .

« أوتو حيجال » الملك الذى منحه « أنليل » القوة ، الذى اختارته « اينانا » فى قلبها . الرجل القوى ، تقدم نحو المعركة من « الوركاء » ضده (أى ضد تيريجان) وفى بيت (الإله) « أشكور » ، قدم قرباناً (؟) وخاطب مدينته : إن أنليل أعطانى بلاد جوتى . ووضعت إينانا مليكتى ، كحليفة لى ، مصيرى برعاية دوموزى ، ووهبتنى أما — أوشوجال السماء — جلجامش ، ابن (الإلهة) « نينسون » ليكون مشكيما لى .

لقـــد امتلأت نفوس مواطنى « ألوركاء » ومواطنى « كولاب » (منطقة من مناطق الوركاء) بالفـــرح . وكرجل واحد سار (سكان) مدينته وراءه . وقاد هو القوات المختارة (؟) (من بينهم) .

وبعد مغادرة بيت « أشكور » — قدم قرباناً (؟) فى اليوم الرابع فى « ناجسو » (نهر) « إيتورنجال » ، وفى اليوم الخامس قدم قرباناً (؟) فى مزار الإلهة « إيلى تابا » لقد أسر « أور — نينازو » و « نابى » — « أنليل » « شكاناك » « تيريجان » اللذين أرسلهما سفيرين إلى بلاد سومر وطوق أيديهما بـ « أطواق من الخشب » .

وبعد أن غادر « أتوحيجال » مزار « ايلى تابا » ، قدم فى اليوم السادس قربانا (؟) فى « مورو » ، وذهب أمام « أشكور » وتضرع « إليـه : » يا أشكور ،

لقدْ أعطــانى أنليل أسلحـــة ، فــكن أنت حليفاً لى (فى هـــذا) .

فى تلك الليلة نفسها . . . . ، وذهب إلى « أوتو » وتضرع إليه : يا «اوتو» ، إن أنليل قد أعطانى جوتى . كن أنت حليفا لى (فى هذا) .

فى (؟) ذلك المكان جمعت (بلاد) « جوتى » قواتها (؟) وأرسلت الجيوش ضده . إلا أن « أوتوحيجال » ، الرجل القوى ، أوقع بهم الهزيمة وأسر « شكاناك » هم (أى قائدهم) .

ثم هرب « تيريجان » ، ملك « جوتى » وحده وعاد (إلى بلاد جوتى) . وفى « دوبروم » ، حيث لجأ ، عومل برفق (؟) (ولـكن) لما كان رجال « دوبروم » يعرفون بأن « أوتوحيجال » كان هو الملك الذى وهبه « أنليل » القوة ولم يطلقوا سراح« تيريجان» . وأسر رسول «أوتوحيجال تيريجان»(مع) عائلته فى « دوبروم » وقيد يديه بـ « أطواق » من الخشب . ووضـــع عصابة على عينيه (؟) . ثم جاب « تيريجان » (بعـــد ذلك) إلى حضرة « أوتوحيجال » وألقى بنفسه على قدميه ، فداس « أوتوحيجال » بقدمه على رقبته . ثم تضرع (؟) . . . الـ « جوتى » عقرب وثعبـان الجبل ونقل (؟) الـ . . . من (؟) منطقتها ، (وهكذا) عادت الملكية إلى بلاد سومر .

٣٤ — « اور — باو » أنسى « لجش » (تمثال)

لـ « نينجرسو » ، فارس « إنليل » الأول ، « أور » — باو » أنسى « لجش » الإبن الذى أنجبته « نينجال » ، والذى اختارته « نانشه » فى قلبها ، الذى منحه « نينجرسو » القوة ، من سمته « باو » باسم حسن والذى وهبه « أنكى » الفهم ، ومن تخيلته « إينانا » (بفكرها) . خادم « لوجال لوور » المحبوب ، محبوب « دوموزى — آبزو » —

أنا « أورباو » ، حفرت لـ « نينجرسو » ، مليكى ، الـ . . . من الأرض إلى عمق . . . « إيل » ، وسحقت (؟) ربوته (أى الربوة التى تكونت من التراب الناتج عن الحفر) كما يسحق الحجر وأحرقتها (؟) كما يحرق المعدن ، ونشرتها (؟) (حرفيا « حولتها إلى الأرض واسعة ») كأنه « نيمدا » ، وأعدت ذلك التراب (المستخرج من الحفر) إلى وسطه (أى إلى المنطقة التى حفرت) ، وملأت أساس الأرض ، وبنيت على هذا (الأساس) دكة يبلغ ارتفاعها عشرة « إيل » ، وعلى المنصة شيدت له (أى نينجرسو) الـ « إينينو — نيجبيادير » (إلى ارتفاع) ١٢ « إيل » .

لـ « نينخورساج » ، أم الإلهة ، شيدت « بيتها « جيرسو » . لـ « باو » ، السيدة المكرمة ، بنت « ، آن شيدت بيتها «أوروكوجال» . لـ « إينانا » ، الملكة المقدسة ، المفخمة ، شيدت بيتها « اورو » . ل « إنكى » ، ملك « أريدو » ، شيدت بيته « جيرسو » لـ «نيندارا» ، الملك والحاكم ، بنيت بيته ، لـ « نينجال » إلهته ، شيدت بيتها ، لـ « نينار » ، السيدة المكرمة ، إبنة « نانشه » الأولى » ، شيدت « ايشجوتور » ، البيت الذى اختارته فى قلبها . لـ « اينسيجونون » ، حمار « نينجرسو » شيدت بيت « حماره الممتاز » . لـ « جيشتينانا » القوية جداً (؟) (ربما حرفيا « أعظم الجميع ») شيدت بيتها « جيرسو » . لـ« دوموزى — آبزو » — سيد « كينونير » ، شيدت بيته « جرسو » .

٣٥ — « سينجا شيد » ملك « الوركاء » (مسمار من الطين)

لـ « لوجال بمدا » إلهة ولـ « نينسون» ، أمه ، سينجاشير » ، ملك«الوركاء»، ملك « أمنانوم » ، عون « أى — أنا » ، فى الوقت الذى شيد فيه « أى—أنا » — شيد (أيضا) الـ « إيكيكال » بيت سكنها ، الذى ابتهج به قلباها .

خلال حكمه — كانت سنواته سنوات رخاء عظيم — فقد كانت ٣ « جور »من الشعير و ١٢ « مينا » من الصوف ، و ١٠ « مينا » من النحاس و ١/١٠ « جور »

من الزيت ، تباع كل منها بـ « شيقل » من الفضة وفقاً لسعر السوق (الذى كان منخفضاً إلى درجة غير اعادية) السائد فى بلاده .

(الملحق د) أمثلة من الصيغ التأريخية : (١)

« السنة (التي) هدم (فيها) سرجون أداب (؟) ، سرجون رقم السنة غير معروف . »

« السنة (التى) دمر (فيها) نرام — سن ، سابوم ، نرام — سن ، رقم السنة غير معروف . »

« السنة (التى) رقيت (فيها) بيريج — ميداشو ، ابنة الملك إلى حكم مرخاشى . (شولجى) السنة ١٧ . »

« السنة (التى) انتظم (فيها) مواطنو «أور» «كحاملين للرماح «شولجى» ، السنة ١٩ . »

« السنة (التى) دُمرت (فيها) جانحار » شولجى ، السنة ٢٥ . »

« السنة (التى) دمرت (فيها) سيموروم » شولجى ، السنة ٢٦ . »

« السنة (التى) دمرت (فيها) سيموروم الثانية » شولجى السنة ٢٧ . »

« السنة (التى) دمرت (فيها) سيموروم و لولوبوم للمرة التاسعة » شولجى السنة ٤٥ . »

« السنة (التى) دمرت (فيها) كياش و حومورتو والبلاد المجاورة فى يوم واحد » . شولجى ، السنة ٤٧ . »

---

(١) كانت كل سنة من سنوات حكم الملك تسمى بحادثة هامة ، فيقال مثلا « السنة التى هدم فيها «سرجون» مدينة «أدب» ، وأطلق المؤرخون على هذه الصيغ عبارة date - formulas التى ترجمت فى هذا الكتاب الى « صيغ التأريخية » . (المترجم)

« السنة (التى) بنى (فيها) شو — سين ، ملك أور الجدار الغربى (المسمى موريق — تيدنم » . شو — سين . السنة ٤ .

«السنة (التى) ضرب (فيها) أبى — سين ملك أور سوسة أدامدون وبلاد أوان كأنه عاصفة « وأخضعها فى يوم واحد وأسر حكامها » أبى — سين ، السنة ١٧. »

(الملحق هـ) قائمة الملوك السومرية :

بعد أن هبطت الملكية من السماء ، أصبحت « أريدو » (مقر) الملكية . فى « أريدو » حكم (آلوليم) ٢٨٨٠٠ سنة كملك : وحكم « الجار » ٣٦٠٠٠ سنة — ملكان حكما ٦٤٨٠٠ سنة . ثم هجرت « أريدو » و نقلت ملكيتها إلى «بادتيبيرا» .

فى «بادتيبيرا» ، حكم «إينمنلوانا» ٤٣٢٠٠ سنة ، وحكم «إينمنجالانا» ٢٨٨٠٠ سنة ، وحكم « دوموزى » الراعى ٣٦٠٠٠ سنة — ثلاثة ملوك حكموا ١٠٨٠٠٠ سنة ، ثم هجرت « بادتيبيرا » ونقلت ملكيتها إلى « لاراك » .

فى « لاراك » حكم « إينسيبازى أنا » ٢٨٨٠٠ سنة ـ ملك واحد حكم ٢٨٨٠٠ سنة . و هجرت « لاراك » و نقلت ملكيتها إلى « سيبار » .

فى « سيبار » حكم « إينميدورانا » ٢١٠٠٠ سنة كملك ـ ملك واحد حكم ٢١٠٠٠ سنة . ثم هجرت « سيبار » ونقلت ملكيتها إلى « شوروباك» .

فى « شوروباك » حكم « أوبارتوتو » ١٨٦٠٠ سنة كملك ـ ملك واحد حكم ١٨٦٠٠ سنة .

(المجموع) خمس مدن ، ثمانية ملوك حكموا ٢٤١٢٠٠ سنة .

ثم أغرق الطوفان (البلاد) ، وبعد أن أغرق الطوفان (البلاد) وهبطت الملكية من السماء (مرة ثانية) ، أصبحت « كيش » (مقر) الملكية . فى « كيش » حكم

« جا أور » ١٢٠٠ سنة كذلك ، وحكم « جولا ـ نيدابا أنا ياد » ٩٦٠ سنة ، وحكم « بالا كيناتيم » ٩٠٠ سنة ، وحكم « نانجيشليشما » ٠٠٠ سنة ، وحكم « باحينا » ٠٠٠٠ سنة ، وحكم « بوآنون » ٨٤٠ سنة ، وحكم « كاليبوم » ٩٦٠ سنة ، وحكم « جالومبوم » « ٨٤٠ سنة ، وحكم » زوكا كيب » ٩٠٠ سنة ، وحكم « آتاب » ٦٠٠ سنة ، وحكم « ماشدا « بن « آتاب » ٨٤٠ سنة . وحكم « آروريم » بن « ماشدا » ٧٢٠ سنة ، وحكم « إيتانا » الراعى ، ذلك الذى صعد إلى السماء ، والذى ثبت كل الأقطار ، ١٥٦٠ سنة كذلك ، وحكم « باليح » بن « إيتانا » ٤٠٠ سنة ، وحكم « إينمينونا » ٦٦٠ سنة ، وحكم « ميلام كيش » بن « إينمنونا » ٩٠٠ سنة ، وحكم « بارسالنونا » بن « إينمينونا » ١٢٠٠ سـنة ، وحكم « ميسزاموج » بن «بارسلنونا» ١٤٠ سنة ، وحكم «تيز كار » بن « ميسزاموج » ٣٠٥ سنين ، ولحكم «ألكو» ٦٠٠ سنة ، وحكم «إيلتاسادوم» ١٢٠٠ سنة ، وحكم « اينمبيارا جيس» ، ذلك الذى ضرب بأسلحته بلاد «عيلام» ٩٠٠ سنة كذلك ، وحكم «أجا» ، بن إينمبيارا جيس ٦٢٥ سنة . (المجموع) ثلاثة وعشرون ملكا حكموا ٢٤٥١٠ سنة و٣ أشهر و٣ أيام و ١/٢ اليوم . ودمرت « كيش » (فى المعركة) ونقلت ملكيتها إلى « أى ـ أنا » .

فى« أى ـ أنا » حكم «ميسكيا جاشر » بن (الإله ـ الشمس) «أوتو» كـ« آن » وكملك ٣٢٤ سنة ـ ودخل « ميسكيا جاشر » إلى البحر وتسلق الجبال ، وحكم « إينمر كار » بن « ميسكيا جاشر » ملك « الوركاء » ، الذى شيد « الوركاء » ٤٢٠ سنة كملك ؛ وحكم « لوجال بندا » الراعى ١٢٠٠ سنة ، وحكم « دوموزى » صياد السمك ، الذى كانت « كوا » مدينته ١٠٠ سنة . وحكم « جلجامش » الذى كان والده بدوياً (؟) ١٢٦ سنة ، وحكم « أورنجال » بن « جلجامش » ٣٠ سنة، وحكم « أودول كلاما » بن «أورنونجال » ١٥ سنة ، وحكم « لاباشر » ٩ سنوات ، وحكم « إينوندا رانا » ٨ سنوات ، وحكم « ميشيده » ٣٦ سنة ، وحكم« ميلا مانا » ٦ سنوات ، وحكم « لوجال كيدول » ٣٦ . (المجموع) اثنا عشر ملكا حكموا

٢٣١ سنوات . وقهرت « الوركاء » (فى المعركة) ، ونقلت ملكيتها إلى « أور »

فى « أور » حكم « ميسا نيبادا » ٨٠ سنة كملك . وحكم « ميسكى آجنونا » بن « مسآنيبادا » ٣٦ سنة كملك ، وحكم « إيلولو » ٢٥ سنة ، وحكم « بالولو » ٣٦ سنة . (المجموع) أربعة ملوك حكموا ١٧٧ سنة ثم قهرت « أور » (فى المعركة) ونقلت ملكيتها إلى « أوان »[1] .

(أوان) ثلاثة ملوك حكموا ٣٥٦ سنة ، ولكن التلف أصاب أجزاء كثيرة من من أسمائهم ، ثم يواصل النص) (أوان) قهرت (فى المعركة) ، ونقلت ملكيتها إلى « كيش » .

فى « كيش » ... حكم (أكثر من) ٢٠١ سنة كملك ، وحكم « دادا سنج » ... سنة وحكم « ماماجال » ٤٢٠ سنة ، وحكم « كالبوم » بن « ماماجال » ١٣٢ سنة ، وحكم « توجى » ٣٦٠ سنة . وحكم « مينومنا » ١٨٠ سنة وحكم « لوجالمو » ٤٢٠ سنة ، وحكم « أبى ـيا » ٢٩٠ سنة (؟) . (المجموع) ثمانية ملوك حكموا ٣١٩٥ سنة . وقهرت « كيش » (فى المعركة) ونقلت ملكيتها إلى « همازى »)[2] .

فى « همازى » حكم « حاد أنيش » ٣٦٠ سنة . (المجموع) « ملك واحد حكم ٣٦٠ سنة . وقهرت « همازى » (فى المعركة) ونقلت ملكيتها إلى « ألوركا » .

فى « الوركاء » ... حكم ٦٠ سنة كملك ، وحكم « لوجالورى » ١٢٠ سنة وحكم « أرجانديا » ٧ سنوات . (المجموع) ثلاثة ملوك ١٨٧ سنة . وقهرت « ألوركاء » ونقلت ملكيتها إلى « أور » .

---

(١) دولة — مدينة عيلامية لا تبعد كثيراً عن العاصمة « سوسة » (المترجم) .

(٢) دولة — مدينة هيلاسية أخرى ، (المترجم) .

(٣) لقد جاء فى النص « كملك » وليس « كملكه » (المترجم) .

فى « أور » (أسماء ملوك سلالة أور الثانية الذين كان عددهم أربعة وربما حكموا ١١٦ سنة أصابها التلف) . وقهرت « أور » ونقلت ملكيتها إلى « أدب » .

فى « أدب » حكم «لوجال أنيمود» ٩٠ سنة كملك . (المجموع) ملك واحد حكم ٩٠ سنة . وقهرت « أدب » ونقلت ملكيتها إلى « مارى » .

فى «مارى» حكم «ايلشو» ٣٠سنة كملك وحكم ...ابن(ايلشو)١٧سنة . وحكم ... ، ٣٠ سنة ، وحكم ... ، ٢٠ سنة و ... و ... ٣٠ سنةحكم ٩ سنوات . (المجموع) ستة ملوك حكموا ١٣٦ سنة ، وقهرت (مارى) ونقلت ملكيتها إلى « كيش » . فى « كيش » ، « كو—باو » صاحبة الحانة ، التى ثبتت أسس « كيش » ، وحكمت ١٠٠ سنة كملك (المجموع) ملك واحد حكم ١٠٠ سنة . وقهرت « كيش » ونقلت ملكيتها إلى« أكشاك » .

فى « أكشاك » حكم « أونزى » ٣٠ سنة كملك ، وحكم «أوندا لولو » ١٢ سنة وحكم « أورو » (وربما تقرأ : زوزو) ٦ سنوات ، وحكم «بوزور—نبراج » ٢٠سنة وحكم « ايشو — ايل » ٢٤ سنة ، وحكم « شو — سين » بن « ايشو — ايل » ٧ سنوات . (المجموع) ستة ملوك حكموا ٩٩ سنة . وقهرت (أكشاك) ونقلت ملكيتها إلى (كيش) .

فى« كيش » ، حكم « بوزو—سن ين» « كو—باو » ٢٥ سنة كملك ، وحكم « أور — زبابا »بن « بوزور — سين » . ٤٠٠ سنة وحكم « سيمودارا » . ٣ سنة ، وحكم «أوسيواتار » بن « سيموورا » ٧ سنوات ، وحكم « عشتار — موتى » ١١ سنة ، وحكم « أشمى—شمس » ١١ سنة ، وحكم « نانيا » عامل الحجر ، سبع سنوات . (المجموع) سبعة ملوك حكموا ٤٩١ سنة ، وقُهرت « كيش » ونقلت ملكيتها إلى « الوركاء » .

فى « ألوركاء » ، حكم « لوجال زاجيرى » ٢٥ سنة كملك . (المجموع) ملك

واحد حكم ٢٥ سنة . وقهرت « الوركاء » ونقلت ملكيتها إلى « أكد » .

فى « أكد » سرجون « الذى كان والده (؟) بستانياً ، ساقى « أور—زبابا » ، ملك « أكد » الذى شيد مدينة « أكد » ٥٦ سنة كملك ، وحكم « ريموش » بن « سرجون » ٩ سنوات ، وحكم « مانشتوسو » ، أخ « ريموش » الأكبر ، ابن « سرجون » ١٥ سنة ، وحكم « نرام—سين » بن « مانشتوسو » ٥٦ سنة ، وحكم « شاركاليشارى » بن « نرام—سين » ٢٥ سنة . من كان ملكا (؟) ومن لم يكن ملكا (؟) (أى : فترة حلت فيها الفوضى) . « أجيجى » ، الملك ، و « نانوم » الملك ، و « أس » الملك ، و « أيلولو » الملك - كانوا أربعتهم ملوكا (ولكنهم) حكموا ٣ سنوات (فقط) . وحكم « دودو » ٢١ سنة ؛ وحكم « شودورول » بن «دودو» ١٥ سنة . (المجموع) أحد عشر ملكا حكموا ١٩٧ سنة وقهرت « أكد » ونقلت ملكيتها إلى « الوركاء » .

فى « الوركاء» حكم « أورنيجين » ٧ سنوات كملك ، وحكم « أوجيجير » بن « أورنيجين » ٦ سنوات ، وحكم « كودا » ٦ سنوات ، وحكم « بوزور— إيل » ٥ سنوات وحكم «أور—أويبو» ٦ سنوات . (المجموع) خمسة ملوك حكموا . ٣ سنة وضربت « الوركاء » بالأسلحة ، ونقلت ملكيتها إلى الجموع « الجوتية » .

بين الجموع «الجوتية» (حكم أولا) ملك بلا أسم ، (ثم) حكم « أمتا » ٣ سنوات كملك ؛ وحكم « أنكيشوش » ٦ سنوات ، وحكم « سارلجاب » ٦ سنوات ، وحكم «شولى» ٦ سنوات ، وحكم «أيلولوميش» ٦ سنوات ، وحكم « أنيمياش» ٥ سنوات وحكم «إيجشا أوش» ٦ سنوات وحكم «يارلجاب ١٥ سنة ، وحكم«أباتى» ٣ سنوات و ... حكم ٣ سنوات،وحكم « كوروم »سنة حكم ٣ سنوات ، ... حكم سنتين ، وحكم «ايراروم» سنتين ، وحكم «ايترانوم»سنةواحدة ، وحكم «هابلوم»سنتين ، وحكم«بوز —سين» بن «هابلوم» ٧ سنوات وحكم «يارلجاندا» ٧ سنوات ، و... حكم ٧سنوات و ... حكم ٤ يوماً . (المجموع) واحد وعشرون ملكا حكموا ٩١ سنة و . ٤ يوماً .

ودحرت الجموع الـ « جوتيه » ونقلت ملكيتهم إلى « الوركاء » :

فى « الوركاء » ، حكم « حيجال » ٧ سنوات ، و ٦ أشهر و ١٥ يوماً كملك ، (المجموع) ملك واحد حكم ٧ سنوات و٦ أشهر و ١٥ يوماً . وضربت «الوركاء» بالأسلحة ونقلت ملكيتها إلى « أور » :

فى «أور» حكم «أور — نامو» ١٨ سنة كملك ، وحكم «شولجى» بن «أور — نامو» ٤٨ سنة ، وحكم « آمار — سين» بن «شولجى » ٩ سنوات ، وحكم « شو — سين» بن « آمار — سن» ، (هذا خطأ والصحيح «ابن شولجى») ، حكم ٩ سنوات ، وحكم « أبى — سين» بن «شو — سين» ٢٤ سنة . (المجموع) خمسة ملوك حكموا ١٠٨ سنوات . وقهرت «أور» ونقلت ملكيتها إلى « أيسن » .

فى «أيسن» حكم «أشبى — أرا» ٣٣ سنة كملك ، وحكم «شواليشو» بن «أشبى — أرا» ١٠ سنوات ، وحكم « أيدين — داجان » بن « شــواليشو » ٢١ سنة ، وحكم « أشمى — داجان » بن « أيدين — داجان » ٢٠ سنة ، وحكم « لبت — عشتار » بن «أشمى — داجان» ١١ سنة ، وحكم «أور — نينورتا» ٢٨ سنة ، وحكم «بور — سين» بن «أور — نينورتا» ٢١ سنة ، وحكم «لبت — أنليل» بن « بور — سين» ٥ سنوات وحكم «ايرايمتى» ٨ سنوات ، وحكم« أنليل — بانى » ٢٤ سنة ، وحكم « زامبيـا » ٣ سنوات ، وحكم « ايتريبشا » ٤ سنوات ، وحكم » «أوردوكوجا» ٤ سنوات ، وحكم « سناجر » ١١ سنة (المجموع) أربعة عشر ملكا حكموا ٢٠٣ سنوات .

(ملحق و) الرسائل :

١ — رسالة من «لوأينا» إلى « أنتارزى» :

إلى «أنتارزى» . «سانجا» «نينجرسو» ، قل : هذا ما يقوله «لوأينا» «سانجا» (الإلهة) « نينارا » .

أن «لوأينا» «السانجا» قاتل ٦٠٠ عيلامى كانوا يقومون بنقل أتاوة (حرفياً : «بضائع منقولة») من «الجش» إلى «عيلام» . لقد دحر العيلاميين و (وأسر ٥٢٠ عيلامياً . كان من بينهم «أور - باو» الرجل الموكل بعبيد الـ «شومور» (؟) ، و «نيجلونوتوم» «أوجولا» صناع المعادن . وأنهما موجودان فى الـ «أى نيذرى» .

لقد [استرجع (؟) «لوأينا» (؟) منهم] ٥ أوانى (؟) من الفضة الخالصة ، و ٢٠ ... ، وخمس حلل ملكية ، و ١٥ جلداً من جلود الأغنام المخصصة للطعام (أى الأغنام التى تربى لتأكل ولا تربى لغرض صوفها) .

ما بقى ... أنسى «الجش» حياً وما بقى «أينا ناتوم - سيباد - زى» الـ «أجزيج» حياً فإن ... ستجلب إلى «نينار» .

٢ - رسالة من «أرادمو» إلى «شوتجى»

إلى مليكى قل ، هذا ما يقوله خادمك «أرادمو» .

لقد كلفتنى بحفظ طرق الحملة إلى بلاد «سوبر» فى حالة صالحة ، وترسيخ حدود بلادك ، وبجعل طرق البلاد معروفة ، وبإبداء المشورة إلى عقلاء المجمع ضد (؟) البذرة (؟) الحمقاء (؟) وبدفع الجميع إلى الطاعة ، حتى توضع كلمة اليوم (أى الكلمة الطيبة) فى أفواههم . عندما وصلت إلى بوابة القصر ، لم يطلب أحد «السلام» من مليكى . ولم ينهض أولئك الذين كانوا جالسين ، ولم يتذللوا . وعندما (اقتربت وجدت) بأنه ... «بيت الحملة» الذى كان مزيناً بالـ «أمشاط» و بـ «رؤوس مباضع» ذهبية وفضية ، وعقيق ، وحجر اللازورد يغطى (؟) ... ، أنه دائماً «يجد» الفضة والذهب ، ويتربع على عرش رفع عالياً على منصة . وكان يضع قدمه على مسند من الذهب ولم يرفع قدمه من فوقه . وكان المأمورون الموكلون (؟) بعيدة (؟) - كل منهم موكل بـ ٦٠٠٠ (رجل) - يقفون عن يمينه وشماله . لقد ؟ أمر بأن يقدم له طعام من ؟؟؟ ... كوجبة وحصل ... ثم أدخلت إلى ... (وعندما دخلت جاب لى

كرسى ذهبى مع سند أقدام . وأمرت بالجلوس فقلت وفقاً لأمر مليكى ، « سأظل واقفاً ، إننى لن أجلس » وجلب إلى ثور واحد مسمن ، ٦ شياه،مسمنه، و...وعندما الـ ... وكلاء مليكى قلبوا مائدتى ، تملكنى الخوف وارتعبت . ومر اليوم الخامس من شهر « إيزن » ـ «نينازو» ، وأرسلت إليك رجل الـ ... (والآن) مر اليوم الأول من شهر « أوسيكو » . يا مليكى ، أنت كلمتنى (ولكن) فى نصف شهر (؟) .. قد اقترب . يا مليكى « سوبلجى » ، عساك أن تعرف (هذا) .

٣ — رسالة من « شولجى » إلى « أرادمو » .

إلى « أرادمو » قال ، هكذا يقول ملكك « شولجى » :

إن الرجل الذى أرسلته لا فائدة لك فيه ، إنه لا يلتزم بالتعليمات التى (يستلمها) من يدك . أما بالنسبة لى ، فإنى أحثك (؟) كما لو كنت أنت فى محلى على حفظ استقرار البلاد ، وعلى توجيه الناس ، وحثهم على الطاعة ، وأن تسيطر (بقوة) على مدن البلاد . أما بالنسبة لـ «رجالهم الكبار» فاستطلع عن كلمتهم . دع الرعب منى يغطى الأقطار الأجنبية كلها . دع سلطتى الجبارة ، « سلطة البطولة » تقع على الأقطار الأجنبية . دع ريحى الجنوبية تغطى البلاد . إجعل كل المشرفين لى فى السهل وجميع نظار الحقول يهربون ، مادامت تلك البذرة (؟) الفاسدة (؟) لا .. رجالهم الحكيم فى المجلس . أحضره أمامك (؟) ودعه يدخل إلى حضرتك . لو لم يبق رجل المجلس الحكيم — مثلى — ساكتاً (؟) لما وضع (« البذرة (؟) الفاسدة (؟) ») نفسه على عرش رفع عالياً على منصة ، ولما كان يقدر على وضع قدمه على مسند ذهبى ولما أرعب الحاكم والحكم معاً ، والمشرف الملكى مع المشرف الملكى ، وما كان ليقدر على دفعهم إلى خدمته) ، ولما كان بإمكانه أن يضرب ويؤذى أحداً ، ولما كان الرجل الذى ينظر إليه (بود) يزداد قوة . أهذا هو الطريق لتجعل البلاد مستقرة ! إذا كنت تحبنى لا تلتحق به . إنك قد انتفخت ، إنك لا تعرف وكلائى) ، تذكر إنسانيتهم (أى الوكلاء) وبطولتى . إذا كنت أبى وأمى فعليك أن تتكلم أمام آبائك ...

أدفعهم (أى سكان سوبير) إلى الطاعة وثبت أسس البلاد . إن (هذا أمر) ملحّ .

٤ — رسالة من « أشبي — إيرّا » إلى « أبى — سين »

إلى « أبى — سين » مليكى ، قل ، هذا ما يقوله خادمك « أشبي — إيرّا » :

لقد ولتنى مسؤولية حملة إلى « إيسن » و « كزالو » لابتياع القمح . لقد وصل القمح إلى سعر « كور » واحد لكل « شيقل » ، ... (وحتى هذا التأريخ) أنفقت ٢٠ « تالنت »من الفضة لشراء القمح ، ولكن الآن بعد أن سمعت الخبر بأن الـ « مارتو » المعادين قد دخلوا إلى بلادك ، جلبت إلى «أيسن» الـ ٧٢٠٠٠ « كور » من القمح — (جلبتها) كلها . والآن دخل الـ « مارتو » — جميعهم — إلى وسط البلاد «سومر » ، واستولوا على الحصون العظيمة الواحد بعد الآخر . وبسبب الـ «مارتو» ، إننى غير قادر على نقل (؟) القمح ، إنهم أقوى بكثير مما أقدر عليه وأننى مشلول الحركة . ليكن لدى مليكى ٦٠٠ سفينة مجلفطة (سعة) كل منها ١٢٠ « كور » ، دعه (؟)... سفينة (من (؟)) ٧٢ .... ، ودعه (؟) .... ٥٠ .... وباب أو .... سفينة ، ودعه (يجمع (؟)) كل (هذه) السفن . (ثم) دعها تجلب إلى .... الضيق (؟) عن (طريق) النهر ، « نهر الجبل » ، والقنوات المحفورة ، وإننى سوف .... أمامه . واجعلنى مسؤولا عن المواقع التى سترسو السفن فيها ، أو .... كل القمح سيخزن فى حالة جيدة . وإذ احتجت إلى القمح ، فإننى سأجلب القمح لك ، يا مليكى . إن العيلاميين قد ضعفوا فى المعركة ، قمحهم .... قد انتهى . فلا تضعف ، ولا توافق على أن تكون عبداً لهم ولا تمش وراءهم . إن لدىّ من القمح (ما يكفى) مدة ١٥ عاماً (ليسد) جوع قصرك ومدنه . يا مليكى ضعنى مسؤولا عن الإشراف على « أيسن » و « نفر » .

٥ — رسالة من « بوزور — نوموشدا » إلى « أبى — سين »

إلى « أبى — سين » مليكى قل ، هذا ما يقوله خادمك « بوزور — نوموشدا » :

إن رسول « أشبي ـ إير"ا» وضع عينه عليّ (قائلا) ؟ إن مليكى « أشبي ـ إير"ا» أرسل الرسالة (التالية) : ـ

إن «أنليل» مليكى ، أعطانى بأمره رعاية البلاد وأمرنى « أنليل » بأن أجلب إلى حضرة الإلهة « نينسينا » المدن ، والآلهة ، ومعسكرات ضفاف نهرى دجلةوالفرات ، وضفاف قناة « نونسى » وضفاف قنـاة « مى ـ أنايل » ، من بلاد « حمازى » إلى بحر « ماجان » ، وإقامة « أيسن » كمقر (الحـكم) « أنليل » ، ولجعلها تسمى بإسم (عظيم) ، ولجعل ... ، ولجعل مدنها (أى مدن سومر) مستوطنة بالناس . فلماذا أنت الآن تقاومنى ؟ إننى أقسم بإسم « داجان » إلهى ، بأنه ليس لى إلا النوايا السليمة نحو « كزالو » . (أما بالنسبة للمدن والبلاد التى أمرنى « أنليل » (بتولى شؤونها) ، ففى وسط «أيسن« سـأبنى ... بها ، سأجعلها تحتفل بأعيادها ، وسأقيم فى « جيبار » ها تمثالى ، وشعـــارى ، وكاهنى العظيم ، وكاهنتى العظيمة . وفى حضرة « أنليل » فى (معبد) « إيـكور » وفى حضرة « نانا » فى « ايكيشنوجال » ، أبناء ... سيرتلون أدعيتهم . فلماذا أنت ... الذى تثق به من بلاده ؟ سأشيد سور «أيسن » وسأسميــه « أديليا شونو » .

لقد وقع ما قاله تماماً : فقد شيد جدار « أيسن » وسماه «إديلياشونو » ، واستولى على « نفّــر» ، ووضع الحراس عليها ، وأعلن (؟) عن جميع الأوامر (؟)ـ لقد استولى على «نفّــر». لقد أسر «زينوم» أنسى «سوبير»، ونهب «حمازى»، وأعاد «ناراحى» أنسى « أشنونا » و « شـو ـ أنليـل » أنسى « كيش » و « بوزور ـ توتو » أنسى «بادزى ـ أبا» [كلا منهم] إلى مكانه . ووقف«أشبي ـ إير"ا» على رأس قواته واستولى على ضفاف دجله والفرات ، وعلى قناتى«نونمى»و«مى ـ أنليل» ، ودخل إلى «أيديل ـ مالجى» ... [وعندما] قاوم «جيربوبو» ، أنسى «جيركال» ، قطع «أشبي ـ إير"ا»... وقبض عليه . إن الرعب منه يسيطر عليّ بشدة ، لقد ركز عينيه عليّ ليعرف مليكى بأنه لا حليف لى ، ولا يسير أحد بجانبى ، وأنه منذ إن أدركنى .... أسير وحيداً.

إلى « بوزور — نوموشدا » ، حاكم « كزالو » قل هـــذا ما يقوله مليـكك « أبي — سين » :

منذ أن أخترت لك قوات . . . ووضعتها تحت تصرفك كحاكم « كزالو » ، أليست قواتك ، كما في حالتي ، هي شهرة لك ؟ لمـاذا ترسل اليَّ بمثل هذا (القول) : إن « أشبي — إيرّا » ركز عينه عليَّ ، سوف لن آتي إلا بعد أن يكون قد تركني. كيف حصل أنك لم تعرف متى سيعود « أشبي ـ إيرّا » إلى (هذه) البلاد ؟ لم لا ترسل بالاتفاق مع « جير بوبو » ، حاكم « جيركال » ، القوات التي وضعت بيــدك قبل (أن يعود) ؟ كيف حصل أنك تؤخر إعادة الـ . . . ؟ لقد أرسل « أنليل » الشر على بلاد سومر . إن عدوها هابط من بلاد الـ . . . ورفع إلى رعاية البلاد . والآن أعطى « أنليل » الملـكية لرجل لا قيمــة له ، إلى « أشبي ـ إيرّا » الذي هو ليس من بذرة سومرية . أنظر ، لقد أذلت سومر في مجمع الإله ، الأب « أنليل » الذي أوامره . . . ، أمر بكل تأكيد بمـا يأتي : « ما دام فاعلو الشر موجودين في « أور » فأن « أشبي ـ إيرّا » ، رجل « ماري » ، سيهدم أسسها وسيقسم بلاد سومر . » و (هكذا) عند ما عينت حاكما للمدن العديدة ، إنحازت (هذه المدن) إلى « أشبي ـ إيرّا » وفقاً لأمر « أنليل . (حتى بعد أن تسلم أنت ، مثل . . . المدينة إلى العدو وبعد أن تصبح خادماً (له) ، فان « أشبي ـ إيرّا » لا يعرف) . أما الآن فاجلب إلى هنا (العون) من أجل إحياء الـكلمة الطيبة ولوضع حد للتضليل : ولينجزوا . . . بين سكانها . لا تنصرف ، ولا تكن ضدي . إن يده لن تنال المدينة ، ولن يمارس رجل « ماري » السيادة وفقاً لخطاته العدائية . (لأن) « أنليل » قـد أثار الآن الـ « مارتو » من بلادهم ، إنهم سيضربون العيلاميين ويأسرون « أشبي ـ إيرّا » . وباعادة البلاد إلى مكانتها (السابقة)، ستصبح قوتها معروفة في كافة أنحاء الأقطار ، إن هذا أمر ملحّ ، فلا . . .

(الملحق ز) «ديتيلاهات»[1] (أحكام قضائية)

(١)

« شيشكالا » بن « أور ـ لاما » أدعى بما يأتى : « إننى لست عبد « أور ـ ساحار ـ باو » . (ولكن الحقيقة هى أن) « أور ـ لاما » والد « شيشكالا » قد وهب كعبد من « ألا » الكاتب الى بيت « أور ـ ساحار ـ باو » بن « نامو » فى (صفقة مقايضة مع) منحة (؟) من الشعير والصوف . أضف إلى ذلك ، إن « لودوجا » و « روديما » أقسما بأن «أور ـ لامّا» قد أنجب « شيشكالا » العبد فى بيت « أور ـ ساحار ـ باو » . لذلك قد ثبت بأن العبد (ملك) لورثة « أور ساحار ـ باو » .

« تيما حتا » ـ « الشكيم »
« لو ـ شارا » ـ القاضى
(وتعقب هذا صيغة تاريخية)

(٢)

« أكالا » بن « لونينشوبور » ، (و) « أور شوانا » كانا شاهدين (على حقيقة أن) « كاكو » بن « نينشوبور» ، قد أشترى أثنتى عشر فسيلة كبيرة من «لونانا» والده « أورابو » بثلاثة « شياقل » من الفضة كثمن كامل لها . (إلا أن) «أورابو» كذب الشاهدين . (بعدئذ) أقسم « كاكو » بأنه كان فى الواقع قد اشترى الفسائل من أب « أورابو » « لونانا » . (لذلك) ثبت بأن الحديقة (كانت ملك) « كاكو » .

---

(١) «ديتيلا» تعبير سومرى يطلق على القرار الذى تصدره المحكمة بعد انتهاء المحاكمة وجمعت فى الترجمة بـ «ديتيلاهات» . (المترجم) .

« تيما حتـا » ـ « المشكيم »
« لورشـارا » (و) « أوز ـ ساتران » ـ القاضيان
(وتعقب هذا صيغة تاريخية) .

(٣)

« إينا شاجا » زوجة « دودو » ، بن « تيتى » ، أشترت بيت . . . الذى تبلغ مساحته ٢ ٥/٦ « سار » بمالها الخاص . وما دام « دودو » حياً ، كان « أور ـ إينينو » بن « دودو » يمتلك البيت . ولأن « إينا شاجا » أشترت البيت ، فإن « أور ـ إينينو » جعل اللوح (الذى سجل عليه) شراء البيت يحول له من قبل «أنا شاجا» .
إن « إينا شاجا » أقسمت على أنها قد أشـــترت البيت بمالها الخاص وليس بمال « دودو » (زوجها) .

إن « دودو » قد أعطى « نينانا » بن « نيزا » الصائغ كعبد إلى « إينا شاجا » زوجته ، وبعد وفاة « دودو » طالب ورثة « دودو » ، عن طريق « أراد ـ نانا » الإنسى وال « سوكال ماخ » ، باستعادة ملكية (العبد) منها ، وشهد « أورجالا » بن « سانجا » « نينشوبور » ، الـ « ناماخ » ، « جوزالا » «جيزى» ، و «آلول» المغنى على أن « دودو » قد وهب العبد لـ « إينا شاجا » ، وأيد ورثة « دودو » هذه الشهادة . وبما أن (أقوالهم) تأيدت بأقوال الورثة — فإن الشهود لم يجبروا على أداء اليمين .

(لذلك) ثبث بأن « نينانا » بن « نيزا » والبيت كانا (ملك) « إينا شاجا » زوجة « دودو » .

أما « جيمى — تيراش » و « ماجينا » ، و « ساج — باوتوكو » بنات « نينانا » (العبد بن « نيزا » فقد أعتقهن « إينا شاجا » أمام القضاة . وأقسم ورثة « دودو » باسم الملك على أنهم سوف لن يغيروا كلمة أمهم .

« أور باجارا بن أور . . . . المشكيم

« لو — شارا — ولود ينجيرا ، وأور — ساتران » قضاتها
(أى القضاة الذين أصدروا الأحكام المسجلة فى هذا اللوح)
(ثم تعقب هذا صيغة تاريخية) .

(الملحق ح) شريعة « لبت ـ عشتار » :

المقـدمة :

عندما « آن » العظيم ، والد الآلهة ، و « أنليل » ملك الأقطار كلها ، السيد الذى يقرر القوانين (الإلهية) ، قد . . . « نينسينا »(١) إبنة « آن » . الـ . . . الـ . . . و . . . المفرح لجبينها الوضاح ، عندما أعطياها ملكية سومر وأكد وحكماً لائقاً فى مدينتها « إيسن » ، الـ . . . الذى أسسه « آن » ، وعندما « آن » و « أنليل » دعيا « لبت ـ عشتار » — « لبت ـ عشتار » الراعى الحكيم ، الذى أعلن أسمه « نونامنير »(٢) لإمارة البلاد لكى يثبت العدل فى البلاد ولإزالة الشكوى والقضاء على البغضاء والعصيان بقوة السلاح ، ولجلب الخير إلى السومريين والأكديين — عندئذ أنا ، « لبت ـ عشتار » ، راعى « نفـّر » المتواضع ، فلاح « أور » الراسخ الإيمان ، الذى لم يتخل عن « أريدو » ، سيد « الوركاء » اللائق مللك « إيسن » ملك سومر وأكد ، أنا من هو لائق لقلب « إينانا » ، أقمت العدالة فى سومر وأكد وفقاً لأمر « أنليل » . حقاً ، لقد أنجزت فى تلك الأيام . . . حرية أبناء وبنات « نفر » وأبناء وبنات « أور » ، وأبناء وبنات «أيسن» وابناء وبنات سومر وأكد ، الذين . . . فرضت عليهم العبودية . حقاً ، وفقاً لـ . . . جعلت الأب يقوم باعالة أبنائه وجعلت الأبناء يقومون باعالة أبيهم ، وجعلت الأب يقف إلى جانب أبنائه وجعلت الأبناء يقفون إلى جانب أبيهم ، وفى بيت الأب وفى بيت الأخ ، أنا . . حقاً ، أنا ، « لبت — عشتار » بن « أنليل » ، جلبت سبعين (٣) إلى بيت الأب وإلى

(١) «نينسينا» إلهة مدينة «ايسن» الحامية . ويعنى أسمها «سيدة إيسن» (المترجم)
(٢) اسم آخر للإله «أنليل» . (المترجم)
(٣) جاء هكذا فى الأصل والمقصود بذلك غير واضح . (المترجم)

بيت الأخ ، وإلى بيت الأعزب ، جلبت ••• لمدة عشرة أشهر ••• زوجة رجل ••• وابن رجل •••

المواد القانونيـة :

١ — ••• التي أقيمت •••

٢ — ...ملك بيت الوالد من •••

٣ — ••• ابن موظف الدولة ، وابن موظف القصر ، وابن المشرف •••

٤ — ... قارب .•• سوف ••• قارب .

٥ — إذا استأجر رجل قاربا وبدأ به ... رحلة له •••

٦ — ••• الهدية ••• سوف •••

٧ — إذا أعطى بستانه لبستانى ليزرع ••• والبستانى ... لمالك البستان •••

٨ — إذا أعطى رجل أرضاً خالية لرجل (آخر) لإقامة بستان (فيها) ولم ينجز (الأخير) تحويل الأرض الخالية إلى بستان ، فإنه (أى صاحب الأرض) سيعطى الرجل الذى شرع فى إقامة البستان الأرض الخالية التى أهملها كجزء من حصته .

٩ — إذا دخل رجل إلى بستان رجل (آخر) وقبض عليه هناك بسبب (قيامه) بالسرقة ، فإنه سيدفع ١٠ « شياقل » من الفضة .

١٠ — إذا قطع رجل شجرة فى حديقة رجل (آخر) ، فإنه ½ (مينا) من الفضة .

١١ — إذا أهملت أرض خالية لرجل بجوار بيت رجل (آخر) وسبق أن قال صاحب البيت لصاحب الأرض الخالية «لأن أرضك قد أهملت فإن شخصاً ما قد يدخل إلى بيتى ، حصن بيتك » ، وإن هذا الإتفاق قد تأيد من قبله ، فإن صاحب الأرض الخالية سيعيد إلى صاحب البيت كل مايفقده من ممتلكاته .

١٢ — إذا هرب عبد أو أمة إلى وسط المدينة (ثم) تأيد بأنه (أو بأنها سكن) في بيت رجل (آخر) لمدة شهر واحد ، فإنه سيعوض عبداً بعبد .

١٣ — فإذا لم يكن عنده عبد ، فإنه سيدفع ١٥ « شيقلا » من الفضة .

١٤ — إذا عوض عبد رجل سيده عن عبوديته وتأيد (بأنه قد عوض) سيده بشكل مضاعف . فإن ذلك العبد سيعتق .

١٥ — إذا كان «ميقتوم»[1] هبة من الملك ، فإنه سوف لن يؤخذ (إلى مكان آخر) .

١٦ — إذا ذهب «ميقتوم» إلى رجل بإرادته الحرة ، فإن ذلك الرجل لن يحتفظ به وأن له (أى الميقتوم) أن يذهب إلى حيث ما يشاء .

١٧ — إذا ربط رجل دون تخويل رجلا (آخر) بقضية لا علم له (أى للأخير) بها ، وأن ذلك الرجل لم يؤيد إدعاءه بالحجج) ، فإنه (أى الرجل الأول) سيتحمل العقوبة المتصلة بالقضية التي ربط بها .

١٨ — إذا تخلف صاحب مقاطعة أو صاحبة مقاطعة عن دفع ضريبة المقاطعة وتحملها شخص غريب، فلا يطرد المالك من المقاطعة لمدة ثلاث سنوات. (وبعد ذلك) سيمتلك الشخص الذى تحمل ضريبة تلك المقاطعة ، ولا يحق لصاحب المقاطعة (السابق) أن يدعى (بملكية المقاطعة) .

١٩ — إذا صاحب مقاطعة ...

٢٠ — إذا استولى رجل من الورثة ...

٢١ — (إذا) ... بيت الوالد ... قد تزوج ، فإنه سيأخذ هدية بيت والدها التي قدمت كأرث لها .

---

(١) كلمة سامية وليست سومرية وما زال معناها غير معروف . (المترجم)

٢٢ — إذا كان الوالد حياً ، فإن ابنته سواء أكانت « نيفد ينجير »[1] أو « لوكو » رأو خادمة معبد ، ستسكن فى البيت كوارثة .

٢٣ — إذا الإبنة فى بيت والد(ها) الحى ...

٢٤ — إذا أنجبت المرأة الثانية التى تزوجها أبناء له ، فإن الصداق الذى جاءت به من بيت والدها يعود إلى أبنائها ، ولكن أبناء زوجته) الأولى وأبناء زوجته الثانية سيقتسمون بالتساوى ممتلكات أبيهم .

٢٥ — إذا تزوج رجل إمرأة وأنجبت له أبناء (وكان) هؤلاء أحياء (عند وفاة أبيهم) ، وأنجبت أمة أبناء لسيدها أيضاً (ولكن) الأب أعتق الأمة وأبناءها فإن أبناء الأمة سوف لا يقتسمون المقاطعة مع أبناء سيدهم (السابق) .

٢٦ — إذا توفيت زوجته الأولى وتزوج بعد (وفاتها) ، فأن أبناءه من زوجته الأولى يكونون ورثة له ، وسيكون الأبناء الذين أنجبتهم الأمة لسيدها مثل ... ، وإنهم سوف ... بيته .

٢٧ — إذا لم تنجب زوجة رجل أبناء له (ولكن) مومساً (من) الميدان العام أنجبت له أبناء ، فإنه سيمد تلك المومس بالقمح والزيت والكساء ، وسيكون الأطفال الذين أنجبتهم المومس ورثة له ، وما دامت زوجته على قيد الحياة لا تسكن المومس فى البيت مع زوجته .

٢٨ — إذا أشاح رجل بوجهه عن زوجته الأولى ... (ألا) إنها لم تخرج من البيت ، فأن إمرأته التى تزوجها تفضيلا لها (على زوجته الأولى) تكون زوجة ثانية ، ويواصل إعالة زوجته الأولى .

٢٩ — إذا دخل (من كان يؤمل أن يكون) صهراً بيت (من سيكون) والد زوجته ، وإذا أنجز (مراسيم) خطوبته (ولكنهم) طردوه بعد ذلك (من البيت) وزوجوا (من كانت من المؤمل أن تكون) زوجته من

---

(١) طبقة من الكاهنات . (المترجم)

رفيقـه ، فإنهم سيعيدون إليه هدايا الخطوبة التى قدمها ولا يحق لتلك الزوجة (فى الواقع الخطيبة) أن تتزوج رفيقه .

٣٠ — إذا تزوج شاب مومساً (من) الميدان العام وأمره القضاة بعدم زيارتها (ولكنه) طلق بعد ذلك زوجته ... نقوداً .

٣١ — (إذا) أعطى . . . (منحة) ، سيقسم الورثة بعد وفاة والدهم مقاطعة أبيهم . (ولكنهم) سوف لن يقتسموا ما منح من المقاطعة ، إنهم لن « يطبخوا كلمة أبيهم فى الماء »[1] .

٣٢ — إذا خصص أب أثناء حياته هدية خطوبة لابنه الأكبر ، و (تزوج) (الإبن) بحضور الأب الذى ما زال على قيد الحياة ، فأن الوريث بعـــد (وفاة) الأب ...

٣٣ — إذا تأيد بأن الـ . . . لم يقسم المقاطعة ، فإنه سيدفع ١٠ « شياقل » من الفضـة .

٣٤ — إذا استأجر رجل ثوراً وسبب أذى فى اللحم عند المنخر ، فأنه سيدفع ثلث ثمنه .

٣٥ — إذا استأجر رجل ثوراً وأصـاب عينـه بالأذى ، فأنه سيدفع نصف ثمنـه .

٣٦ — إذا استأجر ثوراً وكسر قرنه فإنه سيدفع ربع ثمنه .

٣٧ — إذا استأجر رجل ثوراً وأصاب ذيله بالأذى فأنه سيدفع ربع ثمنه .

٣٨ — (إذا) . . . فإنه سيدفع ...

---

(١) يقصد بهذا على ما يبدو بأنهم لن يخالفوا ما أمر به والدهم . (المترجم).

الخاتمة :

حقاً ، وفقاً لكلمة « أوتو » الحقة ، جعلت سومر وأكد تتمسكان بالعدالة الحقة. حقاً ، وفقاً لقرار « أنليل » ، أنا « لبت — عشتار » بن «أنليل « قضيت على البغضاء والعصيان — وحرمت النحيب والبكاء والصراخ .... وأقمت العدالة والحقيقة ، وجلبت الخير للسومريين والأكديين ....

حقاً ، عندما رسخت رخاء سومر وأكدت ، أقمت هذه المسلة . عسى أن تهدى لمن لا يقترف أى عمل شرير تجاهها ، ولمن لا يدمر إنجازى ولمن لن يزيل كتابتها ، ولمن لا يكتب اسمه عليها — (عسى أن تهدى) حياة ونفساً لأيام طويلة ، وعسى أن يرتفع عالياً فى «أيكور» ، وعسى أن إليه جبين «أنليل» المشرق . (ومن الناحية الأخرى) فإن من سيقترف عملا شريراً بالنسبة لهـا ، ومن سيدمر إنجازى ، ومن سيدخل المستودع ويغير قاعدتها (أى المسلة) ومن سيزيل كتابتها ومن سيكتب إسمه عليها ، ومن ، بسبب هذه اللعنة ، سيغيب عنه شخصاً آخر (ليقوم بعمل من هذه الأعمال) فإن ذلك الشخص سواء أكان... ، أو كان...عسى أن يسلب منه...ويجلبه إلى ... فى ... كان من كان،عسى أن يسلب منه «أشنان»[1] و« سوموجان»[2] سيد الوفرة ، ...وعسى أن يسلب منه «أوتو» قاضى السماء والأرض ... أساسها ... كما... عسى أن يحسب ؛ وعسى ألا تسكون بلاده مستقرة ، وملكها ، كان من كان ، عسى « نينورتا » البطل الجبار ؛ ابن «أنليل» أن ...

---

(١) « أشنان » إلهة الغلة و « سوموجان » إله السهل الذى عينه الإله « أنكى » ناظراً على النباتات والأعشاب التى تملأ السهل . (المترجم)

(١) إن هذا النص وجد علي عدة ألواح وكسر ويتألف من (١٠٧) سطراً . وقد أشار المؤلف إلى صعوبة ترجمته بسبب ما فيه من ثغرات وعبارات غير واضحة . أما الترجمة الأوليـة المقدمة هنا فقد توصل إليها بفضل تعاون عدد من العلماء . وقدمت للقراء على ما فيها من نقص وعدم وضوح وذلك لأهمية هذه الوثيقة التى تعتبر أقدم وثيقة من نوعها فى تاريخ الإنسان . (المترجم).

(ملحق ط) تقويم الفلاح :

فى الأزمان القديمة أوصى فلاح ابنه [بما يأتى] :

عندما تـكون على وشك أن تتولى الإشراف على حقلك [لزراعته] ؛ راقب بعين يقظة فتحة السدود والقنوات ؛ والتلول [حتى] إذا أغرقت الحقل لا يرتفع المـاء فيه ارتفاعاً كبيراً . وعندما تنتهى من نزله من الماء ، لاحظ أرض الحقل المشبعة بالماء كى تبقى لك أرضاً نشطة . دع ثيراناً منعلة [أى ثيران ذات أظلاف محمية بطريقة أخرى] تدوسها لك ؛ وبعد أن تقتلع أعشابها الضارة وتحول الحقل إلى أرض مستوية ، أعزقها على مستوى واحد بفؤس حادة؛ لا يزن كل واحد منها (أكثر) من ثلثى الرطل . [وبعد ذلك] دع حامل المعول يعمل فى إزالة [آثار] أظلاف الثور ويمهدها [أى الأرض] لك . ولتساوِ الشقوق بجرافة ؛ واجعله [أى حامل المعول] يطوف مع المعول مع على زوايا الحقل الأربع [السطور من ١ — ١٢]

وفى الوقت الذى يأخذ فيه الحقل بالجفاف — دع [أسرتك] المطيعة تعد لك أدواتك ؛ وثبت عارضة النير وعلق سياطك الجديدة على المسامير ؛ ودع الصناع يصلحون لك مقابض سياطك القديمة [1] . ودع ... البرونزى ... أدواتك « تلتفت إلى سلاحك» دع « ربطة الرأس » الجلدية والمهماز ؛ و «فاتح الفم » والسوط تدعمك [فى حالات تحتاج فيها إلى الضبط والسيطرة] ؛ ودع سلتك من صنف الـ « باندو » تطقطق ؛ [إن كل هذا] سيحقق لك وارداً كبيراً [الأسطر ١٣ — ٢١] .

فإذا جهز حقلك بما يحتاج إليه ، راقب بعين يقظة عملك . وبعد إضافة ثور آخر إلى ثور الحراثة — عندما يشد ثور إلى ثور آخر ، فإن محراثهما يكون أكبر حجما من المحراث (العادى) — أجعلها ... « بور » واحـــدا ، سيحققان لك ... مثل عاطفة ، حتى إن ثلاثة « جوارات » من الشعير ستزرع فى ذلك

(١) كانت السياط تستعمل لدفع العاملين والحيوانات على مواصلة العمل . (المترجم)

الـ « بور » الواحد . إن الرزق فى المحراث ! (وهكذا) بعد أن تنتهى من احراثة الحقل بمحراث (من نوع) « بارايل » — نعم محراث بارديل — (ومن ثم) بعد أن تنتهى حراثته بمحراث (من نوع) الـ « شوكين » — كرر (هذه العملية) . وبعد أن تنتهى من تسايف تربته (أى الحقل) ، وتقليب تربته ثلاثة مرات وتنعيمها جيدا بمطرقة ، ودع مقبض سوطك يقف إلى جانبك ، لا تتهاون بأى تسكع فى العمل . قف على رؤوسهم (أى على عمال الحقل) خلال عملهم ، ولا تتهاون مع أى معوقات (للعمل) ، لا (تله) عمال حقلك . وبما أنه يجب عليهم مواصلة العمل خلال النهار (وخلال) نجوم السماء لمدة ١٠ (أيام) فإنه يجب أن توجه قواهم إلى الحقل ، وألا يرقصوا احتفاء بك (السطور ٢٢ — ٤٠) .

عندما توشك على القيام بحراثة حقلك ، دع المحراث يقتلع لك بقايا النباتات . . اترك « غطاء فم » المحراث العائد لك . . . . ، واترك . . . على مسمار رفيع ، ودع دجرك[1] يمتد إلى الجانبين وهيىء اخاديدك — واحفر فى كل « جاروش » واحد ثمانية أخاديد . . . إن الأخاديد التى تحفر بعمق ، سينمو شعيرها طويلا (أسطر (٤ — ٤٧) .

عندما توشك على حراثة حقلك ، راقب الرجل الذى يبذر بذور الشعير . دعه ينثر الحب بصورة منتظمة إلى أصبعين واستخدم « شيتملا » واحدا من الشعير لـكل « جاروش » . وإذا لم تدفن بذرة الشعير على الوجه الصحيح ، غير سكة محراثك ، (أو كما ورد فى النص « لسان المحراث » . إذا الـ . . . . . ، (عندئذ) احرث أخاديد مائلة فى المـكان الذى حرثت فيه أخاديد مستقيمة وأحرث إخاديد مستقيمة حيث حفرت أخاديد مائلة . ودع أخاديدك المستقيمة تحول حدودك إلى حدود « تولو » ودع أخاديد الـ « لو » تجعل حدودك مستقيمة . واحفر اخاديد « آب » حيث . . . (ثم) دع كل كتله الطينية الصلبة تزال من الحقل ولتحول جميع أماكنه المرتفعة إلى إخاديد ، وتحول كل منخفضاته إلى أخاديد منخفضة . (كل هذا) سيكون أمرا حسنا بالنسبة للبراعم الأولى (من النبات) (أسطر ٤٨ — ٦٣) .

(١) الدجر : قطعة معدنية تقفاء فى المحراث ترفع التربة وتقلبها به (المترجم) .

بعد أن تخترق البرعمة (سطح الأرض) أقم الصلاة للالهة « ن كيايم »[1] واطرد الطيور الطائرة . وعندما يملأ الشعير قيعان الاخاديد الضيقة ، إسق البذور العليا ، وعندما يصل الشعير إلى ارتفاع (قشة) حصير فى وسط سفينة ، اسقه (مرة ثانية) واسق (مرة ثالثة) شعيره الملكى . وإذا احمر الشعير المسقى ، فإن ما تقوله هو أنه مصاب بمرض ال « سمانا »[2] ولكنه إذا نجح فى إعطاء سنابل غنية بالحب اسقه (مرة رابعة) وسينتج لك مكيالا اضافيا من الشعير فى كل عشر مكاييل (أى زيادة ١٠٪) . (السطور ٦٤ — ٧٢) وإذا اوشكت على حصاد حقلك ، لاتدع الشعير ينحنى على نفسه (بل) احصده فى اللحظة التى يكون فيها (ابكامل) قوته . إن حاصداً ، ورجلا يقول بوضوح السنابل المحصودة فى حزم ، ورجلا ايشد الحزم) امامه — هؤلاء الثلاثة سيقومون (كفرقة واحدة) بالحصاد لك . وعلى الملتقطين الا يسببوا حدوث تلف ؛ يجب الا يفكوا الحزم . ودع الأرض أثناء أعمال الحصد اليومية ، تعطى ، كما فى « أيام الحاجة » طعاما للصغار وللملتقطين حسب عددهم (أى يجب عليه على مايفترض أن يترك الحب المتساقط على الأرض للاطفال وللملتقطين المحتاجين ليلتقطوه) ودعهم ينامون (فى حقلك) كما (ينامون) فى الأرض ذات الاهوار (المكشوفة) ، (فإذا) فعلت هذا فأن إلهك سيظهر لك مودة دائمة . وبعد أن تحصل على . . . . . لا . . . . (ولكن) حمص (بعض) الشعير المحصود (كى) تقرأ من اجلك فى كل يوم « صلاة الشعير المحصود » . (السطور ٧٣ — ٨٦) .

وإذا اشكت على القيام بتذرية الشعير ، دع اولئك الذين يزنون شعيرك (يهيئون) لك (صناديق بسعة) ثلاثين « جورا » . ومر بتسوية أرض الدراسة ووضع (صناديق) ال « جور » بحيث (تكون معدة) للطريق . وإذا انتهى (إعداد) ادواتك لك ، وهيئت عرباتك ، ردع العربات تتسلق أكداس (شعير) — (وتستغرق) « دراسة الاكداس » خمسة أيام . وإذا أوشكت على « فح التل » ،

---

(١) إلهة خاصة بالجرذان والحشرات والديدان ، ويصلى لهذه الإلهة لتمنع هذه الحيوانات من ايقاع الضرر بالنبات . (المترجم) .

(٢) من الآفات الزراعية المخيفة . (المترجم) .

أخبز خبز « أرا » وعندما « تفتح » الشعير ، اطلب (من عمالك) شد أسنان زلاجتك بالجلد واجعل القير يغطى . . . . . .

وإذا أوشكت على ربط الثيران إلى (الزلاجة) ، ودع رجالك الذين « يفتحون » الشعير يقفون إلى جانبها مع طعامها — (أى طعام الثيران) (السطور ٨٧ — ٩٠).

وعندما تنتهى من تكديس الشعير أقم الصلاة « صلاة الشعير غير المنظف » . وعندما تقوم بتذرية الشعير وجه انتباهك إلى الرجال الذين يحملون الشعير من الأرض — ويجب على اثنين من « حاملى الشعير » أن يحملاه لك . فى اليوم الذى ، يقرر فيه تنظيف الشعير ، مر بوضعه على عيدان (مصفوفة من تراب الأرض) وصلِّ فى المساء والليل . (ثم) اطلب « تفريط» الشعير (من العصافة) كما لو كان (يعمل) بريح قاهرة ، وسيخزن الشعير « المفرط » لك (أسطر ١٠٠ — ١٠٨) .

(هذه هى) إرشادات « نينورتا » بن « أنليل » . فيه « نينورتا » ، يافلاح « أنليل » الموثوق به أن الحمد لك حسن (السطور ١٠٩ — ١١١ !)

SELECTED BIBLIOGRAPHY

GENE^AL

Braidwoo', Robert J. The Near East and the Foundations of Civilization. Eugene, Ore., 1952.

Chiera, Edward. They Wrote on Clay. 2d ed. Chicago: University of Chicago Press, 1955.

Childe, Vere Gordon. New Light on the Most Ancient Near East. 4th Edll. New York : Frederick, 1958.

Gadd, Cyril J. " The Cities of Babylonia ", in The Cambridge Ancient History (rev. ed. ; Cambridge : University Press, 19:2), I, Chap. xiii, 1-60.

Jacobsen, Thorkild. " Mesopotamia ", in The Intellectual Adventure of the Ancient Man. By H. Frankfort et al. Chicago : University of Chicago Press, 1946.

Kramer, Samuel N. From the Tablets of Sumer. Indian Hills, Colo. : The Falcon's Wing Press, 1956. (Reprinted in 1959 as History Begins at Sumer. New York : Doubleday & Co., Inc.)

Pallis, S. A. The Antiquity of Iraq. Copenhagen : Einar Monksgaard, 1956. A rather capricious but not un - useful book which contains a comprehensive bibliography of the more important Sumerological publications up to 1954.

Pritchard, James B. (ed.) . Ancient Near Eastern Texts . 2d . Princeton, N. J. : Princeton University Press , 1955,

Rowton , M . B . " Chronology : Ancient Western Asia " , in The Cambridge Ancient History (rev. ed. ; Cambridge : University Press, 1962), I, chap. vi, 23 - 69.

Saggs, H. W. F. The Greatness That Was Babylon. New York: Hawthorn Books , 1962.

I ARCHEOLOGY AND DECIPHERMENT

Fossey , Charles . Manuel d' Assyriologie. Vol . I . Paris : Leroux, 1904.

Parrot, André . Archéologie mésopotamienne . Vols , I (1946) and II (1953). Paris : Albin Michel.

Tello . Vingt campagnes de fouilles (1877 - 1933). Paris : Albin Michel, 1948.

II HISTORY

Edzard, Dietz Otto. Die " Zweite Zwischenzeit " Babyloniens . Wiesbaden : Otto Harrossowitz, 1957.

" Enmebaragesi von Kis " , in Weitschrift fur Assyriologie , LIII (1959), 9 - 26.

Jacobsen , Thorkild . The Sumerian King List . Chicago : University of Chicago Press , 1939 .

" Early Political Development in Mesopotamia ", in Zeitschrift fur Assyriologie, LII (1957), 91 - 140 .

Kramer , Samuel N . " A 'Fulbright' in Turkey ' , University Museum Bulletin, XVII/2 (1952).

Kraus, F. R. " Zur Liste der aelteren Koenige von Babylonien" in Zeitschrift fur Assyriologie, L (1952), 29 - 60.

" Nippur und Isin nach altbabylonischen Rechsutrkunden " in Journal for Cuneiform Studies, III (1951).

Lambert , Maurice . " La périede présargonique . Essai d'une histore Sumérienne ". in Sumer. VIII (1952), 57 - 77, 198 - 216.

Landsberger , Benno . " Die Anfaenge der Zivilisation in Mesopotamien " , in Journal of the Faculty of Languages , History , and Geography of the University of Ankara , II (1944) , 431 - 37.

Sollberger , Edmond . " Sur la chronologie des rois d' Ur ," in Archiv fur Orientforschung, XVII (1955), 10 - 48 .

Speiser, E. A. Mesopotamian Origins. Philadelphia : University of Pennsylvania Press, 1930.

Woolley , C. Leonard. Excavations at Ur . London : Ernest Benn, Ltd., 1954.

The Sumerians. Oxford : Clarendon Press, 1929.

Diakoneff , N. M. Sumer : Society and State in Ancient Mesopotamia . Moscow : Academy of Sciences, U. S. S. R. , 1959. In Russian with English résumé.

Falkenstein , Adam . Die neusumerische Gerichtsurkunden . Vols . I — III . Munich : Verlag der Bayerischen Akademie der 1956 - 57.

" La citp - temple sumérienne ," in Journal of World History , I (1945) , 781 - 814.

Forbes, R. J. Metallurgy in Antiquity. Leiden : Brill , 1950.

Studies in Ancient Technology. 6 vols. Leiden : Brill, 1955 - 58.

Frankfort , Henri . The Art and Architecture in the Ancient Orient. Baltimore : Penguin Books, Inc . , 1955.

Hallo , William W. Early Mesopotamian Royal Titles . New Haven : American Oriental Society, 1957.

Lensen, H. Die Sumerer. Berlin : Gebr. Mann, 1948.

Llyd , Seton . The Art of the Ancient Near East. New York : Frederick Praeger , 1961.

Neugebauea . O. The Exact Sciences in Antiquity. 2d ed. Provi lence, R. I. : Brown University Prcss, 1957.

Nenebauer. I., and Sachs, A. Mathematical Cuneiform Texts. New Haven, Conn. : American Oriental Society and the American Schools for Oriental Research, 1957.

Oppenheim , A. L. , and Hartman , Louis F. On Beer and Brewing Techniques in Ancient Mesopotamia . (Supplement No. 10 to the Journal of American Oriental Society , December , 1950.)

Parrot, André. Sumer. New York : Golden Press, 1961 .

Steele , Francis R. The Code of Lipit - ˉshtar . Philadelphaia : University Museum, 19 ,9.

Woolly, C. Leonard. The Art of the Middle East. New York : Crown Publishers, 19 ˈ1.

IV RELIGION

Dhorne , E. Les religions de Babylonie et Assyrie. Paris : Presses Universitaires de France. 1945 .

o • •

Falkenstein, Adam, and Soden, W. von. Sumersche und akkadische Hymnen und Gebete. Zurich ; Artemis Verlag, 1953.

Gadd, Cyril J. Ideas af Divine Rule in the Ancient Near East. London : Oxford University Press, 1948.

Jean, Ch. — F. La religion snmérienne. Paris : Paul Geuthner, 1931.

Labat, René. Le caractère religieux de la royauté assyro-babylonienne. Paris : Librairie d'Amérique et d'Orient, 1939.

Moortgat, A. Tammuz. Berlin : W. de Gruyter, 1949.

Sjoberg, Ake. Der Mondgott Nanna-Suen. Vol I. Stockholm : Almquist and Wiksell, 1960.

V LITRATURE

Falkenstein, Adam. Sumerische Goetterlieder. Vol. I. Heidelberg: Carl Winter, 1959.

Gordon, Edmund I. Sumerian Proverbs. Philadelphia : University Museum, 1960.

Kramer, Samuel N. Sumerian Mythology. New York : Harper & Bors., 1961.

Van Dijk. J. J. A. La Sagesse Suméro-accadienne. Leiden : Brill, 1953.

VI EDUCATION

Faldenstein, Adam. " Der Sohn des " Tafelhauses, " in Die Welt des Orients, III (1948), 172 - 86.

Gadd, Cyril J. Teachers and Stu'ents in the Oldest Schools. London : School of Oriental and African Studies, University of London. 1956.

Karmer , Samuel N. Schooldays . Philadelphia : University Museum, 1949.

Landsberger, B. Die Fauna des alten Mesopotamiens. Leipzig : S. Hirgel, 1934.

VII CHARACTER

Karmer, Samuel N. " Love , Hate and Fear : Psychological Aspects of Sumerian Culture, " in Eretz - Israel, V (1958),6 - 4.

" Rivalry and Superiority : Two Dominant Features of the Sumerian Cultural Pattern," in Selected Papers of the Proceedings of the Fifth International Congress of Anthropological and Ethnological Sciences (1956), 28 - 91.

VIII LEGACY OF SUMER

Baltrushaitis, M. Art Sumérien, art roman. 1934.

Kramer, Samuel N. " Sumérien Literature and the Bible , " in Analecta Biblica, XII (1959), 185-204.

فهرست الأعلام

— ا —

(ب)

(ت)

(ج)

(د)

(ف)

(ك)

(م)

رقم الإيداع ٣١٥٠